رشيد يوسف عطا الله
(تارودقيم فيكتور)

تحقيق
دكتور علي نجيب عطوي

تاريخ
الآداب العربية

عز الدين
للطباعة والنشر

تاريخ

الآداب العربية

رشيد يوسف عطا الله
(سارو فيم فيكتور)

تاريخ
الآداب العربيّة

المجلّد الأول

تحقيق
دكتور علي نجيب عطوي

مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر

الطبعة الأولى
١٤٠٥ هـ. - ١٩٨٥م.

مؤسسة عز الدين
للطباعة والنشر

هاتف: ٢٧٣٦٣٦-٢٧٥٥٣٢-٢٧٥٥٦٣-٢٧٥٨٦٧-ص.ب: ١١٥٢٥١٣/ بيروت - لبنان

نبذة عن حياة المؤلف (ساروفيم فيكتور) «١٩٢٢ م ١٣٤١ هـ »

هـو رشيد بن يـوسف عطا الله المـاروني : ولد من اسـرة عريقـة في الفضل والتقوى (بعبيه) من قرى لبنان ، ونشـأ في بيروت، ولمـا ترعـرع دخل مـدرسة الفرير ، وتلقى فيها مباديء العلوم الدينية والدنيوية، وامتاز بـين أقرانـه بورعـه وتوقد ذهنه، وحدة ذكائه، والإنكباب على اكتسـاب المعارف ؛ ولمـا ناهـز الثانيـة عشـرة من سنه. طلب الإنضـواء إلى إخوة المـدارس المسيحية ، فلم يلبِّ طلبـه باديء ذى بدء، رغبة في اختباره ولما بقي مصمماً على عزمه استجيب ملتمسه، فـارسل إلى بيت لحم حيث قضى بضـع سنوات أتم في خـلالها دروسـه، واتقن اللغتين العربية والفرنسية ، ونبغ في كافة الفنـون التي يتلقاهـا الطلبـة، وتفوئـل بأنه سيكون فريد زمانه. ولم يلبث أن احتفل بقبـوله بـين أعضاء الجمعيـة ولقب بالأخ ساروفيم فيكتور فأقام سنة متفرغاً لممارسة الـواجبات الـرهبانيـة، ثم عين استاذاً لصغار المبتدئين ، وانكب منذ ذلك على العمل فعـرب عدة كتب روحيـة ونظم من القصائد الروحيـة، وحينئذ شعـر بوفـود الدار الـذي أنهك قواه وأودى بحياته سنة ١٩٢٢ م ١٣٤١ هـ.

وكـان الأخ ساروفيم متضلعـاً من اللغة العـربيـة والفـرنسيـة وخـدم اللغـة العربية خدمة لا تحصى، فـألف فيها مجمـوعة من المؤلفـات منها تـاريخ الآداب العربية وهو اعظمها وانفسها وأشدها.

المجلد الأول

مقدمة

الدراسة الادبية أية دراسة آدبية تتفاوت أهميتها حسب تفاوت الامتداد الزماني والمكاني لهذا الدراسة، فكلما توسع الانسان بتنويع الأنواع الآدبية وتنويع موضوعاتها، كلما كانت الدراسة ذات فائدة أكثر وبالتالي كانت الجماهير المستفيدة منها أوسع واشمل. فكل نفس انسانية تواقة لنوع معين من الموضوعات تألفه وتنجذب إليه، فتفتش عن مصادره، والكتب التي تتحدث عنه. من هنا جاء كتاب تاريخ الآداب العربية، يشبع رغبات القاريء الأدبي على اختلاف نزعاته ومشاربه، فقد احتوى هذا الكتاب، على ترجمة لأسماء كبيرة لامعة، سواء في مجال الأداب أو العلم أو الفلسفة، من مختلف العصور (جاهلي، إسلامي، أموي، عباسي). وجاءت الموضوعات التي تناولها تسجل مختارات من الشعر لمتقدمين. «وتدوين كلماتهم، والا نتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم، فكم من كتاب فاخر عملوه، وعقد باهر نظموه، لا يشينه إلا نبو العين من إخلاق جدته، وبلى بردته، ومج السمع لمردداته وملالة القلب من مكرراته» (١). وهو كتاب جمع الكثير من غرر شعراء القرن الأول حتى أواخر القرن الرابع، وكانت رقعة البلاد التي في يد العرب واسعة يوم ذاك، فقد شملت بلاد الشام والعراق وجرجان ومصر والمغرب والأندلس وغيرها. وهذه الفترة من الزمان على ما كان في البعض منها من التصرف والاضطراب السياسي أنظر حقب الزمان في الآداب والعلوم والفنون

وقد بقي الكتاب ـ على رغم أنه طبع مرتين قبل اليوم سراً محجوباً لقلة

---

(١) من مقدمة الثعالبي في كتاب اليتيمة جـ ١ ص ٤.

العناية به، فأردت أن أخدم العربية التي شربت حبها من عهد الصغر بإخراجه في صورة ترضى عنها النفس وينشرح لها الصدر. فتوفرت على مراجعته على المصادر والمراجع من دواوين الشعراء ومجاميع الشعر. وفي الكتاب كثير من الشعر بفنونه المختلفة من غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار، وأدب وزهد وخمريات وغيرها من سائر الفنون. كما فيه حديث عن الخطابة ومشاهير الخطباء ونماذج من خطبهم، وفيه حديث عن المنشئين والنحاة واللغويين والفقهاء والمحدثين والمؤرخين والجغرافيين والعلماء والأطباء والفلاسفة والفلكيين والرياضيين وغيرهم. وكانت الغاية من ذلك أن نضع بين أيدي القراء النصوص التي تدلهم على ما يتوجهون إليه من مناحي البحث، فلو أننا سمحنا لأنفسا بحذف شيء مما إشتمل عليه الكتاب لكنا قد أضعنا هذه الغاية.

وهذا الكتاب قد وضع على أقسام يشتمل كل قسم منها على مجموعة من الشعراء والأدباء والفلاسفة.

القسم الأول: يشتمل على اللغة والشعر في العصر الجاهلي.

القسم الثاني: اللغة والخطابة والشعر في صدر الاسلام والعصر الأموي.

القسم الثالث: اللغة والشعر في الدولة العباسية

القسم الرابع: المنشئون في العصر العباسي.

القسم الخامس: النحاة واللغويون.. والفقهاء والمحدثون، والمؤرخون والجغرافيون، والعلماء والأطباء، والفلاسفة والفلكيون والرياضيون في العصر العباسي.

القسم السادس: الأدباء والشعراء والمؤرخون والفقهاء والأطباء والفلاسفة في الأندلس.

القسم السابع: طور الانحطاط يتناول فيه: الشعر واللغة وغيرهما من معارف

القسم الثامن: طور الإنبعاث والنهضة ويتناول فيه الشعر واللغة والصحافة

والطباعة وغيرها من معارف وقد وفى الكتاب بما وعد، فجمع فيه من بدائع أعيان الفضل، ونجوم الأرض من أهل العصر ومن تقدمهم قليلاً، وسبقهم يسيراً. ولم ينتقص قدم العهد وتطاول المدة زبدة، وضمنه من نسج طباع هؤلاء وسبل أفهامهم، وصوغ أذهانهم، ما يشتمل على الحلل الفاخرة الفائقة، والحلى الرائقة الشائقة، ويتضمن من طرفهم وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار، وأطيب من فوح نسيم الأسحار، بروائح الأنوار والأزهار[1].

وإن يكن في هذا الكتاب نقص فهوا انه لم يعن بجميع أخبار من تعرض للإختيار له من الشعراء مما يتضمن نشأتهم ومواليدهم، ووفياتهم وتصرف الدهر بهم، بل إنه لم يتصرف في بعضهم إلا لاختيار عدة أبيات من قصيدة قالها في مناسبة ما من المناسبات. لهذا فالكتاب ناقص في نظرنا، وهو في مسيس الحاجة إلى إتمام هذا النقص، لهذا عمدنا إلى وضع نصوص جديدة منتخبة رأيناها هامة ولازمة لتكملة النصوص الموجودة. كما قمنا بتحليل هذه النصوص ونقدها. بعد أن أرجعنا النصوص إلى مصادرها المتخذة منها والتي لم يأت على ذكرها الكتاب. كما اضفنا بعض الشعراء لفترات مختلفة لما رأيناه من أهمية هؤلاء الشعراء، ولقيمة شعرهم الفنية.

كما أننا اكملنا الكتاب الذي جعل مادته تمتد زمنياً لعام ١٩٢٥ بإضافة ما يلزم لأننا رأينا الكتاب ينقصه أمران:

الأول إضافة ما كان قد غفل الكتاب عن ذكره حتى الفترة المذكورة. والأمر الثاني: إضافة ما جاء من تطور شعري بعد هذه الفترة مما جعلنا نضيف إليه بعض الشعراء المشهورين الذين لم يأت على ذكرهم الكتاب أيضاً من شعراء العصرين الجاهلي والاسلامي، ومن ثم إضافة شعراء ينتمون إلى عصر الانحطاط الذي وصل إليه الكتاب، لأنني رأيت أن هؤلاء الشعراء كانوا بارزين في عصرهم، ومع هذا لم يأت الكتاب على ذكرهم، مما حدا بي الأمر

---

(١) من مقدمة الثعالبي في كتاب اليتيمة جـ ١ ص ٧٥٦ أو٦، ٧

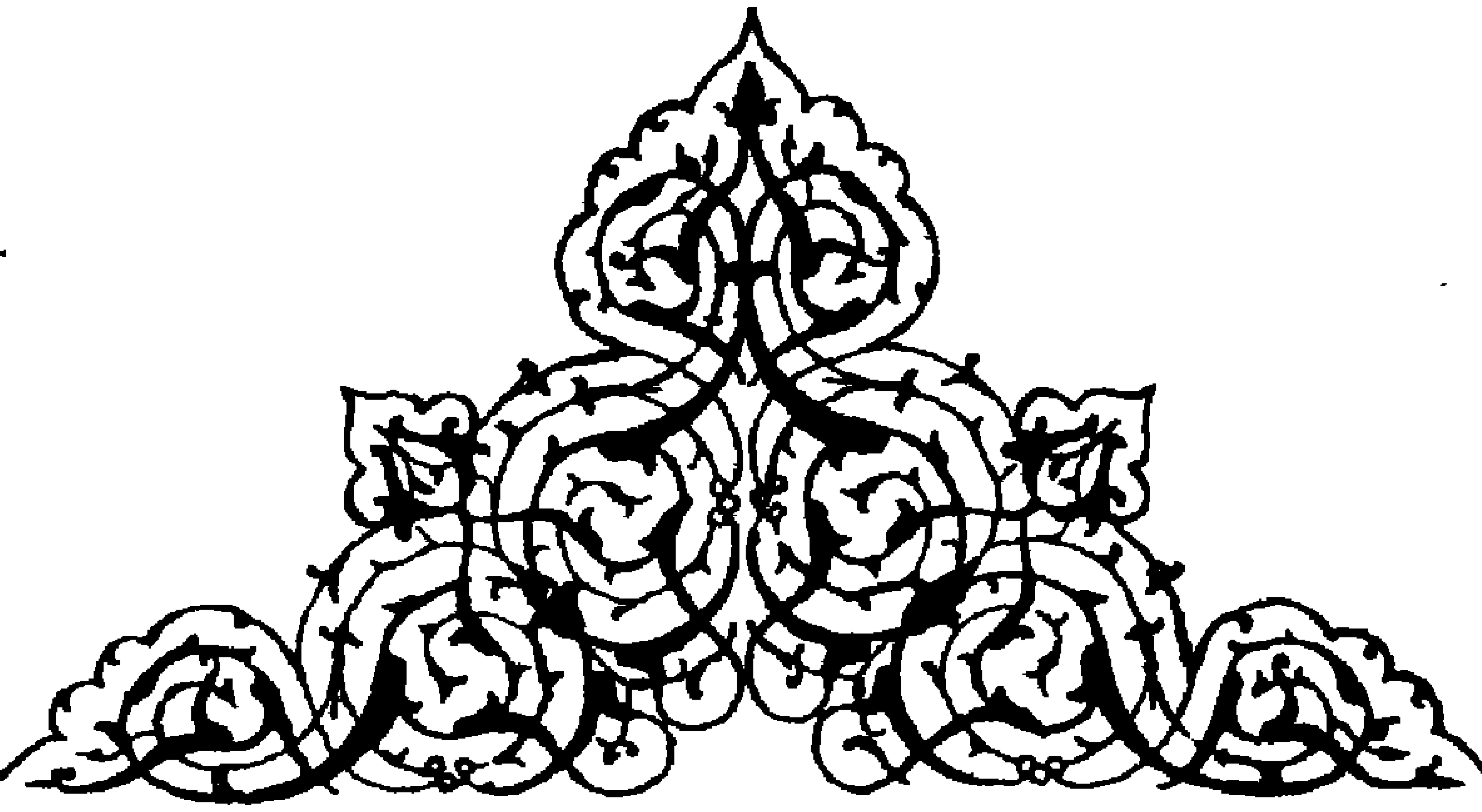
الى اضافة هؤلاء كابن نباته المصري وابن النقيب، كما ارتأيت أن أضيف أيضاً نصوصاً شعرية لشعراء في هذه الفترة ذكرهم الكاتب لما رأيت من أهميتها في مجالها الذي ذكرت فيه.

غير أنّ كل هذا الجهد الذي بذلته يبقى ناقصاً إذا لم أوسع الفترة الزمنية والمكانية، لهذا رأيت من المفيد أن اضيف على الكتاب أيضاً شعراء ينتمون إلى مدارس مختلفة، تمتد من عصر النهضة إلى العصر الحديث لهذا رأيتني أضيف على الكتاب شعراء مدرسة النهضة وهم محمود سامي البارودي واحمد شوقي وحافظ ابراهيم، وخليل مطران، ثم تحدثت عن شعراء الرابطة القلمية وعن الأثر الكبير الذي تركه هؤلاء في الشعر العربي لتناولهم موضوعات لم تكن معروفة أو مطروقة من قبل كالحنين الى الوطن والعودة الى الطفولة، والشعور بالغربة، والنزعة الحزينة الكئيبة في الشعر وغيرها من الموضوعات ثم تحدثت عن شعراء الرومانتيكية العرب، فأشرت إلى الرومنتيكية ومعالمها ومميزاتها، والعوامل التي أدت لظهورها وهي ظروف اجتماعية وسياسية مغايرة لما قبلها، وقد اخترنا من هذه المدرسة، التجاني يوسف بشير وأحمد زكي أبو شادي والياس أبي شبكة وعلي محمود طه وحمزة طنبل.

كما رأينا أخيراً ان نتحدث عن الشعر الحديث، لآنه هو الآخر ظهر كمدرسة مميزة السمات والشكل ومن مميزاتها الدعوة إلى الثورة على الشكل والمضمون للشعر، وقد تم اختيارنا من هذه المدرسة على الشعراء: بدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، وصلاح عبد الصبور، ومحمد الفيتوري.

والكتاب بعد هذا ـ من المراجع الأدبية الهامة لمن يريد أن يدرس الشعر العربي، ولمن يريد أن يدرس الحالة الفكرية والأدبية والعلمية في الفترة التي أرّخ لها الكتاب وفي الفترة التي أضفناها عليه، ولمن يريد أن يطلع على حياة الشعراء والأدباء، ولأهم أنتاجهم الفكري في تلك الفترة.

الدكتور علي نجيب عطوي



اللغة

في عصر الجاهليّة



اذا استقرينا[1]الآثار[2] الادبية التي خلفتها الامم السالفة رأينا الشعر اقدمها عهداً عند كلٍّ منها. سواءٌ ظلت الامة في اول اطوار العمران او بلغت ارقى درجات المدنية مما يدلنا ان كل شعب في بداوته اول ما يكون شاعراً وباكورة اثمار قريحته واعماله العقلية لا تكون الا المنظومات كالرامايانة والمهابهارتة عند الهنود والالياذة والأوذيسة عند اليونان والانياذة عند اللاتين والمعلقات عند العرب[3]. وذلك امر طبيعي فإن قرض[4] الشعر ينطلق به لسان البدويّ طبعاً وترسله قريحته عفواً ولا يقتضي منه رقيًا في المدارك وحنُكة[5] في التجريدات الفلسفية لا يقوى عليها عقله. والبيئة[6] التي جعلته

---

(١) تتبعنا.

(٢) جمع اثر وهو ما بقي من اعمال السلف والاثار نوعان مادية كاهرام مصر وهيكل بعلبك وعقلية وهي ما نبحث فيه الان.

(٣) واما الامم الحديثة فاشهر ما يذكر عندهم من الاثار القديمة أغنية رولان عند الفرنسيس والرواية الالهية اورشليم المحررة عند الايطاليان وقصيدة اسكندر عند الاسبان ومنظومات شكسبير والفردوس الضائع عند الانكليز والمسياذة عند الالمان.

(٤) نظم.

(٥) الاسم من حنك الدهر الرجل اذا جعلته التجارب والامور حكيماً.

(٦) ما يحف بالمرء ويؤثر في اخلاقه.

فيها الطبيعة تعينه على الحداء(١) والنظم فان الجولان في البيد(٢) والإنفراد في القفار من اشد الدواعي الى اثارة(٣) التصورات المتنوعة والايغال(٤) في عالم الخيال. وكيف لا تتقد قرائح قوم وتشف(٥) اذهانهم وقد استوطنوا بلاداً واسعة الارجاء(٦) صافية السماء باهرة الضياء رقيقة الهواء تتدفق اشعة الشمس في فضائها امواجاً ماسيَّة وتنعكس المرئيَّات فيها اشكالاً غريبة فتتراءى للضارب في تلك الفيافي الشاسعة(٧) اشباحاً يُخيَّل اليه انها خلائق حيّة مسكنها الفضاء وكيانها الهواء . . . وتلك الخيالات التي قمصها(٨) الوهم اجساماً وبث(٩) الفكر فيها ارواحاً فرأتها العين خلقاً سويًّا كان لها عندهم اصوات يدوي صداها في المفاوز(١٠) فتسمعها الاذن وتميزها عما سواها. فما تبصره العين هو الجن والتوابع وما سمعته الاذن هو عزيفها. واذ كان مضطَرب هذه الجن بين الارض والسماء فلا بدّ ان يكون لها شأن في احوال الخلق . ومن ثَم نشأ في اعتقادهم ان لكل شاعر جنيًا او تابعاً يلقنه الشعر ويوحي اليه ما يقوله في العدوّ من هجاء يكيده(١١) وفي الحليف من مديح يكفّ عنه شر العدى فيكون كلام الشاعر ـ والشاعر عندهم العالم والحكيم والخبير بخفايا الامور ـ كأنَّهُ منزل من عالم الغيب يمناً(١٢) اذا رغب وشؤما(١٣) اذا غضب. وهذه الغاية القصوى في اصطياد الخياليات وتجسيم الوهميات والبلوغ الى اوج(١٤)

---

(١) سوق الابل والغناء لها. (٢) الفلوات.

(٣) تهييج. (٤) الذهاب بعيداً.

(٥) ترق. (٦) النواحي.

(٧) الفيافي جمع فيفاة وهي الفلاة لا ماء فيها والشاسعة البعيدة والاشباح جمع شبح وهو الخيال.

(٨) البسها. (٩) نشر

(١٠) جمع مفازة وهي الفلاة لا ماء فيها.

(١١) يؤذيه ويمكر به. (١٢) سعداً.

(١٣) نحساً. (١٤) اعلى درجة.

التصورات الشعرية. ومعلومٌ انه كلما قوي خيال المرء ودق احساسه توفّر استعداده للشعر وقرب من كمال الشاعريَّة

والعرب مطبوعون على الشعر لاستقلالهم بحكم انفسهم في بواديهم التي لا يطمع بما فيها طامع وعدم وصول يد حاكم يستبّد بهم ويسومهم[١] الذل والهوان. يمتطون رحال ابلهم او صهوات[٢] خيولهم معتقلين الرماح الخطّية[٣] متقلدين السيوف الهندية متنكّبين[٤] القسيَّ ينقرون على اوتار الطبيعة وينشدون الشعر متغزلين متحمسين مفاخرين منافرين[٥]متوعدين مادحين هاجين واصفين فتتمثل لك الهمة الشماء والاريحيّة العربيَّة بابهى مجاليها وهم في كل ذلك ينطقون بوحي السليقة[٦] متعمّدين الحقيقة سواءٌ عبروا عن شؤونهم او ذكروا حادثة او وصفوا ما لديهم من المحسوسات. فلا يعتور[٧] كلامهم التكلف والتعمل ولا يشين[٨] اوصافهم الزخرفة الكاذبة والمبالغة المرذولة بحيث اضحى شعرهم مرآةً جلية انعكست عليها اخلاقهم وتمثلث فيها حقيقة حالهم . وسترى فيما يأتي ان شعرهم كان للباحثين عن تاريخ الجاهلية اغزر المصادر واصدقها

---

(١) يكلفهم.

(٢) الصهوة مقعد الفارس.

(٣) اعتقل الرمح جعله بين ركابه وفخذه والرماح الخطية المنسوبة الى الخط وهو مرفأ سفن بالبحرين كانت تباع فيه الرماح.

(٤) تنكب القوس القاها على منكبه وهو مجتمع رأس الكتف والعضد.

(٥) محاكمين في الحسب والنسب ومفاخرين.

(٦) الطبيعة.

(٧) يتداول ويشوب.

(٨) ضد يزين.

كثرة شعر العرب في الجاهلية

وشعر عرب الجاهلية كثيرٌ جدًّا لتوفرّ ملكة الشعرواستحكامها فيهم ولأنهم كانوا في ذلك العهد اذا جرى لهم حادث مهم أثر في عقولهم ذكروه في شعرهم تخليداً(١) له وحباً للتحدث بالخوارق. والحوادث التي تقع في عقل البدويّ موقع الاعجاب كثيرة لمكانه من السذاجة وقصوره عن ردّ الوقـائع الى اسبابها. فمن هذا القبيل الظواهر الجويَّة الخارقة كالكسوف والخسوف وظهور المذنَّبات وتساقط الرُجُم(٢) وكالقحط والطوفان ولا سيما الحروب. ولما كان العرب قبل الاسلام قبائل شتّى مستقلة بعضها عن بعض في الحكم مشتركة الحاجات في ضروريَّات المعاش كثر فيها بينهم النزاع وشنُّ الغارات(٣) والبدويّ سريع الغضب كلمةٌ واحدة تقيمه وتقعده غيور على حريتّه تأبى نفسه الضيم(٤)والصبر على الذل فمهما كان الإجحاف(٥) بحقه ـ او ما يظنه إجحافاً ـ يسيراً تافه القدر بادر الى المطالبة بِهِ والإثثار(٦) من خصمه وتبعته قبيلته في ثأرِهِ عملاً بسنة العصبية(٧)وإجابة لداعي الشرف.

---

(١) ابقاء. (٢) النجوم المتساقطة.

(٣) شنّ صبّ والغارة الخيل المغيرة اي صبها من كل جهة.

(٤) الظلم. (٥) الاهلاك.

(٦) ادراك الثأر.

(٧) ما يحمل قوما على التعاون والتناصر لـرابطة بينهم كـالدين والـوطن والجنس والنسب وغير ذلك.

وكان يريد هذه الوقائع حدوثاً عادة البدو ان يكونوا ابداً شاكيّ[1] السلاح على أُهبة[2] النزاع والدفاع. ولما كان العرب اشد شعوب الارض نخوة ونجدة ونَزَقاً [3] لم تزل الغزوات في قبائلهم قائمة على قدم وساق وهم يسمونها اياماً. ولكلّ يوم عندهم اسمٌ يؤخذ امّا من المكان الذي جرت فيه الواقعة او السبب الذي دعا إليها أو ظرف من ظروفها أو غير ذلك [4] وكان شعراء كل قبيلة حتى النساء ينظمون القصائد في الواقعة إضراماً لنيران الحماسة وافتخاراً بالغلبة وابتغاءً لحسن الأُحدوثة. فتتناقلها الالسن ويلهج[5]بها الركبان ويتغّن بها الحُداة[6] . . .

وبلغ العرب في المغالاة بالشعر ورفع قدره الغاية القصوى. وكانوا إذا نبغ شاعر في قبيلة آتتها الوفود من القبائل للتهنئة فيعقدون مجالس الفرح ويحيون الليالي بالملاهي والغناء ويولمون الولائم استبشاراً بقيام من يقي أعراضهم ويفُحم[7]حسَّادهم ويرفع اقدارهم ويرفع ويخلد مآثرهم على مرور الدهور. وكان أشدّ مصابٍ وطأةً عليهم وافضح عار يتوقعونه ويسعون جهدهم في تلافيه[8] أن يتناولَ شاعرٌ مشهو رٌ أعراضهم[9]بشيءٍ من الهجاء فتنتشر اقواله في

---

(١) لابسين السلاح التام. (٢) عُدة.

(٣) النخوة الحماسة والمروءة. والنجدة الشجاعة ومضاء العزيمة والنزق الطيش والخفة عند الغضب.

(٤) اكثر ما تكون تسمية اليـوم بالمكـان كيوم الكـلاب وهو مـوضع بـين الكوفـة والبصرة. ويقولون يوم حليمة وهي امرأة كانت تطيب الذين يخرجون للقتـال ويقولـون يوم تحـلاق اللمم وهـو من ايام حـرب البسوس حلق احـد الفريقـين رؤوسهم عـلامـة لهم وكـانت نساؤهم يطفن في ساحة القتال فاذا الفـين رجلاً صـريعاً حليق اللمـة سقينَهُ المـاء واغثنه والا اجهزن عليه بهراوة كانت بايديهن.

(٥) يتحدث بها. (٦) جمع حادٍ وهو سائق الابل المتغني.

(٧) يسد افواههم. (٨) منع وقوعهِ.

(٩) جمع عرض وهو محل المدح والذم من الانسان.

احياء العرب بسرعة البرق فتتناقلها الرواة ويبثونها في ارجاء البادية فيلهج بها الكبير والصغير ويصبح المقصودون بالهجاء مضغة في الافواه يضرب بهم المثل في اللؤم وهناك الطامة[1] الكبرى. حتى لقد كان الملوك والامراء انفسهم يفتخرون بمدح الشعراء ويبذلون النفائس في صلتهم واسترضائهم واذا بلغهم عن شاعر هجوٌ في حقهم عمدوا الى قطع لسانه بغمره بالاحسان الجزيل وتغاضَوْا[2] عن سيّئاتِه وتناسوا اهاجيهُ خوفاً من ان يتفاقم الشرّ ويزيد الشاعر في الطعن. فاذا كان هذا قدر الشعراء عند ملوكهم فما ظنُّك بمن سواهم من القوم ... وكانوا اذا وقع شاعرٌ اسيراً بين ايديهم على اثر حرب جرت انفذوا[3] ما في طاقتهم لارضائهِ واخذوا عليه المواثيق والأيمان المغلّظة[4] الاّ يهجوهم واذا تعذر[5] عليهم سدُّ فمهِ بالحسنى ربطوا لسانه بنِسعةٍ[6] كما فعل بنو تميم بعبد يغوث بن وقاص المحاربيّ حين اسروه يوم الكُلاب الثاني ومن قوله

اقول وقد شدوا لساني بنسعةٍ أمعشر تَيمٍ أطلقوا لي لسانيا

والخلاصة ان الحسن عندهم ما استحسنه الشاعر والقبيح ما استقبحه ومن رفعه بمدحهِ ارتفع ومن وضعه بهجائهِ اتّضع وسترى مصداق ذلك فيما يأتي إن شاء الله.

---

(١) الداهية تفوق ما سواها.

(٢) تغافلوا. (٣) افرغوا.

(٤) غلظ اليمن أكّدها.. (٥) امتنع.

(٦) النسعة بالكسر سير من جلد على هيئة اعنة النعال تشد به الرجال.

اسواق الجاهلية

كان للعرب في جاهليتهم مواسم عامة تحضرها الوفود من جميع القبائل وهم يسمُّونها اسواقاً وكانوا يقيمونها في ازمنةٍ وامكنةٍ معينة يقصدها القوم لمصالحهم. فمن تلك الاسواق[1]واحفلها سوق عكاظ بين نخلة والطائف فكان يتقاطر اليها العرب من كل فجٍّ وصوب[2] ويُقيمون فيها نحو شهرٍ يبيعون ويشترون ويأخذون ويعطون ويقضون مهما تهم وأمورهم ثم يأخذون في القاء الخطب وانشاد القصائد فيتفاخرون ويتنافسون على مسمع من تلك الجماهير الغفيرة وفيهم الامير والمأمور والرئيس والمرؤوس والرفيع والوضيع من جميع قبائل العرب قاصيها ودانيها[3]وكان لذلك المحفل الحافل جماعة من الزعماء القرشيين يترأسونه ويقضون فيما يسمعون من القصائد الطنَّانة لفحول الشعراء. فمن اجمع رؤساء المحفل على علوّ طبقته واقروا له بالأفضلية نال القدر الرفيع والشهرة الواسعة وكتبت قصيدته بماء الذهب على القباطيّ[4]

---

(١) ومنها ذو المجاز والمجنة ودومة الجندل وغيرها.

(٢) الفج طريق بين جبلين والصوب الناحية يعني من جميع الجهات.

(٣) بعيدها وقريبها.

(٤) القباطي ثياب بيض رقاق من كتان سميت بذلك نسبة الى اقباط مصر الذين كانوا يتعاطون نسجها.

وعلقت على استار الكعبة لتخليد ذكر قائلها على ممرّ الاحقاب. والشعراء الذين نالت قصائدهم شرف التعليق سبعة سيأتي ذكرهم فيما يلي ولذلك دعيت قصائدهم بالمعلقات. وكانت الرئاسة في سوق عكاظ لقريش دون سائر القبائل لعلوّ منزلتها عند العرب وسلامة لغتها من كل عيب حتى كان يضرب المثل بفصاحتها على حين لم تكن لغة قبيلة تخلوا من عيب كالوَكْم والوَهْم والوتم والعنعنة والفخفخة والكسكسة والشنشنة والطِمطِمانيَّة والأستنطاء[1] وغيرها من قبيح اللغات فضلاً عن وحشيّ الالفاظ ومُستهجن[2] التعابير.

ولا يخفي ما كان لعكاظ ورئاسة قريش من الفضل في توحيد لهجات العرب ولغاتها. فان شعراء القبائل الوافدين الى عكاظ كانوا يتحدَّون[3] جهدهم لغة قريش بانتقاء المفردات الفصيحة العذبة واختيار التراكيب البليغة المنسجمة[4] طمعاً بشهادة زعماء المحفل وكثرة المستحسنين. فكانت لغة قريش حينئذٍ بمنزلة اللغة الفُصحى عندنا واللغات الشاذة عنها بمنزلة اللغة العامية لا بُدّ من العدول عنها الى الفصحى فيما ينشر على رؤوس الملا. وهكذا سلمت اللغة من التبعثر[5] والتشعب اذ لو طال زمان التقاطع بين القبائل ولبثوا

---

(١) الوكم كسر الكاف في نحو عليكم وبكم وهي لغة ربيعة والوهم كسر الهاء في نحو منهم وعنهم وهي لغة كليب. والوتم ابدال السين تاء نحو النات في الناس وهي لغة اليمن والعنعنة ابدال الهمزة في اول الكلمة عيناً نحو ظننت عنك ذاهب في انك ذاهب وهي لغة قضاعة والفخفخة ابدال الحاء عيناً نحو عتى وعين في حتى وحين وهي لغة هذيل والكسكسة ابدال كاف المخاطب سيناً نحو منس وعنس في منك وعنك والكشكشة ابدال الكاف المخاطبة شيناً نحو منش في منك والاولى لغة بكر والثانية لغة تميم والشنشنة ابدال الكاف شيناً على الاطلاق نحو شلمتش في كلمتك وهي لغة اليمن والطمطمانية ابدال لام ال التعريف ميماً نحو امشمس في الشمس وهي لغة حمير والاستنطاء ابدال العين الساكنة نوناً اذا وقع بعدها طاء نحو انطاني في اعطاني.

(٢) مستقبح. (٣) يتعمدون ويبارون.

(٤) السائلة المنصبة. (٥) التبدد.

مستقلين بلغاتهم استقلالهم باحكامهم لزاد التباين في كلامهم ولهجاتهم واصبح البون[1] بينها شاسعاً يتعذّر معه التفاهم على حدّ ما ترى من الفرق بين العربيةِ واختيها العبرانية والسريانية . . . ثم جاء الاسلام واساسه القرآن وهو بلغة قريش فكان القول الفصل في الامر وختم به على اللغة فأتم ما شرع فيه بعكاظ من التوحيد. ولا يزال مع ذلك في اسفار اللغة ونحوها آثار لذلك التفرق والاختلاف مما سنشير اليه في حينه وهو العقبة الكؤود[2] في سبيل ارتقاء اللغة على قدر الحاجات الحاليَّة ولحاقها بلغات العصر وعمومِ اللغة الفصحى على ألسنة المتكليمن بها.

---

(١) البعد والفرق.

(٢) العقبة المرقى الصعب في الجبال والكؤود الصعب الشاق المصعد فالنعت هنا للتوكيد فقط.

آثار عرب الجاهلية

إلّا ان ما انتهى الينا من آثار العرب في جاهليتهم وان كانت فيه كفاية حسنة لمعرفة منزلتهم من آداب اللغة فليس الا قليلاً من كثير. لان العرب مع استحكام ملكة البلاغة من السنتهم وتوفر مادة الشعر في اذهانهم كانوا قوماً أمّيين لا يقرأون ولا يكتبون . وقد ظلوا على اميتهم دهراً طويلاً مع انهم كانوا محاطين بأمم من جنسهم لهم كتابات عثر[1] عليها الباحثون كالنقوش الحميريَّة بالحرف المُسند والخطوط النبطية بالحرف النبطيّ وسبب تخلف عرب مُضَر عن اخوانهم في اتخاذ الكتابة اغراقهم[2] في البداوة وبعدهم عن صناعات الحضارة والكتابة من جملتها. ولم يدخل الخط عند العرب الا قبيل الاسلام ولعل اقدم ما كتب من شعرهم معلقة امرىء القيس المتوفى سنة ٥٣٩ للميلاد. ومن ثم ترى ان ما وصل الينا من كلامهم لا يرجع الى ما وراء القرن الخامس وهو ما قيَّده علماء الاسلام واخذوه عن أفواه الرجال.

---

(١) اطلع عليها.

(٢) تأصلهم وتعمقهم.

دخول الكتابة عند العرب

واما كيفيَّة دخول الكتابة عند العرب فخلاصة ما قالوا فيها ان رجلاً منهم اسمه بشر بن عبد الملك الكندي اخو أُكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل تعلَّم الخط من اهل الانبار وكان لهُ صحبة بحرب بن اميَّة القرشيّ لتجارته عندهم في بلاد العراق فتعلم حرب منه الكتابة ثم سافر معه بشر الى مكة فتعلم منه الكتابة جماعة من اهل مكة فكثر من يكتب بمكة من قريش ولذلك قال رجل كندي من دومة الجندل يمنّ[١] على قريش بذلك

لا تجحدوا نعماءَ بشر عليكمُ   فقد كان ميمونَ النقيبة[٢] أزهرا
اتاكم بخطّ الجزم حتى حفظتمُ   من المال ما قد كان شتى مبعثرا[٣]
فاجريتم الاقلام عَوداً وبدأةً   وضاهيتمُ كتَّاب كسرى وقيصرا
وأغنيتم عن مُسند الحيّ حِمْيرٍ   وما كتبت في الصحف اقلامُ حميرا

والجزم المشار اليه هو نوع من الخط وضعه رجل من اهل الانبار وقيل الحيرة اسمه مرامر بن مرة الطائي. قالوا وسبب تسمية هذا الخط بالجزم انه جُزم اي قطع عن المسند وهو خط حمير اهل اليمن وكان لهم التقدُّم في الحضارة[٤] على سائر العرب الَّا أنَّ كتابتهم هذه كانت محصورة فيهم قلَّما

---

(١) يعدّد ما فعله من الخير.
(٢) محمود المخبر.
(٣) متفرقاً.
(٤) خلاف البداوة او سكنى المدن

يعلمونها احداً. وارتأى قومٌ ان الجزم اسم كان يطلق على الخط الكوفيّ قبل وجود الكوفة وحلولها محل الحيرة وهو مأخوذ عن الكتابة السريانية بأدلة منها المشابهة بينه وبين الحرف السرياني المعروف بالاسطر نجيليّ ومنها ان مرامر بن مرة كان من اهل الانبار او من اهل الحيرة وهما من مواطن النساطرة من السريان. وذهب البعض ان السريانيّ هو اصل المسندلانه اقرب شبهاً به من الكوفيّ فيكون الكوفيّ منقولاًعن المسند والمسند منقولاً عن السرياني وقيل غير ذلك والله اعلم.

وانتشرت الكتابة في الاسلام بعد الهجرة بنحو سنةٍ. وذلك لما اسرت الانصار سبعين رجلاً من قريش وغيرهم في غزوة بدر جعلوا على كل واحدٍ منهم فدية من المال وعلى كل من عجز عن ادائها ان يعلم الكتابة لعشرة من صبيان المدينة فلا يطلقون الّا بعد تعليمهم. وهكذا انتشرت الكتابة عند العرب وهم عمّموها في البلاد التي افتتحوها بعد الاسلام. وكانوا على ما ذكر بعضهم[١] يستعملون في كتاباتهم قلمين او خطين القلم الكوفي لكتابة القرآن ونحوه من النصوص الدينية كما كان السريان يستعملون سلفه الاسطر نجيليّ في كتابة الاسفار المقدسة والقلم النبطيّ او النسخي المأخوذ عن الانباط وهم امّة عربية أومتعرّبة كانت مساكنهم في الشمال الشرقيّ من بلاد العرب وآثارهم تدل على ضخامة عمرانهم[٢]. وهذا الخط كان يكتب به ما سوى الاسفار الدينية من المكاتبات الجارية والمعاملات الاعتيادية ولم يزل في الدرجة الثانية حتى اصلحه ابن مقلة الخطّاط الشهير وبلغ به مقاماً من الحسن بحيث عمّت الكتابة به واهمل الخط الكوفيّ. وفي خطّ ابن مقلة يقول الوزير الفقية ابو عبيد الكبريّ الاندلسيّ:

---

(١) هذا رأي جرجي زيدان في كتابه «تاريخ التمدن الاسلامي الجزء الثالث الصفحة ٥٣» غير ان ابن خلكان يقول ان ابن مقلة نقل الخط الكوفي الى الصورة الانيقة المتعارفة اليوم.

(٢) عظمة تمدنهم.

خط ابن مقلة من ارعاهُ مقلتهُ ودّت جوارحهُ لو اصبحتْ مقَلا[١]
فالدرّ يصفرّ لاستحسانهِ حسداً والورد يحمرُّ من إبداعهِ خجلا

ثم جاء بعده ابن البّواب فهذّب طريقته ونقحها وكساها طلاوةً وبهجةً على ما نراه اليوم وتفرع القلم النسخي الى عدة اقلام[٢] وسترى في الكلام على ابي الاسود الدؤلي والحجاج شيئاً مما نحن في صدده لا نذكره هنا مخافة التطويل.

وأمَّا ترتيب حروف الهجاء عندهم لذلك العهد فكان على ترتيب أبجد اتباعاً للسريان والعبرانيين والى هذا النسق اشار الشاعر بقولهِ

تعلمت بـاجـاداً وآل مـرامـر وسوّدت اثـوابي ولست بكـاتبِ

اراد بباجاد ابجد وبآل مرامر بقيَّة الكلمات السبعة لان مرامر بن مرة المار ذكرُهُ كان قد سمَّى كل واحد من اولاده بكلمة من ابجدوهم ثمانية ويحكي في هذا المعنى أن عمر بن خطاب لقي اعرابياً فقال له «هل تحسن ان تقرأ شيئاً من القرآن» فقال «نعم» قال «فاقرأ امّ القرآن» فقال[٣] «والله ما احسن البنات فكيف الام» فضربه ثم اسلمه الى الكتاب فمكث فيه حيناً ثم هرب وانشأ يقول

اتيت مهـاجـرين فعلمـوني ثـلاثـة أسـطرٍ متـتابعـات
كتاب الله في رقٍ[٤] صحيحٍ وآيـاتِ القُـرآنَ مفصّلاتٍ

(١) جمع مقلة وهي العين او شحمة العين تجمع السواد والبياض والجوارح والاعضاء.

(٢) كانوا يستعملون في الدواوين اقلاماً متنوعـة لكلّ منهـا اسم خاص اشهـرها قلم الـطومار وهـو اجلها اي اغلظهـا وعرض قـطته اربـع وعشرون شعـرة من شعر البـرذون او نحـو ثلاثة مليمتـرات ثم قلم الثلثين وعـرضه ست عشـرة شعرة او مليمتـران ثم قلم النصف وعـرضه اثنتـا عشرة شعـرة او ميلمتر ونصف ثم قلم الثلث وعـرضه ثمـاني شعـرات او ميلمترٌ واحد وبين قلم الطومار وقلم الثلثين مختصر الطومار وعرضـه نحو عشـرين شعرة او ميلمتران ونصف ثم تأخـذ الاقلام بعـد قلم الثلث تستدق شيئـاً فشيئاً فيجيء خفيف الثلث ثم القلم اللؤلؤي ثم قلم التوقيع والـرقاع والمحقق والغبـار وهو ادقهـا وبه تكتب بطائق الحمام ونحوها ـ واعلم ان الطومار اسم للكامل من مقادير الورق عندهم.

(٣) ام القرآن فاتحته وهي اول سورة منه. (٤) الجلد الرقيق يكتب فيه.

وخطُّوا لي اباجادٍ وقالوا تعلَّمْ سعفصاً وقُرَيْشِيَاتِ
وما انا والكتابة والتهّجي وما حظّ البنين من البَناتِ

والمغاربة يخالفون المصطلَح المعتاد في ترتيب الابجديَّة وحروف المعجم ونقط الفاء والقاف وضبط الشكل اما الابجدية فهي عندهم ابجد هوز حطي كلمن صعفض قرست ثخذ ظغش ومن ثم الاختلاف في حساب الجمّل بين الاصطلاحين وترتيب حروف المعجم هو عندهم ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و لا ي. وينقطون الفاء من اسفل (ف) والقاف بنقطة واحدة من فوق (ف) واذا كان الحرف المشدّد مضموماً او مفتوحاً وضعوا الحركة بين الحرف وعلامة التشديد فير سمون شدَّ وشدُّوا مثلاً «شدَّ وشدُّوا»

كيف توصلوا الى النظم

المتبادر الى الذهن هو انه لما كان الانسان مطبوعاً على ايثار[1] الايقاع في الاصوات وترديد نغمةٍ لذَّت بها اذنه اخذ يحاكي ما يقع تحت حسِّهِ من الحركات الدوريَّة. فنسق كلمات منتظماتٍ متتابعات على قدر ما اوحت اليه فطرته فتغنى بها فوجد من نفسه طرباً وخفة حببت اليه العود على ذلك البدء فاضاف الى الدور الاول دوراً آخر يقابله فكان منه السجع ثم ما عتم[2] البدويُّ الشارب في عرض الصحراء ان عمد الى تقطيع كلام يضمنه ما تناجيه به نفسه وينسجه على ذلك المنوال[3] فرأى في ذلك النظم من الأنس في تلك القفار الموحشة ما سوَّل[4] له المزيد منه فجعل ينشد فِقَراً[5] على هذه الطريقة ويضمنها ما يُوحي اليه قلبه من شؤونهِ الشخصيَّة او تُعيده عليه ذكراه من الاحداث التي شهدها سالفاً فهو تارةً يناغي[6] نفسه بذكر الحبيبة معدداً محاسنها خَلقا وخُلقاً وطوراً يتأسف على فراق الاحبة الذين ظعنوا[7] في طلب النجعة[8] ذارفاً الدموع على اطلال[9] مضاربهم وهو حيناً يصف واقعة بين

---

(١) تفضيل

(٢) ابطأ.

(٣) خشبة الحائك ينسج عليها ويلفّ عليها الثوب والمراد هنا: الطريق والاسلوب.

(٤) زين له وحثه على المزيد. (٥) جمع فقرة وهي الجملة المختارة.

(٦) يكلم بما يعجب ويُسر. (٧) رحلوا. (٨) طلب الكلأ اي العشب في مواضعهِ.

(٩) جمع طلل وهو الشاخص من الآثار.

حيّين أبلى فيها بلاءً حسناً[1] فيفاخر وينافر ويتوعد ويتحمّس وهلمّ جرًا في سائر أغراضه فكان من ذلك الحداءُ وهو الانشاد بتطريب وترجيع يسير ورفعٍ للصوت. وقد تراءى له احساس عجيب في ناقته التي كانت اذا حدا وهو على ظهرها تنتعش ويخفّ سيرها فرغبه ذلك في مواصلة حدائه وغنائهِ

وجاء في مروج الذهب ان مضر بن نزار بن معدّ سقط عن بعير له في بعضِ أسفاره فانكسرت يده فجعل يقول يا يداه يا يداه وكان من أحسن الناس صوتاً فاستوسقت[2] الابل وطاب لها السير فاتخذه العرب حداءً برجز الشعر وجعلوا كلامه اوّل الحداء فمن قول الحادي يا هاديا يا هاديا ويا يداه يا يداه. قالوا ولعلّ الهزّات الاربع المتتابعة في سير الناقة أرشدته الى ايقاع حدائه على اجزاءٍ رباعيَّة فكان من الحداء الرجز وهو على ما يقولون اول بحور الشعر لقربه من النثر وسهولة مزاولتهِ[3] حتى سموه حمار الشعراءلكثرة ما عبثوا[4] بوزنه واجزائهِ وحملوه من المعاني التي ليست من اغراض الشعر بشيء كالنحو والطبّ وغيرِ ذلك. وما كان احراهم ان يسمّوه ملهم الشعراء وسيدهم لما لهُ من فضيلةِ السهولة ومزيَّة القِدم.

وما زالت الاوزان ترقى وتتشعَّب شيئاً فشيئاً حتى هبَّت بِالعرب نهضة الادب بالجاهلية فصقلتها اذا ذاك ألسن الشعراء وبلغت أشدَّها[5] في ايام مُهَلهِل وابن اخته امرىءِ القيس. فمهلهل على ما يقال اوّل من قصّد القصائد وامرؤ القيس اول من أطالها وتفنّن في نظمها فبكى على الاطلال واتخذ له صديقين وهميَّين يستوقفهما ويستبكيهما معه واستطرد[6] الى الغزل بعد نضوب[7] الدموع والى الوصف بعد نفاد[8] عواطف الشوق . . . واما القافية

(١) أظهر بأساً وشجاعةً.
(٢) انقادت.
(٣) معالجته والنظم على وزنه
(٤) استخفوا.
(٥) قوّتها.
(٦) انتقل.
(٧) نشوف.
(٨) فروغ.

فهي متأخرة عن النظم ويقال انها اول ما استعملت عند العرب ولعلهم بدأوا بالتصريع[1] ثم لما اعجبتهم الرنة احبوا العود اليها والمزيد فكرّروها في آخر كلّ بيت

---

(١) هو ان ينفق آخر جزء من صدر البيت مع آخر جزء من عجزه في الوزن والحركة والتقفيه.

اقسام الشعر

نظم شعراء العرب في جميع ما يعرض للمرء من المعاني الخاصة والعامة ومن استقراء(1) شعرهم قسم اصحاب البحث ما نظموه الى فنون متعددة ابلَغها ابن ابي الاصبع العدواني الى ثمانية عشر فناً ـ غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وادب وزهد وخمريّات ومراثٍ وبشارة وتهانيء ووعيد وتحذير ومُلَح وسؤال وجواب وزادوا عليها الزهديات والحكم والمجون(2) والحماسة وهي اشرفها عندهم

ومن غريب عوائد الشعراء عند العرب انهم اذا مدحوا استهلُّوا(3) بالبكاء على الطلول حتى بعد انتقالهم من مضارب البادية الى قصور المدن واغرب منه استهلالهم المدح بالتشبيب(4) . امّا بكاؤهم على الطلول فيمكن أن يوجَّه باعتبار أن العرب لما كانوا في بداوتهم اصحاب ابل وسكان خيم تضطرهم احوال معيشتهم الى التنقل من مكان الى مكان ابتغاء النجعة في الصيف وطلب الدفء لانعامهم(5) في الشتاء كثر في شعرهم ذكر المنازل الخاوية(6) والاحبَّة

---

(1) تتبع .

(2) قلنا وما كان اغنى العربية عن هذا الفن السمج ولا ندري كيف يعدّ هذا القول الهراء فنا .

(3) ابتدأوا .

(4) وصف محاسن النساء شعراً .

(5) ابلهم .

(6) الفارغة الخالية .

الظاعنين وهاجت رؤية الأطلال في البدويّ عواطف الوجد[1] والشوق والتلهّف. ثم لما اتسعت دائرة اغراض البدوي وانفسح لنظمه مجالٌ ارحب فتعدى الى ما سوى شؤونهِ الشخصية من مدح او وصفٍ عزَّ عليه قطع سابق عادته وهجران مألوفه فظلَّ يستهل قصائده بالنوح على الطلول وذرف الدموع على فراق الاحبة قبل الاخذ في تعداد مناقب ممدوحهِ ووصف محامدهِ ومآثره. واذا ذكر ناقتهُ التي اضناها التعب وبراها السير في الفيافي الشاسعة والمفاوز[2] المهلكة الخطرة فتلك حكاية حالٍ يأنس بها السامع وتروق للممدوح روايتها والافتنان[3] في تفصيلها بل قد يغتفر له الاخذ بطرف من التغزّل[4] بمحبوبته والالماح[5] الى محاسنها والاشارة الى حاله وحالها اذا كثرا ما يكون تجشمهُ[6] لهائل الاسفار التي يحجم[7] عنها حافزاً له لامتلاك قلبها[8] وإنارة اعجابها، وتحبُّباً اليها وطمعاً في الحصول على مال وافرٍ يؤديه مهراً عنها لابيها الذي قد تتخطّى شروطه حدود الاعتدال كما جرى لبشر بن عوانة العبديّ فانه اضطر الى مصارعة الاسد ومصرعه ليظفر بمهر ابنة عمهِ فاطمةويكون البكاء على الاطلال والتغزل بصفات المحبوبة من بدوي عريق في البداوة أو حديث العهد بالحضارة كلما تشوقت نفسه الى حرية باديته، رغم ما توفر لديه من اسباب الترف كقول ميسون[9]بنت بحد الكلبية أم يزيد بن

---

(١) الحب.

(٢) جمع مفازة وهي الفلاة لا ماء فيها.

(٣) التصرف.

(٤) محادثة النساء والافاضة بذكرهن في الشعر.

(٥) الاشارة.

(٦) تكلفه على مشقةٍ.

(٧) يكف.

(٨) شجاع.

. . . .

(٩) هي امراة من اهل البادية تزوجها معاوية بن أبي سفيان وحملها الى دمشق، فحنت ذات ليلة الى البادية فأنشأت تقول هذه الابيات فسمعهامعاوية فقال لها: جعلتني علجاً! ولهذا طلقها والحقها بأهلها انظر في ذلك شرح شواهد المغني لا بن هشام جـ ٢ ص ٦٥٣.

معاوية في الحنين الى موطنها الأول في البادية:

لبيتٌ تخفق الأرواحُ فيه أحب إلي من قصر منيفِ[1]
ولبس عباءة وتقر عيني أحب إلي من لِبْس الشُفوفِ[2]
وأصوات الرياح بكل فجٍ أحب إلي من نقر الدُفوفِ
وأكْلُ كُسِيْرة في كسربيتي أحب إلي من اكل الرغيفِ
وخرْق من بني عمي نحيف أحب إلي من عِلْجٍ عليفِ[3]

وقد تجاوز البكاء على الاطلال أهل الصحراء إلى اهل الحضر ممن لم يروا الصحراء قط بل سمعوا بها سماعاً ها هم أيضاً يستهلون مدحهم بذرف الدموع على الأطلال، وعلى الضاعنين عنها، وتشببوا بمحبوبات قد لا يكون لها وجودٌ الا في خيالهم، وهم في حبها أفرغ من فؤاد أم موسى، وكأنه قد قضى على كل شاعر أن يكون الحب ضناه والشوق براه. وقد لفت هذا الأمر نظر المتنبي فقال فيه:

اذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً قيمُ

لكن هذا لا يعني ان المتنبي عزف عن اقتفاء آثار غيره من الشعراء بتقديم النسيب على المدح. إلا أنه كان كما عدل عن هذه الخطة وعمل بمقتضى الحكمة التي نطق بها جاء استهلالهُ ابرع وشعره أرفع، فأي مطلع لقصيدة في مدح أميرأحسن وقعاً من قوله

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المقام الثاني

---

(1) الارواح: جمع ريح وتخفف تضطرب ومنيف عالٍ.
(2) الشقوق: الثياب الرقيقة.
(3) العلج الضخم والعليف السمين.

وسترى في كلامنا عن ابي العتاهية شيئاً مما نحن فيه يدلك على استهجانهم[1] حتى في ذلك العصر توطئة المدح بالغزل.

رأينا آنفاً ان العرب بنوا تقسيمهم للشعر على الاغراض المتنوعة التي يقصدها الشاعر وسمّوا تلك الاغراض فنوناً ذكرناها كلها او معظمها. اماالفنون الشعرية المعروفة عند الغربيين فهي: الشعر القصصي والشعر الغنائي والشعر التمثيلي والشعر التعليمي فإذا قصد الشاعر بشعرهِ وصف واقعة يتفنن في قصها ويتلاعب في ايراد تفاصيلها وسرد ظروفها ويبرزها بمظاهر ووجوهٍ متلونة فذلك هو الشعر القصصي، وإن قصد اظهار ما تكنّهُ نفسه من العواطف ويجده قلبه من الشواعر ويتمثل لخاطره من التصورات والخيالات المبتكرة[2] والامثال والحكم السديدة فذلك الشعر الغنائي. واذا عمد الشاعر الى واقعة يصور الاشخاص الذين جرت على ايديهم الاحداث وينسب الى كلٍ منهم ما تحتمله الظروف وتدل عليه القرائن من الافعال والاقوال فينطق كلاً منهم بلسان نفسه ويُحييهم للعيان بتمثيله اياهم في مكان معدّ لذلك بمرأى من الجمهور كما هو مشهور. فهذا هو الشعر القصصي حيث ينطق الشاعر بلسان جميع الذين كانت لهم يدٌ في الوقيعة. ولم يعرف العرب في هذه الفنون غير فن واحد هو (الشعر الغنائي) أما سائر الفنون فهي غير معروفة عند العرب إلا في أوقات متأخرة تعود في بدايتها الى النهضة العربية، وعندما اتصل العرب بالغرب ترجموا الكثير من الفنون ومنها بالطبع هذه الفنون.

فمن جهة الفن القصصي او شعر الملاحم نجد أن هذا الفن لم يوفق العرب للإهتداء اليه، وقد تنبه لهذا الأمر علم من أعلام النقاد العرب في القرن الرابع الهجري وهو إبن الاثير الأديب فقال: «وإذا اراد الشاعر العربي

(١) استقباحهم.

(٢) الجديدة المقولة لاول مرّة.

أن يشرح أموراً متعددة ذات معان مختلفة في شعره. واحتاج الى الاطالة فإنه لا يجيد في الجميع ولا في الكثير منه، بل يجيد في جزء قليل. وعلى ذلك فإني وجدت العجم يفضلون العرب في هذه النكته، فإن شاعرهم يذكر كتاباً مصنفاً من أوله الى آخره شعراً، وهو شرح قصصي وأجوال، وهو لا يوجد في اللغة العربية على اتساعها»

غير أن هذا لا يعني انعدام وجود بعض ملامح الشعر الملحمي عند العرب: فنحن لو قرأنا شعر (الأعشى) الذي يتحدث فيه عن القرون الخالية، وسير الملوك الأولين، وما نظمه من حادثة السموأل في أبياته الرائية، ونقرأ كذلك قصيدة لقيط بن يعمر العينية، ومعلقة عمرو بن كلثوم النونية، وقصيدة (الحطيئة) في تصوير الضيافة العربية، وما يجرى من ألوان الشعر الحماسي من حكايات للأحداث والأموال وتصويره لمعترك الغرائز والنزعات منذ فجر الأدب العربي الى عصر (المتنبي) بل العصور التوالي لوجدنا ان، كل هذا يفسر لنا ملامح وسمات من الملحمة لا يعوزها الا لم الشتات وربط الأجزاء وتنسيق البنيان.

وقد جمع أبوزيد محمد بن أبي الخطاب القرشي في كتابه «جمهرة أشعار العرب» تسعاً وأربعين قصيدة لتسعة وأربعين شاعراً كلها من نفائس الشعر العربي ومعظمها قريب من النوع القصصي. وقد قسمها الى سبع طبقات في كل طبقة سبع قصائد ففي الطبقة الأولى المعلقات، وقد خالف فيها الترتيب المشهور فحذف معلقة الحارث بن حلزة اليشكري، وجعل النابغة الأعشى بين أصحاب المعلقات فكانت المعلقات ثمانياً وما يليها ستاً - وفي الطبقة الثانية المجمهرات أي المحكمة السبك وفي الطبقة الثالثة المنتقيات أي المختارات. وفي الطَبقة الرابعة المذهبات أي المكتوبة بماء الذهب وفي الطبقة الخامسة المراثي وفي الطبقة السادسة المشوبات أي التي شابها الكفر والاسلام، وفي الطبقة السابعة الملحمات أي المحكمات النظم أخذاً من قولهم ألحم الشعر أي احسن نظمه واحكم لحمته». وقد اهتم الباحثون العرب بفن الملحمة الشعرية

العالمية واطلعوا عليها وقد بلغوا من شدة تأثرهم بها وحبهم العظيم للإستمتاع بجمال مكنونها ان نقلوا الى لغتهم هذا التراث العظيم، ليتيحوا لأبناء امتهم إمكانية الإستمتاع بهذا الفن كما استمتع أبناء الأمة التي ظهر فيها، ولهذا فقد ترجم الشاعر المبدع سليمان البستاني الملحمة الخالدة (إلياذة هوميروس) الى اللغة العربية مستخدماً ذوقه وحسه وبلاغته مما أتاح له الإبداع في هذا التعريب وإن كان العرب لم ينظموا الملاحم بحصر الكلام فإنّ لهم من القصائد في وصف الوقائع ما يعد من أعلى طبقات الشعر القصصي فهذه المعلقات السبع إذا أنت تدبرتها رأيتها أقرب الى الشعر الغنائي وكذلك القول عن أكثر الشعر الجاهلي.

وخلاصة القول ان العرب نظموا الشعر القصصي واجادوا فيه كما في سواه الاّ انهم لم يبلغوا به تلك المكانة الرفيعة التي رقي اليها هو ميروس ومن حذا حذوه[1] من فحول الشعراء عند الأمم.

وقد طال بنا نفس الكلام في هذه المقالة الى ما يخشى معه سأم[2] المطالع ان زيد عليه. فنقف عند هذا الحدّ ونشرع في ذكر مشاهير الشعراء الجاهليين على قدر تحتمله الحدود التي اخذنا على انفسنا ان لا نتخطاها في هذا المختصر. ومن الله عزَّ وجلَّ نلتمس التوفيق والصواب فمنه المبدأ واليهِ المآب[3]

---

(١) فعل فعله.

(٢) ضجر.

(٣) المرجع والمنقلب.

الشعراء الجاهليون[1]

سمة[2] شعر هذه الطبقة البداهية والصدق واستيفاء المعنى من جميع وجوههِ فلا يُرى في كلامهم أثر للتكلّف والغلّو والتقصير. واستعمالهم للألفاظ الغريبة الضخمة دليلٌ على ما كانوا عليه من البدواة بخشونتها وحريّتها.

---

(١) قسم العلماء الشعراء الى اربع طبقات الطبقة الاولى الشعراء الجاهليون وهم قبل الاسلام والثانية المخضرمون وهم الذين ادركوا الجاهلية والاسلام. . والثالثة المتقدمون ويقال لهم الاسلاميون وهم شعراء الدولة الاموية. . والرابعة المولدون وهم شعراء الدولة العباسية وربما اطلقوا لقب المحدثين على من بعد هذه الطبقة.

(٢) علامة

أُمْـرُؤُ القَيْس (٥٣٩ مسيحية)(*)

هو ابو وَهْب جنَدح بن حُجْر الكندي الملقب بأمرىء القيس والملك الضلّيل(١) لما اصابهُ من تضعضع الدهر. وُلد ببلاد بني أسد وكان ابوه ملكاً عليهم ونشأ ذكيّاً متوقد الفهم وقال الشعر من صباه فغضب عليه ابوهُ وكانت الملوك تأنف من قول الشعر. ولمّا لم يرتدع طرده ابوه فخرج في جماعة من اخلاط العرب وشذّاذهم(٢) وكان اذا صادف غديراً أقام هناك يتصيّد معهم فيأكلون ويشربون الخمر ويتغنّون. ولمّا كان يوماً بدمّون من ارض اليمن اتاه رسول يَنْعَى إليه ابيهِ وهو مع نديم(٣) يشاربه ويلاعبه بالنرد(٤) فأمسك النديم عن اللعب فقال له امرؤالقيس «اضرب» فلمّا فرغ من لعبه قال له «ما كنت لأفسد عليك دَسْتك(٥)» ثم اقبل على الرسول وسألهُ عن امر ابيه كلِّهِ فأخبره كيف ثارت(٦) به بنو اسد وقتلوه فقال:

---

(١) الكثير الضلال.

(٢) الغرباء على حيّهم ومنازلهم.

(٣) المنادم على الشرب.

(٤) لعبة تعرف عند العامة بلعب الطاولة.

(٥) هو الذي يكون فيه الغلب في الشطرنج او غيره.

(٦) وثبت عليه.

. . . .

(*) الرقم الذي الى جانب الاسم يدل على سنة الوفاة.

تطاول الليل علينا دمّون دمّونْ إنّا معشر يمَانونْ

وإننا لأهلنا مُحبُّونْ

ثم قال « ضيّعني أبي صغيراً وحملني دمه كبيراً . لا صحوَ اليوم ولا سكر غداً . اليوم خمر وغداً امر . . . » ولما صحا آلى[1] ان لا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً ولا يدهن بدهن حتى يدرك ثأر ابيه فيقتل من بني اسد مئة ويجزّ نواصي مئة ولمّا اجنّه[2] الليل رأى برقاً فقال:

أرقت لبرقٍ بليلٍ أهَلْ يضيءُ سناهُ باعلى الجبلْ[3]

اتاني حديث فكذّبتُهُ بأمرٍ تزعزع منه القلل[4]

بقتل بني اسدٍ ربّهم ألاكل شيء سواهُ جَلَلْ[5]

ثم هب الإثئار[6] لابيه هبوب الابطال واستنجد ببكر وتغلب فانجدوه في وقعةٍ ثم خذلوه[7] فاستأجر من قبائل العرب رجالاً وسار بهم الى بني اسد ومر بتبالة وبها للعرب صنم تعظمهُ يقال له ذو الخَلَصَة[8] فاستقسم عنده بقداحه[9] فلم يعجبه خروج القدح الناهي ثلاث مرات متتابعة فجمع القداح وكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال «ويحك لو ابوك قتل ما عقتني»

---

(١) حلف. (٢) ستره واخفاه.

(٣) ارق ذهب عنه النوم وأهلّ ظهر وسناه ضياؤه.

(٤) جمع قلة وهي اعلى الجبل.

(٥) ربهم سيدهم وجلل يسير. (٦) لأخذ الثأر.

(٧) تركوا اعانته ونصرته.

(٨) واحدة الخلص وهو شجر كالكرم يتعلق بالشجر فيعلو وهو هنا علم.

(٩) جمع قدح بالكسر وهو السهم قبل ان ينصل ويراش.

. . . .

(*) الشعر والشعراء ج ١ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ والأغاني جـ ٨ ص ٦٨.

وبلغ امره المنذر فانكر غزواتِه وعبثه[1] فوجّه الجيوش في إثره والحّ في طلبِهِ

فتفرقت جماعته وفرَّ هارباً وتوجَّه الى قيصر الروم بالقسطنطينية يستنجده على اعدائه. فاودع ماله وسلاحه عند السموأل وقدم على الملك فتحفّى[2] له واكرم مثواه[3] وحظي عنده. واندس رجل من بني اسد يقال له الطماح كان امرؤ القيس قد قتل اخاً له حتىً اتى بلاد الروم فأقام مستخفياً ووشى بامرىء القيس لدى قيصر وقال له «ان امرأ القيس غويٌّ[4] فاجر وقد قال في ابنتك اشعاراً يشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك» وكان امرؤ القيس قد فصل عن القسطنطينية بجيش كثيف[5] فبعث اليه قيصر بحلَة وشيً[6] مسمومة منسوجة بالذهب فلما وصلت اليه لبسها واشتدّ سرورهُ بها فاسرع فيه السمّ وسقط جلده فسمي ذا القروح وكان يحمله جابر بن حنيً التغلبي، فذلك قوله:

فإما تريني في رحالة جابرٍ على حرج كالقَرِّ تخفِقُ اكفاني
فيا ربَّ مكروب كررت وراءه وكان فككت الغُلَ عنه فغداني
إذا المرء لم يَخزُنْ عليه لسانهُ فليس على شيء سواه بحزانِ

وكان قد وصل الى بلدة من بلاد الروم تدعى أنْقُرَة فنزل بسفح جبل هناك يقال له عسيب فرأى قبر أمرأة من ابناء الملوك فسأل عنها فأُخبر بقصتها فقال:

أجارتنا ان المزار قريبُ واني مقيم ما أقام عَسيبُ
أجارتَنا إنّا غريبانِ ههنا وكلُّ غريبٍ للغريب نسيبُ

وقال حين حضرته الوفاة:

وطعنة مسحنفرة وجفنةٍ مثعنجرة
تبقى غداً بأنقرة[**]

---

(1) افساده.
(2) بالغ في اكرامه.
(3) منزله.
(4) ضالٌ منقاد للهوى.
(5) كثير.
(6) محسنة بالالوان ومنقوشة.

(**) الأغاني جـ ٨ ص ٧٣ ـ ٧٤.

ثم مات ودفن بقربها.

وامرؤ القيس شيخ الشعراء وزعيمهم المتبع. وفحولهم يتحدَّون اسلوبهُ ويأخذون انفسهم بالطبع على غراره[1] في متانة البيت وبلاغة المعاني وتفنن الوصف. وقد قلنا آنفاً انه اول من استوقف على الطلول وبكى وشبب في مستهل قصائدهِ وتبعه في ذلك الشعراء عصراً عصراً الى ايّامنا. وقد جاد كل الاجادة فيما نظمه من المعاني وله الاوصاف البديعة للفرس والناقة والسيل والليل والبرق والقتال وسائر الاغراض التي تعرف للبدو. وقد جرى كثير من اقواله مجرى المثل. وهو صاحب المعلقة الأولى نظمها في ابنة عم لهُ تدعى عُنَيزة واستطرد الى وصف الليل والخيل والسيل واشياء اخر. ومطلعها شهير يضرب به المثل فيقال«اشهر من قفانبك» قال[2]:

قِفانبك من ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ بسِقط اللِوَى بين الدَّخولِ فحَوْمَلِ[3]
وإنَّ شفائي عبرةٌ لو سفحتها وهل عند رسم دارس من معول[4]
وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي[5]

---

(١) مثاله.

(٢) لا سبيل الى مراعاة اللحمة فيما نذكر من المعلقات وما اليها من المنظومات الطويلة لئلا نتخطى حدود هذا المختصر.

(٣) ذكرى تذكر والسقط منقطع الرمل واللوى الرمل الملتوي والدخول وحومل موضعان في بلاد العرب.

(٤) عبرة دمعة وسفحتها ارقتها والرسم ما بقي من اثر الدار ودارس ممحو ومعول معتمد والاستفهام للنفي والمعني: شفائي مما اصابني سكب الدموع وليس من معتمد على البكاء عند اثر ممحو لا يفيد الباكي شيئاً.

(٥) السدول جمع سدل بالكسر وهو الستر ويبتلي يختبر وليل مجرور لفظاً وهو في محل رفع مبتدأ والخبر محذوف تقديره قطعته.

فقلتُ لـه لمّا تمـطّى بصُلبهِ   واردف اعجازاً وناء بكَلْكَلِ (١)

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ   بصبح وما الأصباح منك بأمثل(٢)

فيا لك من ليل كأن نجومه   بكل مُغار الفتل شُدت بيذبل(٣)

كـأن الثريّـا عُلّقت في نِصابهـا   بامراس كتانٍ الى صُمّ جَنْدَلِ(٤)

وقد أغتدي والطير في وكناتها   بمنجـردٍ قيـد الاوابـد هيكـل(٥)

مِكـرٍ مفـرٍ مُقبـل مـدبـر معـاً   كجلمودِ صخرٍ حطّهُ السيل من عَلِ(٦)

له أيطلا ظبيٍ وساقا نعامةٍ   وإرْخَاءُ سرحانٍ وتقريب تتْفُلِ(٧)

أصاحِ ترى برقاً أُريك وميضه   كلمع اليدين في حبيٍّ مكلّلِ(٨)

---

(١) تمـطى تمدد والصلب عـظم الظهـر واردف اتبـع والاعجـاز جمـع عجـز بفتـح فضم وهـو المؤخّـر ونـاءَ بُعـدَ والكلكـل الصـدر وهنـا استعـير لأول الليـل ومثله الصلب لـوسـطهِ والأعجاز لآخرهِ وهـذا ما يسمـه البيانيـون الترشيـح في الاستعارة بـاعتبار مـا يتصل بهـا واستعارة بالكناية باعتبار ما يذكر من الطرفين.

(٢) آنجلِ انكشف والاصباح الصبح وامثل أفضل يريد: ادبر يـاليل واقبـل يا صبـاح ولكن لا تفضيل لأحدكما عندي لان همي متصل فيكما.

(٣) مغار الفتل محكمهُ وشدت ربطت ويذبل جبل في بـلاد نجد ويـا حرف تنبيـه ولك متعلق بمحذوف تقديرة عجباً وهو متعلق من ليلٍ ايضاً.

(٤) الثـريا سبعـة كواكب في عنق الثـور والنصاب المرجع والمراد هنا المكـان والامراس جمـع مرس وهو الحبل والصم جمع اصم الصلب والجندل الصخرة الكبيرة.

(٥) اغتـدي ابكر والـوكنة العش والمنجـرد القصير الشعـر صفة للفـرس والاوابـد جمـع آبـدة وهي الوحش والمراد بقيد الاوابد ان الفـرس يلحق الوحـوش فيمنعها عن الفـرار فكأنـه قيد لها والهيكل الضخم.

(٦) مكـر يصلح الكر ومفـر يصلح للفر ومقبـل آت ومدبـر ذاهب والجلمـود الحجـر العـظيم وعـلِ فوق.

(٧) ايطلا مثنى ايطل وهو الخاصرة وارخاء جـري وسرحـان ذئب وتقريب جـرى ايضاً وتتفـل ثعلب.

(٨) صاح مرخم ووميض البرق لمعانـه والحبّي السحاب والمكلل المستـدير كـالاكليل والمراد: هل ترى برقاً اريك لمعانه وتحركهُ في سحاب متراكم كتحرك اليدين.

يضيء سناه او مصابيح راهب | اهان سليطا للذُبالِ المفتّلِ (١)
قعدت واصحابي له بين ضارجٍ | وبين العذيب بَعْدَ ما مُتَأَمَّلي (٢)
فاضحى يسحُّ الماءَ فوق كثيفةٍ | يكُبُّ على الاذقانِ دَوحَ الكَنَهْبُلِ (٣)
ومرَّ على القَنَان من نَفَيانهِ | فأنزل منه العُصْمَ من كلّ مَوْئِلِ (٤)
وتَيماءُ لم يترك بها جِذعَ نخلةٍ | ولا أُطُماً الاّ مشيداً بجندَلِ (٥)
كأَن ثبيراً في عرانين وَبْلِهِ | كبيرُ اناس في بُجادٍ مُزمَّلِ (٦)
كأن ذُرى رأس المُجَيْمِر غُدوةً | من السيل والغُثّاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ (٧)
كأن سباعاً فيه غرقى غدّية | بارجائهِ القصوى انابيش عُنْصُلِ (٨)

---

(١) سناه ضوءه واهان بذل والسليط الزيت والذبال جمع ذبالة وهي الفتيلة يقول ان تلألؤ هذا البرق يحكي تحرك اليدين وضوء يحكي ضوء مصابيح راهب لم يكن عنده الزيت عزيزاً فصبّه فيها.

(٢) ضارج موضع في اليمن والعذيب موضع في العراق وبعد مخفف بعد وما زائدة المعنى: قعدت واصحابي بين هذين الموضعين فما ابعد السحاب الذي كنت اتأمله.

(٣) كثيفة اسم موضع في اليمن ويكب يقلب على الرؤوس والاذقان جمع ذقن مستعار لاعالي الاشجار والدوح جمع دوحة وهي ما عظم من الاشجار الكنهبل ضرب من الشجر العظيم ينبت في البادية.

(٤) القنان جبل لبني اسد والنفيان ما تطاير من قطر المطر والعصم جمع اعصم وهو الوعل او تيس الجبل في ذراعيهِ لون يخالف لونه والموئل الملجأ.

(٥) تيماء علم فلاة وجذع ساق وأطم حصن أو بيت مسقف ومشيداً مبنياً وجندل صخر.

(٦) ثبير جبل بمكة اوماء بديار بني مزينة والعرانين جمع عرنين وهو معظم الانف وهنا مستعار لاوائل المطر والوبل المطر والبجاد ثوب مخطط والمزمّل ملفّف نعت كبير وجرّ بالمجاورة او للضرورة.

(٧) ذرى جمع ذروة وهي اعلى الشيء والمجيمر علم اكمة والغُثاء ما جاء بهِ السيل من الحشيش والكلاء والتراب وغير ذلك والفلكة ما استدار في رأس المغزل.

(٨) غرقى جمع غريق والغدية الغداة والارجاء النواحي والقصوى البعيدة والانابيش جمع انبوشة وهي أصول النبت والعنصل البصل البري.

والقى بصحراء الغبيطِ بُعاعَهُ   نزول اليَماني ذي العِيابِ المحمِلّ (١*)

الاّ أن امرأ القيس شوه محاسن شعرهِ وسجّل على نفسه عار التهتك والخلاعة بخرقهِ حرمة الأدب في كلامهِ وتهافتهِ على المعاني البذيئة (٢) والاقوال الفاحشة في معلقته وسائر شعرهِ مما يندى(٣) لمطالعتهِ جبين تكون وتتبرأ الآذان من سماعهِ. وانه ليعز على الاديب ان تكون امثال هذه المخازي مفتتح الآثار الادبية ويكون مدخل كعبة العلم عند العرب موسوماً (٤) بتلك السمة المؤلمة. ومهما قيل في تقبيح هذه الخطة الذميمة التي استُدرج اليها جمهور من فحول الشعراء فلن يزال واقعاً دون الحقيقة بمراحل

على ان امرأ القيس امير الشعراء من حيث الطبقة الشعرية لا من حيث الآداب النفسيَّة فهو بهذا الاعتبار الشاعر المجلّي (٥) الذي لا يلحقه لا حق والزعيم الذي لا ينازع في علوّ مقامه منازع

فقد قال عنه رسول الله (ص) ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها حامل يوم القيامة معه لواء الشعر الى النار. وقال عنه الإمام علي (ع) إنّ القوم لم يجروا في حلبة تعرف الغاية عند قصبتها فإن كان ولا بد فالملك الضليل.

---

(١) الغبيط اكمة انخفض وسطها وارتفع طرفاها والبعاع الثُقل او ما في السحاب من الماء واليماني صفة موصوفها محذوف اي التاجر والعياب جمع عيبة وهي صندوق الثياب. شبَّه ضروب النبات التي نثرها المطر بأصناف الثياب التي ينشرها التاجر اليماني للبيع.

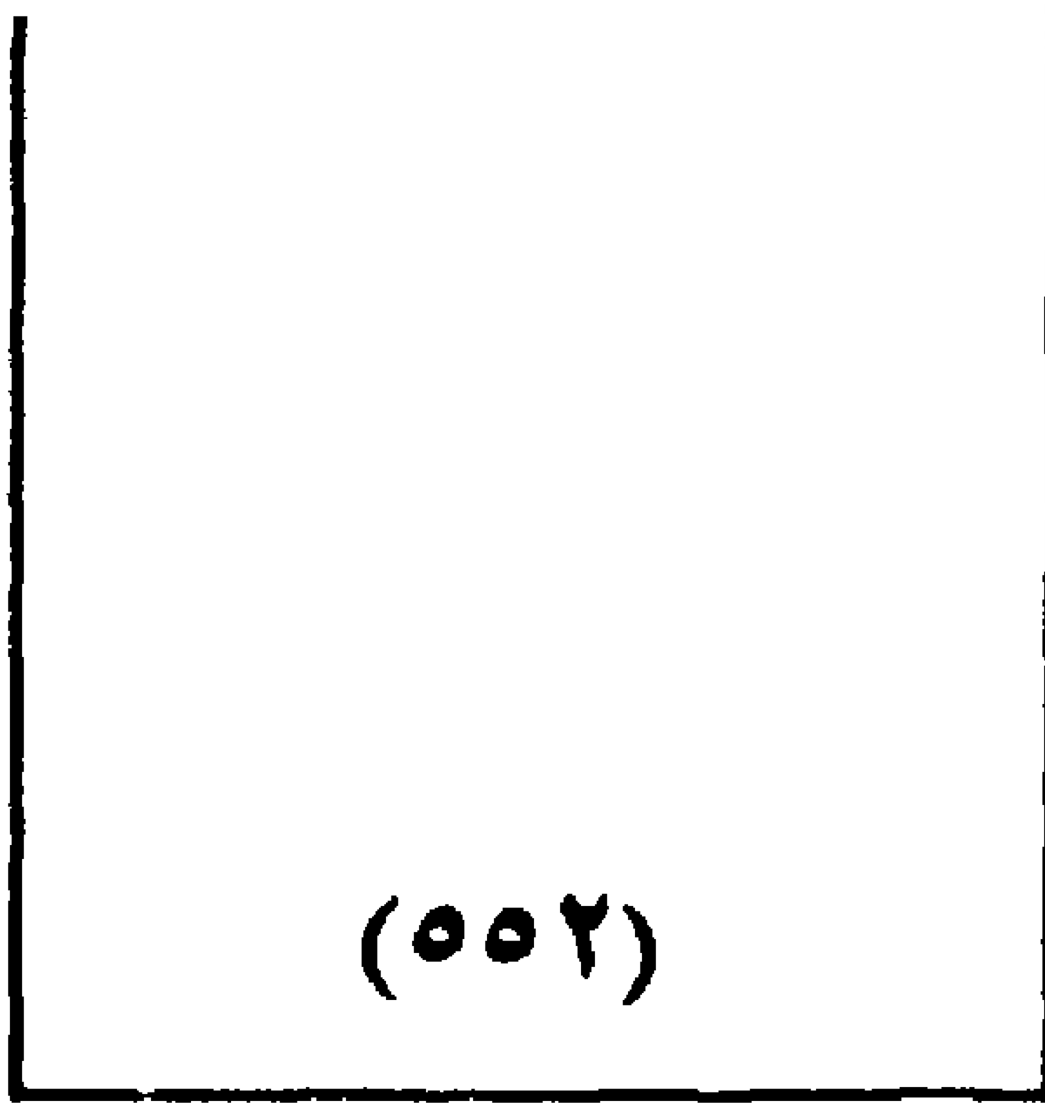
(٢) السفيهة.   (٣) يبتل ويعرق خجلاً.

(٤) اسم مفعول من وسم اي جعل للشيء علامة.

(٥) المجلي او خيل السباق ويليه المصلي فالمسلي فالتالي فالمرتاح فالعاطف فالحظّي فالمؤمل فاللطين فالسُكّيت.

. . . .

(*) ديوان امرىء القيس شرح السندوبي ص ١٢٢ - ١٢٣.



طَرَفَة

هو ابو عمر طَرَفَة بن العبد البكري كان من حداثة سنهِ حادّ الذهن متوقّد الفؤاد وقال الشعر وهو صغير. يحكى انه خرج في صفرٍ مع عمّهِ وهو ابن سبع سنين فنزلوا على ماءٍ ونصب طرفة فخّه للقنابر[1] بمكان هناك اسمه معمر فلم يصد شيئاً ولما حمّلوا وهموا بالرحيل رأى القنابر يلقطنَ ما كان قد نثر لهنّ من الحبّ فأنشأ يقول:

يـا لـك من قُبـرةٍ بمَعمَـرِ   خلا لك الجوّ فبيضي واصفري
قـد رفـع الفـخ فـلا تحـذَّري   ونقّري مـا شئت ان تنقـري
قد ذهب الصياد عنك فابشري   لا بدّ يوماً ان تصادي فـاصبـري[*]

وكان طرفة في حَسَبٍ[2] من قومه شجاعاً جريئاً فخوراً شديد الشكيمـة[3] منصباً على اللهو ومعـاقـرة[4] الخمرة وقد بلغ به نـزق[5] الشبيبة الى هجاء الملك

---

(١) جمع قبرة عصفور ذو منقار طويل وعلى راسهِ قنزعة.

(٢) ما يعد مفاخر الاباء او الشرف المورروث.

(٣) الانفة.   (٤) ملازمة.   (٥) الخفة والجهل.

....

(*) الديوان ص ٧١.

عمرو بن هند مع ماله عليه وعلى ذويه من المنن[1] والأفضال فحقد عليه وهمّ بقتله. وبلغه انه قال بيتين من الشعر في اخته وكان طرفة قد رآها عند الملك وهو ينادمه مع خاله المتلمّس فدفع لكلّ منهما كتاباً الى عامله بالبحرين يأمره بقتلهما واوهمهما انه امر لهما بجائزة. فلما كانا في الطريق داخلت المتلمّس ريبة مما في الكتابين فالتمس من يقرأ له كتابهُ فاذا فيهِ «اذا اتاك كتابي هذا من المتلمّس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً» فالقى الصحيفة وقال «ياطرفة معك والله مثلها» فقال «كلا» ما كان ليكتب لي مثل ذلك» ثم اتى طرفة الى العامل وكان بينهما قرابة فاشار عليه بالفرار فابى فاضطُرّ ان ينفذ امر الملك فقتله(*). وخُيرّ في أيّ قتلة يريد فاختار ان يُسْكَر ويُفْصَد أَكْحَلَهُ[2] وقيل بل انف العامل من قتلة وهو من ذوي قرابته فارسل الملك من قتل الاثنين معاً وقيل غير ذلك والله اعلم

وكان سبب انشائهِ لمعلقته انه اهمل رعاية إبل ابيه فقال له أخوه «تُرى انها إن أخذت تردها بشعرك هذا؟فقال «لا اخرج فيها حتى تعلم ان شعري يردُّها» وكما قال كان ـ تغزل في مطلعها ثم استطرد بغتة فوصف ناقته وصفاً مستفيضاً[3] ثم أخذ يعدّد مفاخره فُقال:

لِخَوْلَـةَ أطــلالٌ بِبُـرْقَـةِ ثهمَـدِ   تلوحُ كباقي الوشم في ظاهر اليدِ[4]

---

(١) جمع منه وهي الاحسان والمعروف.

(٢) عرق في الذراع.

(٣) متسعاً.

(٤) خولة اسم امرأة واطلال جمع طلل وهو ما شخص من رسوم الدار وبرقه ارض غليظة وثهمد علم موضع والوشم غرز اليد بالابرة ثم يذر عليها النيلج او الحبر فيصير فيها رسوم.

. . . .

(*) الشعر والشعراء جـ ١ ص ١٨٦.

وقُوفا بها صبحي عليَّ مطيَّهم يقولون لا تهلِكْ اسىً وتجلَّدِ[1]
اذا القوم قالوا من فتى خِلْت أنني عُنيتُ فلمِ اكسَلْ ولم اتبلَّدِ[2]
وان تَبْغني في حَلْقةِ القوم تلقَني وان تقتنصني في الحوانيت تصطَد[3]
وما زال تشرابي الخَمورَ ولذَّتي وبَيعي وإنفاقي طريفي ومُتْلَدي[4]
الى ان تحامتني العشيرة كلُّها وأُفردت إفراد البعير المعبَّد[5]
الا ايها ذا اللائمي أحضرَ الوغى وأن اشهدَ اللذات هل انتَ مُخْلِدي[6]
فان كنتَ لا تسطيعُ دفعَ منيَّتي فدعْني أُبادِرْها بما ملكت يدي[7]
وان أُدْعَ للجُلَّى اكنْ من حماتها وان تأتِكَ الاعداءُ بالجُهْدِ أَجْهَدِ[8]
وظلمُ ذوي القربي اشدُّ مضاضةً على المرء من وقعِ الحسام المهنَّدِ[9]
انا الرجل الضَرْبُ الذي تعرفونه خَشاشٌ كرأس الحيةِ المتوقِّدِ[10]

---

(١) وقوفاً جمع واقف وهي منصوبة على الحالية والمطيّ المراكب جمع مطيَّة مفعول به من وقوف واسىً حزناً وتجلد اصبر.

(٢) عنيت اردت واتبلد اكون عاجز الرأي ضعيف الهمة وفي البيت حذفٌ تقديره: اذا قالوا من فتىً يدفع شراً او يكفي مهماً الخ.

(٣) تبغني تطلبني وحلقة القوم دائرتهم والحوانيت جمع حانوت وهو دكان الخمار.

(٤) تشراب شرب والطريف المكسوب حديثاً والتليد او المتلد المال الموروث.

(٥) تحامتنى تجنبتني والمعبَّد المطلي بالقطران.

(٦) الوغى الحرب ومخلدي اسم فاعل من اخلد اي ابقى.

(٧) تستطيع تقدر ومنيتي موتي وابادرها أُعاجلها.

(٨) ادعَ انادى والجلّ الامر العظيم وحماة جمع حامٍ وهو المانع والجهد الطاقة والباء زائدة فيه لأنه مفعول مطلق لأجهد.

(٩) الظلم الجور والمضاضة الوجع والتأثير والحسام السيف.

(١٠) الضرب الخفيف اللحم وخشاش ماضٍ وداخل في الامور والمتوقد المتلألىء.

ويومٍ حبست النفس عَندَ اعتراكها حِفاظاً على رَوْعاتها والتهدّدِ[1]
على موقف يخشى الفتى عنده الردى متى تعترك فيه الفرائصُ تُرعَدِ[2]
ارى الموت لا يرعى على ذي جلالة وان كان في الدنيا عزيزاً بمقعدِ[3]
لـعـمـرك مـا أدري إني لَـوَاجـلٌ أفي اليوم إقدام المنيَّة او غدِ[4]
لعمرك ما الأيـام الاّ معـارةٌ فما اسطعتَ من معروفها فتزوَّدِ[5]
ولا خير في خير ترى الشر دونهُ ولا نائلٍ يأتيك بعد التلدُّدِ[6]
ستبدي لكَ الأيّام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالاخبار من لم تزوّدِ[7]
ويأتيك بالاخبار من لم تبع له بتاتاً ولم تضرب له حين موعدِ[8]

وطرفة من فحول الشعراء ومنظوماته من امتن الشعروَأبلغـه وقد بلغ مع حداثة سنّه ما لا يبلغه غيره بالسنين الطوال فانه قتل وله عشرون سنة وقيل ست وعشرون ولعلّ هذا الاقرب الى الصواب بدليل قول أخته الخِرْنِق ترثيه وكـانت من الشواعـر المجيدات فلما تـوفاهـا استوى سيـداً ضخماً عـددنا لـه ستاً

---

(١) اعتراك قتال وحفاظاً محافظة وروعاتها مخاوفها.

(٢) الموقف المقام والردى الموت وتعترك تزدحم والفرائض جمع فريضة وهي لحمة بين الثدي والكتف ترعد عند الفزع.

(٣) يرعى يترحم ويشفق وجلالة وقار وعظمة ومقعد مجلس.

(٤) لعمرك اللام للابتداء وعمر بالفتح لغة في العمر بالضم وهو مبتدأ محذوف الخبر وجوباً ومعناه عمرك قسمي وواجل خائف واقدام مجيء.

(٥) معارة مقرضة واسطعت قدرت وتزوّد تمون.

(٦) دونه قبلة ونائل هنة وهدية والتلددّ التلفت يميناً وشمالاً واللبث بالمكان.

(٧) ستبدي ستظهر وتزود تعطي الزاد وهو طعام يتخذه المسافر.

(٨) تبع تشتري والبتات الزاد وكساء المسافر ولم تضرب لم تبين او تعين.

. . . .

(*) الديوان ص ٣٢ ـ ٥٧

وعـــشـــريـــن حـــجـــة [1]

فجعنـا بـهِ لَـمَّـا رجـونـا إيـابَـهُ　　على خيرِ حالٍ لا وليداً ولا قحما[2]

(۱) الحجة السنة وتوفاها استكملها وضخم كبير.

(۲) ايابه رجوعه وقحم شيخ هرم.

زُهَيرُ بْنُ أبِي سُلْمَى (٦٣١)

هو ابو كعب بن ابي سُلمى المُزَني من مقدَّمي شعراء الجاهلية كان سيّداً كثير المال حليماً معروفا بالورع(١) وكان عمر بن الخطاب يسميه شاعر الشعراء لانه لا يتبع حوشيَّ الكلام ولا يعاظل(٢) ولا يقول الا ما يعرف ولا يمدح الرجل الا بما فيه(*)

وهو صاحب المعلقة الثالثة انشأها في مدح هَرِم بن سنان والحارث بن عوفٍ المرّيّين لعقدهما الصلح بين قبيلتي عبس وذُبيان واحتمالها الديات(٣) لقوم القتلى عن الغرماء. قال:

أمن أُمّ أوفى دمنـةٌ لم تـكَلَّمِ بحَـومـانـةِ الـدُرّاجِ فـالمُتَثَلَّمِ(٤)
وقفت بها من بعد عشرين حجةً فلأْياً عرفت الدار بعد توُهمِ(٥)

---

(١) التقوى. (٢) يعقد الكلام..

(٣) ما يعطى من المال بدل نفس القتيل.

(٤) ام اوفى كنية امرأة ومرادهُ امن دار ام اوفى ودمنة اثار الدار وتكلم تتكلم وحومانة الدراج والمتثلم علما موضعين من بلاد العرب.

(٥) الحجة السنة ولأياً مشقة والتوهم التفرس والمعنى: وقفت بهذه الدار بعد عشرين سنة فلم اعرفهاألا بمقاساة مشقة شديدة.

....

(*) الشعر والشعراء جـ ١ ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

فلما عرفتُ الدارَ قلت لـربعهـا   الاعِم صباحاً ايها الربعُ واسلم[(١)]
سعى ساعياً غيْضِ بن مرَّةَ بعدمَا   تَبزَّل ما بين العشيرة بالدمِ[(٢)]
فأقسمت بالبيت الـذي طاف حوله   رجال بَنَوهُ من قُرَيْشٍ وجُرْهُمِ[(٣)]
يمينـاً لنِعم السيـدانِ وُجـدْتما   على كل حالٍ من سحيلٍ ومُبرمِ[(٤)]
تـداركتما عَبْسـاً وذُبْيـانَ بعـدما   تفانَوْا ودقوا بينهم عِطْرَ مَنْشَمِ[(٥)]
وقد قلتما إن ندرك السِلم واسعاً   بمالٍ ومعروفٍ من الامر نسلمِ[(٦)]
وأصبح يجري فيهم من تِلادكم   كغانمُ شتّى من إفالٍ مُزَنَّمِ[(٧)]
فمن مبلغٌ الاحلافَ عني رسالةً   وذبيانَ هل أقسمتم كلَّ مُقْسَمِ[(٨)]

---

(١) الربع الدار والمنزلة المحلة وعم صباحاً انعم عيشاً في الصباح.

(٢) غيض بن مـرة هو حيّ من ذبيـان وساعيـا مثنى ساعٍ وهمـا الحـارث بن عـوف وهـرم بن سنـان وتبزل تشقق والمعنى سعى هـذان السيدان في ابـرام الصلح بعدمـا تشقق مـا بـين القبيلة بسفك الدم.

(٣) اقسمت حلفت والبيت الكعبة وقريش وجرهم اسما قبيلتين.

(٤) السحيل المفتول فتـلاً واحداً والمبـرم المفتول عـلى قوتـين ويستعار الاول للضعيف وللثـاني للقوي.

(٥) منشم اسم امرأة عطارة اشترى منها قـوم عطاراً وتحـالفوا عـلى قتال عـدوّهم وجعلوا آية الحلف غمس الا يـدي في ذلك العـطر فتقـاتلوا وتفـانـوا فضـرب المثـل في الشؤم بعـطر منشم.

(٦) السلم الصلح والمعنى: وقـد قلتـما ان انفق لنـا اتمـام الصلح بـين القبيلتين ببـذل المـال سلمنا من تفاني العشيرة.

(٧) التلاد المال المـوروث والمغانم جمـع مغنم وهو الغنيمـة والافال جمـع افيل وهوصغير السنّ من الابل والمزنم المشروط الاذن منها.

(٨) الاحـلاف جمع حليف وهـو الجـار واقسم حلف والمعنى من مبلغ الاحـلاف وذبيـان عنى قولي وهو هل حلفتم على ابرام حبل الصلح كل حلف صادق..

فلا تَكْتُمُنَّ اللهَ ما في صدوركم ليخفي ومهما يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ (١)
يُؤَخَّرْ فيوضَع في كتابٍ فيُدَّخَرْ ليوم حسابٍ او يُعَجَّل فيُنْقَمِ (٢)
وما الحرب الا ما علمتم وذقتمُ وما هو عنها بالحديث المُرَجَّمِ (٣)
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً وتَضرى اذا أضريتموها فتَضْرمِ (٤)
فتعركْكُمُ عَرْكَ الرحى بثفالها وتَلْقَحْ كِشافاً ثم تُنْتَجْ فتتئمِ (٥)
رأيت المنايا خبط عشْواءَ من تُصب تُمِتْهُ ومن تخطىء يعمَّر فيهرمِ (٦)
ومن هاب أسباب المنايا يَنَلْنَهُ ولو نال اسبابَ السماءِ بسلَّمِ (٧)
ومن يجعلِ المعروف في دون عِرْضِهِ يَفِرْهُ ومن لا يَتَّقِ الشتم يُشتَمِ (٨)
ومن يجعلِ المعروفَ في غيرِ اهلِهِ يَعُدْ حمدُهُ ذمّاً عليهِ وينـدَمِ (٩)

---

(١) لا تكتمن لا تخفُنَّ «ما تضمرون من الغدر» لان الله يعلم الخفايا.

(٢) ينقم يعاقب عليه وجزم يؤخر لـوقوعـه في جواب النهي «لا تكتمن» او على انه بـدل من يعلم والمعني لا مناص من عقاب الحنث آجلًا او عاجلًا.

(٣) ذقتم جربتم والحديث المرجم الذي لا يوقف على حقيقتهِ ويؤخذ بالظن.

(٤) تبعثوها تثيروها وتضـرى تشتد واضـريتموهـا حملتموهـا على الضـراوة أي شدة الحـرص وتضرم تلتهب.

(٥) الـرحى الـطحا والثفـال جلدة تبسط تحت الـرحى ليقـع عليهـا الـطحين وتلقـح تحمـل والكشاف هو ان تحمـل الشاة او النـاقة سنتـين متواليتـين وهذا مـذموم وتنتـج تلد وتتئم تلد توأمين يشير بذلك الى عواقب الحرب الوخيمة.

(٦) المنـايا جمـع منية وهي المـوت وخبط عشواء تلميـح الى المثـل السـائـر يخبط خبط عشـواء - وهي نـاقة لا تبصـر ماامـامها ويضـرب للذي يسـير علي غـير هدايـة ويعمر يـطول عمره ويهرم يدركه الكبر.

(٧) هاب خاف وينلنه يدركنه ونال بلغ واسباب نواحي.

(٨) دون امـام ويفره يصنـه ويتّقِ يحذر والمعنى من يبـذل المال صـوناً لعـرضهِ يصنـهُ ومن لا يحذر الشتم شتم.

(٩) المعروف الاحسان واهله من يستحقة ويعد يرجع.

ومهما تكن عند امرىء من خليقةٍ وان خالها تخفى على الناس تُعلَمِ (١)
وكأيِّنْ ترى من معُجِبٍ لك شخصُهُ زيادتهُ او نقصهُ في التكلّمِ (٢)
لســان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبقَ الا صورة اللحم والدمِ (٣)
وانّ سفاهَ الشيخ لا حلَم بعدهُ وان الفتى بعد السفاهة يحْلُمِ (٤)
يؤخر فيودَعْ في كتـاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقمِ (*)

ومن هذه الشذرات(٥) ترى ديباجة شعر زهير. والمزيَّة في منظوماتِهِ الوضوح والصدق والاكثار من الحكم السديدة والامثال السائرة وجمع الكثير من المعاني في القليل من الألفاظ والبعد عن سخف المقال. وله قصائد كثيرة غير معلقته ومعظمها في مدح هرم بن سنان. وكان هرمقد حلفانلا يمدحه زهيرٌ الا اعطاه ولا يسألهُ الا اعطاه ولا يسلم عليه الا اعطاه فاستحيا زهير مما كان يقبل منه فكان اذا رآه في ملاءٍ قال «عموا صباحاً غير هرم وخيركم استثنيت» وقال عمر لبعض ولد هرم «انشدني بعض مدح زهير اباك فانشده فقال عمر» «ان كان ليحسن فيكم القول» فقال «ونحن والله إن(٦) كنا لنحسن له العطاء» فقال «قد ذهب ما اعطيتموه وبقي ما اعطاكم» وكان لزهير في الشعر

---

(١) الخليقة الطبيعة وخالها ظنها والمراد ان الاخلاق تظهر والتخُّلق يزول.

(٢) كـأين خبرتـه لغة في كـأين والمراد كم امرىء يعجبك شخصـه ويزيـد بـه اعجـابـك او ينقص عند تكلمه.

(٣) هذا كقول العرب في امثالهم المرء باصغرية قلبهِ ولسانهِ.

(٤) السفـاه الجهـل ورداءة الخلق وعــدم الحلم وجـزم يحلم للضـــرورة وهـو من الجـــوازات القبيحة. يريد الشيخ السفيـه لا يرجى حلمـه واما الفتى فيحلم بعد السفاهة اذا تقدم في السن.

(٥) الشذوات قطع الذهب استعيرت هنا للابيات المقطتفة من معلقة زهير.

(٦) توكيدية مشبهة بالفعل مخففة عن ان واسمها ضمير الشأن المحذوف.

(*) الديوان ص ٧٤ ـ ٨٩

ما لم يكن لغيره فان اباه كان شاعراً وخاله شاعراً واخته سلمى شاعرة وابناه كعب وبُجَيْر شاعرين. واخته الخنساء شاعرة[1]

وكان زهير يتألّهُ ويتعفف في شعرة، ويدل شعره على ايمانه بالبعث وذلك قوله

يؤخر فيودَعْ في كتاب فيدخرْ ليوم الحساب او يعجل فينقم

(١) الخنساء أُخت زهير هي غير تماضر بنت عمرو بن الشريد الملقبة بالخنساء.

(٨٦)

لبيد

هو ابو عقيل لبيد بن ربيعة العامري وكان يقال لأبيه «ربيعة المعترّين»(١) لجوده وسخائهِ وكان لبيد من صباه بليغ المنطق ذَرِب(٢) اللسان غزير المادَّة. حكي انه استأذن عمّه وجماعة من قومه في هجاء نديم للنعمان ذكرهم بلسان سوء عند الملك وصدّهم(٣) عنه فقالوا بعد المماطلة(٤) «إنّا نبلوك» قال «وما ذاك» قالوا «تشتم هذه البقلة» وقدامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة بالارض تدعى التربة. فقال «هذه التربة لا تذكي (٥) ناراً ولا تؤهل داراً ولا تسرّ جاراً. عودها ضئيل(٦) وفرعها كليل (٧) وخيرها قليل. اقبح البقول مرعى واقصرها فرعاً(٨) واشدها قلعاً. بلدها شاسع وآكلها جائع والمقيم عليها قالع» فاذنوا له فهجاه هجواً اليماً اغضب عليه النعمان فطرده من عندهِ الى ابد الدهر

ولبيد صاحب المعلقة الرابعة نظمها مفتخراً بمناقبهِ ومآثر(٩) قومهِ. تغزل في اوائلها

(١) جمع معترّ وهو الفقير والمعترض للمعروف من غير ان يسأل.

(٢) حديد اللسان.

(٣) منعهم.

(٤) التسويف.

(٥) توقد.

(٦) صغير دقيق.

(٧) الضعيف.

(٨) ما يتفرع من الاصل.

(٩) مكارم.

ثم وصف ناقتهُ فشبّهها تارةً بالأتان ومرة بالبقرة الوحشية ثم افتخر بكرمهِ وشجاعته ووصف فرسه وختم بتعداد مآثر عشيرتهِ قال:

عَفَتِ الديارُ محلُّها فمُقامُها ... بمِنىً تأبّد غَوْلُها فرِجامُها(١)
وجزورِ أيسارٍ دعوت لحتفها ... بمغالقٍ متشابهٍ اجسامُها(٢)
ادعو بهنَّ لعاقرٍ او مُطْفلٍ ... بُذِلَتْ لجيران الجميع لحامُها(٣)
فالضيف والجار الغريب كأنما ... وردا تبالةَ مخصباً أهضامُها(٤)
إنّا اذا التقتِ المحافلُ لم يزل ... منّا لِزازُ عظيمةٍ جشّامُها(٥)
ومقسّمٌ يُعطي العشيرة حقّها ... ومُغذمرٌ لحقوقها هضّامُها(٦)
فضلاً وذو كرمٍ يُعينُ على الندى ... سَمْحٌ كسوبُ رغائبٍ غنّامُها(٧)
من معشرٍ سنّت لهم آباؤهم ... ولكل قومٍ سُنّةٌ وإمامُها(٨)

---

(١) عفت امحت والمحلّ ما يقام فيه لأيام معدودة والمقام مكان الاقامة لزمن طويل ومنى علم موضع وتأبّد توحّش والغول والرجام جبلان.

(٢) الجزور الناقة تشتري لتجزر وايسار جمع يَسَر وهو صاحب الميسر اي المقامرة والحتف الموت والمغالق السهام جمع مغلق.

(٣) العاقر التي لا تلد والمطفل ذات ولد واللحام جمع لحم.

(٤) تبالة وادٍ مخصب من اودية اليمن والاهضام جمع هضيم وهو المطمئن من الارض.

(٥) المحافل المجامع واللزاز الذي يلزم الشيء ويعتمد عليه فيه وعظيمة صفة لمحذوف تقديره موقعة او خصومة والجشام المتكلف للامور القائم بها.

(٦) المغذمر المتغضب مع همه والسيد الذي يسوس عشيرته فله فيها الامر والنهي والهضام الذي ينقص قوماً ويعطي قوماً يريد ان السيد منهم يوفر حقوق عشائرهِ بالهضم من حقوق نفسه.

(٧) فضلاً مفعول لاجله والندى الجود والسمح سهل الاخلاق ورغائب جمع رغيبة وهي ما رغب فيه من علق نفيس او خصلة شريفة والغنام مبالغة الغانم.

(٨) سنت فرضت والسنة الطريق والسيرة.

لا يطمعونَ ولا تبورُ فعالهم   اذ لا تميل مع الهوى احلامُها(١)
فبنى لنـا بيتاً رفيعـاً سمكـه   فسما إليـه كهلُها وغلامُها (٢)
فـاقنع بمـا قسم المليك فـانمّـا   قسمَ الخلائقَ بينَنا علاَّمُها(٣)*

وله في اخيه مرثية غرّاء منها قوله:

بَلينا وما تبلى النجومُ الطوالعُ   وتبقى الجبالُ بعدَنـا والمصانـعُ(٤)
وقد كنتُ في اكنافِ دارٍ مضِنةٍ   ففـارقني جـارٌ بـاربدَ نـافعُ(٥)
فلا جَزِعٌ ان فرّق الدهر بيننا   فكلّ امرىءٍ يوماً بِه الدهر فاجعُ(٦)
وما المرءُ الاّ كـالهلال وضـوئِه   يحورُ رماداً بعد اذ هو ساطعُ(٧)
اليس ورائي إن تراخت منيّتي   لزومُ العصا تحنى عليها الأصابعُ(٨)
اخّبُر اخبارَ القرونِ التي مضت   ادبُّ كـأني كلّما قمتُ راكعُ(٩)
فاصبحت مثل السيف اخلقَ جفنَهُ   تقادمُ عهد القينِ والنصل قاطعُ(١٠)

---

(١) تبور تهلك وتفسد الاحلام والعقول.

(٢) السمك الارتفاع وسما ارتفع والكهل الرجل وخطه الشيب او اذا كـان ما بـين الثلاثـين الى الخمسين من سنه.

(٣) المليك الله تعالى والخلائق الاخلاق والطباع.

(٤) بلينا رثثنا او شخنا والمصانع المباني من القصور والحصون.

(٥) المضنة ما يضن به لنفاسته واربد اسم أخيه اصابتهُ الصاعقة فمات والباء للتجريد.

(٦) جزع خائف.   (٧) يحور يرجع.

(٨) تراخت منيتي ابطأ موتي ولزوم العصا الاعتماد عليها عند المشي.

(٩) أدبّ امشي على يـديّ ورجلي كـالطفـل والمراد اخبـر بشيخـوختي عمن مضى وأدب كالطفل الصغير فاذا انتصبت واقفاً تقوّس ظهري كانني راجع.

(١٠) اخلق ابلى وجفنه غمده والقين الحداد والنصل حديدة السيف وغيره.

. . . .

(*) الديوان ص ١٦٣ ـ ١٧٩.

فلا تبعدَنْ ان المنيّة موعِدٌ علينا فدانٍ للطلوع وطالعُ (١)
أعاذلُ ما يدريكَ الا تظنّيا اذا رحل الفتيانُ مَنْ هو راجعُ (٢)
اتجزعُ ممَّا أحدث الدهرُ بالفتى وايُّ كريمٍ لم تُصِبْهُ القوارعُ (٣)
لعَمرك ما تدري الضواربُ بالحصى ولا زاجراتُ الطيرِ ما الله صانعُ (٤) (*)

وادرك لبيد الاسلام واسلم وانقطع عن قول الشعر ولم يكن يذكر ما جرى له في الجاهليَّة الاّ مُكْرَهاً (٥) وطال عمرهُ. قيل انهُ عمّر مئة وخمساً واربعين سنة ومن قوله في طول عمرهِ

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيدُ (٦)

ولمّا حضرته الوفاة قال لابنتيه:

تمنّى ابنتايَ ان يعيش ابوهما وهل انا الاّ من ربيعةَ او مُضَرْ (٧)

---

(١) المنية الموت ودانٍ قريب والمعنى ليس الاجل ببعيد فهو بين قاطع للاعمار ومشرفٍ على قطعها.

(٢) العاذل اللائم والتظني الظن.

(٣) القوارع جمع قارعة وهي الداهية والنكبة المهلكة.

(٤) الضوارب بالحصى الضاربات الطيور بصغار الحجارة وزاجرات الطير اللواتي يصحن به فان ولّى ميامنة تفاءلن به وان مياسرة تشاءمن وهو ضرب من العرافة.

(٥) مغصوباً.

(٦) سئمت ضجرت والناس مفرد باعتبار اللفظ وجمع باعتبار المعنى.

(٧) ربيعة ومضر اسما قبيلتين من العرب والاستفهام هنا للانكار او النفي اي ما انا الا من ربيعة او مضر أي كسائر الناس.

. . . .

(*) الديوان ص ٨٩ ـ ٩٠.

فان حانَ يوماً ان يموت ابوكما فلا تخمْشا وجهاً ولا تحلِقا شَعَرْ[1]
وقولا هو المرءُ الذي لا حليفهُ اضاعَ ولا خانَ الصديقَ ولا غَدَرْ[2]
الى الحولِ ثم آسم السلامُ عليكما ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذرْ[3]

فكانت ابنتاه تلبسان ثيابهما كل يوم ثم تأتيان مجلس بني جعفر بن كلاب فترثيانهِ ولا تندبان فأقامتا على ذلك حولاً ثم انصرفتا.

---

(١) تخمشا تخدشا.

(٢) مراده: قولا ابونا هو المرء الذي أضاع حليفه ولا خان صديقه ولا غدر بهِ.

(٣) الحول العام ولفظة «اسم» زائدة.

عَمرُ بْنُ كُلْثوم

(٦٠٠)

هو ابو عبادٍ بن كلثوم التغلبيُّ كان اعزَّ الناس نفساً واكثرهم امتناعاً واعلى قومهِ همة حتى ساد قبيلته وهو ابن خمس عشرة سنة وقال الشعر فاجاد فيه. وهو صاحب المعلقة الخامسة أنشأها بين يدي الملك عمرو بن هند وعنده الوفود من قبيلتي تغلب وبكر وكان عمرو قد أصلح بينهم عليلاً إثر حرب البسوس ثم ادّعى التغلبيون بعد زمان أن البكريين نكثوا[١] العهود في حادثةٍ جرت بينهم وكادوا يعودون الى التقاتل والتفاني لو لم يتحاكموا الى الملك عمرو. فجاءوه في اليوم المعين وجرت مجاذبةٌ عنيفة في الكلام بين عمرو بن كلثوم زعيم التغلبيّن والنعمان بن هَرِم بن ثعلبة اليشكري سيّد البكريين وتطاول النعمان في المقال على الملك عمرو فطرده من الحضرة وقام عمرو بن كلثوم فأنشد معلقته ويروى انه ارتجلها[٢] ارتجالاً ولم ينشد الآ ما وافق المقام ثمَّ عمد فزاد عليها فيما بعد وقام بها خطيباً بسوق عكاظ. تغزل في اوائلها ثم التفت الى عمرو بن هند واخذ يفتخر ويتحمَّس ويتوعّد ويعّير بني بكر قال:

---

(١) نقضوا وافسدوا

(٢) انشدها من غير ان يهيئها

الاهُبّي بصحنكِ صبّحينا ولا تُبقي خمورَ الأندَرِينـا(١)
ابا هندٍ فلا تعجَلْ علينا وأنظِرْنا نخبِّرْك اليقينـا(٢)
بأنَّا نُوردُ الرايات بيضاً ونُصدُرهنَّ حمراً قد رَوينا(٣)
نطاعنُ ما تراخى الناسُ عنا ونضرب بالسيوف اذا غُشِينا(٤)
ورِثنا المجدَ قد علمتْ مَعَدٌّ نطاعنُ دونَهُ حتى يَبينا(٥)
كأنَّ سيوفنا منّا ومنهم مخاريقٌ بأيدي لاعبينا(٦)
الا لا يجهلَنْ احدٌ علينا فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا(٧)
بأيِّ مشيئةٍ عمرو بن هندٍ تُطيع بنا الوُشاة وتزدرينا(٨)
فان قناتنا يا عمرُوا اعيتْ على الاعداءِ قبلك ان تلينا(٩)

---

(١) هبي استيقظي والصحن القدح العظيم وصبحينا اسقينا صباحاً واندرين قرية بالشام كثيرة الخمر.

(٢) ابا هند كنية الملك عمرو بن هند بابنة له اسمها هند ولم يكن العرب يأنفون من التكني كابي هند المذكور وابي امامة كنية النابغة الذبياني وأبي سفّانة كنية حاتم الطائي وابي مليكة كنية الحطيئة وغير ذلك وانظرنا امهلنا واليقين الصدق.

(٣) اورده احضره المورد اي موضع ورود الماء واصدره ارجعه وروي شرب وشبع.

(٤) تراخى تباعد وغشينا أُتينا وهوجمنا

(٥) معد هو ابن عدنان ابو قبائل نجد التي منها بكر وتغلب ويبين يظهر او يبعد وكلاهما محتمل على تأويل الاول «يظهر جليّاً لا عين الناس» والثاني «حتى يبعد من الناس الينا».

(٦) المخاريق جمع مخراق وهو سيف من خشب يلعب به الصبيان يقول: لما كننا نقاتلهم كنا لا نبالي بضرب السيوف كما لا يبالي بالضرب بالمخاريق.

(٧) يجهلن يسفهن والمراد لا يسفهن احدٌ علينا فانا نجازي السفهاء فوق سفاهتهم وسمى جزاء الجهل جهلاً للمشاكلة.

(٨) الوشاة جمع واشٍ وهو النمام وتزدرينا تحتقرنا.

(٩) قناة الرمح عوده واستعيرت هنا المعزّ اي ان عزنا لم تتمكن الاعداء قبلك من قهره.

وقـد علم القبـائـل من مَعَـدٍّ اذا قببٌ بـأبطَحهـا بُنينـا[1]
بـأنـا المنعمـون اذا قـدرنـا وانّـا المهلكـون اذا ابتلينـا[2]
اذا ما المَلْكُ سام الناس خسفاً أبَينـا ان نُقرَّ الخسفَ فينا[3]
اذا بلغ الفـطامَ لـنـا صبيٌّ تخـرُّ لهُ الجبابر سـاجدينا[4](*)

ومزية هذه المعلقة وضوح مراد الشاعر وانسجام العبارة وسلاستها فلا تكاد تجد فيها تقديماً وتأخيراً ولا لفظاً غريباً مهجوراً.

ويروي ان عمراً الملك قال يوماً لندمائهِ «هل تعملون احداً من العرب تأنف امُّه من خدمة امي» قالوا «نعم أُمّ عمرو بن كلثوم» فارسل عمرو بن هند الى عمرو بن كلثوم يستزيرهُ ويسأله ان يُزير أمّه أمّهُ. فاقبل عمرو وأمّهُ ليلى فدخل على الملك في رواقهِ ودخلت ليلى على هند امّ عمرو في قبّة من جانب الرواق. وكان عمرو بن هند امر امَّهُ ان تُنَحّيِ الخدم اذا دعا بالطُرف[5] وتستخدم ليلى. فدعا عمرو بمائدةٍ ثمَّ دعا بالطرف فقالت هند «ناوليني يا ليلى ذلك الطبق» فقالت ليلى «لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها» فاعادت عليها وألحّت فصاحت ليلى «واذُلّاه . . . يالتَغلب . . .» فسمعها عمرو ابنها فثار الدم في وجهه ووثب الى سيفٍ لعمرو بن هند معلّق بالرواق فضرب به رأس الملك ونادى في بني تغلب فانتهبوا ما في الرواق وانقلبوا راجعين الى الجزيرة[6]

---

(١) قبب جمع قبة وهي بناء سقفه مستدير معقود بالحجارة او الآجر والابطح المكان المتسع.

(٢) المنعمون المتفضلون والمهلكون المعدمو الاعداء وابتلينا اختبرنا.

(٣) سام الناس خسفا اهانهم وابينا امتنعنا.

(٤) تخرّ تنكب والجبابر جمع جبار وهو العاتي المتكبر.

(٥) جمع طرفة وهي الشيء المستحسن الغريب.

(٦) ما بين النهرين دجلة والفرات وكان بنو تغلب اعتزلوا هناك حسماً لاسباب النزاع.

. . . .

(*) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٧ والأغاني جـ ٩ ص ١٨٣.

ولمّا حضرت عمرو بن كلثوم الوفاة جمع بنيهِ وقال لهم «قد بلغت من العمر ما لم يبلغهُ احدٌ من آبائي ولا بد ان ينزل بي ما نزل بهم . . من سبَّ سُبّ فكفوا عن الشتم فانه اسلم لكم واحسنوا جواركم يحسن ثناؤكم . . . واذا حُدّثتم فعُوا واذا حَدّثتم فاوجزوا فانهُ مع الاكثار تكون الاهذار[١] . . » ويقال انهُ عُمّر مئة وخمسين سنة (*)

---

(١) جمع هذر وهو سقط الكلام.

. . . .

(*) الاغاني جـ ٩ ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

(٦١٥)

عَنْتَرَة

هو ابو المُغلّس عنترة بن شداد العبسي وامُّه امَةٌ[1] حبشية يقال لها زبيبة وكان ابوه قد نفاهُ واستعبدهُ على عادة عرب الجاهلية في استعباد ابناء الاماء فان انجبوا[2] اعترف آباؤهم بهم والحقوهم بنسبهم والاّ بقوا عبيداً ينسبون الى امهاتهم. واتفق ان بعض احياء العرب اغاروا على عبس فاصابوا منهم واستاقوا ابلاً فتبعهم العبسيُّون وعنترة يومئذٍ معهم فقال له ابوه «كرّ يا عنترة» فقال عنترة «العبد لا يحسن الكر انما يحسن الحلب والصرّ[3]» فقال «كرّ وانت حرّ» فكرّ وقاتل يومئذٍ قتالاً حسناً فادّعاهُ ابوه بعد ذلك والحق به نسبه(*) وكان عنترة بطلاً صنديداً يحنّ ابداً الى الكفاح ومقارعة الفرسان وخوض غمرات[4] الموت شهماً هماماً كبير النفس مترفعاً عن عواطف النفوس الحقيرة وهو مع ذلك حنون القلب دمث[5] الاخلاق لّين العريكة[6] رحب الصدر سريع الى

---

(١) الخادمة المملوكة. (٢) كانوا محمودي الصفات.

(٣) شدّ ضرع الناقة بالصرار (خيط) لئلاّ يرضعها ولدها.

(٤) جمع غمرة وهي شدة الشيء ومزدحمه.

(٥) سهل.

(٦) الطبيعة والخلق.

. . . .

(*) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٢٥٠ ـ ٣٥١ والاغاني جـ ٧ ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

التغاضي[1] عن انكار قومه لفضله واجحافهم[2] بحقِّهِ. وشعره من امتن الشعر واعلاهُ بعيد عن حوشيّ[3] وخشن المعاني سريعُ الى الفهم تسابق معانيه الفاظهُ وهو مرآة اخلاقهِ الحسناء وهمّتهِ الشماء تطرب النفس للهجتهِ الابيَّة ويهتزّ الفؤاد لتلك الاريحيَّة العربيَّة ومن شعرهِ قوله:

حكّمْ سيوفك في رقاب العُذَّل ... واذا نزلت بدار ذُلٍ فارحلِ[4]
واذا الجبانُ نهاك يوم كريهةٍ ... خوفاً عليك من ازدحام الجحفلِ[5]
فاعصِ مقالتهُ ولا تحفِلْ بها ... وأقدمْ اذا حقَّ اللقا في الاوّلِ[6]
واخترْ لنفسك منزلاً تعلو به ... اومت كريماً تحت ظلِ القسطلِ[7]
ان كنتُ في عدد العبيد فهمَّتي ... فوقَ الثريا والسِماكِ الاعزلِ[8]
او انكرت فرسانُ عبس نسبتي ... فسنانُ رمحي والحسامُ يقرُّ لي[9]
وبذابلي ومهنَّدي نلتُ العلى ... لا بالقرابةِ والعديد الأجزلِ[10]
ورميت مهري في العَجاج فخاضهُ ... والنار تُقدحُ من شِفارِ الأنصُلِ[11]

---

(١) التغافل.

(٢) ذهابهم بهِ.

(٣) الغريب المستقبح.

(٤) العذل جمع عاذل وهو اللائم.

(٥) الكريهة الشدة في الحرب والجحفل الجيش.

(٦) ولا تحفل بها لا تهتم لها.

(٧) ظل في والقسطل الغبار الساطع في الحرب.

(٨) الثريا سبعة كواكب في عنق الثور والسماك الاعزل اسم كوكب نيرّ في جهة الجنوب.

(٩) سنان الرمح حديدته التي يطعن بها وقوله يقرّ على تقدير فسنان رمحي يقر لي والحسام كذلك فاكتفى برد الضمير الى احد السابقين كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وهو تركيب غير نادر ولا سيما في الشعر.

(١٠) ذا بل صفة للرمح المدق والمهند السيف المطبوع من حديد الهند والاجزال الاعظم.

(١١) العجاج الغبار والدخان وشفار جمع شفرة وهي حدّ السيف والانصل جمع نصل وهو شفرة السيف.

خاضَ العجاج محجَّلاً حَتىً اذا شهد الوقيعةَ عادَ غيرَ محجَّلِ(١) (*)

وقال يتوعد النعمان:

لا يحملُ الحقدَ من تعلوبه الرتبُ ولا ينال العلى من طبعُهُ الغضبُ(٢)
لله درُّ بني عبسٍ لقد نَسَلوا من الاكارم ما قد تنسل العرب(٣)
قد كنت فيها مضى ارعى جمالهمُ واليوم أحمي حماهم كلماّ نُكبِوا(٤)
لئن يعيبوا سوادي فهو لي نسب يومَ النزالِ اذا ما فاتني النسَبُ(٥)
ان كنتَ تعلمُ يا نعمان إنّ يدي قصيرةٌ عنك فالأيام تنقلبُ
ان الافاعي وان لانت ملامسُها عند التقلب في انيابها العطبُ(٦)
اليوم تعلم يا نعمانُ أيُّ فتى يلقي اخاك الذي قد غرّه العُصَبُ(٧)
فتىً يخوض غبارَ الحرب مبتسماً و ينثني وسنانُ الرمحِ مختضبُ(٨)
ان سلّ صارمَهُ سالت مضاربُهُ واشرق الجوُّ وانشقّت له الحجبُ (٩)

---

(١) خاض دخل واقتحم ومحجلاً في قوائمه بياض والوقيعة صدمة الحرب والقتال.

(٢) الحقد الضغينة والعداوة.

(٣) نسلوا ولدوا.

(٤) احمي مضارع حمى الشيء من الناس منعهم عنه والحمى ما يحمى ويدافع عنه ونكبوا اصابتهم نكبة.

(٥) النزال القتال وفاتني اعوزني وما زائدة بعد اذا.

(٦) ملامسها جمع ملمس وهو موضع اللمس منها والعطب الهلاك.

(٧) العصب جمع عصبة وهي الجماعة.

(٨) ينثني يرجع ومختضب متلون والسنان نصل الرمح.

(٩) سلّ جرّد والصارم السيف والمضارب جمع مضربة وهي حدّ السيف والحجب جمع حجاب وهو الستر وكل ما احتجب به كناية عن القلب.

. . . .

(*) ديوان عنترة ص ٩٩ ـ ١٠١.

يٍّ النفوسُ وللطير اللحومُ وللـ   وحَشْ العظام وللخيَّالة السَلَبُ (١)
ما زلت القى صدور الخيل مندفعاً   بالطعن حتىً يضجُّ السرج واللبَبُ (٢)
فالنقع يومَ طرادِ الخيل يشهدُلي   والضرب والطعن والاقلام والكتبُ (٣)

وقال وقد خُيّب املهُ في ابنة عمّهِ:

اذا جحدَ الجميلَ بنو قراد   وجازى بالقبيح بنو زياد(٤)
فهم ساداتُ عبس اين حلوا   كما زعموا وفرسان البلادِ
حَلُمتُ فما عرفتم حق حِلمي   ولا ذكرتْ عشيرتكم ودادي

ولعنترة شعر كثير في بنت عمه عبلة وكان قد خطبها من ابيها مالك بن قرادٍ فماطله وجشّمهُ الاخطار في الظفر بمهرها(٥) ولم يرعَ معه عهداً ولا ميثاقاً ولم يُنلهُ مبتغاهُ الاّ بعد خطبٍ طويلٍ وكثيراً ما يخاطبها بشعرهِ ويصف لها بأسهُ وبطشهُ على عادة البدو تحبّباً اليها فمن ذلك قوله:

سلي ياعبلَ قومكِ عن فَعالي   ومن حضر الوقيعة والطرادا(٦)
وردتُ الحربَ والابطالُ حولي   تهزُّ اكفهُا السُمرَ الصعادا(٧)

---

(١) السلب ما ينتزعه المرء من غيره قهراً.

(٢) يضج يضطرب واللبب السيور التي تربط الى العنق فتمنع استئخار السرحل واضطرابه.

(٣) النقع الغبار.

(٤) جحد انكر.

(٥) كلّفه.

(٦) صداقها وهو ما يجعل للمرأة من المال تنتفع به وتنفقه معجلاً او مؤجّلاً.

سلي فعل امر من سأل المخففة وفَعال بفتح الفاء الفعل الحسن والكرم والطراد هجوم الفرسان بعضهم على بعض.

(٧) السمر جمع اسمر وهو الرمح والصعاد جمع صعدة وهي القناة المستوية تنبت كذلك فلا تحتاج الى تثقيف.

وعـدتُ مخضَّبـاً بـدمِ الاعـادي وكَرْبُ الركض قد خضب الجوادا[1]

وقال وقد خرج عن قومه غضبان وسار برهطهِ انفة من جودهم:

لا تقتضِ الدين الاّ بالقنا الذُّبُلِ ولا تحكّمِ سوى الاسياف بآلقُلَلِ [2]
ولا تجاوزْ لئاماً ذلَّ جارُهُمُ وخلّهِم في عراص الدار وآرتحلِ [3]
ياعبل انتِ سوادُ القلب فآحتكمي في مهجتي واعدلي يا غاية الامَل [4]
وان ترحلتِ عن عبس فلا تقفي في دار ذل ولا تصغي الى العذَلِ [5]
لانَّ ارضَهم من بعد رِحلتنا تبقى بلا فارسٍ يُدعى ولا بطَلِ [6]

وقال وهو في الاسر يودّع عبلة:

فخرِ الرجال سلاسلٌ وقيودُ وكذا النساءُ بَخَانِقٌ وعقودُ[7]
فالقتلُ لي من بعد عبلةَ راحةٌ والعيش بعد فراقها منكودُ
يا عبلَ قد دنت المنيَّة فاندبي ان كان جفنُك بالدموع يجودُ
ياعبلَ ان سفكوا دمي ففَعائلي في كل يومٍ ذكرهن جديدُ
لهفي عليكِ اذا بقيتِ سبيَّة تدعين عنتر وهو عنك بعيدُ
ياعبلَ كم من جحفلٍ فرّقتهُ والجوُّ اسودُ والجبال تميدُ[8]

---

(١) كرب اشتداد.

(٢) القنا جمع قناة والذبل جمع ذابل صفة للرمح المستدق والقلل جمع قلة وهي اعلى الراس.

(٣) عراص جمع عرصة وهي فسحة الدار.

(٤) سواد القلب حَبته وهي العلقة السوداء في جوفه.

(٥) العذل اللوم. (٦) يُدعى ينادي مستغاثاً به.

(٧) بخانق جمع بُخْنُق وهو خرقة تتقنع بها الجارية فتشد طرفيها تحت حنكها وعقود وهو القلادة اي ما يجعل في العنق من الحلي.

(٨) جحفل جيش وتميد تهتز.

فسطا عليَّ الدهر سِطوةَ غادرٍ والدهرُ يبخل تارةً ويجودُ[1]

وعنترة صاحب المعلقة السادسة أنشأها راداً على معير له بأُمّهِ وأخوتِهِ وسوادِهِ تغزّل في أوائلها ووصف ناقتَهُ وفرسهُ وافتخر بكرمِهِ وعفافِهِ وشجاعتِهِ.

قال:

هل غادرَ الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ ام هل عرفتَ الدارَ بعد تَوهُّمِ (٢)
يادار عبلة بالجواء تكلّمي وعمي صباحاً دار عَبلة وآسلمي(٣)
ولقد مررتُ بدار عبلة بعدما لعبَ الربيعُ بَربعها المتوسَّمِ (٤)
وخلا الذبابُ بها فليس ببارحٍ غرداً كفعل الشاربِ المترنمِ (٥)
هَزِجاً يحكُّ ذراعَهُ بذراعهِ قَدْحَ المُكبِّ على الزِنادِ الأجذمِ (٦)
ولقد شربتُ من المدامة بعدما ركدَ الهواجرُ بالمشوفِ المُعلَمِ (٧)
بزجاجةٍ صفراءَ ذاتِ أسرّةٍ قُرنت بازهرَ في الشمَّال مُفدَّمِ (٨)

---

(١) سطا وثب.

(٢) المتردم الموضع من الثوب الذي تحتاج الى ترقيع استعاره هنا للرديء من الشعر والتوهم التفرس ومراده: هل ترك الشعراء شيئاً من الشعر يحتاج الى الاصلاح لا تعرض له ثم خاطب نفسه قائلاً: هل عرفت الدار التي كنت ترى فيها اصحابك بعد تفرس طويل.

(٣) عبلة علم لامرأة والجواء علم موضع بديار عبس وعمي بمعنى انعمي.

(٤) الربع الدار والمحلة والمنزلة المتوسَّم المتفرس فيه.

(٥) بارح زائل وغرداً مصوتاً والمترنم المردد صوته بضربٍ من التلحين.

(٦) هزَجاً مصوتاً وقدح بالزند حاول اخراج النار منه والمكب المقبل على الشيء والاجذم مقطوع اليد شبّه حك الذباب احدى يديه بالاخرى بقدح الاجذم للنار من الزندين.

(٧) الهواجر جمع هاجرة وهي اشد الاوقات حرًّا والمشوف المجلوّ والمعلم مانقش فيه العلم وهو الرسم المميز والمشوف المعلم صفة للدينار وقيل للقدح.

(٨) الاسرة جمع السرّ وهو الخط من خطوط اليد والجبهة وغيرهما وبأزهر اي بابريق ازهر اي ابيض والمقدم المسدود بالفدام.

فـاذا سكـرت فـانني مستهلك مالي وعرضي وافرٌ لم يُكلَمِ (١)
واذا صحوتُ فلا اقصّرُ عن ندى وكما علمتِ شمائـلي وتكرُّمي (٢)
ومـدجّـجٍ كـرهَ الكُمـاةُ نـزالَـهُ لا ممعنٍ هرباً ولاً مستسلمِ (٣)
جادت يداي له بعاجـل طعنةٍ بمثقّفٍ صَدقِ الكُعوب مُقوَّمِ (٤)
فشككتُ بالرمحِ الاصّمِ ثيابَـهُ ليس الكريم على القنا بمحرَّمِ (٥)
فتـركتـهُ جَـزَرَ السبـاع يَنُشْنَـهُ يقضِمْنَ حُسنَ بنانهِ والمعصَمِ (٦)
يـدعـون عنـترَ والـرمـاح كـأنّها أشطانُ بئرٍ في لَبانَ الادهمِ (٧)
فاذا اشتكى وقع القنـا بلَبانِـه ادنيته من سلّ عضبٍ مِخْذَمِ (٨)
فـآزورَّ من وقع القنـا فزجـرته فشكـا اليَّ بعَبـرةٍ وتحمحُمِ (٩)
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلّمي (١٠)

---

(١) يكلم يجـرح يقول مهما بلغ مني السكر واهلكت من المـال فلست ازال كـريمـاً متعففـاً لا اخرج الى التهتك.

(٢) ندى كرم والشمائل جمع شمال وشميلة اي طبع يريـد انه اذا صحـا من سكره لا يقصـر عن بذل المال لكن يجود به كسابق عادته.

(٣) المدجج الـذي توارى بـالسلاح والكمـاة جمع كميّ وهـو الشجاع ولابس السـلاح وممعن مبعد ومبالغ في الهرب.

(٤) المثقف الرمح المقوّم بالثقاف والكعوب جمع كعب وهو عقدة الرمح.

(٥) شككت خـرقت والاصم الصلب نعت للرمح المحـذوف ومعنى الثـاني: ان الكـريم لا يعصمه كرمه من القتل.

(٦) الجزر الشاة او الناقة تـذبح وتنحـر وينشنه يتنـاولنه بـالاكل والقضم اكـل الشيء اليابس والمعصم موضع السوار من اليد.

(٧) اشطان وهو حبل البئر واللبان الصدر والادهم الفرس الاسود.

(٨) سلّ جرد وعضب سيف ومخذم سريع القطع.

(٩) ازورّ مال وتحمحم صوت متقطع يرددهُ الفرس.

(١٠) يدري يعرف والمحاورة المجاوبة ومراجعة الكلام.

ولقد شفى نفسي وأَذهب غِلَّها قولُ الفوارس ويك عنتر فاقدِمِ (١)
والخيـل تقتحم الغبـار عـوابسـاً ما بين شَيْظَمة واجردَ شيظمِ (٢)
ولقد خشيتُ بان اموت ولم تدر للحرب دائرةٌ على ابني ضمضمِ (٣)
الشـاتمَيْ عِـرضي ولم أشتمهـما والناذرَيْنِ اذا لَمَ القهما دمي(٤) (*)

وتوفي عنترة قتيلاً قتله وزر بن جابر النبهاني وكان عنترة قد اغار على بني نبهان فأَطرد لهم طريدة (٥) فرماه وزر وقال: خذها وانا ابن سلمى . فقطع مطاه (٦) فتحامل بالرميَّة حتى اتى اهله فقال وهو مجروح

وإن ابنَ سلمى عندهُ فاعلمـوا دمي وهيهات لا يُرجى ابن سلمى ولاَ دمي
اذا ما تمشّى بين اجبـال طيء مكـان الثّريـا ليس بـالمتهَضَّمِ(٧)

---

(١) الغـلّ العطش الشـديـد وويـك مـركبـة من وَي اسم فعـل بمعنى اعجب والكـاف وعنـتر منادى مرخم عنترة.

(٢) تقتحم ترمي نفسها في المشقات والمشيظمة الطويلة واجرد قصير الشعر.

(٣) خشي خـاف والدائـرة الهزيمـة و ابني ضمضم هما هـرم وحصين من بني مـرة قتلهـما ورد بن حابش العبسي.

(٤) العرض محل المـدح والذم من الانسـان والناذرين مثنى النـاذر وهو من يـوجب على نفسـه امراً لم يكن واجباً ودمي مفعول به للناذرين.

(٥) الطريدة ما طردته من صيد او غيره.

(٦) ظهره.

(٧) تهضمه ظلمه واذله يقول قاتلي سيسير آمناً لا يخاف من يذلـه ويثأر منـه في مقتلي وكـما قال عنترة كان.

. . . .

(*) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٢٥٣.

سيرة عنترة

تتداول ايدي كبار القوم وصغارهم قصة شهيرة ليس في عالم العرب والمستعربين من لم يسمع بها تعرف بسيرة عنترة وهي سلسلة حكايات حماسيَّة مختلفة اتخذ صاحبها عنترة العبسي بطلاً لوقائعها المتعددة وجعله آية مثل فيها اخلاق الرجل الجامع لشمائل الفارس الشجاع فعزا[١] اليه من الصفات كلّ مزيَّة يمكن خطورها في الخيال حتىً رفعه عن درجة الابطال من بني البشر ونحله من الشعر كل ما يردُ على خاطر نظَّام قوَّال حتى حطَّهُ عن منزلته العالية واسقطه من طبقة الشعراء المفلقين[٢] فظلمه من كلا الطرفين

واختُلف في واضع هذه القصة فزعمت جماعة أنَّ الاصمعيَّ هو اول واضع لها غير أن ما وصل الينا منها لا يمكن ان يكون من كلام لغويّ شهير كالأصمعي. ومن ثم فما ذكره في هذه الأقاصيص الاّ من بَدَوات[٣] الراوي الذي آثر[٤] الطباق بين بطل الرواية ومؤلفها فقرع اسماع العامة باسم عالم نحرير[٥] نسب اليه مستنبطات قريحتهِ السيَّالة وراع قلوبهم بذكر بطل صنديد

(١) نسب.

(٢) الذين يأتون بالفلق اي الامر العجيب.

(٣) البوات الخواطر المختلفة.

(٤) فضل.

(٥) حاذق متقن نحر الامور علماً.

قمصه ثوباً من الفروسية ظنَّه الكمال فاذا هو المحال. وذهب بعضهم ان واضعها رجل يقال له المؤسّد بن الصائغ من اهل القرن السادس للهجرة وهذا الراي اقرب الى التصديق لما يُرى من المشاكلة بين لهجة القصة وحالة الآداب في تلك المدة. وقيل بل واضعهاشيخٌ اسمه يوسف او عليٌ مطلع على اخبار العرب واشعارها كان يتردد على احد ملوك مصر وضعها[1] بإيعاز من العزيز ليتشاغل الناس بها عن ريبة[2] حدثتْ في داره وكثر تحدث القوم بها فلفّق الشيخ هذه القصة وكان يصدرها اجزاءً ويدبرّ الكلام بحيث يصل بالحديث الى منتهى الجزءِ والوقائع في النهاية من الاشتباك وشوق القارىء الى الوقوف على مصير الحوادث في الغاية القصوى واذا بسلك الرواية ينقطع بغتة وتتمة السياق مؤجّلة الى الجزء التالي فيضطر الانسان يسعى وراء الجزء التابع لحلّ العقدة فيجد منه ما وجد من سابقه وهكذا الى منتهى آخر اجزاء القصة

---

(١) سنة ٣٦٥ هجرية.

(٢) تهمة بحادثة تشين العرض.

أَلْحارِثُ بْنُ حِلِّزة (٥٧٠)

هو ابو الظليم الحارث بن حلزة البكريّ كان من فحول الشعراء المجيدين وهو صاحب المعلقة السابعة. انشأها في حضرة الملك عمرو بن هند رادًّا على عمرو بن كلثوم التغلبيّ. ويحكي انه ارتجلها ارتجالاً وانشدها وهومتوكىء على قوسه وزعموا انه اقتُطعت كفُّهُ وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها واعجب عمرو بمنطقه واظهر له الايثار[1] على خصمه ابن كلثوم. وهو ظفر مبين للشاعر ولا سيما بعد ما فرط من خطيب قومه النعمان بن هرم ما فرط كما مرّ ذكره سابقاً. تغزل في اوائلها ووصف ناقته فشبهها بالنعامة ثم أخذ يعيرّ التغلبيين بمواقع فيها وذكر عدة من ايام العرب المشهورة ومدح عمرو بن هند وافتخر بقومه وعزهم[*]ومنعتهم قال:

آذَنَـتْـنَـا[2] بِـبَـيْـنِـهَـا أَسْـمَاءُ   رُبَّ ثَـاوٍ يُمَـلُّ مِنْـهُ الثَّـوَاءُ[3]

---

(١) التفضيل.

(٢) آذنتنا اعلمتنا والبين الفراق واسماء علم امرأة والثواء الاقامة: يقول اعلمتنا اسماء بمفارقتها ايانا وكم مقيم تملّ اقامته وليست اسماء كذلك.

(٣) العهد اللقاء وبرقة شماء اسم مكان وكذلك الخلصاء.

(*) الاغاني جـ ٩ ص ١٧٨.

بعد عهدٍ بُبْرقةَ شَّما ء فأدنى ديارها الخَلْصَاءُ
واتانا من الحوادثِ والأنْـ باءِ خَطبٌ نُعنى به ونُساءُ(١)
أن إخوانَنا الأراقِمَ يَغلو نَ علينا في قِيلهم إحفْاءُ(٢)
يَخلِطون البريءَ منّا بذي الذَّنْـ ـبِ ولا ينفعُ الخليَّ الخلاءُ(٣)
ايُّها الناطقُ المرقِشُ عنّا عند عمرو وهل لذاك بقاءُ(٤)
لا تخَلْنا على غَراتِك إنّا قبلَ ما قد وشى بنا الاعداءُ(٥)
فبقينا على الشَناءَة تنميـ نا حصونٌ وعِزَّةٌ قَعْساءُ(٦)
ملكٌ مقسطٌ وأفضل من يمـ شي ومِنْ دونِ ما لديهِ الثناءُ(٧)
أَيمَّا خُطَّةٍ اردتم فأدُّو ها الينا تسعى بها الأملاءُ(٨)
فأتركوا الطَيْخَ والتعاشي وإما تتعاشَوْا ففي التعاشي الداءُ(٩)

---

(١) الانباء الاخبار والخطب الامر العظيم وعني بالشيء اهتم له وساءَهُ الامر احزنه.

(٢) الاراقم بطون من تغلب سُموا بها لان امرأة شبهت عيون ابنائهم بعيون الاراقم أي الحيّات ويغلون ويبالغون واحفاء الحاح.

(٣) يخلطون يشركون والبريء الخالي من الذنب ومثله الخليّ.

(٤) رقش الكلام زوّره وزخرفه والاستفهام هنا للنفي يقول ليس لأكاذيبك بقاء عند عمرو لعلمه بالحق.

(٥) خال ظنّ والغراة الاغراء ووشى به سعى به يقول لا تخلنا متذللين لاغرائك الملك فقد وشى بنا غيرك من قبل فخاب سعيه.

(٦) الشناءة البغض وتنمينا ترفعنا وقعساء عالية.

(٧) مقسط عادلٌ يقول ان عمراً ملك عادل وهو افضل ماشٍ على الارض والمدح قاصر عمّا عنده.

(٨) الخطة الامر العظيم والأملاء الجماعات والواحد ملأ.

(٩) الطيخ التكبر والتعشي والتجاهل والتعامي.

واذكروا حِلْفَ ذي المجازِ وما قُدِّ ... مَ فيـه العهـود والكـفـلاءُ(١)
واعلموا أننـا وإياكُـمُ فيـ ... ـما اشترطنا يوم اختلفنا سَواءُ(٢)
عَنَنـاً بـاطـلاً وظُلماً كـما تُعْـ ... ـتَرُ عن حُجرةِ الربيضِ الظِباءُ(٣)
أَعَلينـا جُنـاحُ كنـدةَ أن يَغْـ ... ـنَمَ غـازيهم ومنّـا الجـزاءُ(٤)
ليس منّـا المُضَـرَّبـون ولا قيْـ ... ـس ولا جنْدلٌ ولا الحَذّاءُ(٥)
ام علينا جَرَّى قُضاعةَ ام ليـ ... ـس علينا فيما جنَوْا إيذاءُ(٦)
ثم جاءوا يسترجعـون فلم تُر ... جَـعْ لهم شامَةٌ ولا زَهـراءُ(٧)
لم يُحِلُّوا بـني رِزاحٍ بَبـرْقـا ... ءِ نِطاعٍ لهم عليهم دعـاءُ(٨)

---

(١) الحلف اليمين وذو المجاز علم موضع قرب مكة كانت العرب تقيم فيه سوقاً في الجاهلية والكفلاء جمع كفيل وهو الضامن.

(٢) اشترطنا اتخذنا شروطاً.

(٣) العنن الاعتراض والفعل عن وعتر ذبح العتيرة وهي ذبيحة كانت تذبح للأصنام في رجب والحجرة الحظيرة والربيض جماعات الغنم يشير الشاعر الى ما كان يفعله العرب اذ ينذر احدهم ان بلغ الله غنمه مائة ذبح منها واحدة للاصنام ثم ربّما ضنت نفسه بها فأخذ ظبياً وذبحه مكان الشاة الواجبة عليه.

(٤) الجناح الذنب وكندة قبيلة من عرب اليمن غزت بني تغلب وقتلت رجالهم وغنمت اموالهم والغازي السائر الى قتال عدوّه في ديارهِ والمراد من الاستفهام هنا التوبيخ.

(٥) المضربون الذين كثر فيهم الضرب وقيس وجندل والحذاء رجال من بني تغلب قتلهم المنذر لزرعهم الفتن في مملكته.

(٦)جرَّى من اجل وقضاعة علم قبيلة اغارت على بني تغلب فقتلت وسبت منهم عدداً عظيماً وجني اذنب وايذاء اذى ولا يخفى ما في البيتين من التعبير.

(٧) الشامة الناقة السوداء والزهراء الناقة البيضاء او الشاة البيضاء.

(٨) بنو رزاح بطن من تغلب وأحلّه جعله حلالاً وبرقاء نطاع قرية بالبحرين لبني رزاح ومراده لم يحل قوماً كما فعل بنو تغلب حرمات بني رزاح فتركوهم بيد اعدائهم في برقاء نطاع حال كون بني رزاح يدعون على بني تغلب.

ثم فاءوا منهم بقاصمةِ الظهـ ـرِ ولا يُبْرِدُ الغليلَ المـاءُ(١)
ثم خَيلٌ من بعدِ ذاك مع العَـ لّاقِ لا رأفـةٌ ولا إبـقـاءُ(٢)
وهـو الربُّ والشهيـدُ عـلى يـو مِ الحِيَـارَيْن والبَـلاءُ بَـلاءُ(٣)

وبنو بكر يفتخرون بشاعرهم وقد ضرب بالحارث المثل في الفخر فقيل : « أفخر من الحارث بن حلزة وكان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجال الحارث هذه القصيدة في موقف واحد ويقول « لو قالها في حول لم يُلم(*)) ولها مزية معلقة عمرو بن كلثوم نفسها فان كلتا القصيدتين أُنشدتا للدواعي وفي الظروف عينها وتمتاز عنها بذكر صاحبها كثيراً من أيّام العرب لا بُدّ من الوقوف عليها لمعرفة تمام مراده وهي أقرب المعلقات الى الشعر القصصي ولم يأنف(٤) كخصمه من مدح الملك عمرو بن هند فاستلّ من قلبه ضعينة(٥) غرسها تهوّر النعمان بن هَرِم زعيم قومه ولم يمنّ(٦) عليه بذكر الأيّام التي فاز بها البكريّون إلّا عرضاً فاستولى على رأى الملك ومال به الى حزبة بعد ما كان باهراً بإيثار التغلبيين وسواء قال ما قال مداجاة أم مصافاة فتلك حكمة علّمته أيّاها الأيّام لا يجيء بمثلها في موقف الغضب والتنازع إلّا شيخ ذو درية وخبرة وحنكة قد طالما عركهُ الدهر وعركهُ . وقد زعم الأصمعيّ أنّ الحارث كان له يومئذٍ من العمر نحو مئة وخمس وثلاثين سنة .

---

(١) فاء رجع وقاصمة الظهر الداهية التي تكسر الظهر اي رجع بنو تغلب من وقائعهم وقد اصيبوا بداهية كسرت ظهورهم واوهنت قواهم فضلاً عن ان عطشهم لا يبرده ماء .

(٢) العلّاق صاحب هجائن للنعمان بن المنذر وكان تميمياً وقيل هو من بني حنظلة ارسله عمرو بن هند الى بلاد بني تغلب فعاث فيها وقتل .

الرب عمرو بن هند والحيارين موضع قاتل فيه بنو بكر مع عمرو بن هند وقوله : والبلاء بلاء اي حين كان القتال في غاية الشدة .

(٤) يترفع .   (٥) حقداً .

(٦) من وامتن عليه ذكر وعدّد له ما فعله من الخير على سبيل التوبيخ .

. . . .

(*) الاغاني جـ ٩ ص ١٧٩ .

الشَّنْفَرَى (٥١٠)

من شعراء الصعاليك في العصر الجاهلي

هو ثابت بن اوس الازديّ المقلب بالشنفرى لعظم شفتيه. أُسر وهو صغير ودفعتهُ التقادير الى ايدي بني سُلامان فكان فيهم كانهُ منهم وهو يحسب نفسه احدهم حتى نازعته بنت مولاهُ اذ قال لها الشنفرى «اغسلي رأسي يا أخيَّة» فانكرت أن يكون اخاها ولطمتهُ. فذهب مغاضباً حتى اتى الذي اشتراه فقال له «اصدقني ممّن انا» فقال «انت من الاوس»فقال «اما اني لن ادعكم حتى اقتل منكم مائة بما استعبدتموني» وكان اذا لقي رجلاً من بني سلامان يقول له «أأطرفك» ثم يرمي عينه حتى قتل منهم تسعه وتسعين ونزل يوماً في مضيق ليشرب فتربصوا (١) له وأمسكوه وقتلوه وطرحوا رأسه فمرَّ به رجل منهم فضرب الجمجمة بقدمهِ فعقرت قدمه فمات منها فتمت به المائة(*) وللشنفرى قصيدة شهيرة تعرف بلاميَّة العرب أنشأها معاتباً قومَهُ مفتخراً بانفرادهِ في البراري وصحبته للسباع وقد ضمنّها من الالفاظ الضخمة والمعاني

(١) انتظروهُ.

(*) الاغاني جـ ٢١ ص ١٣٦ ـ وشرح المفضليات ص ١٩٦ .

الغريبة والتراكيب الخشنة ما يلائم القفار التي استوطنها والوحوش التي آخاها قال:

أقيموا بني أُمّي صدورَ مَطِيّكم فاني الى قومٍ سواكم لأَميَلُ[1]
فلي دونَكُمْ اهلونَ سيدٌ عَملَّسٌ وأَرقطُ زُهلولٌ وعَرفاءُ جَيْأَلُ[2]
هُمُ الأهل لا مستودَعُ السرّ ذائعٌ لديهم ولا الجاني بماجرَّ يُخذَلُ[3]
واني كفاني فَقْدَ من ليس جازياً بحُسنى ولا في قربهِ مُتعلَّلُ[4]
ثلاثة اصحاب فؤادٌ مشيَّعٌ وابيض إصليتٌ وصَفراءُ عَيْطَلُ[5]
ولستُ بعَلٍّ شرُّهُ دونَ خيرهِ أَلَفَّ اذا ما رُعتَهُ آهتاجَ أعزلُ[6]
ولست بمَحْيَارِ الظلام اذا انتحت هُدى الهَوجلِ العِسِيّف يهماءُ هَوْجَلُ[7]

---

(١) بني امّي اخوتي والمطي جمع مطيَّة وهي الدابة للركوب واميل اسم تفضيل من مال.

(٢) السيد الذئب والعملّس والارقط النمر والزهلول الاملس والعرفاء ذات العرف وهو الشعر النابت على العنق وجيأل علم جنس للضبع.

(٣) ذائع ظاهر والجاني فاعل الجناية اي الذنب وجرّ ارتكب الذنب يخذل لا ينصر.

(٤) جازياً مكافئاً والمتعلل الشيء الذي يتعلل به ويلتهي.

(٥) ثلاثة فاعل كفى ومشيع شجاع وابيض اصليت سيف صقيل او مجرَّد وصفراء عيطل قوس طويلة العنق متينة.

(٦) العلّ القراد وهو ذبابة الخيل يستعار للرجل الضغير الجسم والالف العاجز لا يقوم لا لحرب ولا لضيف وراءه افزعه واهتاج تحيَّر تحيُّر الاحمق والاعزل من لا سلاح معه وهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره وهو اعزل.

(٧) المحيار المتحير وانتحت قصدت واعترضت والهوجل الرجل الطويل الذي فيه تسرُّع وحمق والعسيف الآخذ على غير طريق واليهماء الفلاة التي لا يهتدي فيها المطريق ولا يستطيع المارّ فيها دفع تحيره وهوجل هائل مخيف والفلاة التي لا اعلام بها.

اذا الَامعز الصَوّانُ لا قى مناسمي تـطايـرَ منــه قــادحٌ ومُفلّلُ(١)
واغدو على القوت الزهيـد كما غـدا أزَالُّ تهـاداهُ التنـائِـفُ أطحَـلُ(٢)
غدا طاوياً يُعارضُ الريحَ هافياً يخوتُ باذناب الشعاب ويعسلِ(٣)
فلمّا لواهُ القوتُ من حيثُ أمَّهُ دعـا فاجـابتـهُ نـظائرُ نُحَّـلُ(٤)
مُهَلْهَلَةٌ شيبُ الـوجـوهِ كـأَنَّها قِـداحٌ بكفَّيْ يـاسـرٍ تَتَقَلْقَـلُ(٥)
او الخشرمُ المبعوثُ حَثْحَثَ دَبْرَهُ محابيضُ أرداهنَّ سامٍ مُعسّلُ(٦)
مُهَـرَّتـةٌ فُـوهٌ كـأَنَّ شُـدوقَهـا شقوق العصىّ كالحاتٌ وبُسَّلُ(٧)

---

(١) الامعـز المكان الصلب الكثير الحصى والصوان الحجـارة الملس ومناسم جمع منسم وهـو خف البعير والقادح الذي يقدح ناراً والمفلل المكسر.

(٢) الازل الارسح اي القليل لحم الـوركين «صفـه للذئب المحذوف» والتنـائف جمع تنـوفـة وهي المفازة وتهاداه تهديه من تنوفة الى اخـرى واصلها تتهـاداه والاطحل الـذي لونـه بين الغبرة والبياض.

(٣) الـطاوي الجائـع والهافي الخفيف الشـديد العـدو ويخوت ينقضّ ويخـطف واذنـاب اواخـر والشعـاب الطريق في الجبـل ويعسل يمشي خبباً ويسرع يقـال عسل الـذئب اذا مـرّ مـرّاً سهلاً في استقامة.

(٤) لواه دفعه ومـطله وامّه قصـده ونحل جمـع ناحـل وهو الضـامر الجسم اراد لمـا امتنع عـلى هذا الذئب القوت عوى فاجابته ذئاب تشبهه ضامرة الجسوم مثله لجوعها .

(٥) مهلهلة خفيفة اللحم والياسر اللاعب بالميسر والقداح السهام وتتقلقل تتحرك.

(٦) الخشـرم رئيس النحل والمبعـوث المنبعث في السير وحثحث حضّ والـدبر جمـاعـة النحـل والمحابيض جمع محبـاض وهي عيدان تكـون مع مشتـار العسل يشير بها النحـل وارداهن اردأهن أي دعمهنّ وسـام مرتفـع عالٍ والمعَسـل طالب العسـل يريـد ان هذه الـذئـاب تشبه ايضاً رئيس نحـل منبعث في السير فحضت جمـاعته عيـدانٌ مكنها لهـا رجـل معسـل رقي الى موضع عالٍ.

(٧) مهرتة مشقوقة الفم شقاً واسعاً صفة للذئاب وفـوه مفتوحـة الفم مفردهـا افوه والشـدوق جمع شَدق وهو جانب الفم وكالحات عـابسات وبَسـل جمع بـاسل وهـو الشجاع الكـريه المرأى.

وليلة نحس يصطلي القوس ربُّها ... واقطَعَهُ اللاتي بها يَتنبَّلُ[1]
دعَستُ على غَطْشٍ وبغَشٍ وصحبتي ... سُعارٌ وأرزيزٌ ووَجْرٌ وأفكَلُ[2]
فأيَّمتُ نِسواناً وأيتمتُ ولده ... وعُدتُ كما أبدأتُ والليلُ أَلْيَلُ[3]
ويومٍ من الشِعرى يذوبُ لُعابُهُ ... افاعيهِ في رِمضائهِ تتململُ[4]
نصبتُ لهُ وجهي ولاكِنَّ دونَهُ ... ولا ستَرَ إلاَّ الأتحَميُّ المُرَعْبَلُ[5]
وضافٍ اذا هبَّت له الريحُ طيَّرت ... لبائِدَ عن أعطافهِ ما تُرجَّلُ[6]
بعيدٌ بمسِّ الدهن والفَلْيِ عهدُه ... لُه عَبَسٌ عافٍ من الغسلِ مُحْوِلُ[7]

في لامية الشنفري تظهر لنا مشكلة من المشاكل الإنسانية التي عاناها الفرد في المجتمع القبلي الجاهلي، وبصورة خاصة أولئك المستضعفين من أبناء القبيلة الذين يعجزون عن مواكبة طموحات القبيلة فيرفضهم مجتمع تلك القبيلة فيصبحون في حيرة من أمرهم، فهم أما عليهم أن يلجأوا الى قبيلة أخرى يحتمون بها وغالباً ما يعامل في انتمائه الجديد معاملة العبيد أو اللجوء الى الصحراء للتخلص من هذا الإنتماء وهذا ما فعله الشنفرى

---

(١) النحس ضد السعد والمراد هنا البرد واقطع جمع قطع بالكسر وهو نصل قصير عريض السهم وتنبله اتخذه نبلاً ليرمي به.

(٢) الغطش الظلمة والبغش المطر الخفيف وسعار حرّ الجوع والارزيز البَرَدَ الصغير والوجر الخوف والافكل الرعدة.

(٣) ايمت نسواناً تركتهنّ بلا أزواج والليل الأليل الشديد الظلام.

(٤) الشعرى كوكب في الجوزاء واللعاب ما تراه في شدة الحر مثل نسيج العنكبوت على الارض الحارة من وقع الشمس وتتململ تتقلب.

(٥) نصبت اظهرت والكنّ الستر والأتحمي ضرب من الاثواب والمرعبل الممزق.

(٦) ضافٍ طويل سابغ عنى به شعره واللبائد جمع لبيدة وهي ما تلّبد من الشعر والاعطاف والجوانب وترجّل تسرح وتمشط.

(٧) الدهن الزيت او ما اشبهه والفلي الافتلاء والعبس ما تعلق باذناب الابل من ابعارها وابوالها يجف عليها وعافٍ طويل ومحول مرّ عليه العام.

ولكن اللجوء الى الصحراء يتطلب استعداداً نفسياً ، أولاً ولياقة جسدية قوية جداً ثانياً ، وذلك لأنه سيجابه الحيوانات المفترسة في تلك الصحراء ، وسيعتمد على قوة رجليه في صيده لحيوانات تلك الصحراء.وهذه اللوحات من الوصف للصحراء وما فيها نجدها ماثلة في لامية الشنفري ، ففي هذه اللوحات نرى صوراً للجبال المرتفعة والشديدة الانحدار والتي يكثر فيها الحصى ، ثم نجد صوراً للذئب الجائع ، وعوائه ثم تجمع الذئاب بقيادة واحد منها ، هذه المشاهد تثير الرعب في النفس ، وتبين المعاناة النفسية التي يعاينها مثل اولئك الصعاليك المنبوذين

عروة بن الورد (٥٩٦م)

ينتهي نسب عروة الى قبيلة عبس، فهو عروة بن الورد بن زيد(*). فهو من اشراف قبيلته، ولكن أباه كانت عبس تتشاءم به، لأنه هو الذي أوقع الحرب بينها وبين فزارة بمراهنته حذيفة(**)

أما أمه فقد كانت من قبيلة أخرى هي قبيلة نهد، كما كان لعروة أخ أكبر منه سناً كان يؤثره أبوه عليه فيما يعطيه ويقربه، ومعنى هذا أن عروة تفتحت عيناه في الحياة على صورة مختلفة التوازن من صورها، وهكذا بدأت براعم فلسفة عروة الإجتماعية والإقتصادية في الظهور في هذه السن المبكرة.

وما إن تتقدم الأيّام بعروة حتى تتفتح هذه البراعم عن فلسفة ناضجة يؤمن بها كل الإيمان ثم يأخذ في تنفيذها والدعوة إليها بكل قوة وحماسة، ومن الطبيعي أن تجد دعوته آذاناً صاغية، وقلوباً مؤمنة، وأنصاراً مخلصين بين أولئك الفقراء المستضعفين الذين أجهدهم الفقر وأهزلهم الجوع، وأذلتهم الأوضاع الإجتماعية، وسدت الحياة في وجوههم سبل العيش الحر الكريم، فالتفت حوله طوائف الصعاليك، يخرج بأقويائهم فيغير، ثم يوزع الغنائم على من أغار بهم، وعلى من تخلف عنه من المرض والضعفاء أيضاً، فربما عاد كل منهم الى أهله وقد استغنى(***)

(*) الأغاني جـ ٣ ص ٧٣.

(**) المصدر نفسه ص ٨٨

(***) المصدر نفسه ص ٧٨ ـ ٧٩.

وقد عرف الصعاليك في عروة هذه النفس الإنسانية القوية فكانوا إذا أصابتهم السنة أتوه « فجلسوا أمام بيته حتى إذا بصروا به صرخواوقالوا: يا أبا الصعاليك، أغثنا » فيخرج ليغزو بهم(*).

وما الغاية التي يريد أن يصل إليها ـ بطبيعة الحال ـ من وراء غزوة هي الغنى، ولكنه لا يريد الغنى من حيث هو غاية يقف عندها. وإنما يريده ليكون وسيلة للإرتفاع بمنزلته الإجتماعية بين أفراد مجتمعه، من حيث أنه يهيء له الفرصة التي يشارك فيها السادة الأغنياء في البذل والكرم واكتساب المحامد والمفاخر.

دعيني أطوفْ في البلاد لعلني ... أفيد غنى فيه لذي الحق محملُ
أليس عظيماً أن تلِمّ ملمـةٌ ... وليس علينا في الحقوق معوّلُ
فإن نحن لم نملك دفاعاً بحادث ... تَلِمّ بِهِ الأيّام فالموت أَجْمَلُ(**)

ويعلل عروة لمغامراته بكثرة أضيافه وقلة ماله، فماذا يفعل سوى أن يغامر ويرضي نفسه الطموح

يريحُ عليّ الليل أضياف ماجد ... كريم، ومالي سارحاً مالُ مُقْتَرِ(***)

ثم هو يتسائل كيف يرضى أن يرى الفقراء يموتون من الجوع وهو لا يتحرك ساكناً لإنقاذهم.

أيهلك معتمٌ وزيدٌ ولم أقم ... على نَدَب يوماً ولي نفسٌ مخطرُ(****)

(*) المصدر نفسه ص ٨١.
(* *) ديوانه ص ٢٠٦.
(* * *) ديوانه ص ٨٥.
(* * * *) ديوانه ص ٨٣.

(٥٥٠)

المُتَلَمِّسُ

هو جرير بنُ عبد المسيح الضبعيُّ الملقب بالمتلمس لقولهِ في وصف الارض في اوان خصبها وزخرفها:

وهـذا اوانُ العَـرضِ ذُبـابُـهُ زنـابيـرُهُ والازرقُ المـتـلمِّسُ(١)

والمتلمس خال طرفة صاحب المعلقة الثالثة وكان كلاهما ينادمان عمرو بن هند وقد مرَّ خبر الكتاب الذي سلمه لكلٍّ منهما وما كان من امرهما. ولمّا بلغة ما في صحيفته رماها في نهر الحيرة وقال:

قذفتُ بها في اليَمِّ من جنبِ كافرٍ كذلك أُلقي كلَّ رأيٍ مضلّلِ(٢)

رضيت لهـا بـالمـاءِ لَمَّا رأيتُهـا يجول عليها الموتُ في كلِّ جَدْوَلِ(٣)

وبلغه خبر طرفة فقال:

عصاني فما لاقى الـرَشادَ وانّمـا تبيَّن من امرِ الغويِّ عواقبُهْ(٤)

---

(١) العـرض وادٍ باليمـامة وطنّ صـوّت والزنـابير بـدل من ذباب والازرق ذو اللون الازرق لضرب من الذباب والمتلمس المتطلّب الشيء مرة بعد اخرى.

(٢) اليم البحر ومعظم الماء والمضلل القائد الى الضلال.

(٣) الجدول النهر الصغير استعاره للسطر.

(٤) الرشاد الهداية والغوي الضال الهالك.

فاصبح محمولاً على آلـة الردى تمجّ نجيعَ الخوفِ منه ترائبُهْ(١)

وقال راداً على عمرو بن هند وكان قد عيَّره بأمِّه واكثر هذه الابيات جرت مجرى الأمثال:

يعيّـرُني أُمّي رجـالٌ ولا ارى اخـا كرمٍ الاّ بـأن يتكرَّمـا(٢)
ومن كان ذا عِرضٍ كريمٍ ولم يصُنْ لهُ حَسَباً كان اللئيمَ المُذمَّمَـا(٣)
أَحـارِثُ إنَّا لـو تُساطُ دمـاؤُنا تزايلْنَ حتى لا تَمَسُّ دمٌ دما(٤)
وإنَّ نصابي ان سألت وأُسـرتي من الناسِ قومٌ يقتنون المزنّما(٥)
وكنّـا اذا الجبـارُ صعَّـر خـدَّهُ اقمنـا لـهُ من مَيْلِهِ فتقـوَّمَـا(٦)
لذي الحِلمِ قبل اليوم ما تُقرعُ العصا وما عُلِّمِ الانسانُ الاّ ليعلما(٧)
ولو غيرُ اخوالي ارادوا نقيصتي جعلتُ لهم فوقَ العرانين ميسَما(٨)

---

(١) آلـة الردى النعش وتمـج ترمي والنجيـع من الدم مـا كان مـائلاً الى السـواد وترائبـه جمع تريبة وهي العظمة من الصدر.

(٢) تكـرم الكرم يـريد ان الكـريم هو من يكلف نفسـه افعـال الكـرم لا المنتسب الى ابـوين كريمين وقوله يعيرني امي على نزع الخافض والاصل يعيرني بأمي.

(٣) الحسب ما يعد من مفاخر الاباء واللئيم الدني الاصل.

(٤) حارث احد ندماء عمرو بن هند اتهم المتلمس بغموض النسب وتساط تخلط.

(٥) النصـاب الاصل وأسـرتي عشيـرتي والمزنم ذو الـزنمـة وهي شيء يقـطع من اذن البعـير ويترك معلقاً ولا يفعل ذلك الا بكرام الابل.

(٦) الجبار القاهر والمتكبر وصعر خده اماله عن النظر الى الناس تهاونا وكبراً اعتدل.

(٧) مـا في الشطر الاول مصـدريـة او زائـدة في هـذا البيت تضمـين لمثـل مشهـور وهـو «ان العصا قرعت لذي الحلم» واصله ان عامر بن الظرب العدواني من حكام العرب عاش حتى خرف فقال لبعض ولـدهِ اذا انكرت من فهمي شيئاً عند الحكم فـاقرع عـلى المجنّ بالعصا لارتدع فكان ابنه بنبهه للصواب بقرع العصا.

(٨) نقيصتي الوقيعة بي والعرانين جمع عرنـين وهو الانف او مـا صلب منه والميسم اثـر الوسم الحديدة التي يوسم بها كنى بذلك عن الاذلال.

وهل لي أُمٌ غيرُها ان تركتها		أبى اللهُ إلاّ أنْ اكونَ لها آبنَما[1]
وما كنتُ الاّ مثلَ قاطعِ كفِّهِ		بكفٍّ له أخرى فاصبح أجذما[2]
يداه أصابت هـذه حتفَ هذه		فلم تَجِدِ الاخرى عليها تقدُّمـا
فلمّا استقادَ الكفَّ بالكفّ لم يَجِدْ		لهُ دَرَكاً في أن تبينا فأحجما[3]
فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى		مساغاً لنابيه الشجـاعُ لصمَّما[4]
اذا لم يزل حبلُ القرينَيْنِ يلتوي		فلا بُدَّ يوماً من قُوًى ان تُجَذَّمَا[5]

ومن قوله:

ولن يُقيمَ على خسفٍ يُسامُ به		الا الأذَلاّنِ عَيْرُ الحَيِّ والوتُد[6]
هذا على الخسفِ مربوطٌ برمتِّهِ		وذا يُشَجُّ فما يرثي له احدُ[7]

---

(١) ابنم لغة في ابن والاستفهام انكاري يريد ليس لي ام غيرها ويأبى الله الا ان اكون لها ابناً فلا يمكنني ان اتركها.

(٢) الأجذم المقطوع اليد.

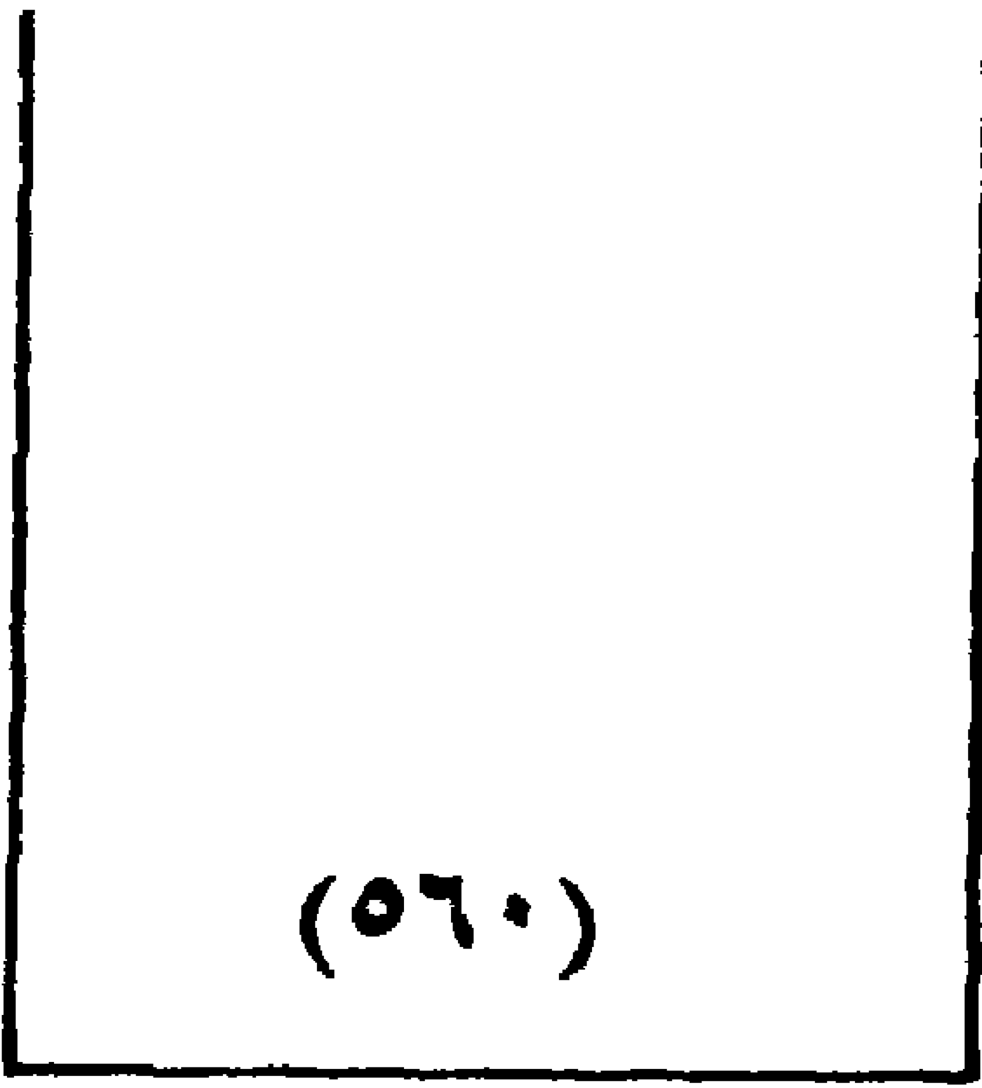
(٣) استقاد القاتل بالقتيل طلب قتله به والدرك اللحاق وادراك الحاجة وتبينا تنفصلا واحجم كفّ.

(٤) مساغاً مجازاً وصمم عضّ ومضى في العظم والشجاع الحية.

(٥) القرينين مثنى قرين وهو البعير يقرن الحبل طاقاته وتجذم تقطع.

(٦) خسف ذل ويسام يكلف والعير الحمار.

(٧) الرمة قطعة الحبل ويشج يجرح.



(٥٦٠)

أَلسَمَوْءَل

هو ابو شريح السموءل بن عادياء من يهود يثرب كان شاعراً فصيحاً مقدَّماً وجواداً عالي الهمة سريع النجدة شريف القول والفعل وهو صاحب الحصن المعروف بالأَبْلق[1] بتيماء وكانت العرب تنزل به فيضيفها وتمتار[2] من حصنه وتقيم هناك سوقاً. ومن قوله في حصنه:

بنى لي عاديا حصناً منيعاً ... وماءً كلما شئت استقيتُ

واوصى عاديا يوماً بأن لا ... تهدّمْ يا سموألُ ما بنيتُ

ونزل امرؤ القيس بالسموءل وكان قاصداً قيصر بالقسطنطينيَّة فاودع عنده ادراعاً كان ملوك كندة يتوارثونها ملك عن ملك ورحل في وجهته وجاء الحارث بن ابي شمر الغسَّاني من قبل المنذر ليأخذ منهُ مال امرىء القيس فتحصن منهُ السموءل وابى تسليم الدروع فقبض الحارث على ابنٍ للسموأل كان خرج الى قنصٍ[3] لهُ ونادى بالسموأل «أتعرف هذا» قال«نعم هذا آبني» قال «افتسلم

(١) الابلق كان مشرفاً على تيماء بين الحجاز الشام على رابية من تراب فيه آثار ابنية من لبن ويقال له ايضاً الابلق الفرد وسمي الأبلق لانه كان مبنياً بحجارة سود وبيض.

(٢) تمتار: تتخذ الميرة وهي المؤونة.

(٣) صيد.

ما قبلَكَ أَم اقتلهُ» قال «شأنك بهِ فلست أُخفر[1] ذمتي» فضرب الحارث وسط الغلام فقطعهُ شرطين وانصرف فقال السموءَل:

وَفيت بـأَدرُعِ الكِنـديِّ إني ... اذا مـا ذُمَّ اقـوامٌ وفـيـتُ

فضُرب بهِ المثل في الوفاء. ومن شعره الدالّ على كرم اخلاقهِ وشهامته قولهُ مفتخراً:

اذا المرءُ لم يدنَسْ من اللُؤمِ عِرضُهُ ... فكـلُّ رداءٍ يـرتـديهِ جميـلُ[2]
وإن هو لم يحمل على النفسِ ضَيْمهَا ... فليسَ الى حُسنِ الثناءِ سبيلُ[3]
تُعَيِّرُنا أَنّـا قليـلٌ عـديـدُنـا ... فقلتُ لهـا ان الكِرام قليـلُ[4]
ومـا ضرّنـا أَنا قليـلٌ وجـارُنـا ... عزيزٌ وجارُ الاكثرينَ ذليلُ
لنـاجبـلٌ يحتلُّهُ مـن نُجيـرُهُ ... منيعٌ يردُّ الطَرفَ وهْو كليلُ[5]
رسا اصلهُ تحت الثرى وسما بهِ ... الى النجم فرعٌ لا يُنالُ طويلُ[6]
وإنّا لقومٌ لا نرى القتل سُبَّةً ... اذا مـا رأتهُ عـامرٌ وسَلولُ[7]
يقرِّبُ حبُّ الموتِ آجالَنا لنـا ... وتكـرهـهُ آجـالهم فتـطولُ[8]

---

(١) انقض.

(٢) العرض موضع المدح والذم من الانسان ومعنى البيت اذا سلم العرض من اللوم جمل على صاحبه كل ثوب لبسه.

(٣) الضيم الظلم والثناء المدح والمعنى او لم يكلف نفسه الصبر على المكاره فليس اهلا للمدح

(٤) قليل يوصف بها المفرد والجمع ومثلها كثير.

(٥) اراد بالجبل الحصن المذكور انفاً ويحتله ينزل به ومنيع حصين وكليل ضعيف.

(٦) رسا ثبت وسما ارتفع والفرع من كل شيء اعلاه.

(٧) السبة والسباب والشتيمة وعامر هو ابن صعصعة وبنو سلول هم بنو مرة بن صعصعة وكلتا القبيلتين من قيس عيلان وفي البيت استطراد من مدح قومه الى هجاء هاتين القبيلتين.

(٨) يريد ان قومه يحبون القتال لشجاعتهم فيقتلون وعامر وسلول يطول عمرهم لمجانبتهم القتال جبناً وخوفاً..

تسيلُ على حدّ الظُباتِ نفوسُنا وليست على غيرِ الظباتِ تسيلُ[١]
ونُنكر إن شئنا على الناسِ قولَهم ولا يُنكرون القولَ حينَ نقولُ
اذا سيّدٌ منا خلا قام سيّدٌ قؤولٌ لما قال الكرام فَعولُ[٢]
وما أُخمدت نارٌ لنا دونَ طارقٍ ولا ذمَّنا في النازلين نزيلُ[٣]
وايّامنا مشهورةٌ في عدونا لها غُررٌ معلومةٌ وحجولُ[٤]
وأسيافنا في كل شرقٍ ومغربٍ بها من قراعِ الدارعين فُلولُ[٥]
سلي ان جهلتِ الناس عنا وعنهُمُ فليسْ سواءً عالمٌ وجهولُ[٦]

كلما ذكر الوفاء والمروءة في مجلس ذكرالسموءل بن عادياء، فقد اصبحت قصته مع امرىء القيس سيرة من السير التي تحكى في كل منتدىً شعبياً كان أم أدبياً، كيف لا والانسان بطبعه جبل على محبة الصفات الحميدة والمآثر الموروثة دون الاهتمام او النظر الى الانتماء الذي ينتمي إليه صاحب مثل هذه الاعمال. فالسموءل يهودي ولكن من النوعِ الذي عرف معطيات السماء وما تطلبه من الانسان المنتمي إليها ليكون فرداً مثالياً، فجاء السموءل على مثل هذه الصفات إنه في قصيدته اللامية يبين لنا كيف يجب أن تكون الحياة الحقة النقية الواضحة المعالم فجاءت أقواله وفي اغلبها حكماً تتداولها الألسن وتثني عليها الضمائر. ويمكن تقسيم قصيدة السموءل الى ثلاثة أقسام، ففي

---

(١) الظبات جمع ظبة وهي حد السيف والنفوس بمعنى الدماء.

(٢) خلا مضى وقؤول فصيح لسن وفعول عامل لما يقول.

(٣) الطارق الآتي القوم ليلاً.

(٤) ايّامنا اي وقعاتنا مشهورة في اعدائنا فهي بين الايام كالافراس الغر المحجلة بين الخيل.

(٥) الدراع لابس الدرع والقراع الضرب والمقاتلة وفلول جمع فل وهو الكسر في حد السيف.

(٦) يريد سلي الناس عنا وعنهم ان كنت جاهلة فتحسني ظنك بنا لان العالم ليس كالجاهل في حكمه بالاشياء.

الأبيات الأربعة الأول يتحدث الشاعر بأسلوب الحكيم المجرب فجرت هذه الأبيات مجرى الامثال. وفي وسط القصيدة يفتخر بمحاسن قومه، وهكذا تترابط أجزاء القصيدة لتخرج مخرجاً فيه الحكمة أيضاً والمثل الصحيح «ليس سواء عالم وجهول».

(٥٧٠)

أَلْمُهَلْهِل

هو ابو ليلى عديُّ بن ربيعة التغلبيُّ الملقب بالمُهَلْهِل وهو اول من قصّد(١) القصائد وعنه اخذ ابن اخته امرؤ القيس صناعة الشعر ففاق فيها وبرَّز(٢) وكان المهلهل اصبح(٣) اهل زمانه وجهاً وافصحهم لساناً منكباً على اللهو ومعاقرة الخمر لا يكاد يهتم بما سوى ملاذّه حتى قُتل اخوه كليب فعظم عليه المصاب واخذ يبكيه. ويندبه بالاشعار ويتوعد بني مُرّة وكان القاتل منهم الا انه لما طال اجتزاؤه(٤) بالتهدد والتوعد يئس قومه من نجدتهِ وإيثاره لأخيه وقالوا انه زير(٥) نساء. وسخرت منه بكروهُم بنو مرة بالرجوع الى الحِمَى(٦) وبلغ ذلك المهلهل فآلمهُ ما يتحدَّث به عنه وهبَّ للكفاح والقتال وطلبِ الانتقام لكليب وانتشبت بين بكر وتغلب حرب هائلة دامت على ما يقال اربعين سنة الى ان اصلح بينهم عمرو بن هند كما مرت الاشارة الى ذلك في ترجَمتَيْ عمرو بن كلثوم التغلبي والحارث بن حلزة البكري وهذه الحرب هي التي تعرف بحرب البسوس

---

(١) قصد هذّب وجوّد.

(٢) غلب.

(٣) اجمل.

(٤) اكتفاؤه.

(٥) الذي يحب محادثة النساء

(٦) عزموا على العودة الى مساكنهم والحمى الموضع ينزله القوم فيحمونه عمن سواهم.

وملخص الخبر عن قتل كُليب ونشوب حرب البسوس إنّ كليباً لما نادت به قبائل مَعَدٍّ ملكاً ودانت لهُ الرقاب داخلهُ من ذلك زهوٌ شديد واستفزّهُ[1] العجب الى بغيٍ فادح[2] وبلغ من استبدادهِ ان يحمي مواقع الغيث[3] فلا يرعى ويقول «وحش ارض كذا في جواري فلا يهاج وصيد ناحية كذا في جواري فلا يصيد أحد منه شيئاً . . . الى غير ذلك من الاقوال والافعال التي لا تصدر الاّ ممَّنْ مسّهُ جنون الطغيان[4] وغشى بصيرتهُ شيطان الكبرياء.

وكانت جليلة امرأة كليب من بني مرة ولها عشرة اخوة منهم جَسَّاس وهو اصغرهم فنزلت عليه يوماً خالة لهُ اسمها البسوس بنت منقذٍ ونزل بالبسوس رجلٌ من بني جَرْم يدعى سعداً ومعهُ ناقة خوَّارة[5] يتبعها فصيلها[6] فرعت ناقة الجرميّ مع ابل جساس وكانت ابلهُ وابل كليب مختلطة. فرآها كليب فانكرها ورماها بسهم خرق ضرعها ثم قتل فصيلها فولّت الناقة تعجّ حتى بركت بفناء[7] صاحبها فلما رآها صرخ بالذل وسمعتهُ البسوس فخرجت وأبصرت ما كان فصكّت[8] وجهها وصاحت «واذلاّه . . . واجوار جساس واجوار مرة . . .» ثم انشدت:

لعمريَ لو أصبحتُ في دار مُنقذٍ ... لما ضيم سعدٌ وهو جارٌ لا ياتي
ولكنني اصبحتُ في دار غربةٍ ... متى يعْدُ فيها الذئب يعدُ على شاتي[9]
فيا سعدُ لا تغررْ بنفسك وارتحلْ ... فانك في قوم عن الجار اموات
ودونك أذوادي اليك فانني ... محاذِرةٌ ان يغدروا بُبنيَّاتي[10]

---

(١) استخفه.
(٢) ظلم ثقيل.
(٣) المطر
(٤) الظلم.
(٥) غزيرة اللبن.
(٦) ولدها.
(٧) ساحة.
(٨) لطمت.
(٩) عدا عليه سطا والشاة النعجة تريد ان ليس احدٌ يدافع عن حقوقها في جوار جسَّاس ابن اختها.
(١٠) أذواد جمع ذود وهي من النوق ما فوق الاثنتين ودون العشرة وقيل الثلاثين ودونك اسم فعل بمعنى خذ ومحاذرة خائفة.

ولا أرى فاعلاً في الناس يشبههُ ولا أُحاشي من الاقوام من احدِ[١]
الاّ سليمان اذ قال الالٰـهُ لهُ قم في البريَّة فاحدُدْها عن الفَنَد[٢]
وخيِّسِ الجنَّ إني قد اذنتُ لهم يبنون تدمُرَ بالصُّفاحِ والعَمَدِ[٣]

ومنها يعتذر:

أُنبئتُ ان أبا قابـوس أو عدني ولا قرارٌ على زأر من الاسدِ[٤]
مهلاً فداءٌ لـك الاقوامُ كلُّهمُ وما أُثمِّرُ من مالٍ ومن ولدِ[٥]
لا تقـذفّني بِرُكْنٍ لا كِفـاءَ لهُ وان تـأَثَّفك الاعـداءُ بالـرِفَد[٦]

وله ايضاً في الاعتذار:

اتـاني أَبَيْتَ اللعنَ أنـك لُمتَني وتلك التي تستكُّ منها المسامعُ[٧]
اتـاك امـرؤمستبـطنٌ ليَ بُغضـةً لهُ من عدو مثلُ ذلك شافع[٨]
اتاك بقولٍ هَلهَل النسجِ كاذب ولم يَأْتِ بالحقّ الذي هو ناصعُ[٩]
اتــاك بقـولٍ لم أكن لأَقــولَـهُ ولو كُبِّلَتْ في ساعديَّ الجوامعُ[١٠]

---

(١) احاشي استثني ومن زائدة واحد مجرور لفظاً منصوب محلاً لانه مفعول استثنى.

(٢) البرية الخلق واحددها احبسها والفند الخطأ في الرأي والقول.

(٣) خيّس ذلـل وتدمـر بلد بالشـام والصفـاح حجـارة عـراض رقـاق والعمـد من السـواري الرخام.

(٤) ابا قابوس النعمان بن المنذر وأوعدني هددني وزأر الاسد صوته.

(٥) مهلاً اصبر وأثمر اجمع.

(٦) الركن الامر العـظيم ووكفاء نـظير وتأثّفـك الاعداء احتـوشوك فصـاروا حولـك كالأثـافي والرفد جمع رفدة وهي الجماعة.

(٧) تستك تضيق والمسامع الاذان.

(٨) مستبطن مضمر: يقول اتاك رجل من اعدائي معه آخر مثله يقول بقوله.

(٩) هلهل النسج رقيقه وناصع واضح.

(١٠) كبّل قيد والساعد والجوامع الاغلال مفردها جامعة.

حلفتُ فلم أتركْ لنفسِكَ ريبةً ... وهل يأْثمَنْ ذو أُمَّةٍ وهو طائعُ[1]
لَكلَّفتَني ذنبَ امرىءٍ وتركتَـهُ ... كذي العُرِّ يكوى غيرهُ وهو راتعُ[2]
فان كنت لاذو الضِغنِ عني مكذِّبٌ ... ولا حَلِفي على البراءَةِ نافعُ[3]
فإنّك كالليل الذي هو مُدركي ... وان خلتُ أن المنتأى عنكَ واسعُ[4]

وله في المعنى نفسه وذكر حسن وفادته عند الغسانيين:

حلفتُ فلم اترك لنفسِك ريبةً ... وليس وراءَ الله للمرءِ مذهبُ[5]
لئن كنتَ قد بُلّغتَ عني خيانةً ... لُمبلِغُك الواشي أَغشُّ وأكذبُ[6]
ولكنني كنت امـرأً لي جـانبٌ ... من الأرض فيه مستزادٌ ومذهبُ[7]
ملوكٌ واخـوانٌ اذا مـا اتيتُهم ... أُحكمَّ في امـوالهم وأُقَّـربُ[8]
الم تـرَ أن الله اعطاك سَـورةً ... ترى كلّ ملْكٍ دونها يتذبذبُ[9]
فـانـك شمسٌ والملوك كـواكبٌ ... اذا طلعَتْ لم يبدُ منهنّ كوكبُ[10]

واعتذارات النابغة كثير شهيرة يضرب بها المثل. ووصله من ممدوحيه مال وافر وعطايا جزيلة حتى كان يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب.

---

(١) الريبة الشك والامة النعمة ومراده ذو الدين.

(٢) العرّ قروح تخرج في اعناق الفصلان فيكوى بعير مُسنّ ليبرأ الفصيل ذو العرّ وهو من خرافات العرب.

(٣) الضغن اضمار البعض وحلفي قسمي.

(٤) المنتأي البعد. (٥) الريبة الشك.

(٦) الواشي الذي يزين الكذب.

(٧) لي جانب اي متسع من الارض عنى بذلك نزله عند الغسانيين على السعة والمستراد المكان الذي يذهب فيه ويجاء.

(٨) ملوك خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم أي الغسّانيون.

(٩) سورة سطوة ويتذبذب يضطرب.

(١٠) يبدو يظهر ومعناه: اذا ظهرت غمرت الملوك كما يغمر ضوء الشمس الكواكب.

وكان شعراء زمانه يقّرون لهُ بالفضل التقدم وتُضرب له قبة من أَدَم[1] بسوق عكاظ وتأتيهِ الشعراء فتعرض عليهِ اشعارها ويحكم فيها.

(١) جلد

حاتم (٦٠٥)

هو ابو سَفَّانة حاتم بن عبد الله الطائي كان شاعراً مجيداً وجواداً شهيراً يُضرب به المثل في الجود وقد بلغ في البذل والسخاء الغاية القصوى. توفّي ابوه وهو صغيرٌ فكان في حجر جده سعد بن الحشرج. وأخذ من صغره في العطاء فكان يخرج طعامهُ فإن وجد من يأكلهُ معهُ والاطرحهُ. وجعلهُ جدهُ في رعاية الابل وكانت ثلاثمئة فقدم عليه ثلاث رجال فنحر لهم ثلاثةً من الابل وفرّق عليهم ما بقي فأصاب الرجل تسعة وتسعين بعيراً وكان اولئك الثلاثة عبيد بن الابرص وبشر بن ابي خازم والنابغة الذبياني فقالوا فيه اشعاراً وذكروا فضلهُ. الّا ان جده اكبر الأمر واشتدّ غيظهُ فخرج بقومهِ وترك حاتماً ومعهُ جارية لهُ وفرسهُ وفلوها[1] فقال:

وما ضرَّني ان سار سعدٌ بأهلهِ ... وأفردني في الدار ليس معي اهلي
سيكفي ابتناءُ المجد سعدَ بن حشرجٍ ... واحمل عنكم كلَّ ما ضاع من نَفَلِ[2]
ولي معَ بذلِ المال في المجدِ صَولةٌ ... اذا الحربُ ابدت عن نواجذها العُضلِ[3]

---

(١) الفلو المهر اذا فطم او بلغ السنة.

(٢) النفل ما يُفعل مما لم يجب.

(٣) الصولة القدرة والنواجذ الاضراس او الانياب والعصل جمع اعصل وهو الاعوج معناه اذا اشتدت الحرب.

وكان اذا اهلّ الشهر الاصمُّ وهو شهر رجب وكانت مضر تعظمهُ في الجاهلية ينحر في كل يوم عشراً من الابل فيطعم الناس واذا جنَّ[1] الليل اوعز الى غلامه[2] ان يوقد النار في يفاع[3] من الارض لينظر اليها من أضلّهُ الطريق فيأوي الى منزله ويقول:

أوقـدْ فإن الليـل ليـلٌ قَـرُّ والريحُ يا موقـدُ ريح صِـرُّ[4]
عسى يـرى نـارَك مـن يمـرُّ ان جلبَتْ ضيفاً فـانت حـرُّ

ومن قوله يخاطب امرأته:

مهـلاً نوارُ أقـلّي اللومَ والعذلا ولا تقولي لشيءٍ فات ما فُعلا[5]
ولا تقـولي لمـالٍ كنت مهلكَـهُ مهلاً وان كنتُ أُعطي الجنَّ والجُبُلا[6]
يرى البخيل سبيل المال واحدةً ان الجواد يرى في ماله سُبُلا[7]

ومن قوله:

يا ابنة عبـد الله وابنة مـالكٍ ويا ابنةَ ذي البُردَيْن والفرسِ الوَردِ[8]
اذا ما صنعتِ الزادَ فالتمسي لهُ اكيلاً فاني لست آكلهُ وحدي[9]
أخاً طارقاً او جارَ بيتٍ فانني اخاف مذمَّاتِ الحديث من بعدي[10]
واني لَعبدُ الضيف ما دام ثاوياً وما فيَّ الا تلك من شيمة العبد[11]

وأخبار حاتم في السخاء والكرم لا تكاد تحصى وكان يشبه شعرة جودهُ

---

(١) اظلم. (٢) أمره.

(٣) تلّ. (٤) ليل قرّليل بارد وريح صر شديدة الصوت والبرد.

(٥) نوار اسم امرأته والعذل اللوم.

(٦) الجن خلاف الانس والملائكة والشياطين والجُبُل الجماعة من الناس ويروى البحر والجبلا اي مالاً يوازن ماء البحر وثقل الجبل.

(٧) الجواد الكريم اي ان البخيل لا يرى ما يفعل بالمال الا اذّ خاره اما الكريم فيفرقه على المستجدين وطالبي الاحسان وعلى نفسه وبنيه.

(٨) البردان مثنى برد وهو ثوب مخطط وذو البردين لقب عامر بن أحيمر كساه النعمان بردين امام وفود العرب دلالة على عزته والورد من الخيل ما كان احمر اللون الى صفرة

(٩) الا كيل المؤاكل. (١٠) الطارق المستضيف.

(١١) ثاوياً مقيماً والشيمة الطبيعة والخلق.

أميَّةُ بنُ أبي الصَّلْت

(٦٣٠)

هو ابو عمرو أُميَّة بن ابي الصلت الثقفي من الشعراء المشهورين نظر في الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبُّداً وشك في الاوثان وحرّم الخمر وكان على دين الحنيفيَّة وهو دين قوم من العرب يقولون انهم لا يزالون على مذهب ابراهيم الخليل وهو القائل:

كلُّ دينٍ يومَ القيامةِ عندَ اللّـ ـهِ الاّ دينَ الحنيفيـةِ زورُ(١)

وانفرد في شعره بألفاظ كثيرة غريبة لا تعرفها العرب فكان يسمّي الله عزَّ وجلّ «السلطيط» و«التغرور» ويسمي السماء «صاقورة وحاقورة» وجعل للقمر غلافاً سمّاه «الساهور» ومن شعره قوله معاتباً ابناً عاقاً:

غذوتُك مولوداً وعُلتكَ يافعاً تُعَلُّ بما أُدني اليك وتُنهَلُ(٢)
اذا ليلةٌ نابتك بالشكوِ لم أبِتْ لشكواك الاّ ساهراً أتململُ(٣)
كأني انا المطروقُ دونَك بالذي طُرِقتَ به دوني وعينكَ تهمُلُ(٤)

---

(١) الزور الكذب.

(٢) اليافع الغلام اذا ترعرع وناهز البلوغ قبل سنّ العشرين تعلّ تسقى المرّة بعد المرة وتنهل تشرب اول الشرب.

(٣) نابتك اصابتك والتململ انقلب مرضاً وغمّاً.

(٤) المطروق المصاب وتهمل تصب الدموع.

تخافِ الردى نفسي عليك وإنها لَتعلم ان الموتَ حتمٌ مؤجَّلُ[1]
فلما بلغت السنّ والغايةَ التي إليها مدى ما كنتُ فيك أؤمِّلُ
جعلت أزائي منك جبهاً وغلظةً كأنّك أنت المنعم المتفضلُ[2]
فليتك اذ لم ترع حقَّ أُبوَّتي فعلت كما الجارُ المجاورُ يفعلُ[3]
وسمَّيتنى بـاسمِ المفنَّـدِ رأيَـهُ وفي رأْيك التفنيدُ لو كنتَ تعقلُ[4]
تـراهُ مُعِدّاً للخـلاف كـأنّـهُ بردٌّ على اهل الصوابِ موكَّلُ[5]

الّا أَن معظم المأثور من شعرهِ في الكلمات الالهية والمعاني الدينية ومن ذلك قوله:

لك الحمدُ والنعماءُ والملك ربَّنا فلاشيْءَ أعلى منك مجداً وأَمجدُ[6]
مليكٌ على عرش السما مُهَيمِنٌ لعِزَّتهِ تعنـو الوجـوهُ وتسجدُ[7]
عليه حجابُ النورِ والنورُ حولهُ وانهارُ نـورٍ حـولـهُ تتـوقَّـدُ
فـلا بصرٌ يسمـو اليـه بـطرفـهِ ودونَ حجابِ النور خلقٌ مؤيَّدُ[8]
مـلائكـةٌ لا يفتـرون عبـادةً كَـروبيَّةٌ منهم ركـوعٌ وسُجَّـدُ[9]
فساجدهم لا يرفعُ الدهرَ رأسَهُ يـعـظِّمُ ربّـاً فـوقَـهُ ويمجِّـدُ
وراكعُهم يحنو لهُ الدهرَ خاشعاً يـردِّدُ آلاءَ الالـهِ ويحـمَـدُ[10]

وله على هذا النفَس قولٌ كثير. ولمَّا أظهر محمد بن عبد الله دعوته انضمَّ

---

(١) الردى الهلاك والحتم القضاء.

(٢) جَبَهَهُ لقيه بما يكره والغلظة القسوة والفظاظة والمنعم والمتفضل الكريم وذو الفضل.

(٣) ترعى تحفظ والمجاور الملاصق. (٤) فنّد الرأي خطأ قائله.

(٥) معدّاً مهيئاً. (٦) النعماء اليد البيضاء الصالحة.

(٧) مهيمن من اسمائه تعالى ومعناه الشاهد او المؤمن وتعنو تخضع وتذل.

(٨) يسمو يرتفع والطرف آلة البصر اي العين وخلق مؤيد اي ملائكة يقويهم الله عز جلاله.

(٩) لا يفترون تنكسر حدتهم والكروبية احدى طغمات الملائكة التسع.

(١٠) الآلاء النعم.

أُميّة الى مقاوميه وكان يحرّضهم على مناوأته (١) وقتاله ويرثي قتلاهم بَبدر. وقد ذكر عنه ابو الفرج الاصبهاني اموراً غريبة لا تقبل التصديق وتدّل ان الرجل لم يخلُ من الوساوس والطمع في التنبُؤ والله اعلم. ولما حضرته الوفاة أُغمي عليه ثم افاق وهو يقول:

إن تغفر اللهم تغفر جمّا (٢) وأيّ عبد لك لا الَمّا

وكان قد قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله عز وجل، ورغب عن عبادة الأوثان، وكان يخبر بأنّ نبياً يبعث قد أظل زمانه، ويؤمّل أن يكون ذلك النبي، فلما بلغه خروج رسول الله (ص) وقصته كفر حسداً له.

ولما أنشد رسول الله (ص) شعره قال: آمن لسانه وكفر قلبه وكان يحكي في شعره قصص الأنبياء ويأتي بألفاظ كثيرة لا يعرفها العرب، يأخذ من الكتب المتقدمة. وبأحاديث من أحاديث اهل الكتاب، منها قوله:

بـآيـة قـام ينـطق كـلٌ شيءٍ وخـان أمانـه الديـك الغرابُ

وفي قصيدته الدالية يظهر النظر الثاقب والايمان العميق والتنبوء بما سيحصل وما يكون، فهو آمن باله واحد يهمين على هذا الكون وله عرش عظيم أوجب على مخلوقاته السجود له وعبادته، وهو يرى ولا يرى محيط بكل شيء علمه وله ملائكة يسبحون له مطيعين لأوامره وفيهم الساجد الذي لا يرفع رأسه أبد الدهر وفيهم الركع. وهذه لعمري هي الصفات ذاتها التي اخبرنا عنها القرآن الكريم

---

(١) معاداة.

(٢) جّما اي جميع الخطايا والمّ اذنب.

(٦٢٩) الأعشى

هو ابو بصير ميمون بن قيس الملقب بالأعشى ويقال له اعشى قيس والاعشى الاكبر كان من فحول الشعراء مهيب الجانب مَنْ مدحه ارتفع ومن هجاه اتضع. وسُئل يونس عن اشعر الناس فقال «امرؤ القيس اذا غضب والنابغة اذا رهب وزهير اذا رغب والاعشى اذا طرب» وللاعشى القصائد الطوال الجياد وكان يتغنى بشعرهِ فسمي «صناجة[١] العرب» ويحكي ان رجلاً يقال له المحلّق الكلابي كان مُمْلقاً[٢] لا يملك سوى ناقة وحلّتي برود[٣] وله ثلاث اخوات قد كسدن. فلما سمع الاعشى قادم على حيّه أسرع اليه ودعاه الى منزله فنحر لهُ الناقة وسقاه خمراً وأهداه الحلّتين. فلما اعتلج الكبد والسنام[٤] والخمر في جوفه عَرَتْهُ هزة الطرب ونظر الى عطفيه[٥] في البردتين فتاه عجباً وزهواً وانشأ يقول:

أَرِقتُ وما هذا السُهادُ المؤرِّقُ ... وما بيَ من سقمٍ وما بي مَعشَقُ[٦]
لَعَمري لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ ... الى ضوءِ نارٍ باليفاع[٧] تُحرَّقُ
تشَبُّ لمقرورَينِ يصطليانها ... وباتَ على النارِ الندى والمُحَلَّقُ[٨]

---

(١) صاحب الصنج. (٢) فقيراً. (٣) جمع برد وهو الثوب.

(٤) اعتلج التطم واختلط وسنام الجمل حدبته. (٥) جانبيه.

(٦) الارق عدم النوم ومثله السهاد والمعشق مصدر ميمي من عشق. (٧) التلّ.

(٨) شب النار اضرمها والمقر ومن اصابه القرّاي البرد واصطلى بالنار استدفأ بها والندى الجود.

رضيعَيْ لبـان ثدي أُمٍّ تحـالفا بأسحمَ داجٍ عوضُ لا نتفرَّقُ(١)
يا مَسمَعٍ سار الذي قد فعلتُمُ فأنجدَ اقـوامٌ به ثمّ أعـرقوا(٢)
به تَعقَدُ الاجمالُ في كلِّ منزلٍ وتُعقَدُ اطرافُ الجبالِ وتُطلَقُ(٣)

فلما اتت على المحلق سنه حتى زوّج اخواتهِ الثلاث كل واحدة على مئة ناقة فأيسر وشرف. ومن شعره قوله يستغيث بابن السموءَل في أسرِهِ فافتداه ووهبه ناقة وأطلقه:

شُرَيْحُ لا تتركنّي بعد ما علقت حبالَكَ اليوم بعد القَدّ اظفاري(٤)
كن كالسَموءَل اذ طاف الهُمَامُ بهِ في جَحْفَل كهزيعِ الليلِ جَرَّارِ(٥)
اذا سامَهُ خُطَّتي خَسْفٍ فقال له قل ما تشاءُ اني سامعٌ حارِ(٦)
فقـال غدرٌ وثكـلٌ انت بينهما فاختر وما فيهما حظٌ لمختار(٧)
فشكَّ غيرَ طويل ثمّ قال لهُ أُقتل اسيرك اني مـانعٌ جـاري
إنَّ لـه خلفـاً ان كنت قـاتلَهُ وان قتلتَ كـريماً غـيرَ خوّارِ(٨)

---

(١) اللبـان الرضـاع واراد به اللبن مجازاً والأسحـم الاسود صفـة لليل المحـذوف داجٍ مظلم وعـوض ظرف زمـان مبني على الضم ويمعنى ابـداً ; اراد بـرضيعي اللبـان الجـود والمحلق يعنى أنهما اخوان تحالفا على عدم الافتراق.

(٢) انجد أتى نجد واعرق اتى العراق.

(٣) يقول ان كرمكم اشتهر في الناس بحيث صاروا يتحدثون بهِ في حلهم وترحالهم.

(٤) القدّ القطع واظفاري فاعل علقت يقول له لا تخيبني بعدما علقت رجائي بك.

(٥) الهمام السيد الشجاع اراد به الحارث بن ابي شمـر الغساني الـذي جاء من قبـل المنذر يـطلب الادرع التي اودعهـا عنـد السموءل امـرؤ القيس الكنـدي والجحفـل الجيش والهزيع من الليل الطائفة منه والجرار الكثير.

(٦) سامه كلفه والخطة الطريقة والخسف الذل وحار منادى مرخم اصله يا حارث.

(٧) الثكل فقْد الولد.

(٨) غير جبان.

فاختار ادراعَهُ كيلا يُسبَّ بها   ولم يكن وَعدهُ فيها بختَّار[1]

وللاعشى قصيدة طويلة يعدها بعضهم من المعلقات نذكر مطلعها وبعض ابيات منها قال:

ودّع هُرَيْرةَ إنّ الركْبَ مرتحلُ   وهل تُطيقُ وَدَاعاً ايُّها الرجلُ[2]
أبلغْ يزيدَ بني شيبانَ مألُكةً   أبا ثُبَيتٍ اما تنفكُّ تأتكلُ[3]
ألسْتَ مُنتهياً عن نحت أثْلتِنا   ولستَ ضائرَها ما أَطَّت الابلُ[4]
كناطحٍ صخرةً يوماً ليفلَقَها   فلم يضرْها وأوهي قرنَهُ الوَعِلُ[5]
لقد زعمتم بأنّا لا نقاتلكم   إنا لامثالكم يا قومَنا قُتُلُ[6]
قالوا الطِرادَ فقلنا تلك عادتُنا   او تنزلون فانّا معشرٌ نُزُلُ[7]

وسمع الاعشى بنبيّ المسلمين فقدم عليه بمدحة فرصده القرشيون اعداء محمد ليصرفوه عن الذهاب اليه وقالوا له «انه يحرّم عليك القمار والرباء» فلم يبالِ فقالوا «يحرّم عليك الخمر» فقال اوّه ارجع الى صبابةٍ[8] بقيت لي في المهراس [9] فاشربها» فاتفقوا وايّاه ان يؤخر قدومهُ الى سنة وقال ابو سفيان لقومهِ «يا معشر قريش هذا الاعشى فوالله لئن اتي محمداً واتبعه ليضرمنَّ عليكم نيران العرب بشعره فاجمعوا له مئة من الابل» ففعلوا فاخذها وانطلق الى بلده. فلما كان بقاع منفوحة[10] رمى بهِ بعيره فقتله

---

(١) غدار.   (٢) هريرة علم امرأة والركب جمع راكب.

(٣) المألكة الرسالة وتأتكل تحترق كأن الغضب: يأكلك

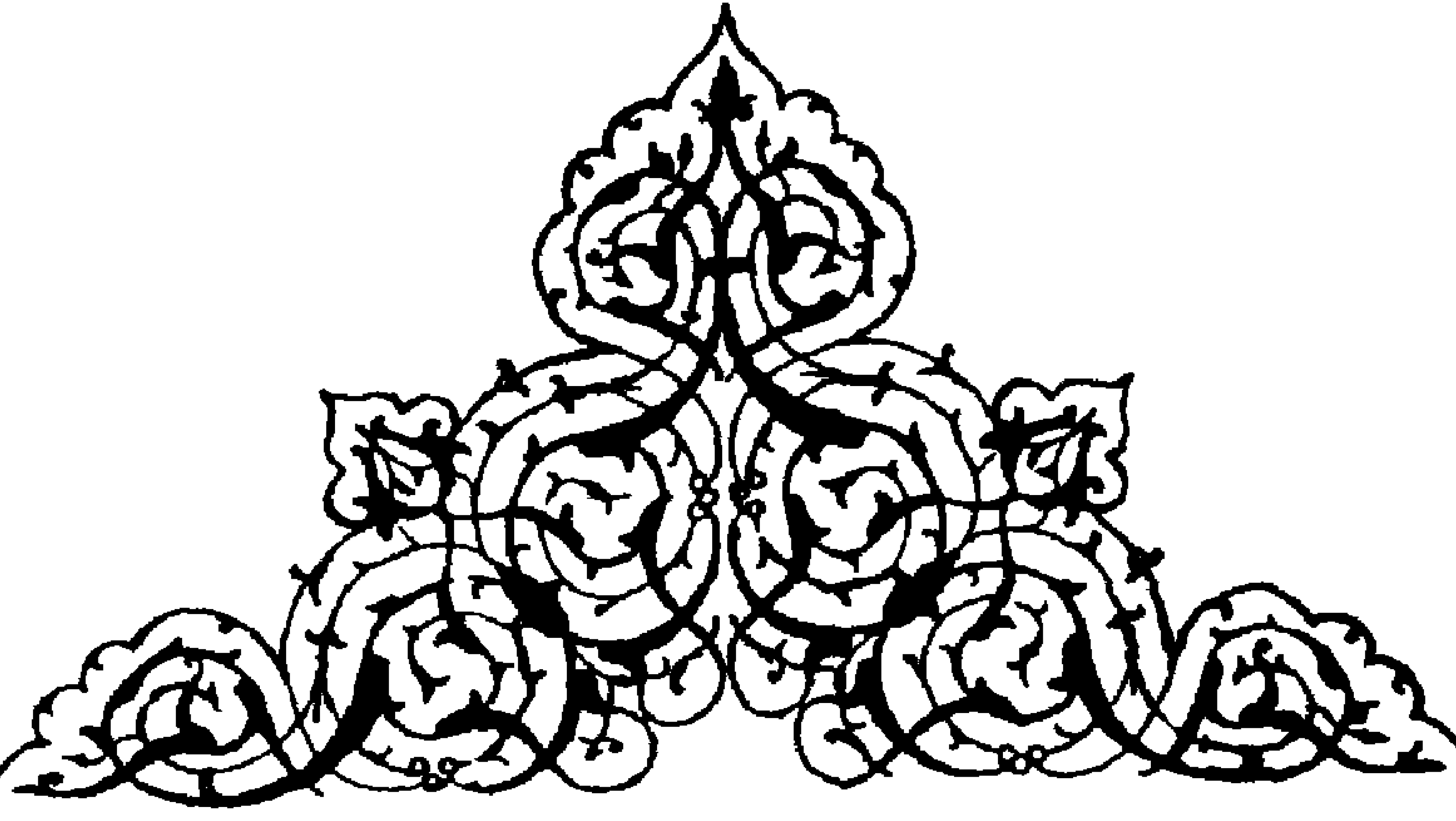
(٤) الاثلة وهو شجر عظيم صلب الخشب ونحت اثلته طعن في حقهِ والضائر والمضر وأطت الابل أنّت.

(٥) اوهى شق والوعل تيس الجبل.   (٦) قتل جمع قتول وهو كثير القتل.

(٧) اي تنزلون للقتال.   (٨) بقية الشراب.

(٩) حجر منقور مستطيل.

(١٠) قرية مشهورة من نواحي اليمامة كان يسكنها الاعشي وبها قبره



اللغة

في صدر الإسلام



ظهر الاسلام ودخل فيه سكان جزيرة العرب فاتّحدوا بعد التفرق وتآخَوْا بعد التقاطع وخضعوا جميعاً لزعيم واحدٍ يجمع كلمتهم ويدبّر شؤونهم وينظر في مصالحهم. فزالت دواعي القلق بزوال الغارات المتواترة(١) قبلاً وهدأت الخواطر واطمأنّت النفوس الى حكومة تأخذ صاحبها من القويّ للضعيف وينصف المظلوم(٢) من الظالم فانصرفت حينئذٍ همم القوم الى توطيد أركان الدين(٣) وتعزيزه في القبائل ونشره في الآفاق فكان لهم من ذلك شغل شاغل عن الاهتمام بالشعر وتلت النهضة الجاهلية فترة وجيزة(٤) خلا فيها ميدان الشعراء وسكتت جلبتهم(٥) وزهد بعضهم في النظم فلم يعد لهم كبير التفات حتى الى شعر انفسهم وان كانوا من فحول الشعراء قبل اسلامهم. ومن هذا القبيل لبيد صاحب المعلقة الرابعة فان عمر بن الخطاب استنشده ايام خلافته فانطلق وكتب سورة البقـرة في صحيفة وجاءَ بها وقال ابدلني الله هذه في الاسلام مكان الشعر فسرّ عمر وأَجزل عطاه ولم يروُوا له في الاسلارم الاّ بيتاً واحداً وهو :

---

(١) الغزوات المتتابعة.

(٢) يأخذ له حقه.

(٣) تمكين أسه.

(٤) الفترة الانقطاع عن العمل مدة وجيزة وقصيرة.

(٥) صياحهم.

الحمـد لله اذ لم يـأتِني أجـلي حتى لبستُ من الاسلام سِربالا

الاّ انَّ تلك الفترة لم تطل وما عتم الشعراء ان عادوا الى النظم على جاري عادتهم السابقة ولا سيما إذ رأوا أن صاحب الشريعة الاسلامية نفسهُ يسمع الشعر ويلذّبهِ ويجيز عليه. وكأنَّ سكوتهم عن قول الشعـر شحذ قرائحهم وأَحكم ملكاتهم فما عادوا اليه حتى جاءوا بالبدائع النادرة والآيات الباهرة وقرنوا بلاغة الجاهلية بشيءٍ من الرقة مما يدلّ على آتجاه الأُمة نحو الرقيّ في العمـران والميل إليه وسترى ذلك في الامثلة التي سنوردها من اقوالهم إن شـاء الله

الشعراء المُخَضْرمونَ

الشعراء المخضرمون هم الذين أدركوا الجاهلية والاسلام وسمة شعرهم متانة السبك وقوة العبارة كما في الجاهلية مع الاخذ بشيءٍ من الرقة والتفنن.

مُتَمِّمُ بْنُ نُوَيْرَة (٦٣٤)

هو ابو نهشل متمم بن نويرة اليربوعي من مجيدي الشعراء وفصحائهم. كان له اخ يدعي مالكاً من فرسان العرب وشجعانها المعدودين أسلم وارتدّ بعد موت محمد مع من ارتدّ من القوم عن الاسلام. فجرد ابو بكر عليهم جيشاً وقمع ثورتهم فمن عاد الى الاسلام عُفي عنه ومن أبى قُتل ووقع مالك بن نويرة في يد خالد بن الوليد امير الجيش فقتلهُ وبلغ امرهُ اخاهُ متمّماً فجزع عليه جزعاً شديداً ورثاه بقصائد غراء أَودعها عواطف حبهِ ولوعتهِ ولم يزل طول حياته يذكرهُ ويبكيه ومما يروى عنه أنه دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر: ما أرى في أصحابك مثلك ! قال: يا أمير المؤمنين أما والله اني مع ذلك لأركب الجمل الثفال[1]، وأعتقل الرمح الشطون[2]، وألبس الشملة الفلوت، ولقد اسرتني بنو تغلب في الجاهلية، فبلغ ذلك أخي مالكاً فجاء ليفديني، فلما رآه القوم أعجبهم جماله، وحدثهم فأعجبهم حديثه، فأطلقوني له بغير فداءٍ.

قال ابو محمد: ولما استشهد زيد بن الخطاب يوم مسيلمة ودخل متمم على عمر بن الخطاب فقال له: فأنشدني بعض ما قلت في اخيك فأنشده شعره الذي يقول فيه:

(١) الثفال: بفتح الثاء المثلثة. البطيء الثقيل.

(٢) الشطون: بفتح الشين المعجمة الطويل الأعوج.

وكنا كنْـدمـاني جذيمة حَقَبةً من الدّهر حتّى قيل لن يتصدّعا
فلما تفـرقنـا كـأني ومـالكـاً لطول اجتماع لم نبتْ ليلة معا

فقال عمر: يا متمم، لو كنت أقول الشعر لسرني أن أقول في زيد بن الخطاب مثل ما قلت في أخيك قال متمم لو قتل أخي كقتله أخيك ما قلت فيه شعراً أبداً(*)، وقصيدته في رثاء أخيه هي:

لَعمري وما دهري بتأبين مالكٍ ولا جَزِعاً مّمـا أصاب فأَوجعـا(١)
لقـد غيَّب المِنهـالُ تحت ردائـهِ فتى غيرِ مبطان العشيَّاتِ أَروعا(٢)
أغرَّ كنصلِ السيفِ يهتَزُّ للندى اذا لم تجدْ عند امرىء السوءِ مطمعا(٣)
أعينيَّ جـودي بالـدموع لمـالـكٍ اذا ذرّت الريحُ الكنيفَ المربعا(٤)
فتى كان مِقداماً الى الروعِ ركضُهُ سريعاً الى الداعي اذا هو أُفزعا(٥)
فتى كان احيا من فتـاة حَيِيَّةٍ واشجع من ليثٍ اذا ما تمنّعا(٦)
تقولُ ابْنةُ العَمريِّ مالكَ بعد ما أراك قديماً ناعمَ الوجهِ أَفرعا(٧)
فـقـلـت لها طولُ الإساءة ساءَني ولوعةُ حزنٍ تترك الوجهَ أسفعا(٨)
سقى الله ارضاً حلَّها قبرُ مالك ذهابَ الغوادي المُدجناتِ فأمرعا(٩)

---

(١) التأبين الثناء على المرء بعد موته وجزعاً خوفاً يقـول لعمري ان دهـري ليس كافيـاً لتأبين مالك ومهما جزعت فـاني مقصر عن وفـاء حق الحزن عـلى ما اصابني به الـدهر فـاوجع قلبي.
(٢) المنهال القبر والكثيب العـالي والمبطان العـظيم البطن الأكـول والاروع من يعجب بحسنه وجهارة منظره وشجاعته.
(٣) الاغرّ كريم الافعال ونصل السيف حديدته والندى الكرم.
(٤) ذرت فرقت ونثرت والكنيف حظيرة من شجر للابل.
(٥) الروع الفزع استعير للحرب ومقدام شجاع وافزع خوّف.
(٦) فتاة حييّة محتشمة والليث الأسد تمنع تقوّى واحتمى.
(٧) أفرع تامّ الشعر. (٨) اسفع شاحب متغيّر اللون.
(٩) الـذهاب جمـع ذهبة بـالكسر وهي المطرة الضعيفة والغـوادي جمع غـادية وهي السحـابة تنشأ غدوة والمدجنات كثيرات المطر ومرع اخصب كثرة الكلام.
(*) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

لئن تكن الايامُ فرّقنَ بيننــا فقد بان محموداً أخي يومَ ودّعا
وعشنـا بخيرٍ في الحيـاة وقبلنـا أَصابَ المنايا رهطَ كسرى وتُبعًا
وكنا كنَدمـانَيْ جـذيمـةَ حَقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا[3]
فلما تفـرّقنـا كـأني ومـالكـاً لطولِ اجتماع لم نَبِتْ ليلةً مَعَا

ومن قوله فيه:

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتَذراف الدموعِ السوافك[4]
فقـال أَتبكي كـلَّ قبـرٍ رأيتَـهُ لقبرٍ ثوى بين اللوى فالدكادكِ[5]
فقلتُ له ان الشجا يبعث الشجا فدعنى فهذا كلّهُ قبرُ مالـكِ[6]

---

(١) بان بُعد.

(٢) الرهط قوم الرجل وقبيلته وكسرى اسم ملوك الفرس وتبع اسم ملوك اليمن

(٣) جـذيمة الابـرش هو مـالك بن فهم الحيـرة لقب بالابـرص لوضحٍ كان فيه ثم قيل الأبرش تـأدبـاً وهـو الذي قتلته هند تأدّباً وهو الذي قتلته هند بنت الريّان الملقّبة بالزباء في مدينة عمان وندماناه هما مالك وعقيل فارج وجدا ابن أخته عمرو بن عدي اللخمي فلما قدما إليه في المكافأة وكان يأنف أن ينادم أحداً فاختار منادمته ما عاش وعاشا. حقبة مدة ويتصدّع يتفرّق.

(٤) تذراف مصدر ذرف اي سكب الدمع والسوافك جمع سافك اي منصب .

(٥) ثوى نزل واقام واللوى ما التوى من الرمل والدكادك جمع دكـدك (بفتح الـدالين): وهـو ما تكبّس من الرمل او ارض فيها غلظ.

(٦) الشجا الحزن.

عَمْرُو بْنُ مَعْدِ يكَرِب (٦٤٣)

هو أبو ثور عمرو بن معد يكرب الزبيديّ كان فارساً مغواراً[١] وبطلاً صنديداً مشهوراً بالبأس والإقدام في الجاهلية والإسلام. وهو من سادات قومهِ وفصحائهم[*] أَرسلهُ النعمان بن المنذر فيمن أرسل من شرفاء قبائل العرب إلى كسرى أنوشروان بالمدائن ليتكلموا بين يديه ويرى من فصيح منطقهم وكامل آدابهم ما يكون لهُ فيهِ الدليل المقنع على صحة دعوى النعمان في العرب وافتخارهِ بهم وتفضيلهِ إياهم على جميع الامم طرًّا. ومما نطق بهِ عمرو بن معد يكرب في مجلس كسرى قولهُ:

«أَنما المرء بأصغريهِ قلبهِ ولسانهِ. فبلاغ المنطق الصواب ومِلاك[٢] النجدة الارتياد وعفو[٣] الرأي خير من استكراه[٤] الفكرة وتحقيق الخبر خير من اعتساف[٥] الحيرة. فاجتبذ[٦] طاعتنا بلطفك واكظم بادرتنا[٧] بحلمك وأَلِن

---

(١) كثير الغارات (٢) ملاك قوام والارتيادالطلب السعي.

(٣) ما جاء من غير كلفة ولا اعمال فكر. (٤) اعمالها.

(٥) عدم الهداية الى السبيل أو وجه الصواب. (٦) اجتذب.

(٧) الحدّة وما يبدو منها.

(*) الاغاني جـ ١٤ ص ٢٥ والشعر والشعراء جـ ١ ص ٣٧٢.

لنا كَنَفك(١) يسلُس لك قيادنا فانا أناسٌ لا يقاومنا من أراد لنا قضما(٢) ومنعنا حمانا من كلّ من رام لنا هضماً (٣)(*)»

وأسلم عمرو عند ظهور الإسلام إلاّ أنّ إسلامهُ كان على جانب من الغرابة. قيل إن عمر بن الخطّاب أمر سعد بن ابي وقاص بعد وقعة القادسية وكان عمرو قد خاض فيها غمرات الموت وطّوح بنفسهِ تطويحاً مفرطاً أن يفرّق بقيّة مال على حملة(٤) القرآن. فجاء بشر بن ربيعة فقال لهُ سعد «ما معك من كتاب الله» قال «بسم الله الرحمن الرحيم» فضحك القوم ولم يعط شيئاً وجاءَ عمرو فقصّر عن بشرٍ ولم يعرف شيئاً مطلقاً فمنع من العطاء فقال:

اذا قُتلنا ولا يبكي لنا احدٌ قالت قريشٌ الا تلك المقاديرُ(٥)
نُعطى السويَّة من طعن لهُ نَفَذٌ ولا سويّةَ إذ تُعطى الدنانير(٦) (**)

ونزل عليه أحد أصحابه في الجاهلية فقدّم لهُ خمراً فقال له ضيفهُ «أوَ ليس قد حرّمها الله علينا في الإسلام» فقال عمرو «إني قرأت ما بين دفّتي المصحف فما وجدت لها تحريماً . . .» وانظر كيف يمكن أن يقرأ القرآن ولا يرى نصاً يحرّم الخمرة(٧) إلا ان العجب يزول إذا أعتبر أن كذب الرجل كان على قدر شجاعته وقيل لهُ «إنك شجاع في الحرب والكذب» فقال «اني لكذلك» ولم يكن إقرارهُ هذا ليمنعهُ عن التبجّح(٨) أمام عمر بن الخطّاب أنهُ ما استحلّ

(١) الافتخار (٢) الجانب والظل.
(٣) أكل الشيء اليابس اي اننا لا نؤخذ بالشدة.
(٤) جمع حامل وهو حافظ القرآن. (٥) ظلماً واغتصاباً.
(٦) المقادير جمع مقدور وهو الأمر المحتوم.
(٧) النفذ الانفاد والخرق..
(٨) حرّمت الخمر في القرآن في عدّة مواضع: سورة البقرة ٢١٦ ـ وسورة النساء ٤٦ وسورة المائدة ٩٢ .

. . . .

(*) العقد الفريد جـ ٢ ص ١٨ .

(**) الاغاني جـ ١٤ ص ٤٠ .

الكذب في الجاهلية ولا الاسلام ومن شعرهِ

اذا لم تستطع شيئاً فدعهُ وجاوزْهُ إلى ما تستطيعُ
وكيف تريد ان تدعى حكيماً وأنت لكل ما تهوى تبوعُ(*)

وقولهُ:

ولما رأيت الخيل زُوراً كأنّها جداول زرعٍ أُرسلت فاسبطَّرتِ (١)
فجاشت اليّ النفسُ اولَ مرةٍ فرُدَّت على مكروهها فاستقرّت(٢)
علامَ تقوم الرمحُ يُثقِلُ عاتقي اذا انا لم أطعن اذا الخيلُ كرّتِ(٣)
لحا الله جَرماً كلّما ذر شارقٌ وجوه كلابٍ هارشت فازبأرَّتِ(٤)
فلم تُغنِ جرمٌ نهدَها اذ تلاقتا ولكن جرماً في اللقاءِ ابذعرت(٥)
ظللت كأني للرماحِ دريئةٌ أُقاتلُ عن أبناءِ جَرمٍ وفرت(٦)
فلو أن قومي أنطقتني رماحُهم نطقتُ ولكن الرماحَ أجرتِ(٧)

وكان لعمرو سيف شهير يدعى الصمصامة يضرب بهٰ المثل فسألهُ يوماً الخليفة عمر أن يبعث إليهِ بهِ فلما جرّبهُ وجدهُ دون ما يحكي عنهُ فقال لعمرو في ذلك فقال «انما ارسلت إليك السيف ولم أُرسل الساعد الذي يضرب بهِ»

---

(١) زور جمع أزور وزوراء وهو ما كان به ميلٌ والذي يقبل على شقّ اذا اشتدّ السير وجداول جمع جدول وهو النهر الصغير واسبطرّت وامتدّت في السير منهزمة.

(٢) جاشت غثت وحميت وارتفعت من حزن او جزع واستقرت ثبتت.

(٣) العاتق ما بين المنكب والعنق.

(٤) لحا اخزى وذرّ طلع وبان وهارشت تحرشت وتواثبت وازبأرّت تنفشت حتى ظهرت أصول من وبر شعرها.

(٥) جرم ونهد علما قبيلتين. وابذعر القوم تفرقوا وفروا. (٦) الدريئة حلقة يتعلم عليها الطعن.

(٧) أجر الفصيل او الجدي شق طرف لسانهِ لئلا يرضع يقول لوأن قومي أبلوا بلاء حسناً لذكرتهم وافتخرت بهم لكنهم شقوا لساني بفرارهم ومنعوني عن الكلام واسند النطق والاجرار للرماح على سبيل المجاز.

. . . .

(*) الأغاني جـ ١٤ ص ٣٣

الحُطَيْئَة

(؟ - ٦٧٩م)

الحطيئة لقب لقب به لقصره وقربه من الأرض.

واسمه جَرْول بن أوس العبسيّ يكنى بأبي مليكة. كانَ من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم متصرّفاً في جميع فنون الشعر من الفخر والنسيب والمديح ولا سيما الهجا(*). وكان سيء الخلق لئيم الطبيعة دنيء النفس فاسد الدين جشعاً[١] سؤولاً ملحفاً[٢] كثير الشرّ قليل الخير. بخيلاً قبيح المنظر رث الهيئة مغموز[٣] النسب متدافعاً بين قبائل العرب ينتمي الى كلّ واحدة منها اذا غضب على الأُخر. وقد بلغ من لؤمهِ أنهُ هجا أُمهُ وامرأتهُ وبنيهِ حتى نفسهُ. قيل انهُ التمس ذات يوم إنساناً يهجوهُ فلم يجدهُ وضاق عليهِ ذلك فأنشأ يقول:

أبت شفتــايَ اليـوم إلاّ تكلماً بشرٍّ فما أدري لمن انا قائلُهْ(**)

وجعل يـدور هذا البيت في أشداقهِ ولا يرى إنساناً إذ آطّلع في ركيّ[٤]

---

(١) شديد الحرص وسيئهُ.
(٢) ملحاً في السؤال.
(٣) متّهم.
(٤) جبّ..

. . . .

(*) الاغاني جـ ٢ ص ٤٣ والشعر والشعـراء جـ ١ ص ٣٢٢

(**) نفس المصدر ص ٤٦.

فرأى وجههُ فقال:

أرى ليَ وجهاً شوّه[1] الله خلقَهُ فقُبّح من وجهٍ وقُبِّح حاملُهْ(*)

وكان من الولوع بالوقيعة في الناس والنهم[2] الى تمزيق أعراضهم بحيث لم يكن كبير ولا صغير الاّ هابهُ وباع عرضهُ منهُ ببذل ما في طاقتهِ. حتى ان الخليفة عمر بن الخطاب اضطُرّ أن يشترى منهُ أعراض المسلمين جميعاً بثلاثة الاف درهم(**) وهي غاية الغايات في اتّقاء بوادر تلك السلطة الغريبة والاقرار بها. وسئل مرّة عن أشعر الناس فأخرج لسانهُ كأنهُ لسان حيَّة وقال «هذا إذا طمع» ومن قولهِ يهجو الزبرقان بن بدر:

لما بدا ليَ منكم عيب أنفسكم ولم يكن لجراحي منكمُ آسي[3]
أزمعت يأساً متيناً من نرالكمُ ولن يرى طارداً للحرّ كاليأسِ[4]
جار لقوم أطالوا هُون منزلهِ وغادروهُ مقيماً بين أَرْماسِ[5]
ملُّوا قِراهُ وهرَّتهُ كلابُهمُ وجرّحوه بأنيابٍ وأضراسِ[6]
دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها واقعدْ فانّك أنت الطاعم الكاسي
من يفعلِ الخير لم يعدم جوازيهُ لا يذهب العُرف بين الله والناسِ (***)

---

(1) قبح. (2) الشره.

(3) عيب نقيصة ويروى غيب اي ما كان غائباً في أنفسكم من البغضة والآسي المداوي واراد بجراحه فقره وسوء حالهِ.

(4) أزمعت صممت واليأس قطع الرجاء

(5) الهون المذّلة وغادروهُ تركوه والأرماس القبور.

(6) ملّوا ضجروا وقرا ضيافتهُ وهرته نبحت

. . . .

(*) الأغاني جـ ٢ ص ٤٦

(**) الاغاني جـ ٢ ص ٥٤.

(***) المصدر نفسه ص ٥٧

فاستعدى عليهِ الزبرقان عمر بن الخطّاب وأنشد البيت «دعِ المكارم ..» فقال عمر «ما اسمع هجاءً ولكنها معاتبة» فقال الزبرقان «اما تبلغ مروءتي إلاّ ان آكل وألبس» فقال عمر «عليّ بحسان» فجيء بهِ فسألهُ فقال «لم يهجه بل فضحهُ فأمر بهِ عمر فأُلقي في بئر فاسترحمهُ فلم يلتفت اليهِ فأنشدهُ.

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مَرَخٍ زُغْبِ الحواصلِ لاماءُ ولا شجرُ[1]
ألقيتَ كاسيَهم في قعرِ مُظلمةٍ فاْغفِر عليك سلام الله يا عمرُ[2]
انت الامام الذي من بعد صاحبهِ ألقى إليك مقاليدَ النُّهى البَشرُ[3]
لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها لكن لانفسهم كانت بك الأُثَرُ[4]
فأمنن على صبيةٍ بالرمل مسكنهم بينَ الأباطح اذ تغشاهم القِرَرُ[5]
أهلي فداؤك كم بيني وبينهمُ من عرضِ باديةٍ تعمى بها الخُبَرُ[6]

فأخرجهُ وقال لهُ «إياك وهجاء الناس» قال «اذاً يموت عيالي جوعاً. هذا مكسبي ومنهُ معاشي ...»[*] ومن بليغ شعرهِ قولهُ في المدح:

وفتيانِ صدقٍ من عديٍّ عليهم صفائح بُصرى عُلّقت بالعواتقِ[7]

---

(١) عنى بالافراخ أولادهُ وذومرخ اسم مكان يكثر فيهِ شجر المرخ وزغب جمع أزغب وهو ذو الزغب اي صغار الشعر او الريش كناية عن صغرهم.

(٢) مظلمة نعت لمحذوف تقديره بئر.

(٣) مقاليد مفاتيح والنهى العقل.

(٤) يؤثروك يفضلوك والأُثر جمع أُثرة وهي المكرمة المتوارثة.

(٥) الأباطح جمع أبطح وبطحاء وهو مسيل واسع فيهِ رمل وحصى وتغشاهم تنتابهم والقرر جمع قِرة بالكسر وهي ما يصيب المرء من البرد.

(٦) خبر جمع خبرة وهي العلم بالشيء وتعمى تخفى.

(٧) الصفائح السيوف العراض جمع صفيحة وبصرى بلدة بالشام يظن انها حوران وعواتق جمع عاتق وهو ما بين المنكب والعنق.

....

(*) الاغاني جـ ٢ ص ٥٤.

إذ ما دعوا لم يسألوا من دعاهم ولم يُمسكوا فوق القلوب الخوافق[١]
وطارُوا الى الجُردِ العِتاقِ فأَلجَمْوا وشدُّوا على أوساطهم بالمناطق[٢]
أولئك آباءُ الغريب وغاثة الـ صريخ ومأوى المرملين الدرادقِ[٣]
أحلّوا حياضَ المجد فوق جباههم مكان النواصي من وجوه السوابقِ[٤](*)

ولما حضرتهُ الوفاة اجتمع اليهِ قومهُ فقالوا «يا أبا مليكة أوصِ» فقال «أبلغوا أهل ضابيء انهُ شاعرٌ حيث يقول:

لكلّ جديدٍ لذّةٌ غيرَ أنني رأيت جديدَ الموت غيرَ لذيذِ

فقالوا «أوصِ ويحك بما ينفعك» فقال «أبلغوا أهل آمرىء القيس أنه أشعر العرب حيث يقول:

فيالك من ليلٍ كأَن نجومهُ بكلِّ مُغارِ الفتل شدَّت بيذبُلِ

فقالوا «اتّقِ الله ودع عنك هذا» فقال «أبلغوا الأنصار أَن صاحبهم أشعر العرب حيث يقول:

يُغشوْن حتى ما تهرُّ كلابهم لا يَسألون عن السوادِ المقبل(**)

فقالوا«ما تقول في عبيدك وإمائِك» فقال «هم عبيدُ قنٍّ[٥] ما عاقب الليل النهار» قالوا «فأوصِ للفقراء» أوصيهم بالإلحاح في المسألة فانها تجارة لا تبور[٦] قالوا «فما تقول في مالك» قال «للأُنثى من ولدي مِثْلا حظّ الذكر» قالوا «ليس هكذا قضى الله» قال «لكن هكذا قضى الحطيئة» قالوا «فهل لك شيء تعهد فيهِ غير هذا» قال «نعم تحملوني على أتان وتتركوني راكبها حتى أموت فان

---

(١) «ولم يمسكوا فوق القلوب» اي لم يجزعوا. (٢) العتاق الخيل السبّاقة الرائعة.

(٣) المرملون المحتاجون والدرادق الصبيان.

(٤) النواصي جمع ناصية وهي مقدم شعر الرس والسوابق جمع سابق وهو الفائز في السباق.

(٥) عبد قن من كان أبوهُ عبداً. (٦) تكسد.

. . . .

(*) الأغاني جـ ٢ ص ٤٨.

(**) المصدر نفسه ص ٦٠.

الكريم لا يموت على فراشهِ والأتان مركب لم يمت عليهِ كريم قط» فحملوهُ على أتان وجعلوا يذهبون بهِ ويجيئون حتى مات وهو يقول:

لا أحدُ الأم من حُطَيَّهْ هجا بنيهِ وهجا المُريَّهْ[1]
من لؤمهِ مات على فُرَيَّهْ[2](*)

وكانت وفاتهُ في أواخر خلافة عمر.

---

(١) تصغر مرأة.
(٢) تصغير فرأة وهي الاتان.

(*) الاغاني جـ ١ ص ٦٠.

أَلْخَنْساء

(٦٤٦)

هي أُمّ عمرو تُماضِر بنت عمرو بن الحارث السليميَّة المُلَقَّبَة بالخنساء [١] من أشهر شواعر العرب. وقد أجمع علماء الشعر أنهُ لم تكن امرأة أشعر منها وشعرها كلّهُ في رثـاء أخويها معاوية وصخر ولا سيّما صخر لما خبرت من جودهِ وحنانهِ وما اشتهر بهِ من الشجاعة والحلم والاقدام. وكان أخواها قد قتلا كلٌّ منهما في غارة فأخذت ترثيهما بالشعر البديع المتين المبني السامي المعنى أوحاه قلب مقرَّح حزناً وذائب لوعةً وأملاهُ لسان فصيح اللهجة خلّابُ [٢] المنطق. واشتهر رثاؤها في أخوتها وعظم مصابها بهما حتى ضرب بها المثل في قبائل العرب. وأنشدت الخنساء في عكاظ بين يدي النابغة الذبياني فأعجبهُ شعرها وقال لها «اذهبي فأنت أشعر من كل ذات ثديين. ولولا أن هذا الاعمى (يعني الأعشى) أنشدني قبلك لفضّلتك على شعراء هذا الموسم [*]» فسمعهُ حسَّان بن ثابت فغضب وقال « أنا أشعر منك ومنها» فالتفت النابغة الى الخنساء وقال « أجيبيه يا خُناس» فأَقبلت عليهِ وقالت «ما أجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها آنفاً ـ قال «قولي فيها:

(١) البقرة الوحشية تشبه بها المرأة لحسن عينيها.

(٢) الخادع بألطف الأقوال.

(*) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٣٤٤.

لنا الجفَنات[1] الغرُّ يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدةٍ دما»

قالت «ضعّفت افتخارك وأنزرتهُ في ثمانية مواضع في بيتك هذا» قال «وكيف ذلك» قالت «قلت (لنا الجفنات) الجفنات ما دون العشرة ولو قلت « الجفان » لكان أكثر. وقلت (الغـرّ) والغرّة بيـاض فـي الجبهة ولو قلـت «البيض» لكان اكثر اتساعاً. وقلت (يلمعن) واللمعان شيء يأتي بعد شيء ولو قلت « يشرقن » لكان اكثر لأن الاشراق أدوم من اللمعان. وقلت (بالضحى) ولو قلت «بالدجى» لكان أبلغ لان الضيف اكثر طروقاً بالليل. وقلت (اسياف) والأسياف ما دون العشرة ولو قلت «سيوف» لكان اكثر. وقلت (يقطرن) ولو قلت «يجرين» لكان اكثر انصباباً. وقلت (دما) والدماء اكثر من الدم» فسكت حسان ولم يُحِرْ[2] جواباً وشعرها الذي أنشدتهُ النابغة هو قولها ترثي صخراً:

قـذى بعينك ام بـالعين عُـوَّارُ أم ذرَّفَت إذ خلت من اهلها الدارُ[3]
تبكي لصخرٍ هي العَبْرى وقد ولهت ودونهُ من جديد التُربِ أستارُ[4]
تبكي خناسٌ على صخرٍ وحقَّ لها إذ رابها الدهرُ إن الدهرَ ضرَّارُ[5]
يا صخر ورَّاد ماءٍ قد تنـاذرهُ أهلُ الموارِدِ ما في وِرْدِهِ عارُ[6]
مشى السَّبَنْتي الى هيجاءَ معضلةٍ لـهُ سلاحـان أنيـابٌ وأظفـارُ[7]
وان صخـراً لـوالينـا وسيّدُنـا وان صخـراً إذا نشتـو لنحّـارُ

---

(١) جمع جفنة وهي القصعة. (٢) يرد.

(٣) القـذى ما وقـع في العين من غبـار وغيرهِ والعـوار مـا عـار العين من القـذى أو الـرمـد فأوجعها وذرفت دمعها صبتهُ صباً متتابعاً.

(٤) العين العبرى التي لا تجف دموعها وقـد ولهت اي استولى عليهـا الجزع والحـزن وأستار القبر ترابهُ وصفائحهُ.

(٥) حق لها وجب لها البكاء والضرار الشديد الشرّ ورابها أوجعها وأحزنها.

(٦) استعارت الماء للمـوت وتناذرهُ بعضهم بعضـاً منه وقـولها «مـا في وردهِ عار» اي لا مـلام على من شرب كاس المنون.

(٧) السبنتى النمر والجريء ومشى السبنتي أي مشيته والهيجاء الحرب والمعضلة الشديدة.

وان صخراً لمقدامٌ إذا ركبوا وان صخراً إذا جاعوا لعقَّارُ(١)
وان صخراً لتأتمُّ الهُداةُ بِهِ كأنهُ علمٌ في رأسه نارُ(٢)
حمّالُ ألويةٍ هبّاطُ أوديةٍ شهّادُ أنديةٍ للجيش جرّارُ(٣)

ولها في الرثاء البديع القصائد الكثيرة الشهيرة المطبوعة التي لا يكاد يلحق شأوها فيها لاحق.

---

(١) المقدام الذي يتقدم الفرسان في حروبهم والعقار كالنحار.

(٢) تأتم الهداة به تتخذه الادلاء اماماً والعلم الجبل.

(٣) الألوية جمع لواء وهو العلم او الراية والاندية المجلس تعنى أن أخاها بطلٌ في الحروب وخطيب في المجالس.

(*) الأغاني جـ١٣ ص ١٣٨.

كَعْب (٦٦٢)

هو أبو عقبة كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني من فحول الشعراء المخضرمين قال الشعر وهو حديث السنّ فكان أبوه يَنهاهُ مخافة ان تكون ملكتهُ لم تستوسق فيروى لهُ ما لا خير فيهِ. وكان يضربهُ في ذلك فكلّما ضربهُ وشدّد عليه في ترك القريض غلب عليهِ الشعر وزادت نهمتهُ الى قولهِ: فتركهُ وشأنهُ بعد ما امتحنهُ وعلم ما عندهُ من قوّة العارضة واستحكام الملكة (*) . ولما أظهر صاحب الشريعة الاسلاميَّة دعوتهُ خرج إليهِ بُجَيْر وكعب ابنا زهير حتى بلغا العزّاف فقال كعب لأخيهِ «الحق الرجل وأنا مقيم ههنا فانظر ما يقول لك» فقدم بجير على محمد وأسلم وبلغ ذلك كعباً فقال:

ألا أبلغا عني بُجَيْراً رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
سقاك ابو بكرٍ بكاس رويّةٍ ... فأنهلك المأمون منها وعلّكا(١)
ففارقتَ أسباب الهدى واتّبعتهُ ... على أي شيء ويبَ غيرك دلّكا(٢)
على مذهبٍ لم تُلفِ أمّا ولا أباً ... عليهِ ولم تعرف عليهِ أخاً لكا

(١) أبو بكر هو عبد الله بن عثمان القرشي أول الخلفاء الراشدين وكاس رويّة تامّة مشبعة وأنهلك سقاك النهل وهو أول الشرب والعلل الشرب بعد الشرب تباعاً والمأمون لقب محمد.

(٢) أسباب طرق والهدى الرشاد وويب غيرك دعاء عليه معناه ألزمهُ الله ويلاً .

(*) المصدر نفسه جـ ١٥ ص ١٤٨ .

فان انت لم تفعل فلست بآسفٍ ولا قائل إمّا عثرتَ لعاً لكـا[١]

وبلغت أبياتهُ محمداً فأهدر[٢] دمهُ. وكتب إليهِ أخوهُ بجير «أُنجُ وما اراك بمفلت» ثم كتب اليهِ أن أسلم وأقبل على الرسول يعفُ عنك. فأقبل كعب حتى أناخ راحلته بباب المسجد ودخل فإذا القوم حلقات ومحمّد في وسطهم فتخطى الصفوف حتى جلس إليه وقال «يا رسول الله الأمان» فقال ومن انت» قال «كعب بن زهير» فقال «مأمون» فأنشدهُ حينئذٍ كعب قصيدتهُ الشهيرة «بانت سُعاد»(*) يعتذر فيها ويمدح محمداً وهي طويلة ذات ثمانية وخمسين بيتاً تغزّل بثلاثة عشر بيتاً منها ثم وصف ناقتهُ وصفاً مسهباً بواحد وعشرين بيتاً أردفها باربعة أبيات وطّأ[٣] بها التخلص إلى مدح محمد فمدحهُ بثلاثة عشر بيتاً واستطرد[٤] الى ذكر المهاجرين فمدحهم بسبعة أبيات ختم بها القصيدة. قال:

بانت سُعادُ فقلبي اليومَ متبولُ متيَّمٌ إثـرَها لم يُفْـدَ مكبـولُ[٥]
وما سعادُ غداة البَينِ إذ رحلوا الا أغنُّ غضيض الطرف مكحولُ[٦]
تجلو عوارضَ ذي ظَلْمٍ إذا آبتسمت كـأنهُ منهـلٌ بـالـراحِ معلولُ[٧]
سـحَّ السقاةُ عليهـا ماءَ محْنِيَـةٍ من ماءِ أبطحَ أضحى وهو مشمولُ[٨]

---

(١) لعاً كلمة تقال في الدعاء للعاثر ومعناها سلمت ونجوت.

(٢) أباح. (٣) مهّد وسهل. (٤) انتقل.

(٥) بانت بعدت وتبلهُ الحب أسقمهُ وتيمهُ الحب استبعدهُ واثرها بعدها ومكبول مقيد.

(٦) الأغن الذي في صوتهِ غنة وهـو صفة للظبي المحـذوف وغضيض الطرف في طـرفهِ كسـر وفتور.

(٧) العوارض الأسنان والـظلم بفتح فسكـون الريق وذو الـظلم نعت الفم المحذوف والمنهـل محل النهلَ وهو في الاصل أول الشرب والراح. الخمر والعلل الشرب الثاني.

(٨) سحّ صبّ والسقاة جمع ساقٍ والمحنية منعطف الوادي والابطح المسيل الواسع والمشمول الذي ضربتهُ ريح الشمال حتى برد.

. . . .

(*) الأغاني جـ ١٥ ص ١٤٩.

أكرِمْ بها خُلَّةً لو أنها صدقت موعودَها أولوَانّ النُصحَ مقبولُ(١)
أَمست سُعاد بأرضٍ لا يبلِّغُها الا العتاقُ النجيباتُ المراسيلُ(٢)
ولـن يـبـلّـغَـهـا الاّ عُـذافـرةٌ لها على الأين إرقالٌ وتبغيلُ(٣)
غلباءُ وجناءُ عُلكومٌ مذكرةٌ في دَفْهِا سعَةٌ قدّامُها ميلُ(٤)
تسعى الوشاة جنابَيْها وقولُهُم إنك يا آبن ابي سُلمى لمقتولُ(٥)
وقال كلُّ خليلٍ كنتُ آمُلُهُ لا أُلهِيَنَّك إني عنك مشغولُ(٦)
فقلت خلّوا سبيلي لا أبالكُمُ فكلّ ما قدَّر الرحمانُ مفعولُ(٧)
كلُّ آبنِ أُنثى وان طالت سلامتهُ يوماً على آلة حدباءَ محمولُ(٨)
أُنبئتُ أنّ رسول الله أوعدني والعفُو عند رسول الله مأمولُ(٩)
ان الرسول لسيفٌ يستضاءُ بهِ مهندٌ من سيوف الله مسلولُ(١٠)

---

(١) الخلة الخليلة.

(٢) العتاق الكرائم الاصل والنجيبات الكريمات والمراسيل جمع مرسال وهي الناقة السريعة.

(٣) العذافرة الناقة الصلبة العظيمة والأين الاعياء والارقال سرعة السير والتبغيل السير الشديد السريع.

(٤) الغلباء الغليظة الرقبة والوجناء العظيمة الوجنتين والعلكوم الشديدة والمذكرة التي تشبه الذكر ودفها جنبها وقدامها ميل طويلة العنق.

(٥) الوشاة جمع واشٍ وهو الذي ينقل الاحاديث بين المتحابين ليفسد بينهم وجنابيها جانبيها والضمير لسعاد.

(٦) ألهينّك اشغلنّك.

(٧) خلوا سبيلي دعوني.

(٨) الآلة الحدباء النعش معناهُ كل امرىء وان عاش طويلاً لا بدّ من ان يموت.

(٩) أنبئت خبرت وأوعدني تهددني.

(١٠) سيف مهندّ مطبوع من حديد الهند ومسلول مجرّد.

في فتيةٍ من قريشٍ قال قائلهم ببطنِ مكّةَ لما أسلموا زولوا [1]
زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ عند اللقاءِ ولا مِيلٌ معازيلُ [2]
لا يقعُ الطعن الاّ في نحورهمُ وما بهم عن حياض الموت تهليلُ [3]

ويحكي أنهُ لما وصل الى قولهِ «إن الرسول لسيف . . .» ألقى عليهِ محمد بردتهُ [4] وقد بذل معاوية لكعب في هذه البُردة عشرة الآف من الدراهم فلم يبعها. ولما مات بعث معاوية الى ورثتهِ بعشرين ألفاً من الدراهم فأخذها منهم [*]. وتوارثها الخلفاء الأمويّون والعباسيون ويقال إن هذه البردة هي عند سلاطين آل عثمان الى اليوم.

---

(١) فتية جمع فتى وهو السخيّ الكريم وان كان شيخاً والبطن وسط كل شيء وهنا وسط مكّة.

(٢) إنكاس جمع نكس وهو الرجل الضعيف والكشف جمع اكشف وهو الذي لا ترس معهُ في الحرب وحركت الشين للضرورة والميل جمع أميل وهو الذي لا سيف معهُ والمعازيل جمع معزال وهو الذي لا سلاح معهُ والمشهور أعزل.

(٣) تهليل تأخر ومعنى البيت انهم لا يقتلون منهزمين بل وجهاً لوجهٍ فلا يتأخرون عن ورود منهل الموت.

(٤) واحدة البرد وهي الثوب المخطط.

. . . .

(*) الشعر والشعراء جـ ١ ص ١٥٦.

حَسانُ بن ثابت (٦٧٤)

هو أبو الوليد حسّان بن ثابت الأنصاريّ. وكان فحلاً من فحول الشعراء وقد قيل إنّهُ أشعر أهل المدر (*) (١). ولما اظهر محمد نبيّ الاسلام دعوتهُ لحقهُ أذى كثير من أهل مكة فهاجر الى المدينة ولم يكفّ أعداؤُهُ عن تعييره وهجائه. فأذن لحسّان بن ثابت أن يعارضهم بمثل قولهم فكان يهجوهم بأقوال أشدّ عليهم من وقع النبل(٢) ومدح محمداً بقصائد غرّاءَ هي غاية في الحسن وكان يدلع لسانهُ(٣) ويقول «والله لو وضعتهُ على شعر لحلقه أو على صخر لفلقه(**)» ولحسان في الجاهليّة والاسلام شعر كثير رائق في المدح والفخر والوصف والرثاء والهجاء فمن قولهِ يفتخر:

ولقد يعلمُ من حاربنا أننا ننفعُ قِدْماً ونُضِرْ
صُبُرٌ للموت إن حلّ بنا صادقو البأس غطاريفُ فُخُرْ(٤)

---

(١) المدر الحضر وفي الاصل الطين اليابس ثم اطلق على المدن والقرى.

(٢) السهام. (٣) يخرج.

(٤) صبر جمع صبور وهو الصابر المعتاد الصبر والبأس الشدّة وغطاريف جمع غطريف وغطراف وهو السيد الشريف وفخر جمع فخور وهو المتمدح بالخصال.

. . . .

(*) الأغاني جـ ٤ ص ٣.

(**) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٣٠٥.

وأقـامَ الـعـزُّ فـيـنـا والـغـنى فلنـا فيهِ عـلى النـاس الكِبَـر (١)
نـحن أهـلُ الـعـزّ والمجـد مـعـاً غـيرُ أنكـاسٍ ولا ميـلٌ عُـسُـرْ (٢)
فـاَسـألـوا عـنـا وعن أفـعـالـنـا كـل قـوم عنـدهم علمُ الخَبَرْ (*)

ومن قولهِ يمدح الانصار:

قـوم اذا حـاربـوا ضـرُّوا عدُوَّهُـم أو حاولوا النفعَ في أشياعهم نفعوا (٣)
سـجيّـةٌ تـلك منهم غـيرُ محُـدَثـةٍ ان الخـلائق فـاعلم شـرُّهـا البِـدَعُ (٤)
لا يرقع الناسُ ما أوهـت أكفّهم عند الرّقاع ولا يُوهون ما رقعوا (٥)
إن كان في النّاس سبّاقون بعدهُم فكل سَبْقٍ لأدنى سبقِهم تَبَعُ (٦)
يُسْمون للحرْبِ تبـد وهي كالحةٌ إذا الزعانـفـمن أظفارها خَشَعوا (٧)
لا يفرحُونَ إذا نَـالوا عدوهـم وإن أصيبوا فلا خور ولا جزع (٨)

---

(١) العز القوّة.

(٢) الأنكـاس جمع نكس وهـو الرجـل الضعيف وميـل جمـع أميـل وهـو الـذي لا سيف معـهُ وعسر جمع أعسر وهو الذي يعمل بشمالِه.

(٣) أشياعهم تابعوهم.

(٤) السجيّة الخلق والطبيعة ومحدثة جديدة والبدع جمـع بدعـة وهي ما كـان مخترعـاً على غـير مثال سابق ثم غلب على ما هو زيادة في الدين او نقصان منهُ.

(٥) رقـع الثوب أصلحـهُ وأوهى خرّق وشقق اي ان النـاس لا يصلحون مـا أفسدهُ الانصـار يفسدون ما أصلحوه.

(٦) اي مهما اجتهد الناس في السابق بعدهم لا يبلغ سابقهم الا ادنى الأنصار.

(٧) يسمون يرتفعون وكالحة عابسة عبوساً مفرطـاً والزعـانف جمع زعنفـة وهو القصـير والرذل وخشعوا خافوا.

(٨) أُصيبوا خسروا والخور الضعف والجبن.

. . . .

(*) الديوان ص ١١٧ . ١١٨.

كأنهم في الوغى والموت مكتنع	أسود بيشة في أرساغها فدع (١)

ولهُ على هـذا الطراز شيءٌ كثير. وكان لـهُ على عهـد الجاهليّـة حظوة عنـد ملوك غسّان وله في مـدحهم القصائـد العامـرة وقد بقي عـلى ولائهم وحفظ لهم منّتهم الى آخـر عمرهِ مـع زوال عزّهم واضمحـلال آثارهم وتعيير قوم لـهُ عـلى ثبات موالاتهِ لهم وقد باد ملكهم وفنوا ومن قوله فيهم:

أسـألتَ رسمَ الـدار ام لم تسـألِ	بين الحـواني فـالبُصيع فَحَـوْمَـلِ (٢)
دارٌ لـقـومٍ قـد أراهـم مـرّةً	فـوقَ الأعـزَّةِ عـزُّهم لم يُنْقَـلِ (٣)
لله درُّ عـصـابـةٍ نـادمـتـهـا	يـومـاً بجِلَّقَ في الـزمـان الأوَّلِ (٤)
أولادُ جـفنـةَ عـنـد قـبـر أبيـهـمِ	قبـرِ أبنِ مـاريـةَ الكـريم المُفضـلِ (٥)
يُغشَـون حتى مـا تهـرُّ كـلابهم	لا يَسـألـون عن السّـواد المقبـلِ (٦)
يسقـون مَن وَرَدَ البـريصَ عـليهم	كـاساً تُصفَّقُ بـالـرحيق السَلسَـلِ (٧)
بيضُ الـوجـوهِ كـريمـةٌ أحسـابُهم	شُـمُّ الأنـوف من الـطِراز الأوَّلِ (٨)

---

(١) الوغى الحرب ومكتنع حاضر ودابوبيشة مكان مشهور بالاسود والأرساغ جمع رسغ وهـو مفصـل ما بـين الساعـد والكف او الساق والقـدم والفدع اعـوجاج الـرسغ من اليـد او الـرجل حتى ينقلب الكف او القـدم الى انسيّها (والانسي مـا أقبل من اليـدبن والرجلين على الداخل).

(٢) الحواني والبصيع وحومل أعلام أمكنة.

(٣) الأعزّة جمع عزيز وهو الشريف والقويّ.

(٤) عصابة جماعة وجلق دمشق.

(٥) المفضل المتكرو.

(٦) يغشون يقصدون وهرّ الكلب صوّت بدون نباح أي أن كلابهم اعتادت الغرباء فلا تهرّ عند قدومهم ليلاً وقال الحطيئة عن حسان انه أشعر الشعراء في هذا البيت.

(٧) البريص أسم مكان وتصفق تملأ والرحيق أطيب الخمر وأفضلها والسلسل البارد والسهل الدخول في الحلق.

(٨) شم جمع أشم أي ذو الشمم وهـو ان يـطول الأنف ويـرتفـع اعلاهُ يكنى بـذلـك عن الشهامة والطراز النمط.

(*) الديوان ص ١٤٥ . ١٤٦.

ولقد شربتُ الخمرَ في حانوتِها صهباءَ صافيةً كطعم الفُلفلِ (١)
إن التي عاطيتَني فرددتُها قُتلتْ قُتِلْتَ فهاتِها لم تُقْتَلِ (٢)
كلتاهما حَلَبُ العصير فعاطِني بزجاجةٍ أرخاهما للمَفْصِلِ (٣)
بزجاجةٍ رقصت بما في قعرِها رقصَ القلوصِ براكبٍ مستعجلِ (٤)
ولقد تقلّدنا العشيرة أمرها ونسودُ يومَ النائباتِ ونعتلي (٥)
وتزور أبوابَ الملوك ركابُنا ومتى نُحكَّمْ في البريَّة نعدلِ (٦)(*)

ويروى أن حسان بن ثابت عُمّر مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الاسلام.

---

(١) الحانوت الدكان والصهباء خمر معصورة من عنب أبيض.

(٢) عاطيتني ناولتني وقتلت مزجت بالماء.

(٣) كلتاهما اي الممزوجة وغير الممزوجة وحلب العصير الخمر وعاطني ناولني وأرخاهما للمفصل هي الخمرة غير الممزوجة.

(٤) القلوص الناقة الفتية.

(٥) النائبات المصائب.

(٦) ركابنا ابلنا والبريّة الخليفة.

(*) الديوان ص ١٧٩ . ١٨٠ ـ ١٨١.

أَلنَّابغةُ آلْجعديّ

(٦٨٠)

هو أبو ليلى حسان بن قيس الجعدي الملقّب بالنـابغة. قيـل أنّهُ لقّب بـذلك لأنّهُ اقام مـدّة لا يقـول الشعر ثم نبـغ فيهِ. كـان من مفلقي الشعراء ومقـدميهم وعـاش دهراً طـويلاً في الجـاهلية والاسـلام وهو أسنّ من النـابغة الـذبيـاني (*) ومن شعرهِ قولهُ:

خليـليّ عُـوجـا سـاعـةً وتهجّـرا ... ولُوما على ما أحـدثَ الدهـرُ أوذَرَا(١)

ولا تجـزعـا انّ الحـيـاةَ ذمـيـمـةٌ ... فخِفّـا لـرَوعـاتِ الحـوادث أو قِـرَا(٢)

خليـليَّ قـد لاقيتُ مـا لم تـلاقيـا ... وسيّـرت في الأحيـاءِ مـا لم تسيّـرا(٣)

تَذكّرتَ والـذكرى تهيجُ لذي الهوى ... ومن عـادةِ المحـزونِ أن يتـذكّـرا

نُـدامـايَ عنـد المنـذر بن محـرّقٍ ... أرى اليومَ منهم ظاهرَ الارضِ مقفراً(٤)

---

(١) عوجا قفا وتهجّر سار في الهاجرة وذرا دعا.

(٢) خفّ أسرع وروعات الحوادث فزعاتها ووقر المرءُ رزن وثبت.

(٣) الأحياء جمع حي وهو محلة القوم

(٤) نـدامي جمع نـدمان وهـو المنادم والمحـرق هو جفنة بن المنذر الأكبـر لقب كـذلـك لأنـهُ أحرق مدينة الحيرة.

. . . .

(*) الأغاني جـ ٤ ص ١٢٩ والشعر والشعراء جـ ١ ص ٢٩.

كهـولاً وشبَّـانـاً كـأنّ وجـوَهـهـم دنانيرُ ممّا شيفَ في أرض قيصـرا(١)
ومـا زلتُ أسعـى بـين بـاب وداره بنجـرانَ حتى خفتُ أن اتنـصَّـرا(٢)
لـدى ملكٍ من آل جـفنـةَ خـالُـهُ وجدّاهُ من آل أمرئِ القيس أزهرا(٣)
يُـديـرُ عـلينـا كـأسَـهُ وشـواءَه منـاصفُـهُ والحضـرميَّ المحَّبـرا(٤)
رحيقـاً عِـراقـيّـا ورَيـطاً شـآمـيـاً ومعتبِـطاً من مسـكِ دارين أذْفَـرا(٥)
ونـحـنُ أُنـاسٌ لا نـعـوّدُ خيـلَنـا اذا مـا التقينـا أن تحيـدَ وتنفُـرا(٦)
ومـا كـان معـروفـاً لنـا ان نـردَّهـا صحـاحاً ولا مستنكـراً أن تُعقَّـرا (٧)
اتيتُ رسـول الله اذ جاء بـالهـدى ويـتلو كـتـابـاً كـالمجـرة نـيـرا
بلغنـا السـما مجـداً وجـوداً وسؤدداً وانـا لنرجـو فـوق ذلـك مـظهـرا (٨)
ولا خـيـر في حِـلمٍ إذا لم يـكـن لـهُ بـوادرُ تحمي صفـوهُ أن يُكـدَّرا (٩)

(١) الكهـل من وخطهُ الشيب او من تـراوح سنهُ من الشلاثين الى الخمسـين وسيف مجهـول شاف أي جلا وصقل.

(٢) بحران بلد في اليمن.

(٣) جفنة تقدم ذكره فويق هذا والأزهر المشرق الوجه نعت ملك.

(٤) الشـواء ما شـوي من اللحم وغيره ومنـاصف جمع منصف أي خـادم وهو فـاعـل يـدير والحضـرمي الشـوب المنسـوب الى حضـرمـوت وهي بلدة صغيـرة شـرقي عـدن والمحبـر المحسن والمزين.

(٥) الـرحيق أفضل الخمـر والصافي منهـا والريط جمـع ريطة وهي كـل ملاءة كـانت قطعتـين متضامتين والمعتبط الطري ودارين فرضة في البحرين يحمـل المسك اليهـا من الهند وفيهـا يباع وأذفر شديد الرائحة.

(٦) تحيد تميل وفي البيتين اشارة الى اعتيادهم الحرب.

(٧) تعقر تقطع قوائمها.

(٨) السؤدد السيادة ومظهر ارتفاع.

(٩) بوادر جمع بادرة وهي الحدّة وما يبدر منها في الغضب.

ولا خـيرَ في جهـل اذا لم يكـن لـهُ حليمٌ اذا مـا أورد الأمـر أصـدرا(١)

يتنـاول النابغـة الجعدي في رائيتـه موضـوعات متنـوعة، ففي بـدايتها يقف موقفاً فيه التساؤل عن مصير الانسان، ومراحل حياته، فيـرى أن حياة الانسـان مليئة بالهموم والاحداث المحزن منها والمفرح، وكلما تقدم بـالانسان الـزمن حن الى الماضي وتذكر ما مر عليه من احداث فتثير هـذه الذكـريات في نفسـه الاسى والحزن.

والجعـدي يرى في ذكـرياتـه مع المنذر بن النعمـان الأيام الجميلة فـلا يجد بدأ في مدحه، ثم نراه في هذه القصيدة يقف بين يدي رسول الله (ص) مادحاً، فلما قال:

بلغنـا السـماء مجـدنـا وجـدودُنـا وانـا لنـرجـو فـوق ذلـك مظـهـرا(*)

فقال رسول الله: «ألى اين يا أبا ليلى» فقال: الى الجنّة، فقال رسـول الله (ص) «ان شاء الله» ثم أنشده، فلما وصل الى قوله

ولا خـير في جهـلٍ اذا لم يكن لـه حليم اذا مـا أوردَ الأمـر أصـدرا(**)

فقـال رسول الله (ص): «لا يفضض الله فاك قال: فبقيَ عُمَـره لم تنفض له سنٌّ . . » وكان في جاهلتّيهِ ممن أنكر الأوثان وآمن باللهِ عزّ وجلّ ومن قولهِ:

الحمـدُ للهِ الـذي لا شـريـكَ لـهُ مـن لم يقُـلْهـا فـنـفـسَـهُ ظـلـما
المـولـجُ الليـلِ في النهـار وفي آلـ ـلَيْـلِ نهاراً يُـفـرِّجُ الـظُلَما
ألحـافظُ الـرافـعُ الـسـماءِ عـلى الأرْضِ ولم يـبـنِ تحتـهـا دُعُـما(٢)

---

(١) أورد الامـر أتاهُ وتعـاطاهُ واصـدر رجع عنـهُ اي لا يدخـل في مهمّة الا وهـو عارف كيف يخرج منها.

(٢) المولج المدخل ودعم جمع دعام وهو عماد البيت يسند اليهِ.

. . . .

(*) الأغاني جـ ٤ ص ١٣١.

(**) الشعر والشعراء ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

ولما خرج عليّ بن أبي طالب إلى صفين[1] خرج النابغة الجعدي معهُ وكان من حزبهِ لينظم القصائد في مدحهِ وهجاء خصمهِ معاوية بن أبي سفيان. ويحكى أن معاوية أخذ مالهُ وأهلهُ على يدِ مروان بن الحكم فدخل عليهِ يوماً وعندهُ عبد الله بن عامر ومروان وأنشدهُ قولاً كان حذَّر بهِ غيرهُ سابقاً ومنهُ:

مَنْ راكبُ يأتي بنَ هندَ بحاجتي   على النأيْ والأنباء تُنْمى وتُجْلَبُ[2]
ويُخبرُ عني ما أقول آبنَ عامرٍ   ونعم الفتى يأوي إليهِ المعصَّبُ[3]
فان تأخذوا أهلي ومالي بظنةٍ   فاني لحرَّابُ الرجال مجرَّبُ[4]
صبورٌ على ما يكرهُ المرءُ كلّهِ   سوى الظلم إني إن ظُلمتُ سأغضبُ

فأشار مروان ألاّ يُرَدَّ عليهِ شيء. فقال معاوية «ما اهون واللهِ عليك أَنْ ينجحر[5] هذا في غار ثم يقطع عرضي عليَّ فتأخذهُ العربُ وترويهِ... أردد عليهِ كل شيءٍ أخذتهُ» وبلغ النابغة الجعديّ شيخوخة قصيَّة وعلى ذلك قولهُ:

أتت مئةٌ لعامَ ولدت فيهِ   وعشرٌ بعد ذاك وحِجَّتانِ[6]

---

(١) موضع قرب الرقة على شاطيء الفرات كانت به الوقعة العظمى بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان في غرّة صفر سنة ٣٧ هجرية

(٢) ابن هندٍ هو معاوية والناي البعد والأنباء الأخبار وتنمى نعزى وترفع او تزداد.

(٣) المعصَّب المسوّد اي المجعول سيّداً

(٤) ظنّة تهمة والحراب الشجاع الكثير الحرب.

(٥) انجحر السبع دخل حجرهُ اي حفرتهُ

(٦) الحجّة السنة أي أنه عاش مئة واثني عشر عاماً.

عبد الله بن رواحة

(؟ - ٩٤٥م)

هو عبد الله بن روّاحة بن ثعلبة بن أمرىء القيس ينتهي نسبه الى الحارث بن الخزرج الانصاري الخزرجي الشاعر المشهور. يكنى أبا محمد ويقال: كنيته أبو روّاحة.

كان عبد الله يكتب في الجاهلية، وكانت الكتابة في العرب قليلة . . . . وهو صاحب المناقب المذكورة في الاسلام والأيام المشهورة(*)

عرف عبد الله بن رواحة بأدواره المجيدة في الاسلام، حتى ليكاد يظن أنه ليس له علاقة بالجاهلية .

ولإبن رواحة نماذج مختلفة من موضوعات الشعر، ولكن اغلبها كان في وصف جهاده في سبيل الدعوة الاسلامية. ونود هنا ان نأخذ بعض النماذج من شعره لنلاحظ المستوى العالي الذي يتمتع به هذا الشعر، وما استفادة الشاعر من تعاليم الاسلام.

فمن غزله يقول:

تذكر بعدما شَطْت نجوداً وكانت تيمت قلبي وليدا
كذي داء يرى في الناس يمشي ويكتم داءه زمناً عميدا
تصيد غرة الفتيان حتى تصيدهم، وتنشأ أن تصيدا

(*) ابن عساكر جـ ٧ ص ٣٨٧.

فقـد صـادت فؤادك يـوم أبـدت   أسـيـلاً خـدُّه صَلْتـا وجيـدا(*)

فـإبن رواحة يحب، وهـو في حبه كـالمريض الـذي يماشي النـاس ويكتم داءه، ولقد كملت محاسن هذه المحبوبة ، فهي تصادف دائـماً من الفتيان هـوى، ويقعون في شرك حبها دون قصد منهـا لذلـك أورغبة. وهـذا ما فعلتـه مع ابن رواحـة حين صادت قلبه يـوم بدامنهـا وجهها الجميـل وخدهـا الأسيل وجبينهـا الواضح وجيدها الأغيد.

وأمـا شعره الاسـلامي فحبذا أن نستشهـد بتلك الابيات التي قـالها مخـاطبـاً نفسه حين حمل الرايـة في موقعـه (مّؤته) بعد مقتـل زيد بن حـارثه وجعفـر بن أبي طالب. وتقدم بها وهو عـلى رأس فرسـه فجعل يستنـزل نفسه ويتـردد بعض التردد ثم قال:

أقـسـمـت يـا نـفـسـي لـتـنـزِ لِـنَّـهْ
طـائـعـةً أو فـلتُـكـرِهـنَّـنْـهْ
إن أجْـلَبَ الـنـاسُ وشـدُّوا الـرَّنَّـهْ
مـالي أراكِ تـكـرهـيـن الجـنَّـهْ
وطـالمـا قـد كـنـت مـطمئـنَّـهْ (**)

(*) ديوانه ص ٢٥ .

(* *) ديوانه ص ٦٩ .

عَليُّ بنُ أَبي طَالب (٦٦١)

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب القرشي. كان غلاماً لما أظهر ابن عمّهِ محمد دعوته فآمن به وشبّ على حبّه وتأصّلت عقائد الإسلام في قلبه فكان اشد القوم تشبّثا[١] بدينهِ وأقواهم حماسة في الدفاع عن حوزتهِ[٢] وأسرعهم إلى التفاني في إعلاء منارهِ ونشرهِ في القبائل وأثقلهم يداً على أعدائهِ من مبتدعين وخوارج[٣] وبلغ عليّ مكانة رفيعة في الاسلام ففي مواقع القتال كان بطلاً صنديداً وقرماً[٤] عنيداً وخصماً مظفّراً لم يرجع قطُّ منهزماً من نزال. وفي محافل الأمّة خطيباً مصقعاً آراؤهُ آيات باهرات واقوالهُ حكم معجزات وما آتّصل إلينا من خطبهِ وجوامع كلمه وسُم كلهُ بطابع البلاغة الرائعة والحكمة الواسعة ويشهد لهُ ببعد الغور[٥] ورسوخ[٦] القدم في الكمالات الانسانية ويحلّهُ محلاً سامياً بمجالس ارباب العلوم السنيّة.

ويقال ان عليّا كان مع ما امتاز بهِ عن قومهِ من قرابة النبيّ ومقام الخلافة زاهداً في حطام الدنيا مزدرياً[٧] للاموال المتدفقّة على بيت المال في ايّامهِ لكثرة

---

(١) تعلقا.
(٢) حوزة الملك ما بين تخومها.
(٣) المبتدعون أصحاب البدع والخوارج العصاة.
(٤) القرم هو الفحل اذا ترك عن الركوب والعمل استعير للخصم الذي لا يقهر.
(٥) القعر من كل شيء اي انهُ عميق النظر.   (٧) محتقراً.
(٦) ثبات.

الفتوحات واتساع المملكة خشن المطعم والملبس لا يستحي من رقع قميصهِ وخصف[1] نعلهِ بيده. ولما كان لا تأخذهُ في اقامة شعائر[2] الدين لومة ان يقوّم أَوَد[3] القوم ويحملهم على الزهد في الدنيا ويعيدهم الى خشونة المعاش فأعظموا ذلك وأنكروه وامتنعوا عليهِ وكانوا قد اعتادوا رخاء العيشة على أيام عثمان بن عفّان الخليفة السابق واسترسلوا الى الملاذّ واستكثروا من الاموال على اختلاف انواعها فكان لهُ من ذلك متاعب ومصاعب نغصت عيشهُ في خلافتهِ.

وزاد الامور ارتباكاً وقوف معاوية بن أبي سفيان عامل الشام في المرصاد طامحاً الى الخلافة من زمن طويل بلا حقّ ولا مزية سوى مكرهِ ودهائه ونهمهِ. فما كاد يبلغهُ مقتل عثمان ـ وكان امويّا مثلهُ ـ حتى قبض على الفرصة بناصيتها[4] وهب لبلوغ امنيتهِ بدعوى المطالبة بدم الخليفة القتيل. فأبى مبايعة علي وبثّ روح العداء لهُ في أهل الشام واصطنع الأحزاب ببذل الاموال الفاحشة وحشد الجيوش ونازل عليّا. فالتقى القومان في صفّين وجرت بينهما الحرب سجالاً[5] وفني خلق كثير. واتفقوا أخيراً على إقامة حكمين من قبل الفريقين والعمل بما يقرّر رأيهما عليهِ فاضطرّ عليّا أصحابُهُ ان يحكّم ابا موسى الأشعري رجلاً خلواً من المكر وجاهلاً ملاوي السياسة وحكم أصحاب معاوية عمرو بن العاص وكان داهية دهياء أبعد شيء عن خلقه صدق المقال وحفظ الذمام[6]. ولما اجتمعا أقنع عمرو أبا موسى ان يخلع كلٌّ منهما صاحبهُ ليتيسّرانتخاب خليفة يرضى بهِ الفريقان فقنع أبو موسى وتقدّم اليه عمرو ان يبدأ بالكلام في الناس متظاهراً باجلال سنّه وقدره. فخطب أبو موسى وخلع

---

(١) خرزها بالمخصف او المخرز.

(٢) شعائر الدين ما يقتضيهِ من العبادات الظاهرة والمحاباة الميل الى الشخص مع انحراف عن العدل.

(٣) اعوجاج.

(٤) شعر مقدم الرس.

(٥) تارة لهم وتارة عليهم.

(٦) الحق والعهد.

عليّا ثم قام عمرو فقرّر خلع عليّ واثبت الخلافة لمعاوية فتضعضع حزب علي إلا أنهُ لم ينزل عن سدَّة الخلافة. وقويت شوكة معاوية وتهيأ لهُ الاستيلاء على أزمّة الملك بعد مقتل عليّ. وقد كانت أبصارهُ تطمح إليهِ منذ ثلاثين سنه. وهكذا انتقلت الخلافة الى بني اميّة وجعلها معاوية وراثية في أعقابهِ وكانت قبلا انتخابية.

والمأثور من كلام علي بن ابي طالب كثير جدًّا لا يخلو منهُ مجموع ادبيّات. وقد جمع السيد الرضي من أهل القرن الخامس للهجرة ما ينسب الى علي من الخطب والحِكَم في كتاب سّماهُ «نهج البلاغة» وهو مطبوع متداول بين الادباء وشهرتهُ تغني عن الاطناب في وصفهِ. وينسب الى علي شعر حسن الديباجة عذب الالفاظ رقيق المعاني سهلُ المأخذ حتى على العامّة فهو عنوان الفصاحة الحقيقيّة ومعظمهُ حكم وابتهالات. فمن ذلك قولهُ:

لك آلحمد ياذا الجودِ والمجدِ والعلى ... تباركت تعطي من تشاء وتَمنعٌ
إلهي وخلاّقي وحِرزي ومَوئلي ... إليك لدى الاعسار واليُسر أفزَعُ(١)
إلهي لَئِن خيبتني وطردتني ... فمن ذا الذي أَرجو ومن ذا أشفَعُ
إلهي ترى حالي وذُلّي وفاقتي ... وانت مناجاتي الخفيةَ تسمعُ(٢)
إلهي فلا تقطع رجائي ولا تُزغ ... فؤادي فلي في باب جودك مطمعُ(٣)
إلهي لئن عذَّبتني الفَ حجَّةٍ ... فحبلُ رجائي منك لا يتقطَّعُ(٤)
إلهي اذا لم تعفُ عن غير محسنٍ ... فمن لمسيءٍ بالهوى يتمتَّعُ
إلهي لئن فرّطتُ في طلب التقى ... فها انا إثرَ العفو أقفو وأتبعُ(٥)
إلهي أَقِلني عثرتي وامحُ حَوبتي ... فاني مقرٌّ خائف متضرّعُ(٦)

---

(١) الحرز الحصن والموئل الملجأ والاعسار الفقر واليسر الغنى وأفزع التجىء.

(٢) الفاقة الفقر والمناجاة او النجوى المسارّة.

(٣) تزغ تمل. (٤) الحجّة السنة.

(٥) فرط قصر واظهر العجز.

(٦) أقاله عثرتهُ صفح عنهُ وأنهضهُ من سقطتهِ والحوبة الخطيئة.

إلهي حليفُ الحب بالليل ساهرٌ ينادي ويبكي والمغفَّل يهجعُ (١)
إلهي يمنّيني رجائي سلامة وقبح خطيَّاتي عليّ يشنّعُ (٢)

ولهُ في النسج على هذا المنوال شيءٌ كثير. ومن قوله:

النـاس من جهـة التمثـالِ أكفـاءُ أبـوهـمُ آدمٌ والأمُّ حـوَّاءُ (٣)
فـان يكن لهـم في أصلهـم شـرفٌ يفـاخـرون بـهِ فـالـطينُ والمـاءُ
مـا الفضـل الاّ لأهـل العلم إنّهمُ عـلى الهُدى لمن استهـدى أدلاّءُ (٤)
وقيمـةُ المرءِ مـا قـد كـان يُحسنـهُ والجـاهلون لأهـل العـلـم أعـداءُ
وان أتيتَ بجـودٍ من ذوي نسـب فـان نسـبتنـا جـودٌ وعليـاءُ (٥)
فقـم بعلمٍ ولا تَبْـغِ بـهِ بـدلاً فـالنـاس موتى وأهـل العلم أحيـاءُ

وتوفي عليّ بن أبي طالب قتيلاً قتلهُ ابن ملجم وهو في المسجد وعمرهُ ثماني وخمسون سنة. ومدَّة خلافتهِ أربع سنوات وتسعة أشهر.

لم تكن أحداث صفين قد احدثت تزعزعاً قوياً في مجرى السياسة فحسب، بل انها احدثت أيضاً تزعزعاً في نفوس المسلمين في ذلك الوقت، فتولد عن السياسة فرق حزبية لكل فرقة انصارها من الشعراء والأدباء، فأحدثت ثورة فكرية قوية، وأتت بموضوعات جديدة لم تكن معروفة من قبل، وما دمنا في الحديث هنا عن علي امير المؤمنين وعن مراحل حياته ، فحسبنا ان نشير ولو بإيجاز الى مواقف بعض الشعراء والأدباء، وما قالوه أثناء معركة صفين: فهذه أم الخير بنت الحريش تقف في وسط صفوف جند علي بن أبي طالب تحرضهم على القتال قائلة: «يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم» ان الله قد أوضح لكم الحق، وأبان الدليل، وبين

(١) يهجع ينام.

(٢) يمنيني يرغبني.

(٣) التمثال الصورة واكفاء جمع كفء وهو القرن والمساوي.

(٤) أدلاء جمع دليل.

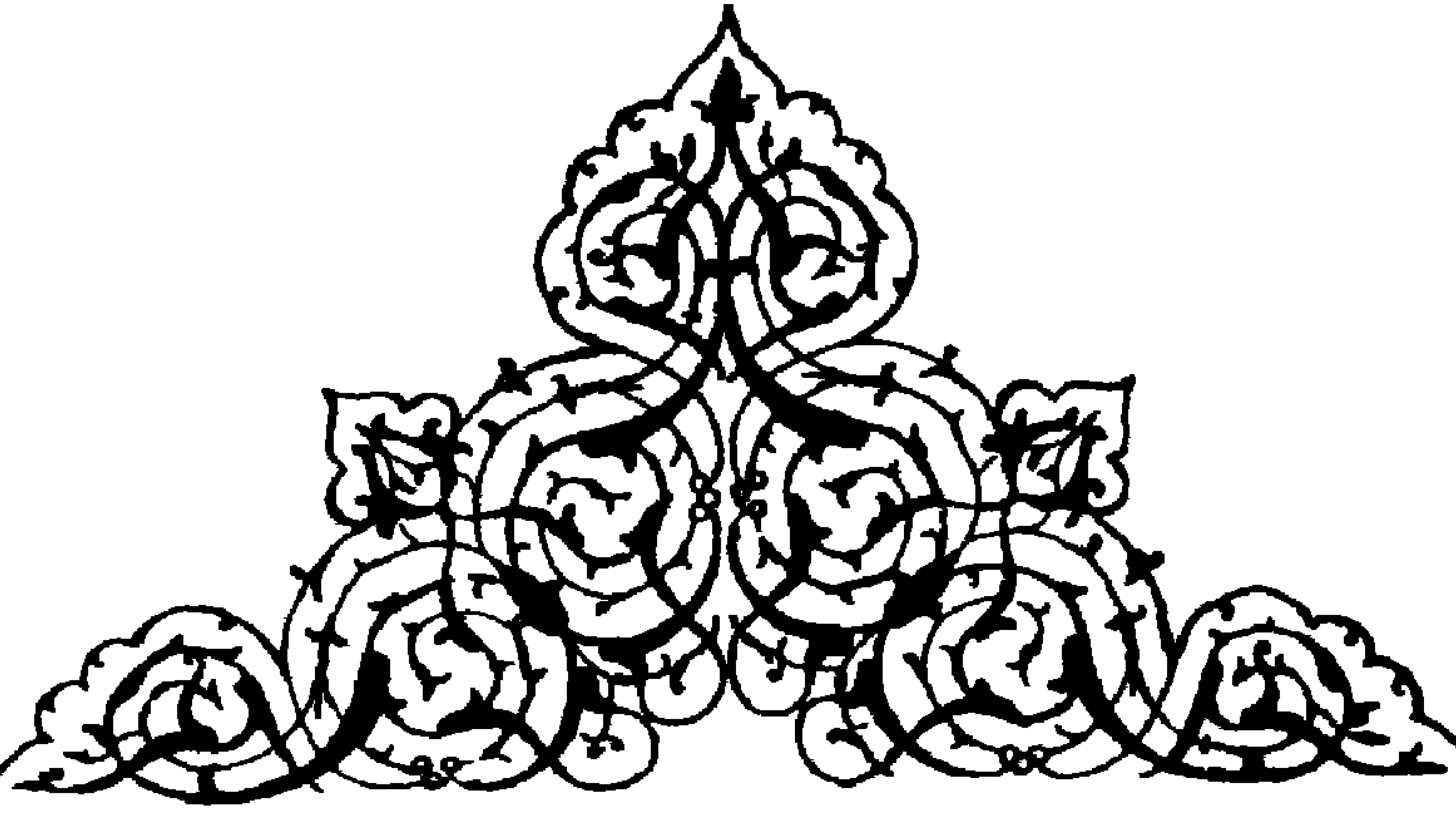
(٥) العلياء الرفعة والشرف.

السبيل، ورفع العلم، ولم يدعكم في عمياء مدلهمة. فأين تريدون رحمكم الله؟ أفراراً عن امير المؤمنين؟ أم فراراً من الزحف؟ أم رغبة عن الاسلام، أم ارتداداً عن الحق؟ أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول: «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم» اللهم قد عيل الصبر وضعف اليقين وانتشرت الرغبة وبيدك يا رب أزمة القلوب؟ فاجمع الكلمة على التقوى، والف القلوب على الهدى واردد الحق إلى أهله(*).

ووقف أبو ايوب خالد بن زيد الانصاري وكان من سادات الانصار يخاطب معاوية:

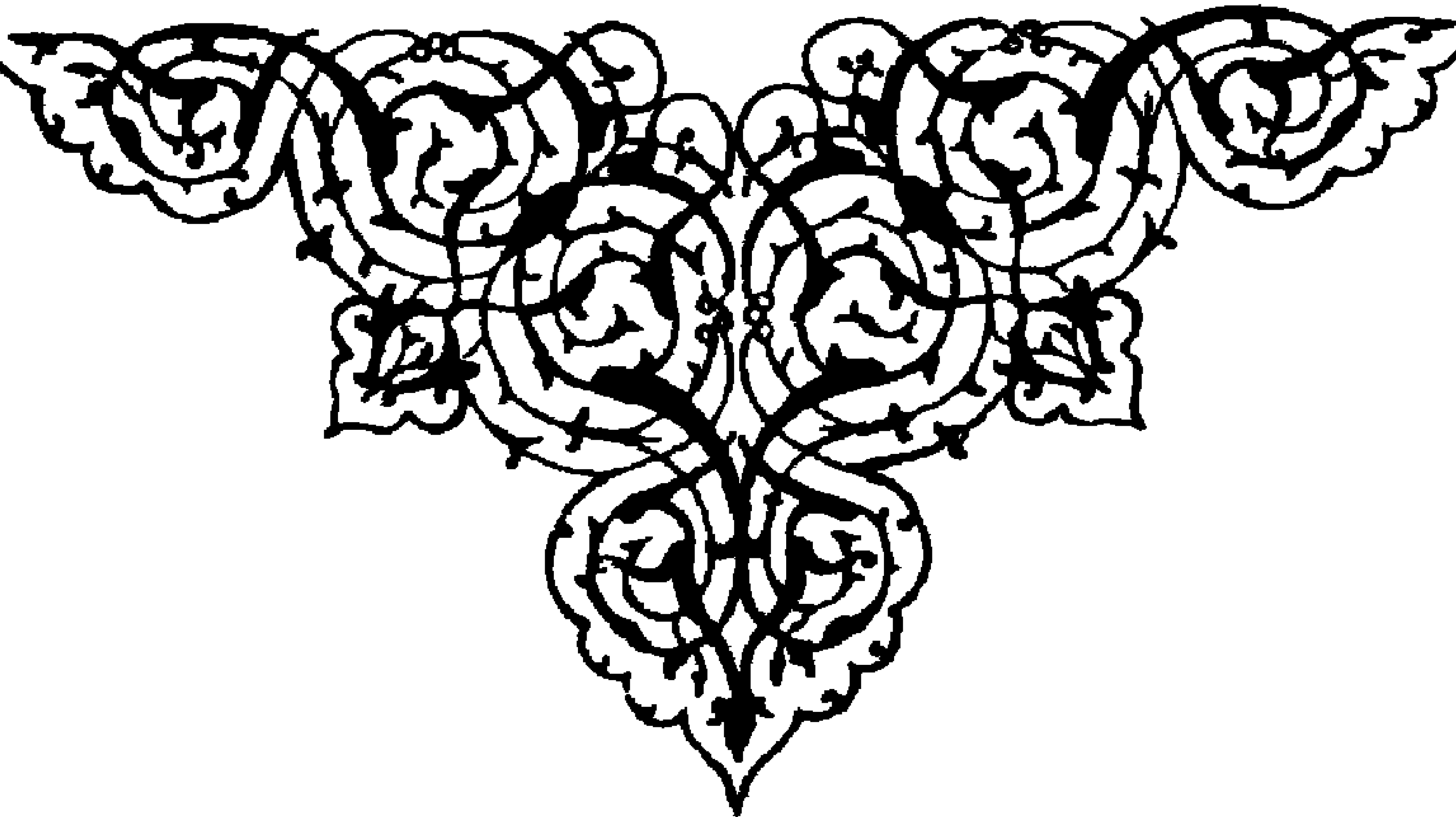
لا توعدنا ابن حرب اننا نفر ... لا نبتغي ودَّ ذي البغضاء من أحد
واسعوا جميعاً بني الاحزاب كلكم ... لسنا نريد رضاكم آخر الأبدِ
نحن الذين ضربنا الناس كلهم ... حتى استقاموا وكانوا بني الأوَّدِ
والعام قصرك منا ان ثبت لنا ... ضرب يزيل بين الروح والجسدِ
أما علي فانا لا نفارقه ... مار فرف الآل في الدو ية الجردِ
اما تبدلت منا بعد نصرتنا ... دين الرسول اناساً ساكني الجندِ

(*) العقد الفريد جـ ٢ ص ١١٥.



اللــــغة

في الـدّولـة الأمويّـة



قُتل عليّ بن أبي طالب وصفا الجوّ لمعاوية بن أبي سفيان وتهيّأ لهُ الحصول على أمنيّته[١] والظفر بما كانت تحدّثهُ بهِ نفسهُ وتطلّ عليهِ انظارهُ منذ زمن طويل. وتمّ لهُ السعد باعتزال الحسن بن علي وكان حزب أبيهِ قد بايعهُ. فانّهُ لما رأى استفحال أمر معاوية واضطراب احوال الأُمة سلّم مغالبةُ أزمّة الخلافة ونزل لهُ عن حقوقهِ وقد أحسّ من نفسهِ أنهُ غير كافٍ لمناهضة خصمهِ[٢] وركوب هذا المركب الخشن. فتربّع معاوية في دست الخلافة وبايعتهُ الامة بأسرها[٣] رغبةً او رهبةً. قالوا ومن لم يذعن إلى الوعد والوعيد من خاصّة القوم وكبرائهم وكل الى العسل[٤] ان يكفيهُ مؤنتهم. فاستتبّ لهُ[٥] الملك وحكم بدهائهِ عشرين سنة لم يألُ في أثنائها جهداً لتوطيد سلطانهِ والاستئثار[٦] بهِ لبنيهِ من بعده فأنْفد[٧] في نيل مبتغاهُ جعبة[٨] حيلهِ وفنون سياستهِ ولم يترك سبباً قلّ أو جلّ آتخذهُ وعُني بهِ

ومن جملة الأعوان على تملك خواطر العامّة في ذلك الزمان واصطناع الأحزاب فيهم استمالة الشعراء وحملهم على مدح الدولة الجديدة والافاضة في تعداد خيرها ومجدها. ولم يكن معاوية ليفوتهُ مثل هذا الامر وكان يعلم أن الشاعر إذا قال القصيدة في مدحهِ أو هجائهِ جالت اقوالهُ آفاق المملكة وتغّنى بها لهُ او عليه كبير العرب وصغيرها حضريُّها وبدويّها وقد رأيت مصداق ذلك في ترجمة الحطيئة والنابغة الجعديّ فكان يفيض[٩] على مشايعيهِ منهم الأعطيات الوافرة ويقطع عنهُ ألسنة اضدادهِ بكرمهِ وحلمهِ[١٠] وطول أناتهِ[١١] ولم يكن

---

(١) مرغوب. (٢) لمقاومتهِ (٣) جميعها.

(٤) زعموا ان معاوية كان اذا أعياهُ أمر رجلٍ يخافه دس لهُ من يسقيه شربه عسلٍ ويتخلص من شرّهِ ولذلك قال بعضهم مشيراً الى هذه الخديعة الفظيعة. «ان لله جنداً من العسل»

(٥) استقام. (٦) استبدبهِ وخصّهم بهِ دون سواهم.

(٧) افرغ. (٨) كنانة النشاب.

(٩) يسكب. (١٠) صبرهُ.

(١١) تمهلهُ ووقارهُ

أحـدٌ أدرى منهُ بحـاجـة الـدولـة الى هؤلاء الجنـد الـذين لا سـلاح لهم سـوى السنتهم الذرِبة[1] ولا سيَّما وان دولة بني أميَّـة قامت وعـامَّة المسلمـين كارهـون لها لا تُمتُّ[2] إليهم بقرابة النبي ولا يرون لها مزيّة سوى المكـر ولا دعامـة سوى البطش فكانت جلبة[3] الشعراء تمـوّهُ[4] على عقـول الجماهـير وتصمّ الآذان عن الاصغاء الى دعوى المطالبين والمحتجّين فعزّ الشعـراء وعلت مكانتهم في المملكـة وقويت شوكتهم وهيبت سلطتهم.

وزاد الشعـرءَ رفعة وإعـزازاً أن دولة الأمـويين دولـة عربيّـة محضة والسيـادة فيهـا للعنصر العـربيّ دون سواهُ ولـما كان العـرب مطبـوعين عـلى قـرض الشعـر مولعين بإنشادهِ والمفاخرةِ بهِ تم لقائليـهِ في العصر الأُمـوي اتقانـهُ والابداع فيـهِ. فنبغ منهم جماعة لهم في الشعر المكانة العالية والقدم الراسخة وامتاز شعرهم عن شعـر متقدميهم بـالرقـة والسلاسـة واتسم[5] بمسحة من الحضـارة مما يـدل عـلى تـأثير مـدنية الشعـوب التي أخضعها المسلمـون عـلى بـداوة العـرب وخشـونتهم فصقلت طباعهم ولطفت أذواقهم ولم يكن تحضرهم[6] لينزع من شعـرهم متانـة العبـارة وفحولـة اللهجة البـدويّـة للصـوقهم بـالبـاديـة واهلهـا وقـرب عهـدهم بسكناها. فكأنهم كانـوا وهم على شـرفات[7] قصـور دمشق عاصمتهم الجـديدة يحنّـون الى بـاديتهم ويـوجّهـون اليهـا نـظرات الحبّ والشـــوق ويشعـرون من انفسهم بعـاطفة هي أشبـه شيءٍ بالحسـرة والتلهّف عـلى سـابق حـريّـة بـدويـة وعيشـة مطلقـة الجناح قضى عليهـا الى الأبد رقّ الحضـارة والعبوديـة المعشـوقـة المكروهة لحاجاتها المتعددة المتلونة.

---

(١) الحادّة. (٢) تصل وتتوسل.

(٣) صياح. (٤) تزوّر وتزخرف.

(٥) اتسم جعل لنفسهِ سمة أي علامة يعرف بها.

(٦) اقامتهم بالحضر وهو ضدّ البادية.

(٧) ما اشرف أي ارتفع من بنائها.

قلنا ولعلّ لهم من هذه الحال عذراً يشفع فيهم فيما يؤخذ عليهم من تحدّيهم[1] شعراء البدو بذكر الطلول والبكاء على الأحبّة الذين ظعنوا في طلب المرعى وارتياد النجعة مما لم يعد لهُ معنى في ايامهم. والله أَعلم

وسنذكر لُمَعاً[2] من اخبارهم ونبذاً [3]من اقوالهم يقف منها المطالع على مكانهم من الأدب في تلك المدّة. وبالله التوفيق.

---

(١) تحداهُ فعل فعلهُ.

(٢) جمع لمعة بالضم وهي القطعة من الخبر.

(٣) جمع نبذة بالضم وهي القطعة من القول.

الشعراء المتقدّمون

ألشعراء المتقدمون ويقال لهم أيضاً الاسلاميون هم شعراء الدولة الأموية وسمة شعرهم البلاغة الموروثة عن الجاهلية وزيادة في التفنّن وصقل القول فهم أعلى طبقة في معانيهم ممن قبلهم إلا انهم أَضعف ملكة وأقلّ أسراً[1]

(١) ضبطاً.

مَالِكُ بْنُ الرَّيْب (٦٧٦)

هـو مالـك بن الريب التميمي من محسني شعـراء الدولـة الأمـويـة سـريـع العـارضة بـدويّ البيت. وكان في بـداءَة أمرهِ لصّـا فـاتكـاً يعيث[١] في البـاديـة ويقطع الطريق في شرذمة[٢] من أصحاب لهُ. ولما استعمل [٣] معـاوية سعيـد بن عثمان بن عفّان عـلى خراسـان مضى بجندهِ في طـريق فارس فلقيـهُ بها فـأعجبهُ وقـال لهُ «مـالك ويحـك تفسـد نفسـك بقـطع الـطريق ومـا يـدعـوك الى العبث والفساد» قال «يدعوني إليهِ العجز عن مساواة ذوي المروآت ومكـافأة الاخـوان» قال «فان انـا أغنيتك واستصحبتـك أفتكفّ عما كنت تفعـل» قال «اي والله أيهـا الأمير أَكفّ كفّا لم يكفّ أحدٌ أحسن منهُ» فاستصحبه وأجرى لهُ خمس مئة درهم في كـل شهـر[*]. ولمـا كـان ببعض الـطريق أراد ان يلبس خفّـهُ[٤] فـاذا بأفعى في داخلهِ فلسعتهُ فلما احسّ بالموت استلقى على قفاهُ ثم أنشأ يقول:

دعاني الهوى من أهلِ ودّي وصُحبتي   بـذي الـطَّبَسَـيْنِ فـالتفتُّ ورائيـا[٥]

---

(١) يُفسد. (٢) جماعة قليلة.

(٣) اتخذه عاملاً أي حاكماً من قبلهِ. (٤) حذاءه.

(٥) أهـل وديّ احبابي والـطبسان كـورتان بخـرسان كـل واحـدة يقـال لهـا طبس وهمـا بـابـا خراسان واو ل ما فتحهُ الاسلام منها.

. . . .

(*)الأغاني جـ ١٩ ص ١٦٣.

أجبتُ الهـوى لمـا دعـاني بـزفـرةٍ تـقنّعتُ منهـا أَن أُلامَ ردائيـا(١)
لعمـري لئن غالت خـراسـان هـامتي لقـد كنت عن بَابَيْ خـراسان نـائيا(٢)
فـللّهِ دَرّي يــومَ أَتــركُ طـائـعـاً بنيَّ بأعلـى الـرقمتـين ومـاليـا(٣)
ودرُّ الـظبـاءَ الســانحـاتِ عشيّـةً يخبّـرن أني هـالـكٌ من أمـاميـا(٤)
تفقّـدتُ من يبكي عـليّ فلم أجـد سوى السيفِ والرمحِ الرُّدَيني باكيا(٥)
وأشـقـرَ خـنـذيـذٍ يجـرُّ عَـنـانـهُ إلى المـاءِ لم يترك لـهُ الموت ساقيا(٦)
أقــول لأصحـابي آرفعــوني فــانـني يقـرُّ لعيني أن سُـهيـلَ بـداليـا(٧)
فيـا صاحَبيْ رحـلي دنا المـوت فانـزلا بـرابيـةٍ إني مـقيـمٌ لـيـاليـا(٨)
وقـومـاً اذا ما استلّ روحي فـهيئـا لي القبـرَ والأكفـان ثم آبكيـانيـا
وخـطّا بـأطـراف الاسنّة مضجعي وردًا عـلى عينيَّ فـضـلَ ردائيـا(٩)
ولا تحسـداني بـارك الله فيـكـما من الارض ذات العرضِ أن توسعاليا(١٠)

---

(١) الزفرة التنفس من حسرة وتقنع بردائهِ استتربهِ يقـول لما تبعت هـواي وفارقت أهـلي غلب علي الحزن فاستترت بردائي خوفاً من اللوم.

(٢) غالت اهلكت وهامة رأس ونائي بعيد.

(٣) لله درّي كلمة استحسان استعملها هنا للتحسر والرقمتان علم موضع كان بـهِ منزل مالك بن الريب.

(٤) الظباء السانحات التي تمرّ عن يمين الناظر اليها وكانت العرب تتيمن بها.

(٥) تفقدت تطلبت والرديني نسبة الى ردينة وهي امرأة اشتهرت بتقويم الرماح.

(٦) الخنذيذ الكريم من الخيل والعنان سير اللجام.

(٧) يقرّ لعيني يرتاح نظري وسهيل اسم نجم وبدا ظهر.

(٨) الرابية ما ارتفع من الارض والرجل المنزل والمثوى.

(٩) خطا احفرا والاسنّة جمع سنان وهو حديدة الرمح ومضجعي قبري.

(١٠) العرض السعة وتوسعا تجعلا الحفرة من هذه الفلاة واسعة.

خـذاني فـجـرّاني بُبـردي إلـيـكـما | فقد كنت قبل اليـوم صعباً قيـاديا [1]
ولا تنسيـا عهـدي خليـليَّ بعـدمـا | تَقَـطَّعُ أوصـالي وتبـلى عـظامـيـا
يقـولـون لا تَبْعَـدْ وهم يـدفنـونني | واين مكـانُ البُعـد غـيرُ مكـانيـا [2]
غـداةَ غـدٍ يـا لهفَ نفسي عـلى غـدٍ | إذا أدلجـوا عيني وخَلَّفتُ ثـاويـا [3]
وبـالـرمـلِ مني نسـوةٌ لـو شهـدنني | بَكَـيْنَ وفـدَّينَ الـطبيبَ المـداويـا [4]
تقـول آبنتي لما رأت وَشْـكَ رحْلتي | سِفـارُك هـذا تـاركي لا أبـاليـا [5]
الا ليت شعـري هل بكت أُمُّ مـالكٍ | كـما كنت لو جـاءوا بنعيكِ بـاكيـا [6]
اذا متُّ فـاعتـادي القبـورَ وسلّمي | عليهنَّ تُسقَينَ السحابَ الغواديا [7] (*)

---

(١) البرد الثوب المخطط.

(٢) بعـد هلك ومرادهُ يـدعون لي بـدوام البقاء وهـم يـدفنـوني وهـل من منـزل هـلاك غـير منزلي هذا.

(٣) أدلج سار من اول الليل وثوى بالمكان أقام به.

(٤) الرمل الرقمتانِ موطنهُ وفداهُ قال لهُ جعلت فداك اشـارة الى استحثاثهن الـطبيب لمداواتـهِ لو مرض في منزلِهِ.

(٥) الوّشك السرعةوالسفار مصدر سافر.

(٦) لّيت شعـري اي ليتني اشعر يقـول ليتني اعرف هـل تبكي امي عنـدمـا أنعى اليهـا كـما كنت ابكي لو نعيت الي.

(٧) السنحاب الغيم والغوادي جمع غادية وهي السحابة تنشأ غدوة.

. . . .

(*) الأغاني جـ ١٩ ص ١٦٩ الشعر والشعراء جـ ١ ص ٣٥٤

لَيْلَى الاخيَلِيَّة (٧٠٨

هي ليلى بنت عبد الله المعروفة بالأخيلية نسبةً الى الأخيل بن عبادة بن عقيل أحد أجدادها. وهي من شواعر العرب المتقدمات المشهود لهن بعلوّ الطبقة في جنسهنّ وأنشدت يوماً في مجلس الحجاج فأُعجب بها الجلساءُ وقالوا «ما رأينا آمرأة أفصح ولا أبلغ منها ولا أحسن إنشاداً» واشتهرت بمراثيها لتوبة بن الحُمّير أحد فرسان بني عقيل وكان قد خطبها الى أبيهافأبى ان يزوّجهُ اياها وزوجها رجلاً غيوراً شرس الأخلاق ظنونا يضربها ويُسيءُ معاملتها ويعزب[1] بها عن الناس فكانت عمرها معهُ هدفاً لبدواته وعبرة لاستبداد الوالدين بخليقةٍ ضعيفةٍ هما أولى برعايتها وحمايتها . . . ومن شعرها في رثاء توبة قولها:

لعُمركَ ما بالموت عار على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المعاير[2]
وما أَحدٌ حيٌّ وان عاش سالماً بأخلدَ ممّن غيّبتهُ المقابرُ
فلا الحيُّ مما أحدث الدهرُ مُعْتَبٌ ولا الميت إن لم يصبر الحيُّ ناشرُ[3]

---

(١) يبعد .
(٢) الهدف الغرض الذي يرمي والبدوات الخواطر المختلفة التي تبدو للمرء.
المعاير المعايب.
(٣) اعتبهُ ازال عتبهُ وارضاهُ وناشر مبعوث من الموت.

وكــلِّ جــديــدٍ او شبــاب الى بــلىً		وكـل امرىءٍ يـوماً الى المـوت صـائـرُ
وكــلُّ قـريــنَيْ أُلــفــةٍ لــتــفــرّق		شتـاتـاً وان ضنَّـا وطـال التعـاشـر[1]
فـلا يُبْعِـدَنـك الله يـا تـوبَ هـالكـاً		أخا الحرب إن دارت عليك الدوائرُ[2]
فـآليت لا أنفـكُّ ابكيـك مـا دعت		عـلى فَنَنٍ ورقـاءُ أوطار طـائـرُ[3]

ومما يـروى عن ليـلى الأخيليـة من اخبـار أنـه دخلت عـلى عبـد الملك بن مروان وقد أسنّت وعجزت فقال لها ما رأى توبة فيـك حين هـويك، قـالت: ما رآه الناس فيك حـين ولوك فضحـك عبد الملك حتى بـدت له سنٌ سـوراء كان يخفيها. ودخلت على الحجاج بن يوسف فقـال لها: مـا أتى بك يـا ليلى؟ قـالت: اخـلاف النجـوم وكلب البـرد وشـدة الجهـد وكنت لنـا بعـد الله الـردَّ، قـال: فـأخبريني عن الأرض قـالت: الأرض مقشعرة والفجـاج مغبرة وذو الغنى مختـل وذو الحـد منفل. قـال وما سبب ذلـك قالت: أصـابتنا سنـون مجحفة مـظلمة لم تدع لنا فصيلاً ولا ربعـا ولم تبق عافطة ولا نـافطة فقـد اهلكت الرجـال وفرقت العيـال وأفسدت الأمـوال، ثم انشدت. فـأعجب بها الجلسـاء وقالـوا مـا رأينـا أمرأة أفصح ولا أبلغ منها ولا أحسن انشاداً(*)

ولها في توبه شعر كثير كله حسن يُحلّها اسمى محلّ بين الشـاعرات بعد الخنساء. ولها مدائح في عبد الملك والحجاج وكان الحجاج يعجب بقولها ويجزل عطاءها. وجرى بينها وبين النابغة الجعديّ مهاجاة فكان لها الفوز عليهِ والغلبـة ومن قولها فيهِ:

أنـابـغَ لم تنبـغ ولم تـكُ أوَّلاَ		وكنت صُنَيّا بينِ صدَّينِ مَجهلا[4]
أنابغَ ان تنبغْ بلؤْمك لا تجدْ		للؤمــك إلا جعــدةَ مجعــلا[5]

---

(١) ضن بخل والتعاشر التخالط.
(٢) توب مرخم توبة واخو الحرب صاحبها ومثيرها ودارت الدوائر عليه نزلت بهِ الدواهي.
(٣) آليت حلفت والفنن الغصن والورقاء الحمامة.
(٤) صنياً تصغير صنو لصني.		(٥) جعدة قبيلة النابغة.

(*) نهج البلاغة جـ ٨ ص ٢٨١.

وكبر على الجعديّين ظهور ليلى على صاحبهم وهمّوا برفع شكواهم الى صاحب المدينةِ بل الى الخليفة نفسهِ لينتقم لهم من امرأة . . . وبلغ ذلك ليلى فقالت:

أتاني من الأنباءِ أن عشيرةً بشورانَ يزجُّون المطيَّ المذلَّلا(1)
يروح ويغدو وفدُهم بصحيفة لكي يظهروا بي ساءَ ذلك معملا (*)

وقال لها الحجاج يوماً «بلغني أنك مررتِ بقبر توبة بن الحمّير وعدلت عنهُ» فقالت «أصلح الله الأمير لي عذر وهو اني سمعته يقول:

ولو أن ليلى الاخيليَّة سلّمت عليَّ وفوقي جَندلٌ وصفائحُ(3)
لسلمت تسليم البشاشة او زقا إليها صدى من جانب القبر صائحُ(4)

وكان معي نسوة قد سمعن قولهُ فكرهت أن أُكذّبهُ فاستحسن قولها ثم طلبت منهُ ان يحملها الى ابن عمها قتيبة بن مسلم وهو على خراسان يومئذٍ فحملها إليهِ وأقبلت راجعة تريد البادية فلما كانت بالريّ ماتت فقبرت هناك(**)

---

(1) الأنباء الاخبار وزجا ساق واستحق.

(2) الوفد قوم يفدون على الملك وراح سار مساء وغدا سار غدوة وظهر بهِ غلبهُ وساء قبح ومعمل مصدر ميمي بمعنى عمل.

(3) الجندل الصخر والصفائح حجارة عراض رقاق تسقف القبور.

(4) زقا صاح والصدى هو بزعمهم طائر يلازم قبر الميت ويكون بمنزلة روحهِ.

. . . .

(*) الأغاني جـ ١٠ ص ٧٧ والشعر والشعراء جـ ١ ص ٤٥٣. الأغاني جـ ١٠ ص ٨٠ ـ ٨١ والشعر والشعراء جـ ١ ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩.
(**) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٤٤٩. الأغاني جـ ١ ص ٨١ ـ ٨٢.

أَلأخْطَل

(٦٤٠ - ٧١٠م)

هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبيّ الملقّب بالأخطل[1] من فحول شعراء الدولة الأُمويّة وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة ومنهم من يفضله على صاحبيهِ لكثرة قصائدهِ الطوال الجياد ولسلامة كلامهِ من السقط وشدة أسر[2] شعرهِ وهو أشبه بالجاهلية قالوا لو أدرك الاخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قدّم عليهِ أحد. وكانوا يشبهونهُ بالنابغة لصحة شعرهِ. وسئل حماد الراوية عن الاخطل فقال «ما تسألوني عن رجل قد حبَّب شعرهُ إليَّ النصرانيَّة» وسأل جريراً ابنهُ « يا أبت أنت أشعر أم الأخطل » فقال « يا بني أدركت الأخطل ولهُ ناب واحد ولو ادركتهُ ولهُ ناب آخر لأكلني بهِ» وقال عبد الملك للفرزدق «من أشعر الناس في الاسلام» فقال «كفاك بآبن النصرانية إذا مدح» وهذه الاقوال من معاصريهِ ومناظرَيْهِ في الشعر ـ وأهواء التعصّب والأغراض حائلة دون سداد الرأي وصحة النظر في تلك المدّة ـ تدلّ جليًّا على علوّ مقام الأخطل في الشعر وسيادتهِ المقرّرة ومن ثَمَّ ما كادت تنفثيء سورة الأهواء[3] النافرة وتركد رياح الأغراض المتدافعة حتى أقرَّ لهُ العلماء بزعامة شعراء عصرهِ لما رأوا في شعرهِ من جزالة اللفظ وفخامة العبارة وصحة التركيب مع طول النفس

---

(١) الكثير الكلام الخبيث اللسان. (٢) ضبط.

(٣) تنكسر حدتها.

واستمرار المتانة في كل أبيات القصيدة لا يكبو[1] جواد قريحته في بيت واحد. وهجاء الاخطل حادّ اللهجة شديد الجرأة مع حشمة وعفاف مترفع عن ذكر ما يندى لهُ جبين الأديب على حين كان جرير والفرزدق يشوّهان[2] شعرهما ببذيء الالفاظ وساقطها وقد قال الأخطل «ما هجوت أحداً قط بما تستحي العذراء ان تنشدهُ أباها»[*] قيل إنهُ اهجى الشعراء حيث يقول:

وكنتَ إذا لقيتَ عبيد تَيْم[3] وتيماً قلت أيُّهم العبيدُ
لئيم العالمين. يسود تيماً وسيّدهم وان كرهوا مسودُ[**]

واما المدح فلهُ فيهِ الباع الطويل والقدم الراسخة والقِدح المعلّى[4] قيل انهُ دخل على عبد الملك فقال لهُ «يا أمير المؤمنين زعم ابن المراغة[5] انهُ يبلغ مدحتك في ثلاثة أيام وقد أقمت في مدحتك «خف القطين» سنة فما بلغت كلّ ما اردت» فقال عبد الملك «ما سمعناها يا أخطل» فأنشدهُ إياها فكان عبد الملك يتطاول لها ثم قال «ويحك يا أخطل أتريد أن اكتب الى الآفاق انك أشعر العرب» قال «اكتفي بقول أمير المؤمنين» وأمر لهُ بجفنةٍ[6] كانت بين

---

(١) يعثر. (٢) يقبّحان.

(٣) اسم قبيلة

(٤) القدح واحدة القداح ويقال لها الازلام ايضاً وهي السهام قبل ان تراش وتنصل وكان العرب يتقامرون بها وذلك انهم كانوا يعمدون الى جزور فينحرونها ويقسمونها ثمانية وعشرين قسماً ويتساهمون عليها بعشرة قداح ويفرضون لسبعة منها انصبة مقدرة ويجعلونها في خريطة. يدفعونها لرجل عدل فيجيلها ويخرج للرجل منهم قدحاً فان كان من ذوات الانصبة أخذ نصيبهُ والاّ غُرِمَ ثمن الجزور واما القداح الكاسبة فهي الفذّ ولهُ نصيبٌ واحد والتوأم ولهُ نصيبان والرقيب ولهُ ثلاثة والنافس ولهُ أربعة والحلس ولهُ خمسة والمنسبل ولهُ ستة والمعلى ولهُ سبعة.

(٥) يعني جريراً. (٦) قصعة.

. . . .

(*) الأغاني جـ٧ص ١٦٩، ١٧٠ ـ ١٧١ ـ ١٧٢

(**) المصد نفسه ص ١٧٧.

يديهِ فملئت دراهم وألقى عليهِ خلعاً وخرج بهِ مولى لعبد الملك على الناس يقول «هذا شاعر امير المؤمنين هذا أشعر العرب(*)» قال:

خفَّ القـطينُ فراحوا منك وابتكروا وأَزعجتهم نَوًى في صَرفها غِيَرُ(١)
كـأنني شاربٌ يـوم استُبدَّ بهم من قهوةٍ ضُمّنتها حِمصُ أو جدرُ(٢)(**)

وهي طويلة منها في مدح عبد الملك:

نفسي فـداءُ أمير المؤمنيـن إذا أبدى النواجذ يوماً عارِمٌ ذكَرُ(٣)
الخائض الغمرة الميمـون طائـرهُ خليفة الله يُستسقى بهِ المطرُ(٤)
وما الفرات اذا جاشت حوالبُهُ في حافَتَيْهِ وفي أوساطِهِ العُشَرُ(٥)
وزعزعتْهُ رياح الصيفِ واضطربت فوق الجآجيء من آذيِّهِ غُدُرُ(٦)
مُسحَنْفِرٌ من بلاد الروم يسترهُ منها اكافيفُ فيها دونَهُ زَوَرُ(٧)
يـوماً بـأجودَ منـهُ حين تسـألُهُ ولا بأجهرَ منـهُ حين يُجتَهـرُ(٨)

---

(١) خفّ عجل واسرع وراح سار مساء وابتكر سار بكرة الدهر.

(٢) استدبهم غلب عليهم وقهوة خمرة وحمص من بلاد الشـام وجدر قـرية بـين حمص وسليمة تنسب اليها الخمر.

(٣) الناجذ الضرس الذي يلي الناب والعارم الشديد البرد والذكر الشديد القتال.

الغمـرة معظم البحـر استعـارة هنا للحروب ومعـظم الامـور وميمـون الـطائـر مبـالاك الطلعة.

(٤) الفرات نهر عظيم يصب في بحـر فارس وجـاشت حوالبـهُ طفت امواحـهُ والعشر ضـرب من الشجر.

(٥) زغزعتهُ حركتهُ والجآجيء جمع جؤجؤ وهو مقدم الفينـة والآذي الموج والغـدر جمع غـدير شبه بها الامواج التي تحركها الريح فتتعاظم.

(٦) المسحنفر السريع الجري والا كافيف التلال والزور الميل.

(٧) الباء في (بأجـود) زائدة وواجـود خبر مـا الحجازيـة الواقعـة في قولـه: وما الفـرات . . .

(٨) وجهرت فلاناً واجتهرتهُ رأيتهُ رائعاً عظيماً.

. . . .

(*) الأغاني جـ ٧ ص ١٧٢ ـ ١٧٣.
(**) المصدر نفسه ص ١٧٥.

في نبعةٍ من قريشٍ يُعصمون بها ما إن يُوارَى بأعلى نبتها الشجرُ(١)
حُشدٌ على الحقِّ عيّافو الخنا أُنُفُ اذا ألَمّت بهم مكروهةٌ صبروا(٢)
لا يستلُّ ذوو الأضغانِ حربُهُم ولا يُبَيِّنُ في عيدانهم خوَرُ(٣)
شُمسُ العداوة حتى يُستقادَ لهم وأوسع الناس أحلاماً اذ قدروا(٤)
همُ الذين يُبارون الرياحَ إذا قلَّ الطعامُ على العافين أو قَتَروا(٥)
بني أميّةَ نعماكم مجللةٌ تمت فلا مِنّةٌ فيها ولا كَدَرُ (٦)

ومنها في هجاء بني كليب بن يربوع:

بئسَ الصِحابُ وبئس الشرب شُربُهُم إذا جرى فيهم المُزّاءُ والسكُرُ(٧)
قومٌ تناهت إليهم كل مُخزيةٍ وكلُّ فاحشة سُبَّت بها مُضَرُ(٨)
الآكلون خبيثَ الزادِ وحدهم والسائلون بظهرِ الغيب ما الخبرُ

فقال عبد الملك «ان لكل قوم شاعراً وشاعر بني أمية الأخطل»

وكان الأخطل نصرانيًا متمسّكا بدينهِ وكثيراً ما حثهُ عبد الملك على

---

(١) النبعة الاصل ووازى قابل.

(٢) حشد دُعي فأجاب مسرعاً وخفّ للاعانة والعيّاف مبالغة من عاف الشيء اذا كرهه والخنا الفحش وأنفُ جمع أنوف أي مترفع والمت بهِ مكروهة نزلت به داهية .

(٣) الأضغان جمع ضغن كحقد زنة ومعنى والخور الضعف وكنى بالعود عن الاصل والقوة.

(٤) شمس فلان ابدى العداوة وهمّ بالشرّ فهو شموس وهم شمس بضمتين وسكنت الميم للضرورة واستقاد لهُ خضع والأحلام جمع حلم بالكسر وهو الصبر عن الثار عند المقدرة . يروى عن الرشيد انهُ كان شديد الاعجاب بهذا البيت.

(٥) باری سابق والعافي طالب الرزق وقتر في النفقة.

(٦) جلّلهُ بنعمهِ عمّهُ بها والمنة مصدر منّ عليهِ اذا كرهُ بسابق نعمهِ وعددها لهُ على سبيل التوبيخ.

(٧)المراء الخمر فيها مزازة يشير الى عربدتهم اذا سكروا.

(٨)تناهت انتهت ومخزية عيب واراد بمضر قبائل مضر.

الاسلام فلم يفعل. وكان يجيء وعليهِ خزٌ وفي عنقهِ سلسلة ذهب فيها صليب ذهب حتى يدخل على عبد الملك بغير اذن(*). وكان الأخطل مدمنا الخمرة فقال لهُ عبد الملك مرَّة «وما تصنع بالخمر وان أولها لمرّ وان آخرها لسكر» قال «اما اذا قلت ذلك فان فيما بين هاتين لمنزلة ما ملكك فيها الاكعلقة ماءٍ من الفرات بالأصبع وقد قلت في ذلك»

اذا ما نديمي علَّني ثم علَّني ثلاثَ زجاجات لهنّ هديرُ(١)
خرجت أجرُّ الذيلَ زهواً كانني عليك أميرَ المؤمنين أميرُ

فضحك عبد الملك. ولم يزل مقرَّباً عند خلفاء بني أمية حتى ملك عمر بن عبد العزيز فأقصاهُ. ويحكى انهُ استأذن عليهِ في جماعةٍ من الشعراء فغضب وقال للآذن عند ذكرهِ الأخطل «أعزب بهِ(٢) أو لَيسَ هو القائل

فلستُ بصائم رمضان عمري ولستُ بآكل لحمَ الأضاحي(٣)
ولست بزاجرٍ عنساً بكوراً الى بطحاءِ مكّة للنجاحِ(٤)
ولست بقائمٍ كالعير يدعو قُبيلَ الصبح حَيَّ على الفلاحِ
ولكني سأشربها شَمولاً واسجد عند مُنبلج الصباحِ(٥)

«وكان الأخطل منقاداً لرجال الدين يصغي إلى تقريعهم وتأديبهم بغاية الخضوع والخنوع(٦) ويستخذي(٧) لهم وكثيراً ما حبسهُ القس في الكنيسة

---

(١) علّني سقاني. (٢) ابعد بهِ

(٣) الاضاحي جمع اضحّية وهي الشاة يضحيّ بها.

(٤) زجرهُ صاح بهِ والعنس الناقة الصلبة الفتية والبكور الخروج بكرة.

(٥) الشمول الباردة من الخمر ومنبلج الصباح زمان انبلاجه اي إشراقه.

(٦) الذلة. (٧) يخضع.

. . . .

(*) الاغاني جـ ٧ ص ١٧٦.

لتطاولهِ على أعراض الناس وهو يتواضع لهُ ولا يتجاسر على النشوز[1] واذا قيل لهُ في ذلك يقول «إنهُ الدين انهُ الدين . . »[*]

غير أنهُ ان صحّ ما روى عنهُ صاحب الأغاني من تطليقهِ آمرأتهُ وتزوّجهِ بامرأة طالق كانت نصرانيتهُ على جانب من الغرابة والتساهل في أمور الدين الجوهرية وذلك دليل جليّ أن بين تمسّك الانسان بالدين وقوّة الدين عليهِ بوناً شاسعاً[2] لا يخفى على ذي بصيرة. والله اعلم.

---

(١) العصيان

(٢) مسافة بعيدة.

. . . .

(*) الأغاني جـ ٧ ص ١٨٣.

ألفَرَزْدَق

(٧٢٩)

هو أبو فِراس همام بن غالب بن صعصة التميميّ من فحول الشعراء المقدمين ذوي الصيت الذائع والشهرة الواسعة. قال الشعر وهو حديث السن ففرح ابوهُ وجاء بهِ الى عليّ بن أبي طالب فقال له علي «علمهُ القرآن» فكان ذلك في نفس الفرزدق فقّيد نفسهُ وآلى[1] ان لا يحلّ قيدهَ حتى يحفظ القرآن. ثم عاد الى النظم فبرع فيهِ وفاق وكان يختار في شعره قصار القصائد فقيل له في ذلك فقال «لأني رأيتها أثبت في الصدور وفي المحافل أجول» وله الأبيات السائرة التي يضرب بها المثل ومنها قولهُ:

وكنا إذا الجبار صعَّر خدَّهُ ضربناهُ حتى تستقيم الأخادعُ[2]

وقولهُ:

وكنت كذئب السوءِ لما رأى دماً بصاحبهِ يوماً أحال على الدمِ

وقولهُ:

ترى كلَّ مظلوم إلينا فرارهُ ويهرب منا جهدَهُ كل ظالمِ

وقوله وهو على ما قيل أفخر بيت قالتهُ العرب:

ترى الناسَ ان سرنا يسيرون خلفنا وان نحن أومأْنا الى الناس وقفوا

وهذا البيت الأخير من سرقاتهِ لأنهُ كان اذا سمع بيتاً عائراً[3] جيّداً يقول

(١) اقسم وحلف.

(٢) الجبار القاهر والمتكبر وصعّر أمال كبراً وتيهاً والأخادع جمع أخدع وهو عرق في صفحتي العنق. (٣) سائر بين الناس.

لصاحبهِ «لتتركنَّ هذا البيت لي او تترك عرضك» فيضطر القائل المسكين ان ينزل لهُ عنهُ خوفاً من العار والفضيحة. لأن الفرزدق كان فاسد الاخلاق بذيء[1] الكلام فاحش النطق خَبيث الهجو متباهياً بمخازيهِ مكثراً من ذكر الخلاعات في شعره خالع العذار سيّىء المنظر والمخبر. واشتهر بالقذع[2] حتى خافهُ الناس وأصبح كلٌ يتفادى[3] من قذائف لسانهِ الشرير ويبذل النفس والنفيس اتقاءَ القاذورات[4] الهائلة التي كان يقدم على رمي خصمهِ بها وجرت لهُ مع ابنة عمّ لهُ تدعى النوار وقائع غريبة واحتال عليها فارادت منافرتهُ إلى ابن الزبير فلم يجرؤ أحد ان يكريها خوفاً منهُ. ورضيت بعد خطب طويل أن تتخذهُ بعلاً غير أنها كرهت العيشة معهُ وطلبت الطلاق فلم يكن من يتجرَّأ على الشهادة خوفاً من شرّ زوجها وخبث قوله. وطلقها أخيراً وما عتَّم أن ندم ولهُ فيها شعرٌ كثير منهُ:

ندمتُ ندامة الكسعيْ لما ... غدت مني مطلقةً نَوارُ[5]
وكانت جنّتي فخرجت منها ... كآدم حين أخرجهُ الضِرارُ[6]
وكنت كفاقىءٍ عينيهِ عمداً ... فأصبح ما يضيء لهُ نهارُ

وكان الفرزدق شيعيّا مغالياً شديد التعصّب لأهل بيت النبيّ. ولهُ في مدح عليِّ بن الحسين الملقب بزين العابدين[7] قصيدة غرَّاء طائرة الصيت هي عنوان البلاغة الرائعة ولباب الفصاحة العربيَّة. أنشدها في وجهِ هشام بن عبد الملك يوم حج وطاف بالبيت وأراد ان يستلم الحجر الاسواد فلم يصل إليه لكثرة الزحام فنصب لهُ كرسى وجلس عليهِ ينظر الى الناس ومعهُ جماعة من أعيان أهل الشام. فبينما هو كذلك إذا اقبل زين العابدين فطاف بالبيت فلما

(١) سفه فاحش.
(٢) القذر والفحش.
(٣) يتحامى.
(٤) الفواحش.
(٥) الكسعيّ هو غامد بن الحرث يضرب به المثل في الندامة لانهُ رمى عيراً ليلاً بأسهم كانت معهُ فظن أنهُ أخطأها فكسّر قوسهُ وعند الصباح أبصر أسهمه مضرّجة بالدم والحمر مطرّحة مصرّعة فندم فقطع ابهامهُ.
(٦) الضرار ضارّ أي خالف.
(٧) هو حفيد علي بن أبي طالب.

انتهى الى الحجر الاسود تنحّى لهُ الناس حتى استلمهُ فقال رجل من أهل الشام « من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة » فقال هشام « لا أعرفه » مخافة أن يرغب فيهِ أهل الشام. وكان الفرزدق حاضراً فقال «أنا أعرفهُ» فقال الشاميّ «من هو يا أبا فراس» فأنشد الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأتَهُ ... والبيتُ يعرفهُ والحِلُّ والحرمُ(١)

هذا ابن خير عباد الله كلّهمُ ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهر العلمُ(٢)

هذا ابن فاطمةٍ ان كنت جاهلَهُ ... بجدّهِ أنبياءُ الله قد خُتموا

وليس قولك «من هذا» بضائرهِ ... ألعُربُ تَعرف من انكرتَ والعجمُ(٣)

سهلُ الخليقة لا تُخشى بوادرُهُ ... يزينهُ اثنان حسنُ الخَلْق والشيَمُ(٤)

حمّال أثقال أقوام اذا فُدحوا ... حلوُ الشمائل تحلو عندهُ نَعَمُ(٥)

ما قال لا قطّ إلاّ في تشهُّدهِ ... لولا التشهُّدُ كانت لاءَهُ نَعَمُ(٦)

إذا رأتهُ قريشٌ قال قائلها ... الى مكارم هذا ينتهي الكرمُ

عمَّ البريَّة بالاحسان فانقشعت ... عنها الغياهبُ والاملاقُ والعدمُ(٧)

يُغضي حياءً ويُغضى من مهابتهِ ... فما يكلَّمُ الا حين يبتَسمُ(٨)

---

(١) البطحاء الارض المنبطحة التي في وسطها مكة والوطأة موضع القدم والبيت هو البيت الحرام اي مسجد مكّة والحرم ما أحاط بمكّة من الارض الى خطّ معلوم والحلّ ما سوى الحرم من بلاد الله. يريد أن الممدوح تعرفه أهل الدنيا قاطبة.

(٢) العلم السيّد. (٣) ضائر مضرّ.

(٤) الخليقة الطبع والبوادر ما يبدو من الانسان عند الغضب.

(٥) فدحوا نزلت بهم فادحة اي مصيبة والشمائل الخصال.

(٦) التشهّد قول المسلم لا اله الا الله ولاء اصلها لا مُدَّت للضرورة وأعربت نعم لانهُ أُريد لفظها.

(٧) البّرية الخلق وانقشع السحاب انكشف والغياهب الظلمات والاملاق الفقر.

(٨) أغضى خفض بصره يقول انهُ يغضي بصره من الحياء وهو مع ذلك عظيم الهيبة بحيث لا يرفع الناس اليهِ أبصارهم ولا يقدمون على محادثتهِ الا اذا ابتسم لهم تنشطاً وايناساً.

ينشقُّ ثوبُ الدجى عن نور غرَّتهِ كالشمس تنجابُ عن اشراقها الظُلَمُ[1]
من معشرٍ حبُّهم دينٌ وبغضُهُمُ كفرٌ وقربهُمُ منْجىً ومعتصمُ[2]
ان عُدَّ أهل التقى كانوا أَئمتهم أوقيل مَنْ خير أهل الأرض قيل هُم[3]
هُمُ الغيوث اذا ما أَزْمَةٌ أزمت والأُسْد أُسْدُ الشرى والبأس مُحتدِمُ[4]

وهي طويلة. فغضب هشام وحبسهُ بين مكة والمدينة فقال:

أتحبسني بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يهوي مُنيبُها[5]
يقلّب رأساً لم يكن رأس سيّدٍ وعين لهُ حولاءُ بادٍ عيوبُها[6]

وبلغت الأبيات هشاماً فأمر باطلاقهِ. ولما حضرتهُ الوفاة اجتمع حولهُ أهل بيتهِ وفيهم عبيدهُ وكان قد اوصى بعتقهم[7] بعد موتهِ فأنشأ يقول:

أروني من يقوم لكم مقامي اذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطابِ[8]
إلى من تفزعون إذا حثوتم بأيديكم عليَّ من الترابِ[9]

فقال لهُ بعض عبيده «الى الله» فأمر ببيعهِ قبل وفاته وأبطل وصيَّتهُ فيهِ . . . وهكذا كان أن ذلك الجبان الذي كان يطير قلبهُ هلَعاً من مجرّد التهويل ختم حياتهُ المنكرة بجسارة على الله سبحانهُ وتعالى وهو على عدَّة الرحيل إليهِ والمثول بين يديهِ.

---

(١) الدجى الظلام والغرّة الطلعة وانجاب انكشف.

(٢) المعتصم مكان الاعتصام اي الالتجاء.

(٣) أئمة جمع إمام وهو من يؤتم بهِ اي يقتدي.

(٤) الغيوث جمع غيث وهو المطر والازمة الشدّة والشرى مأسدة يضرب بها المثل.

(٥) هوى نزل وأناب إلى الله رجع اليه وتاب يقول أتحبسني بين المدينة ومكّة التي يسرع بالنزول اليها ذوو القلوب التائبة.

(٦) باد ظاهر.

(٧) تحريرهم.

(٨) جلّ عظم.

(٩) فزع اليهِ التجأ وحثا عليهِ التراب صبهُ.

جَرِير (٦٢٩)

هو أبو حزرة جرير بن عطية التميميّ. ولد باليمامة من بلاد نجد وقصد العراق وامتدح الحجاج بن يوسف وكان من فحول الشعراءِوأصحاب التقدم حادّ اللهجة شديد الشكمية[١] ذا مشارّة[٢] ومهارّة[٣] ولم تزل المصاولة[٤] بينهُ وبين شعراء زمانهِ قائمة على قدم وساق. وكان ينهشهُ ثلاثة واربعون شاعراً فينبذهم[٥] وراء ظهرهِ ويرمي بهم واحدا واحداً ولم يثبت لهُ غير الفرزدق والاخطل ولهُ معهما مهاجاة ونقائض[٦] كثيرة تناقلتها الألسن وأصبحت الشغل الشاغل لشعراء الزمان فمنهم من تحزَّب لهذا ومنهم من تعصّب لذاك. وكثرت الجلبة وجرير ثابت في الميدان يقارع ويدافع وهؤلاء الثلاثة هم زعماءُ الشعر في عصرهم ولا يجرؤ أحدٌ أن يفضّل أحدهم على صاحبيهِ خوفاً من الفضيحة وكان كلما سُئل أديبٌ عنهم يجيب بما يرضي الثلاثة كقول بعضهم وقد سُئل عنهم «أما جرير فيغترف من بحر وامّا الفرزدق فينحت من صخر واما الاخطل فيجيد المدح والفخر» ويقال انّ جريراً أفخر الشعراء في قولهِ:

---

(١) الأنفة. (٢) مخاصمة.

(٣) هارّهُ هرَّ في وجههِ كما يهر الكلب والاسم المهارّة.

(٤) المنازعة. (٥) يطرحهم.

(٦) قصائد يناقض بها الشعراء بعضهم بعضاً.

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلّهم غِضابا(*)

واتّصل الهجاء بينهُ وبين عُبيد الراعي النميريّ وهو من زعماء قومهِ فهجاهُ بقصيدة مطلعها:

أقلّي اللوم عاذلَ والعتابا وقولي ان أصبتُ لقد أصابا(١)

وهي طويلة ختمها بقولهِ الشهير وهو أهجى بيت:

فغُضّ الطَرْفَ إنك من نُمير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

فخزاهُ وأفحمهُ وتشاءمت بالراعي قبيلتهُ وسَبُّوهُ. ودخل يوماً على عبد الملك فأنشده مدحة مطلعها:

أتصحو أم فؤادك غير صاحي عشيَّةَ همَّ صَحبُك بالرواحِ(٢)

ولما وصل إلى قولهِ:

ألستم خيرَ من ركبَ المطايا وأندى العالمين بطون راحِ(٣)

استوى عبد الملك جالساً وكان متكئاً وقال « من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو فليسكتَ» ** إلّا أن جريراً لم يكن كبير الحظوة في بلاط دمشق لمكان الاخطل من قلوب الخلفاء حتى ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز فحظي عنده وقرّبهُ ومن قولهِ يمدحهُ:

انَّا لَنرجو اذا ما الغيث أجلَفَنا من الخليفة ما نرجو من المطرِ(٤)

نال الخلافة اذ كانت لهُ قدَراً كما أتى ربَّهُ موسى على قدرِ(٥)

---

(١) عاذل مرخم عاذلة وأصاب لم يخطيء الغرض.

(٢) همّ نوى واراد والرواح الذهاب مساءً.

(٣)المطايا جمع مطيّة وهي الركوبة وأندى اسخى والراح جمع راحة وهي باطن الكف.

(٤) الغيث المطر وأخلفنا أطمعنا في النزول ثم نكص عنهُ.

(٥) القدر قضاء الله وحكمه.

. . . .

(*) الاغاني جـ ٧ ص ٣٨ ـ ٣٩.

(**) الاغاني جـ ٧ ص ٥١.

(***) المصدر نفسه ص ٦٧ والشعر والشعراء جـ ١ ص ٤٦٨.

أأذكر الجهدَ والبلوى التي نزلت ... ام تكتفي بالذي بُلّغتَ من خبري (١)
ما زلت بعدكُمُ في دارٍ تَعَرَّقني ... قد طال بعدك إصعادي ومنحدَري (٢)
لا ينفع الحاضرُ المجهودُ بادِيَنا ... ولا يجود لنا بادٍ على حضرِ (٣)
كم بالمواسمِ من شعثاءَ أرملةٍ ... ومن يتيمٍ ضعيف الصوت والبصرِ (٤)
يدعوك دعوةَ ملهوف كأن به ... خَبْلاً من الجنِ او مسّا من البشرِ (٥)
ممن يعدُّك تكفي فقرَ والدهِ ... كالفرخ في العشِّ لم ينهض ولم يطرِ (*)

---

(١) الجهذ المشقّة والبلوى المصيبة.

(٢) تعرق العظم نزع ما عليه من اللحم.

(٣) البادي ساكن البادية والحاضر ساكن الحضر اي المدن.

(٤) المواسم الأسواق والشعثاء المنتشرة الشعر.

(٥) الملهوف المظلوم او الحزن والخبل بالسكون لغة في الخبل بالفتح اي الجنون ومثلهُ المسّ.

. . . .

(*) الاغاني جـ ٧ ص ٥٧.

ذُو الرُّمَّة

(٧٣٦)

هو أبو الحارث غيلان بن عقبة الملقب بذي الرمة. قيل انهُ اجتاز يوماً بخباء ميّ بنت مقاتل فاستسقاها فأتتهُ بماءٍ وكانت على كتفهِ رُمَّة[١] فقالت لهُ «اشرب يا ذا الرمّة» فلقب بذلك[*] ولهُ في ميّ هذهِ شعر كثيرٌ وهو من محسني الشعراء ظريف القول حسن التشبيه وكان يقول «اذا قلتُ (كأنهُ) ولم أجد مخرجاً فقطع الله لساني»[**] وكان مطلعاً على غريب كلام العرب كثير الاستعمال لهُ بدوي الاسلوب في نظمهِ. وقد قال بعضهم وهو لا شك من المولعين بغريب الكلام «إن ديوان ذي الرمّة يحوي ثلثي لغة العرب» ومن شعرهِ قولهُ يصف الثور الوحشي وقتاله لكلاب الصيد التي هاجتهُ:

ضَمّ الظلامُ على الوحشيّ شَملتَهُ ورائحٌ من نِشاصِ الدلوِ منسكبُ[٢]
يغشى الكناس برَوْقَيْهِ ويهدمهُ من هائل الرملِ منُقاضٌ ومنكثبُ[٣]

---

(١) قطعة من الحبل البالي.

(٢) الوحشيّ صفة للثور والشملة كساء يشتمل بهِ اي يلتف والرائح المطر والنشاص السحاب المرتفع.

(٣) الكناس بيت الثور الوحشي والروق القرن وهائل الرمل الساقط منهُ ومنقاض منهدم ومنكثب مجتمع.

....

(*) الاغاني جـ ١٦ ص ١١٠.

(**) الاغاني جـ ١٦ ص ١٣ ـ ١٤.

إذا أراد انكراساً فيهِ عن لهُ دون الأرومة منْ أطنابها طُنُبُ[1]
وقد توجّس ركزاً مُقفر نَدُسٌ بنبأةِ الصوتِ ما في سمعِهِ كَذِبَ[2]
فبات يُشئزُهُ ثأدٌ ويُسهرهُ تذوُّب الرّيح والوسواس والهِضبُ[3]
حتى إذا ما انجلى عن وجهه فَرَقٌ هاديهِ في أُخْرَياتِ الليلِ مُنتصِبُ[4]
أغباشُ ليلٍ تمامٍ كانَ طارقَهُ تَطَخطُخُ الغيبِ حتى مالهُ جُوَبُ[5]
ولاحَ أزهرُ معروفٌ بنقبته كأنهُ حين يعلو عاقراً لهَبُ[6]
هاجت بهِ عُوُجٌ زُرقٌ مخصَّرةٌ شوازبٌ لاحها التقريبُ والخَبَبُ[7]
جُردٌ مهرَّتَهُ الأشداقِ ضاريةٌ مثل السراحين في أعناقها العَذَبُ[8]
ومُطعمُ الصيدِ هبَّاشٌ لبغيتهِ ألفى أباه لذاكَ الكَسْبِ يكتسِبُ[9]

---

(١) الانكراس الدخول وعن لهَ عرض والأ رومة الاصل والاطناب أعراق الشجر واحدها طنب بضمتين.

(٢) توجّس سمع والركز الصوت ومقفر منفرد وندس فطن وكلاهما صفة للصياد والنبأة الصوت الخفيّ.

(٣) يشئزهُ يقلقهُ والثأد الندى وتذوُّب الريح اختلافها من الجهات والوسواس حركة الشجر والهضب جمع هضبة بالفتح وهي رفع المطر.

(٤) الفرق الصبح وهاديه أوله.

(٥) الأغباش ظلم الليل وتمام طويل وطارقه جعل بعضهُ على بعض وتطخطخ ظلام والجوب جمع جوبة بالفتح وهي ما انكشف من السحاب والفرجة بين السحاب.

(٦) لاح ظهر والأزهر الابيض والنقبة اللون والعاقر الرملة التي لا تنبت شيئاً واللهب والإلتهاب وهو حمرةٌ وبياض: ويحمل انه يريد بهِ السحاب او يعني بهِ الثور.

(٧) هاجت أُولعت وعوج جمع أعوج وهو الشيء الخلق صفة للكلب وزرق مخصّرة ضامرة البطون من الجوع والشوازب الضمر ولاحها غير الوانها والتقريب والخبب ضربان من السير قبل السرعة وسريع.

(٨) جرد جمع أجرد وهو القصير الشعر والمصقول ومهرته الأشداق واسعتها والسراحين الذئاب والعذب جلدة مستطيلة.

(٩) الهبّاش الكثير الكسب والجمع صفة للصياد.

مقرَّعٌ أطلسُ الأطمارِ ليس لهُ الا الضراءَ وإلا صيدَها نَشَبُ[1]
فآنصاع جانبُهُ الوحشيُّ وانكدرت يلحبن لا يأتلي المطلوبُ والطلَبُ[2]
حتى اذا دَوَّمَتْ في الأرضِ راجعة كِبرٌ ولو شاء نجّى نفسهُ الهَرَبُ[3]
فكفَّ عن غَرْبهِ والغُضفُ تسمعُها خلفَ السبيب من الاجهاد تنتحِبُ[4]
حتى اذا أدركتهُ وهو منخرقٌ وكاد يُمكنُها العُرقوبُ والذنب
فكـرَّ يمشُقُ طَعناً في جواشنِها كأنهُ الأجرُ في الاقتالِ يُحتسب[5]
بلَّت بهِ غيرَ طيّاشٍ ولا رعِشٍ إذ جُلنَ في معركٍ يُخشى بهِ العطَبُ[6]
فتارةً يخضُ الاعناقَ عن عُرُضٍ وَخضاً وتنتظمُ الأسحار والحُجُبُ[7]
يُنحي لها حدَّ مدريٍّ يجوفُ بهِ حالاً ويصلِدُ حالاً لهذمٌ سَلِبُ[8]
حتى إذا كـرَّ مجحوراً بنافـذةٍ وراءَهـا وكلا رَوقيـهِ مختضِبُ[9]

---

(١) مقرّع قليل الشعر وأطلس أغبر والأطمار الثياب البالية مفردها طِمر بالكسر ونشب مال والضراء الكلاب الضارية.

(٢) فانصاع انحرف وجانبهُ الوحشي اي الجانب الأيمن سمّي كذلك لأنهُ لا يركب منهُ الراكب وانكدرت أسرعت ويلحبن يؤثرن (اي الكلاب) في الارض من شدّة الجري ولا يأتلي لا يقصّر والمطلوب الثور والطلب الكلاب.

(٣) دوّمت دارت والهاء في راجعةٌ عائدة الى الثور.

(٤) غربهُ جريهُ والغضف من الكلاب المثنيّة الأذان والسبيب الذنب والاجهاد شدّة الجري وتنتحب اي تصيح.

(٥) كرّ رجع ويمشق يسرع والمشق السرعة في الطعن والكتابة والجواشن الصدور والأجر الجزاء والأقتال الاعداء مفرد قتل بالكسر.

(٦) بلّت ظفرت والطيّاش القليل التثبت والرعش الجبان والعطب الهلاك.

(٧) تارة مرّة ويخض مضارع وخض اي طعن وعرض ناحية وتنتظم تُنظم وتشكّ والاسحار جمع سحر بالفتح وهي الرئة والحُجُب جمع حجاب وهو حجاب القلب.

(٨) ينحي يصرف والمدريّ القرن ويجوف يطعن أجوافها وحالا مرّة ويصلد ينبو اذا وقع في العظم ولهذم حادّ من صفات القرن وسلب دقيق.

(٩) كرّ عطف والنافذة الطعنة والمجحور الملجأ الى جحره أي حفرتهِ والروق القرن ومختضب مصبوغ.

وَلّى يُهِذُّ انهِزاماً وسطَها زعِلاً ... جَذلانَ قد أفرخَتْ عن رَوعِهِ الكُرَبُ[1]
كأنَّهُ كوكب-في أثر عِفـريـةٍ ... مسوّم في سواد الليلِ مُنقضِبُ[2]
فهنَّ من واطيءٍ يثني حَـويَّتَـهُ ... وناشجٍ وعواصي الجوف تنشخِبُ[3](*)

وسأل يوماً الفرزدق وقد وقف عليه وهو ينشد «كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس» فقال «ما أحسن ما تقول» قال «فمالي لا اذكر من الفحول» قال «قصّر بك عن غايتهم بكاؤك للدمن وصفتك للظعُنُ[4]» وكذلك كان فانه أجاد الغزل وصفة الابل والطلول وسائر الأغراض البدويّة ولم يُحسن المدح ولا الهجاء. ولما حضرتهُ الوفاة قال:

يا رب قد أشرفت نفسي وقد علمت ... علماً يقيناً لقد أحصيت آثاري
يا مُخرِجَ الروح من جسمي اذا احتُضرت[5] ... وفارجَ الكربِ زحزحني عن النارِ(**)

---

(١) يهذّ يُسرع والزعل النشط وجذلان فرحان وأفرخت انكشفت وروعهُ نفسهُ وكرب جمع كربة وهي المخافة.

(٢) كانهُ الضمير يعود الى الثور وعفرية جني ومسوّم معلم ومنقضب منقض.

(٣) فهنا الضمير يعود الى الكلاب. واطيء ماش على الارض ويثني يرجع وحوّيته ما تحوى أي تلوى من أمعائهِ اثر الطعن وناشج باكٍ من النشيج وهو الصوت وعواصي الجوف هي العروق التي لا ينقطع دمها وتنشخب أي تسيل.

(٤) الدمن آثار الدار مفردها دمنة والظعن جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج.

(٥) حضرها الموت.

....

(*) الديوان ص ٢٦ ـ ٣٧.
(**) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥.

زِيادُ الأعجم (٧٤٥)

هو أبو أُمامة زياد بن سليمان الملقب بالاعجم لارتضاخهِ لكنة أعجميّة[1]. كان شاعراً جزل الشعر فصيح الألفاظ على لكنة لسانهِ. قيل إنهُ كان ينزل إصطخر فغلبت العُجمة على لسانهِ (*). ومن أمثلة لفظهِ الاعجميّ إنشادهُ للمهلب بن المغيرة مادحاً:

فتى زادهُ السلتان في الهمد رغبةً إذا غيَّر السلتان كل جليلِ

يريد «السلطان والحمد» ومن بديع شعرهِ قولهُ في رثاء المهلّب بن المغيرة:

قل للقوافلِ والقَرِيّ إذا قَروا والباكرينَ وللمُجِدّ الرائحِ[2]
ان المروءةَ والسماحةَ ضُمّنا قبراً بمَرْوَ على الطريقِ الواضحِ[3]
فاذا مررتَ بقبرهِ فاعقُرْ لهُ كُومَ الهِجانِ وكلَّ طِرفٍ سابحٍ[4]

(١) يقال فلان يرتضخ لكنة أعجمية اذا نشأ مع العجم ثم صار الى العرب فهو ينزع الى العجم في الفاظ ولو اجتهد.

(٢) القري الكثير القرى للضيف والرائح الذاهب مساء

السماحة الجود ومرو بلدة بالعراق على شط الفرات والواضح الجليّ الظاهر.

(٤) كوم جمع اكوم وهو المرتفع الضخم السنام والهجان من الابل البيض الكرام والطرف الفرس.

(*) الأغاني جـ ١٤ ـ ١٠٢ والشعر والشعراء جـ ١ ص ٤٣٠.

وانضَحْ جوانب قبرِهِ بدمائها فلقد يكون أخا دمٍ وذبائحِ
مات المغيرةُ بعد طولِ تعرضٍ للموتِ بين اسنَّةٍ وصفائحِ[1] (*)

وقولهُ في عبد الله بن الحشرج:

ان السماحة والمروءة والندى في قُبّةٍ ضُربت على ابن الحَشرجِ
ملكٌ أغرُّ متوَّجٌ ذو نائلٍ للمعتفين يمينُهُ لم تشنَّجِ[2]
يا خيرَ من صعد المنابرَ بالتّقى بعد النبيِّ المصطفى المتحرّجِ[3]
لما أتيتك راجياً لنوالكم ألفيت بابَ نوالكم لم يُرتَجِ[4] (**)

وكان في دارهِ مع قوم على الشراب اذ سجعت حمامة ألفت منزلهُ فقال:

تغنيٍّ أنت في ذممي وعهدي وذمّةِ والدي أن لم تُطاري[5]
وبيتكِ فأصلحيهِ ولا تخافي على صُفرٍ مزغّبةٍ صغارِ[6]
فانك كلّما غنيتِ صوتاً ذكرت أحبتي وذكرت داري
فامّا يقتلوك طلبتُ ثأراً لهُ نبأٌ لأنك في جواري (***)

وشعرهُ كلهُ من هذا الطراز الحسن. وكان مهيب الجانب في الهجاء حتى خافهُ الفرزدق نفسهُ.

---

(١) اسنة جمع سنان وهو نصل الرمح والصفائح السيوف العريضة.

(٢) النائل العطَية والمعتفون الطالبون المعروف وتشنج تتقبّض.

(٣) المتحرج المتجنب للاثم. (٤) يرتج يغلق.

(٥) أطاره نفّرهُ وجعلهُ يطير.

(٦) مزغّبة ذات زغب وهو صغير الريش يعني بها فراخ الحمامة.

(*) الأغاني جـ ١٤ ص ١٠٣.

(**) المصدر نفسه ص ١٠٥.

(***) المصدر نفسه ص ١٠٣.

حَمَّاد الرَّاوِية (٧٨١م ١٥٦هـ)

هو أبو ليلى حماد بن ميسرة. كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها. وكان في أول أمره يتشطّر[1] ويصحب الصعاليك واللصوص فنقب ليلة على رجلٍ وأخذ مالهُ وكان فيهِ جزء من شعر الأنصار فقرأه فاستحلاهُ وتحفّظَهُ ثم طلب الأدب والشعر وأيَّام الناس ولغات العرب وترك ما كان عليهِ فبلغ في العلم ما بلغ وهو الذي جمع المعلّقات السبع. قيل ان الوليد بن يزيد قال لهُ يوماً «بِمَ استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية» فقال «بأني أروي لكلّ شاعرٍ تعرفهُ يا أمير المؤمنين أو سمعت بهِ ثم أروي لأكثر منهم مّمن تعرف انك لا تعرفهُ ولم تسمع بهِ» فقال «فكم مقدار ما تحفظ من الشعر» قال «أنشدك على كلّ حرف من حروف المُعْجم مئة قصيدة كبيرة سوى المقطّعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام» فامتحنهُ الوليد وأمرُه بالانشاد فأنشده حتى ضجر فوكل بهِ من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه فأنشدهُ ألفين وتسع مئة للجاهليين فأمر لهُ الوليد بمئة ألف درهم(*)

---

(١) يعجز الناس خبثاً ودهاءً.

(*) الاغاني جـ ٥ ص ١٦٤ . ١٦٥.

وكانت ملوك بنيِ أميَّة تقدّمهُ وتُؤثرهُ وتستزيرهُ فيغدو عليهم وينادمهم ويسألونه عن ايام العرب وعلومها ويجزلون صلتهُ. ولم يكن لهُ كبير حظٍ مع بني العباس من بعدهم. ويؤخذ عليه في روايتهِ قلّة الأمانة فانه كان ينحل[1] من يروي لهم ابياتاً من عندهِ فيفسد شعر القدماء ولا يتميّز الصحيح منهُ الاعند عالمٍ نقّاد يندر وجودهُ غالباً. وكان حماد شريراً خبيثاً مدمناً للخمرة متّهما في دينهِ يُرمى بالزندقة.

(١) نحلهُ القول نسبهُ اليهِ كذباً.

ألأحَوص (٧٩٦م ١٨٠هـ)

هو أبو محمد عبد الله بن محمد الأنصاري المعروف بالأحوص(١) من متقمّي الشعراء وفصحائهم سهل الكلام صحيح المعنى ولشعرهِ رونق وديباجة صافية وعذوبة الفاظٍ. كان دنيء الأخلاق والأفعال خالع العذار هجّاءً لم ينجُ أحد من شرّهِ حتى أنهُ هجا قومَهُ ونفسهُ واضطرّت خبائثهُ وقبائحهُ سليمان بن عبد الملك ان يجلده مئة سوط ويشهره وينفيه إلى جزيرة دَهْلك وثوى هناك مدَّة سليمان وعمر بن عبد العزيز ولم يُطلق سبيلهُ إلاّ في سلطان يزيد بن عبد الملك(*) وقد سمع جارية لهُ تغّني أبياتاً عملها الأحوص في مدحهِ منها:

كرمُ قريشٍ حينَ يُنسب والذي ... أقرّت لهُ بالمُلْكِ كهلاً وأمردا(٢)

وليس وإن أعطاك في اليوم مانعاً ... اذا عدتَ من أضعافِ إعطائهِ غدا

أهان تلادَ المال في الحمـد إنهُ ... امامُ هدى يجري على ما تعوَّدا

تشـرَّف مجـداً من أبيـهِ وجـدّهِ ... وقد ورثا بنيان مجدٍ تشيّدا(**)

ومع ما يذكر من مكثهِ في منفاهُ أيام عمر فانهم يروون لهُ مدحاً أنشده

(١) الضيّق مؤخر العين.

(٢) الكهـل من تراوح عمـرهُ بين الثلاثين والخمسـين والأمرد الشـاب طـرّ شـاربـهُ ولم تنبت لحيتهُ.

(*) الأغاني جـ ٤ ص ٤٣.

(**) المصدر نفسه ص ٥٠.

اياها بعد ما ولي الخلافة وكان عمر قد أقصى الشعراء وأنكر إعطاءهم من بيت المال وصعب دخولهم عليهِ فلما دخل الأحوص وأُذن لهُ أنشدهُ

وما الشعر الا خطبةٌ من مؤلّفٍ ... بمنطق حقٍّ او بمنطق باطلِ
فلا تقبلَنْ الاّ الذي وافق الرِضى ... ولا ترجعَنّا كالنساءِ الاراملِ
رأيناك لم تعدِلْ عن الحقِّ يمنةً ... ولا يسرةً فِعلَ الظلوم المجادلِ
ولكن أخذت القَصْدَ جُهدكَ كلَّهُ ... وتقفو مثالَ الصالحين الأوائلِ (١)
فان لم يكن للشعر عندك موضعٌ ... وان كان مثلُ الدرِّ من قول قائلِ
فـانَّ لنا قـربى ومحضَ مـودَّةٍ ... وميراثَ آباءٍ مشَوْا بالمناصلِ (٢)
فذادوا عدوَّ السِلمِ عن عُقرِ دارهم ... وأرسَوا عمود الدينِ بعد تمايلِ (٣)
فكلُّ الذي عددت يكفيك بعضُهُ ... ونَيلُك خيرٌ من بحورٍ سوائلِ

ولهُ في مدحهِ أيضاً قبل خلافتهِ قصيدة شهيرة مطلعها.

يـا بيتَ عاتكـةَ الـذي اتعـزَّلُ ... حَذَرَ العدى وبهِ الفؤاد موكَّلُ (٤)

وهي طويلة منها في مدح عمر

ماضٍ على حدث الامور كأنهُ ... ذو رونقٍ عضبٌ جلاهُ الصَّيْقَلُ (٥)
تُبدي الرجالُ اذا بدا إعـظامَهُ ... حَذَرَ البغاثِ هوى لهنّ الأجدلُ (٦)
فيـرون ان لـهُ عليهم سَـورةً ... وفضيلةً سبقت لهُ لا تجهلُ (٧)

---

(١) القصد الاستقامة وتقفو تتبع.   (٢) المناصل السيوف.

(٣) ذاد أبعد ودافع وعقر الدار وسطها وأرسى وطد.

(٤) عاتكة علم امراة وتعزل المكان ابتعد عنهُ.

(٥) العضب السيف والصيقل الذي يجلو السيوف اي يزيل عنها الصدأ.

(٦) البغاث صغار الطير والأجدل الصقر وهو من الطيور الجارحة.

(٧) السورة السطوة.

متحمّلُ ثِقلَ الأمـور حوى لـهُ   سبْقُ المكــارم ســابقٌ متمهّــلُ
ولــهُ إذا نُسبت قــريشٌ منهمُ   مجدُ الأَرومة والفَعالُ الأفضلُ(١)
ولقـد بدأتُ أُريـد ودَّ معاشـرٍ   وعدوا مواعدَ أُخلفت ان حصّلوا(٢)
حتى اذا رجع اليقينُ مـطامعي   بـأساً وأخلفني الـذين أُؤمّـلُ(٣)
زايلتُ ما صنعوا اليـك برِحلةٍ   عجـلى وعندك عنهم مُتحـوَّلُ(٤)
ووعـدتني في حـاجـةٍ فصـدفتني   ووفيتَ إذ كذبوا الحديثَ وبدَّلوا
واراك تفعلُ ما تقولُ وبعضهمُ   مَذِقُ الحديث يقولُ مالا يفعلُ(٥)

---

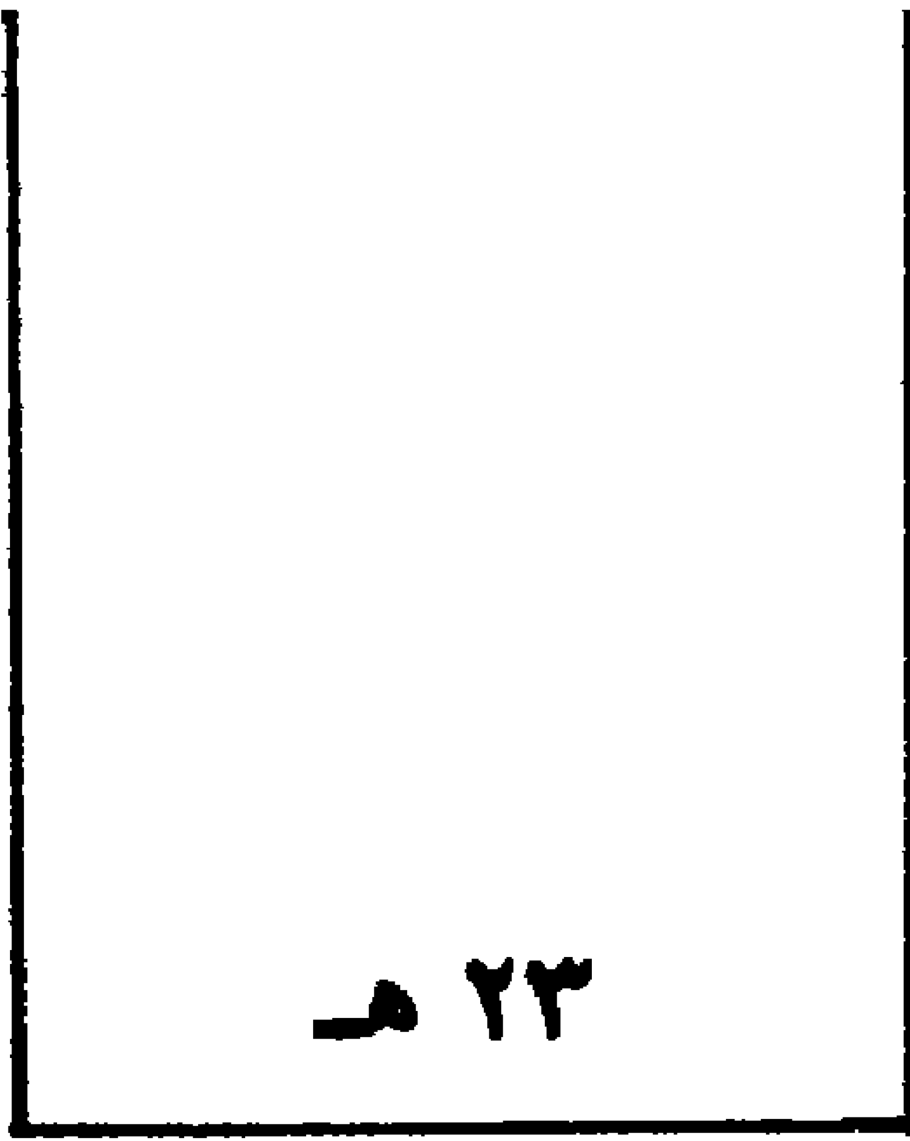
(١) الأرومة الاصل والفعال الفعل الحسن والكرم.

(٢) أخلفت لم تتم.

(٣) أخلفني ردّني الى الوراء.

(٤) عجلى مسرعة.

(٥) مذق غير صادق.



كَثِيْر عزة

أسمه كَثِيْر، بفتح الكاف وكسر الثاء وسكون الياء كأمير، ولفرط قصره سمى بكُثَيِّر(*) وابوه: عبد الرحمن بن الأسود.

وقد لقب كثير بألقاب عدة غير أن اللقب الذي اشتهر به هو (كثير عزة) التي هام بها منذ الصبا وما برح يترنم بمفاتنها ويلهج باسمها، حتى عرف بكثير عزة.

ولد كثير في عام ٢٣ للهجرة في (كلية)(**) وهي قرية في الحجاز، بين مكة والمدينة، فنشأ فيها يرعى الابل والغنم كغيره من فتيان العرب، وشب في حجر عـم له صالح.(***)

ومن أهم موضوعات كثير الشعريـة هي الغزل العذري. وأجمل صفحة في حياة كثير هي التي تصور قصة حبه لعزة. وعندما ندرس الشعر الذي أنشده فيها نجد أمامنا قصة من أصدق قصص الحب العذري ومن هذا الشعر قوله:

....

(*) المشتبه جـ ١ ص ٥٤٥.

(**) الأغاني جـ ٩ ص ٢٣.

(***) منتهى الطلب جـ ٣ ص ١٧٥.

أبـائنة سعـدى؟ نعم ستبين كما أبنتَّ من حبل القرين قرينُ!
أئن زُمَّ أجمال وفارق جيـرة وصاح غراب البين أنت حزينُ؟
كـأنـك لم تسمع ولم ترقبلها تـفـرقّ ألاف لهـن حنـين
حنـين إلى ألافهـن وقـد بـدا لهن من الشك العداة يقـينُ
كـأني ـ وقد نكّبن برمّة واسط وخلفن أحواض النخيل، طعين (*)

إنه يتحدث عن لحظة الوداع، موعد الرحيل، وما كادت الظعائن تغيب عن عينيه حتى أحس بسهم الفراق يصمي صميمه، وكأنه لم يسمع ولم يدرك من قبل معنى الفراق والحنين حتى فارق ألّافه.

لقد بدأ كثير حياته شيعياً محباً لآل البيت ويؤمن بحقهم السياسي، يدلنا على ذلك الكثير من شعره السياسي، ومن أجمل ما قاله في آل البيت رثاؤه للإمام الحسين عليه السلام فقال:

فسبط[1] سـبط ايمـان وحـلم وسـبط غـيـبـتـه كـربـلاء
سقى جـدثـاً تـضمنـه ملث[2] هتـوف الـرعـد مـرتجـز رواء
تـظل مـظلة مـنهـا عزالي[3] عليـه وتغتـدي أخـرى مـلاء

ففي هذه الأبيات نجد الخوف والرثاء متعانقين.

---

(١) السبط: ولد الولد.
(٢) ملث. لث المطر: دام أياماً لا يقلع.
(٣) عزالي: جمع عزلاء: وهي صفة للسحاب.

(*) الديوان ص ٢٣٢ والبيان والبنين جـ ١ ص ٧٨ ـ ٧٩ واخبار ابي نواس لابن منظور جـ١ ص ١٣ ـ ١٤.

الخُطَباء

لما كانت أيام بني أُمية أيام حروب وفتوح في الخارج وفتوق[1] وخروج خوارج في الداخل اقتضى تأييد الملك استنهاض الهمم على القتال والمكافحة وحض القوم على كبح جماح[2] الثائرين واخضاعهم. وذلك لا يتأتى الاّ باقناع الناس وحملهم عن طيبة خاطر منهم على ممالأة السلطان ومعاضدتهِ[3] بنفوسهم. فنبغ من ثم في ذلك العهد عدَّة خطباء لهم في بلاغة القول المكانة الرفيعة ألقَوْا في قومهم الخطب الحماسية الشديدة اللهجة وتملكوا عقولهم وقلوبهم بساحر بيانهم وصرفوهم فيما شاءُوا واكثرهم من امراء الجيوش السائرة الى ملاقاة العدو والعمال المنفذين[4] من قبل الخلفاء الى البلاد الخارجة عليهم لردّ أهلها الى الطاعة ومن إليهم من أعوان الملك وخاصتّه في الدواوين والمصالح المتفرّقة. وسنذكر أشهرهم صيتاً عند الخلفاء إن شاء الله.

(١) جمع فتق وهو شقّ عصا القوم واعادة الحرب بينهم.

(٢) جمع الفرس تغلّب على راكبهِ.

(٣) الممالأة والمعاضدة المساعدة والمناصرة.

(٤) المرسلين.

زِياد (٦٧٤م ٥٥هـ)

هو أبو المغيرة بن زياد بن سميّة المعروف بزياد بن أبيه لجهل العرب نسبه وحقيقة امرهِ على ما يقال إنهُ ابن رجل روميّ الأصل من موالي ثقيف آسمهُ عُبيد واسم أُمهِ سميَّة فكان العرب لعدم معرفتهم لابيهِ ينسبونهُ إلى أمهِ او يقولون لهُ (ابن أبيهِ) ولما طَمع معاوية الخلافة جمع حولهُ دهاة العرب وكان زياد من أذكاهم وأدهاهم وهو مجهول النسب فآدعى معاوية انه أخوه لأبيهِ من زواج غير شرعيّ فاستلحقهُ وسميّ زياد منذ حينئذ «زياد بن أبي سفيان» وما زال بنوهُ من بعدهِ يعدُّون من قريش كبني أمية حتى ردّهم المهدي الى نسب عبيد المذكور وصاروا من موالى ثقيف.

وكان زياد راجح العقل سديد الرأي عالي الهمّة فصيح المنطق خطيباً مِصْقعاً. قيل ان عمر بن الخطاب وكل إليهِ وهو حدث قضاء مهمّة فقامَ بها احسن قيام وعاد إليهِ وعندهُ المهاجرون والأنصار فخطب خطبة لم يسمعوا مثلها فقال عمرو بن العاص «لله درّ هذا الغلام لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه» ولهُ عند قدومهِ البصرة خطبة في اهلها تعرف بالبتراء لأنه لم يستهلها بحمد الله منها.

«أما بعد فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والعمى الموفي[1] بأهلهِ

(١) المشرف.

علـى النار مـا فيهِ سفهـاؤكم وتشتمل عليـه حلماؤكم من الأُمـور العـظام لينبت فيهـا الصغير ولا يتحـاشى عنها الكبـير كأنكم لم تقـرأُوا كتاب الله وتستمعـوا بما أعدّ الله من الثواب الكريم لأهل طـاعتهِ والعـذاب العظيم لأهـل معصيتهِ . . . ما أنتم بالحلماء وقد آتبعتم السفهاء . . . اني رأيت آخر هذا الامر لا يصلح إلاَّ بما صلُح بـهِ أَولـهُ : لـين في غـير ضعف وشـدة في غـير عنف . واني اقسم بـالله لآخـذن الواليّ بـالمـولى[1] والمقيم بـالـظاعن[2] والمقبـل بـالمـدبـر[3] والصحيـح بـالسقيم حتى يلقى الـرجــل منكم أخـاه أو تستقيم لي قناتكم[4] . . . وقـد احـدثتم احداثـاً[5] لم تكن وقد احـدثنا لكـل ذنب عقـوبـة . فمن غـرَّق قـومـاً أغـرقناهُ ومن أحـرق قومـاً أحرقنـاهُ ومن نقب بيتاً نقبنـا عن قلبهِ ومن نبش قبـراً دفناه فيه حيّاً . . . وقد كـانت بيني وبين قـوم إحَن[6] فجعلت ذلك دُبـر[7] أذني وتحت قـدمي فمن كان محسنـاً فليزدد في إحسـانـهِ ومن كـان مسيئـاً فلينـزع عن إساءتهِ . . . فربَّ مبتئس[8] بقدومنا سيسرّ ومسرور بقدومنا سيبتئس(*)

---

(١) السيد بالعبد. (٢) الراحل.
(٣) المولي بالذاهب.
(٤) القناة عود الرمح واستقامتها كناية عن الطاعة والانقياد.
(٥) جمع حدث وهو الأمر المنكر الذي ليس معتاداً ولا معروفاً في السنّة.
(٦) جمع إحنة وهي الحقد.
(٧) خلف. (٨) حزين.

. . . .

(*) البيان وتبيين للجاحظ ٢ ص ٦٢ ـ ٦٥.

سُحْبَان

(٦٧٤م ٥٥هـ)

هو سحبان بن زُفَرَ بن أياس الوائليّ من مشاهير خطباء العرب يضرب به المثل في الفصاحة كان نادرة أهلِ زمانهِ في الخطابة وقوة العارضة[1] فكان اذا خطب يسيل عرقاً ولا يُعيد كلمةً ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ من موضوعهِ لم يندّ [2] عن ذاكرتهِ معنى. ودخل يوماً على معاوية وعندهُ خطباءُ القبائل فلما رأوه خرجوا لعلمهم بقصورهم عنه فقال:

لقد علم الحيُّ اليمانون أنني ... اذا قلت اما بعدُ أني خطيبها[3]

فقال لهُ معاوية «اخطب» فقال «انظروا لي عصا» قالوا «وما تصنع بها وأنت في حضرة أمير المؤمنين» قال «وما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه» فأخذها في يدهِ فتكلم على ما يقال من الظهر الى أن كادت صلاة العصر تفوت ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا ابتدأ في معنى فخرج منه وقد بقي عليهِ منه شيء ولا مال عن الجنس الذي يخطب فيه. فقال معاوية «الصلاة» فقال «هي امامك ألسنا في تحميدٍ وتمجيد وعظة وتنبيه ووعد ووعيد» فقال لهُ معاوية «أنت أخطب العرب» فقال العرب وحدها بل اخطب الانس والجن»(*) ومن خطبة لهُ.

---

(١) القدرة على الكلام.

(٢) يشرد.

(٣) الحي البطن (مادون القبيلة) من بطون العرب واليمانيون نسبة الى اليمن.

. . . .

(*) زهر الآداب جـ ٤ ص ٩٥٤ ـ ٩٥٥.

«أما بعد فان الدنيا دار ممرّ والآخرة دار مقرّ فخذوا من ممَركم الى مقرّكم ولا تهتكوا[1] استاركم عند من لا تخفى عليه اسراركم وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ففيها حييتم ولغيرها خُلقتم. اليوم عمل بلا حساب وغداً حساب بلا عمل . . .»[*]

---

(١) تخرّقوا وتشققوا.

. . . .

(*) جواهر الآداب جـ٢ ص ١٢١.

أَلْحَجَّاج (٧١٦م ٩٨هـ)

هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي المشهور بالفظاعة والقسوة. كان في أَوَّل أمرهِ خامل الذكر فقير الحال إلا أن ماركز في طبعهِ من الحذق والدهاء والفصاحة وجّه إليهِ أنظار روح بن زنباع الجذاميّ وزير عبد الملك فجعله في شرطتهِ[1] ورأى الخليفة انحلال عسكرهِ فشكا ذلك الى روح بن زنباع فدلَّهُ على الحجاج فقلّدهُ إمرة الجند فردهم الى الطاعة والخضوع. ولما انتقض[2] اهل العراق على عبد الملك واستفحل أمرهم وأعيوا[3] عمالهم ارسل اليهم الحجاج أميراً عليهم. فعاملهم بعنفٍ وظلم لم يسمع بمثله فقّوم معوجهم وضبط أُمورهم فانقادوا اليهِ صاغرين رغبة أو رهبةٍ كبيرهم وصغيرهم. وكان مقداماً على الفظائع سفّاحاً[4] غدّاراً فاتكاً فولاذيّ الأحشاء. ألذُّ شيء عندهُ سفك دماء رعيته لا تأخذه بهم رأفة ولا شفقة فعمّت النّاس الرهبة والرغبة وكانوا لمجرّد ذكرهِ تطير قلوبهم جزعاً وترتعد فرائصهم فزعاً. قيل لا برهيم النخعيّ «اين كنت حين طلبك الحجاج» قال بحيث يقول الشاعر.

عوى الذئب فاستأنست بالذئبِ إذعوى وصوَّت انسانٌ فكدت أَطيرُ

(١) استعصى.
(٢) رجال الضبط.
(٣) سفّاكا للدماء.
(٤) أعجزوا.

وقال لهُ عبد الملك «ما من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسهِ فعب نفسك» قال «أوَ تعفيني» قال «والله لتفعلنّ» قال «انا لجوجٌ حقودٌ حسودٌ» فقال عبد الملك «ما أظنُّ في الشيطان أكثر من هذا» وكان تذلّلهُ وضراعتهُ[1] لعبد الملك على قدر كبرهِ وظلمهِ لرعيتهِ

وللحجاج خطب شهيرة هي غاية في البلاغة تدلّ على دربة في فن الخطابة وحنكة نادرة وملكة معجزة. وكانت اقوالهُ تنقضّ على سامعيه كالصواعق القاصفة فتنخلع لها قلوب الشجعان وتخور منها قوى الخوارج الاشدّ جراءة وبطشا قيل انهُ لما ولي العراق ودخل الكوفة لأول مرة صعد المنبر متلثماً متنكباً قوسهُ فجلس واضعاً ابهامهُ على فيهِ فاحتقره الناس وكادوا يحصبونهُ[2] كفعلهم بالولاة من قبله فلما غصّ المجلس بأهلهِ حسر[3] عن وجههِ ثم قام ونحّى عن رأسه وقال:

«أنا ابن جَلا وطلّاعُ الثنايا متى أضعِ العمامة تعرفوني[4]

اني والله لأرى ابصاراً طامحة واعناقاً متطاولة ورؤوساً قد أينعت وحان قطافُها واني لصاحبها. وكأني أنظر الى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى

هذا أوانُ الحرب فاشتدّي زيَمْ قد لفَّها الليل بسَوَّاقٍ حُطَمْ[5]
ليس براعي ابلٍ ولا غَنَمْ ولا بجزّار على ظهرِ وضَمْ[6]

---

(١) تدنؤهُ.

(٢) يرمونهُ بالحصباء اي صغار الحجارة. (٣) كشف.

(٤) أراد بابن جلا الواضح الامر والثنايا جمع ثنية وهي العقبة في الجبل وطلاع الثنايا اي مقدم على مشاق الامور.

(٥) الزيم قطع من الابل ما بين الثلاثة والخمسة عشر ولفّها ضمها وجمعها والسُّوَّاق السائق والحطم الراعي الظلوم للماشية.

(٦) الجزّار اللحام والوضم خشبة الجزّار يقطع عليها اللحم .

الا وان أمير المؤمنين عبد الملك نكب كنانتهُ وعجم[1] عيدانها فوجدني أصلبها عوداً وأشدّها مكسراً فوجهني اليكم ورماكم بي . . . أما والله يا أهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق ومساوىء الاخلاق لألحو نكم[2] لحو العصا ولأعصبنكم[3] عصب السَّلمة [4] ولأقرعنّكم قرع المروة [5] ولأضربنكم ضرب غرائب الابل [6]. يا أهل العراق عبيد العصا واولاد الاماء انا الحجاج بن يوسف والله ما أحلف الّا وفيت وما أخلُق إلا ـافّريت. . . [7] إياكموهذه الزرافات[8] والجماعات وقال وقيل وما يكون وما هو كائن وما انتم وذلك؟ لينظر الرجل في أمر نفسه وليحذر ان يكون من فرائسي . . . يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين » فقال الكاتب « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الى من بالعراق من المؤمنين سلام عليكم. فاني أحمد الله اليكم. . . » فصاح الحجاج «اسكت يا غلام » ثم قال مغضبا « يا أهل العراق يا أهل الفرقة والضلال يسلّم عليكم أمير المؤمنين فلا تردُّون عليه السلام؟ أما والله لأؤدبكم أدبا سوى هذا الأدب. اقرأ يا غلام الكتاب « فلما بلغ الكاتب السلام قال أهل المسجد »

---

(١) الكنانة وعاء النبل ونكب الكنانة قلبها ونثر ما فيها وعجم العود عضهُ ليعلم صلابته من رخاوتهِ.

(٢) لحا العصا قشرها.

(٣) عصب الشجرة ضم ما تفرق من اغصانها ثم خبطها ليسقط ورقها.

(٤) شجرة ارادوا قطعها عصبوا أغصانها عصباً شديداً حتى يصلوا الى اصلها فيقطعوها.

(٥) أصلب الحجارة ويعرف بالصوّان.

(٦) غرائب الابل هي الابل الغريبة ليست لأهل الواردة (القادمة لورود الماء) فتضرب وتمنع الورود.

(٧) خلق الثوب قدره قبل قطعة وفرى قطع يقول لا أشرع في أمر الا أتيت على آخرهِ مهما كان

(٨) الزرافة الجماعة من الناس مما فوق العشرة الى العشرين.

وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاتهُ »(*) ومما يدل على فصاحته وقسوته ما رواه الاصمعي عنه قال: بعث الحجاج الى ابن يعمر، فقال له: أنت الذي تقول ان الحسن بن علي ابن رسول الله (ص)؟ والله لتأتين بالمخرج أو لأضربن عنقك. فقال له: فان أتيت بالمخرج فأنا آمن؟ قال: نعم: قال له: أقرأ: « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء » الى قوله « ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين. وزكريا ويحي وعيسى » فمن أقربُ » عيسى الى ابراهيم، وانما هو ابن بنته او الحسن الى محمد؟ قال الحجاج: فوالله لكأني ما قرأت هذه الآية قط، وولاه قضاء بلد، فلم يزل بها قاضيا حتى مات.(**)

وله من مآثر القول أقوال كثيرة - ومن عجيب قوته في التصرف في الكلام انه كان اذا ذكر إحسانهُ الى أهل العراق وتجاوزه عن سيئاتهم خُيِّل الى السامع أنهُ صادق في مدعاهُ وان أهل العراق اولئك الذين قتل منهم صبراً[1] مئة وعشرين الفاً هم الظالمون لهُ المختلقون[2] عليه الاكاذيب والقبائح . . . وفي ذلك دليلٌ على خطورة فن الخطابة والقوة العجيبة التي بيد الخطيب الماهر يصرف بها الأهواء كما شاء. ولما توفي كان في سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون الف أمرأة - ومن مآثر الحجاج إيعازه الى نصر بن عاصم احد كتبته بوضع الاعجام للتمييز بين الاحرف المتشابهة.

---

(١) شد ايديهم وارجلهم وحبسهم الى ان ضرب أعناقهم.

(٢) المتقوّلون.

. . . .

(*) العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٥ ص ١٧ - ١٨.

(**) العقد الفريد جـ ٥ ص ٢٠.

طَارق (٧٢١م ١٠٣هـ)

هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك على أفريقية. كان رجلاً مقداماً شجاعاً حسن التدبير أرسله سيده لفتح الأندلس فعبر المضيق الفاصل بين أفريقية فسمّي باسمه « جبل طارق » ونحت الأفرنج الكلمتين فقالوا جبْرلَطار » فزحف إليه رُدريكَ ملك القوطِ بجيوشه وتناجز[1] الفريقان أياماً فدارت الدائرة على ردريك وقومه وظفر طارق بردريك فاحتز رأسه وبعث به الى موسى سيّده. فدبّت الغيرة في قلبه وحسدهُ على ما نال من النصر الباهر والمجد الرفيع فاسترجعه وزجّه في السجن. وبلغ أمرُهُ الوليد فأمر بإطلاقه. الا أنه لمّا لم يزل الحقد والنفور في ازدياد بين الرجلين استقدمهما الخليفة الى دمشق وأهملهما حتى ماتا مرذولين منسيّين.

ولطارق خطبة شهيرة في جيشه قبل اشتباك القتال شدد فيها عزائمهم وأقنعهم انه ليس لهم الا إحدى خطتين الظفر أو الموت ويحكى انهُ أحرق مراكبه إقناطاً لهم[2]- من العود الى الأوطان وقيل أمر بها فردت الى أفريقية. قال:

«أيها الناس أين المفرّ والبحر وراءكم والعدوّ أمامكم؟ . . . إعلموا انكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام[3] . . . ولا وَزَرَ لكم إلا

(١) تناجز القوم تبارزوا. (٢) قطعاً لرجائهم.

(٣) المأدبة الوليمة يقوم لهم ان حظكم من هؤلاء القوم حظّ أيتام اذلاء دخلوا على لئام بطرين في وليمتهم ٤٠٠٠ ملجأ.

سيوفكم . . . وقد انتخبكم أمير المؤمنين الوليد بن عبـد الملك ثقةً منهُ بارتياحكم الى الطعان ومجالدة الأبطال والفرسان . . . واعلموا أني أول مجيب الى ما دعوتكم اليه واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاء الله تعالى. فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كُفيتم أمرهُ ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم اليه. وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا الهمّ من فتح هذه الجزيرة بقتله وقومه بعده يخذلون.

عبدُ الحميد (٧٥٠م ١٣٢هـ)

هو ابو غالب عبد الحميد بن يحي مولى بني عامر لُؤَيّ من أهل الشام.
كان أولاً معلم صبية يتنقل في البلدان ثم أقبل على الانشاء فبلغ فيه مقاماً رفيعاً وشهرة واسعة فاستكتبه[١] مروان بن محمد الملقب بالحمار[٢] آخر خلفاء بني أمية ولهُ رسائل كثيرة بديعة تشهد لهُ بطول الباع وعميق التضلّع من فنون الانشاء وكلامه عنوان البلاغة والرشاقة وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب وعنهُ أخذ المترسلون[٣] ولطريقته لزموا ولآثاره اقتفوا[٤] قال إبراهيم الصولي «ما تمنيت كلام أحد من الكتاب قط أن يكون لي مثل كلام عبد الحميد» وحضر مع مروان جميع وقائعه عند آخر أمره. ويُحكى أن مروان حين أيقن بزوال ملكه قال لهُ «قد احتجت ان تصير مع عدوّي وتظهر الغدر لي فان إعجابهم بك وحاجتهم الى كتابتك تحوجهم الى حسن الظن بك فان استطعت ان تنفعني في حياتي والا لم تعجز عن حفظ حرمي بعد وفاتي» فقال لهُ عبد الحميد «ان الذي أشرت به علي انفع الامرين لك وأقبحهما بي وما عندي الا الصبر حتى يفتح الله تعالى او أقتل معك» ولم يزل يقاتل مع سيده ويشاطرهُ الاهوال

---

(١) قلّدهُ الكتابة في ديوانهِ.
(٢) قيل لقب بذلك لثباتهِ وصبره.
(٣) كتاب الرسائل.
(٤) أتبعوا.

والأخطار حتى قُتل معهُ وهلك ضحية الأمانة والصدق والشجاعة. ومن كلامهِ ما كتبه على يد شخصٍ يوصي به بعض الرؤساء.

«حق موصل كتابي اليك عليك كحقه علي إذ رآك موضعاً لأمله أهلاً لحاجته وقد أنجزت الحاجة فصدق امله» ومن كلامه «القلمَ شجرة ثمرتها الألفاظ والفكر بحرٌ لؤلؤهُ الحكمة» ومما كتب به الى أهله وهو منهزم.

«اما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور فمن ساعدهُ الحظ فيها سكن اليها ومن عضتهُ بنابها ذمّها ساخطاً [1] عليها. وقد كانت أذاقتنا أفاويق[2] استحليناها ثم جمحت بنا نافرة ورمحتنا[3] مولّية فملح عذبها وخشن لينها فأبعدتنا عن الأوطان وفرقتنا عن الأخوان فالدار نازحة والطير بارحة[4]».

«وقد كتبت الأيام تزيدنا منكم بعداً واليكم وجداً [5] فان تتم البلية[6] الى أقصى مدّتها يكن آخر العهد بكم وبنا وان يلحقنا ظفر جارح من أظفار اعدائنا نرجع اليكم بذل الاسار[7] والذل شرّ جار. أسأل الله الذي يُعز من يشاء ويذل من يشاء ان يهب لي ولكم ألفة جامعة في دار آمنة تجمع سلامة الابدان والأديان فانه رب العالمين وأرحم الراحمين»(*)

---

(١) غاضباً.

(٢) أفاريق جمع افواق جمع فيقة بالكسر وهي اللين.

(٣) جمحت بنا ركبت هواها وغلبتنا ورمحتنا رفستنا.

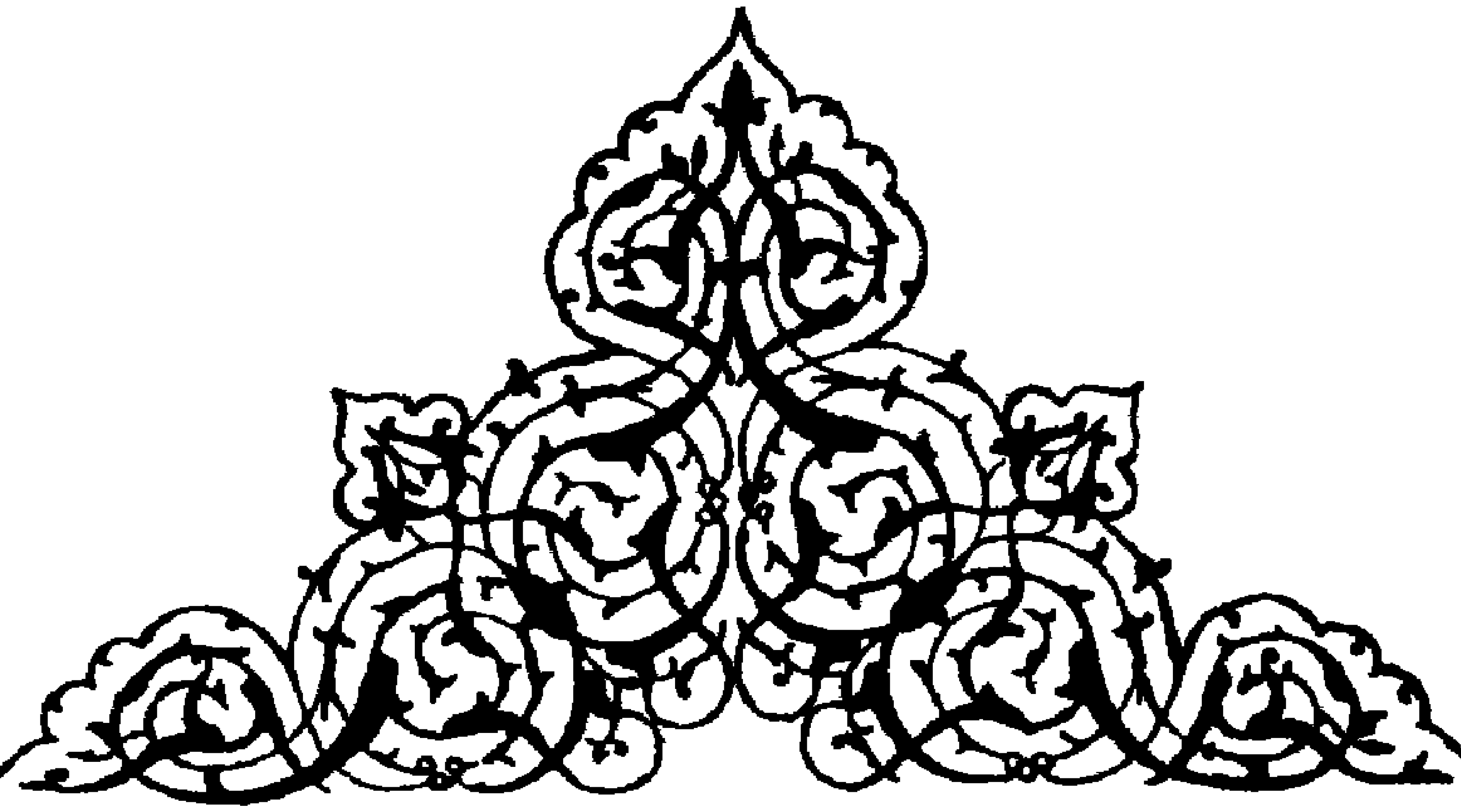
(٤) نازحة بعيدة والبارحة من الطيور والوحوش هي الآتية من يمين الناظر اليها الى يساره.

(٥) الوجد الحبّ. (٦) البلية المصيبة اراد بها الموت.

(٧) الاسار الأسر.

. . . .

(*) الجهشياري في كتابه الوزرارو الكتـاب ٧٢ ـ ٤٧٣ وأبن خلكان في كتـابه وفيـات الاعيان جـ ١ ص ٣٠٧.



اللـــغة

في الـدّولـة العـبّاسـيّة



دالت[1] دولة بني أُمية ودالت معها سيادة العرب في المملكة الاسلامية عملاً بناموس ردّ الفعل. فان دولة الأمويين كانت عربية بحتة والرعامة فيها محتكرة[2] للعنصر العربي بمعزل عما سواه. ولم يكتف خلفاء بني أمية بتعزيز شأن العرب وإيثارهم[3] على سائر الشعوب الخاضعة لهم مع كثرتهم وتعدد مللهم ونحلهم بل أفرطوا في التعصب عليهم وازدراءهم الى حدّ يتعدى طور النَصَفة[4] ويأباهُ العقل السليم. ولعلّ ما استدرجهم الى هذه الخطة الخطرة هو توهّم العرب على أثر انتقالهم دفعة واحدة من رعاية الابل الى سياسة الممالك ان في جبلتهم مزية خاصة ليست فيمن سواهم تجعل السيادة حقاً لهم والخضوع فرضاً للأمم التي عنت[5] لصولجانهم. فاحتقروا الأعاجم طرّاً حتى الذين أسلموا وأصبحوا أخوة لهم في الدين فكيف أهل الذمة من نصارى ويهود.

فأدى الأمر بغير العرب من ملِّيين وذِمِّيين الى النقمة على الدولة الأموية والتذمر مما يسامون[6] من أنواع الذل والجور والتشيع لكل خارج عليها[7] وبذل النفس والنفيس في سبيل إسقاطها تشفياً من أربابها وإتّثاراً[8] من العرب اتباعها ورافعي منارها وخير من عبر عن سبب زوال دولة الأمويين (ابن خلدون) في مقدمته حيث قال: « انهم استعملوا طبيعة الملك في اغراضهم الدنوية ومقاصدهم، ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحرى القصد فيها. واعتماد الحق في مذاهبها. فكان ذلك مما دعا الناس الى ان نعوا عليهم أفعالهم. وأدالوا بالدعوة العباسية منهم »(*).

---

(1) زالت. (2) منحصرة.
(3) تفضيلهم. (4) العدل.
(5) خضعت. (6) يحملون.
(7) التشيع الموالاة والمتابعة والخارج على السلطان المتمرد عليه.
(8) تشفى من غيظهِ اذهبهُ واثأر من عدوهِ انتقم منهُ.

. . . .

(*) المقدمة لابن خلدون جـ ١ ص ط ٤ ص ٢٠٦.

ونشأت طائفة تعرف بالشعوبية[1] اتحد ذووها في بغض العرب ونقض مزاعمهم وذكر مثالبهم[2] وتفضيل سائر شعوب الأرض عليهم. وكانوا في أيام بني أمية يتسترون فلما اضطرب حبل الدولة الاموية عضد الشعوبية بني العباس وكان ما كان. فدكوا[3] أركان السيادة العربية وردّوا للعرب أضعاف ما ساموهم من الإمتهان[4] والظلم وآلت السيادة في الدولة العباسية الى العنصر الفارسي لان الفرس هم الذين نزعوا الخلافة من أيدي الأمويين وسلموها الى العباسيين. فاستأثروا بالخطط[5] العالية وأصبح تدبير المملكة وسياسة شؤونها في أيديهم. على ان الخلفاء لم يزالوا عرباً ولغة الدولة عربية يعنى بها ويتباهى بالتبحر فيها[6] والوقوف على أسرارها الأصيل والدخيل.

وخلاصة القول ان واقعة الزاب الأعلى كانت الفاصلة بين العرب والفرس. فادرك هؤلاء ثأرهم من خصومهم وشفوا باذلالهم حزازات ربّاها في قلوبهم تجبر العرب وأثرتهم. واستفحل أمر الشعوبية فصاروا بعد التستر يقولون جهراً أنهم ليسوا من سلالة ساداتهم الأجلاف[7] بل من عنصر آخر أعلى شرفاً وأرقى أدباً وأشهر ذكراً. وتخطوا هم ايضا حدود الإعتدال فصاروا يدّعون ان العرب أضعف خلق الله عقلاً وأحطّهم مدارك وأقلهم تعويلاً[8] على أنفسهم. وان في هذا الإنقلاب لعبرة لقوم يعقلون.

---

(١) نسبة الى الشعوب اي كل شعوب الارض ما عدا العرب.
(٢) معايبهم.
(٣) هدموا. (٤) الاحتقار.
(٥) الخطط المقامات واستأثروا بها خصوا بها انفسهم دون سواهم.
(٦) يتفاخر بالتعمق فيها.
(٧) جمع حلف بالكسر وهو الغليظ الجافي. (٨) إعتماداً.

غير ان هؤلاء الحاملين هذه الحملة الشديدة على العرب كانت اللغة العربية لغتهم ولا وسيلة لهم الى إقامة حججهم وبث[١] آرائهم ودعاويهم سوى اللغة العربية وهي إذ ذاك لغة الدين والعلم والسياسة. ففاتهم ان اضمحلال[٢] لغاتهم الأصلية على تعددها وبلوغ أكثرها درجة عالية من الرقيّ وحلول العربية محلها كلها برهان قاطع على رئاسة العرب وسمةٌ[٣] على جباههم لا يمحوها الدهر تذكرهم سيادة أولئك الفاتحين الذين دوخوا[٤] بلادهم وهددوا سائر أقطار المعمور حتى كانت تميد[٥] العروش من وقع أقدامهم وتنخلع لمجرد ذكرهم قلوب المتبوئين ذراها[٦].

وكان العرب لما آلت الخلافة الى بني العباس قد قضوا نهمتهم[٧] من الفتوح وجنحوا[٨] الى الهدوء ولا سيما بعد ما ارتاحوا من المنازعات على الخلافة بفلّ[٩] جيوش بني أمية وتعقب مريديهم وسدّ أفواه الداعين الى انفسهم بالسيف والمال. فاخذوا في اجتناء ثمار الظفر ودعتهم الطمأنينة الى التبسط في أطراف الحضارة والاشتغال بالعلوم والصنائع المتداولة[١٠] بين الامم

---

(١) نشر
(٢) فناء.
(٣) علامة.
(٤) أخضعوها.
(٥) تهتز.
(٦) جمع ذروة وهي اعلى الشيء وتبوّأ العرش جلس عليه.
(٧) شهوتهم.
(٨) مالوا.
(٩) بهزم.
(١٠) المتناقلة.

الخاضعة لسلطانهم فأقبلوا على تحصيلها أقبالهم على فتح الممالك. فلم يدعوا علماً الا عانوه ولا صناعة الا عالجوها. فنبغ[1] منهم في أنواع العلوم والفنون عدة علماء رفعوا منار المعارف وأحيوا معالمها[2] وأوضحوا آثارها فذاع صيتهم في الآفاق وأقرّ بفضلهم المشرق والمغرب.

واما الشعر فقد انحطت مزيته بعض الشيء وضعف أمر قائليه وخُضدت[3] شوكتهم لبعد عهد العرب عن البداوة وزوال مناقبها[4] من نفوس السواد الأعظم لاختلاطهم بالأعاجم وسيادة عنصر غريب عليهم. والذين اشتهروا بالشعر حينئذ كانوا من ملازمي بلاط الدولة الحمدانية المتفرعة من الدولة العباسية وهي عربية المحتد والمنزع[5].

الا ان الشعر لم يعدم في كل مملكة من يهتم بهِ ويسعى في إتقان قرضه لان جميع الأمم الذين خضعوا للعرب واتخذوا لسانهم عنهم الولوع بالشعر وإعزاز شأنه. ولا شك ان الفرس الذين غضوا[6] من شأن العرب خدموا اللغة العربية خدمة جليلة. فقد دونوا فيها مستنبطات قرائحهم وأعمال قواهم الجنسية المميزة لهم. فهم من السلالة الهندية الأوروبية التي لها القدم الراسخة[7] في العقليات والعمليات وقد ادخلوا بين العرب الساميين الروح الآري[8] ومزاياه العديدة.

---

(١) برع وفاق.
(٢) جمع معلم اي دليل وعلامة يهتدى بها.
(٣) كسرت. (٤) جمع منقبة وهي الخصلة الحميدة.
(٥) المنزع بمعنى النزوع اي الميل الى الشيء والمحتد الاصل.
(٦) نقصوا. (٧) الثابتة.
(٨) الشعوب الآرية هي التي هاجرت من الهند الى اوربا في زمن عريق بالقدم وأنشأت الدول الاوروبية القديمة والحديثة

وبلغت المملكة في زمن العباسيين ذروة المجد والحضارة فعم الأمن وكثر الخير واتسعت أبواب الرزق وتفرغ القوم للتمتع بما فاض لديهم ورتعوا في بحبوحة العيش وتأنقوا في أنواع الترف[1] من مطعم وملبس وزخرف البناء والرياش [2] والمعاش وصقلت [3] طباعهم ورقت أذواقهم وأمست بداوتهم أثراً بعد عين. فهم الآن يتقلبون على النفائس[4] الحريرية في القصور المذهبة تحيط بها الحدائق الغنّاء ويلبسون الخز والديباج[5] ويطعمون الفالوذ والسكباج[6] . . . وهيهات زمان كانوا يحسبون فيهِ الكافور ملحاً والرقاق كاغَداً[7].

ولما كان الشعر مرآة عصر قائليه أبدع شعراء الدولة العباسية في التفنن وكسوا كلامهم من زخرف البيان وطلاوة المقال أبهى حلة وأزهى حلية حتى أصبح شعرهم معدن المعاني النبيهة والمغازي الغريبة والاستعارات البديعة والكنايات الدقيقة. وتأنقوا في اللفظ فسبكوه جواهر ونظموه لآلىء. وتعمقوا في الصنعة فاستنفدوا[8] أسرارها او كادوا بحيث لم يدعوا آبدة الا قيدوها ولا خفية الا استنبطوها وأمعنوا في الغوص على غرائب المعاني وأوغلوا[9] في اصطياد شواردها فأحاطوا بها ووفوها حقها ولم يتركوا منية لمتمنٍ ولا زيادة لمستزيد. وان أدى بهم تعمقهم وتأنقهم الى الغلوّ والأفراط فهم في ذلك صدى أيامهم وكلامهم حكاية حال عصرهم.

---

(١) الترفُّه. (٢) الزينة. (٣) جليت

(٤) البُسُط مفردها طنفسة بضم الاول والثالث وكسرهما.

(٥) الخزنسيج من الصوف والحرير والديباج من الحرير الخالص.

(٦) الفالوذ حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل والسكباج مرق يعمل من اللحم والخل.

(٧) الكافور صمغ ابيض قوي الرائحة يؤخذ من شجر الكافور والكاغد الورق والرقاق الخبز المنبسط الرقيق.

(٨) افرغوا. (٩) امعن في القفر واوغل دخل وتقدم.

وأسباب هذا الزهو كثيرة منها ما ذكرناه من عموم الطمأنينة بعد المنازعات والغارات ومنها احتكاك العرب بالشعوب الأجنبية والإختلاط بهم وفيهم الفرس والسريان والمصريون وغيرهم من الأمم الراقية. وسترى مما سنذكره ان أقطاب[1] العلم وشيوخ الصناعة هم غالباً أعجميو الأصل عربيو اللغة يؤلفون فيها التآليف النفيسة كأنهم من أربابها. وقد نبغ منهم في الشعر من لا تنزل مرتبته عن مرتبة فحول شعراء العرب على اشتهارهم به واستعدادهم الفطري له. ولا مراء[2] ان الكلام العارف بلغة أجنبية مزية تزيد معانيه رونقا وغرابة. ومن تلك الأسباب البيئة [3] فان الشعراء كانوا في مقدمة اتباع القائمين بتلك الحضارة الواسعة ولهم منها أوفر نصيب فما هو الا ان يفتحوا عيونهم فيبصروا وينطقوا فيجيدوا.

وشعراء الدولة العباسية كثيرون جداً لا يقعون تحت حصر ولا يتسع لهم هذا المختصر. فنجتزىء [4] بذكر أعلاهم طبقة وأشهرهم صيتا في عالم الأدب والله الموفق الى بلوغ الأرب بمنه وكرمه.

جمع بالضم وهو سيد القوم الذي عليه مدار أمرهم

جدال.

ما يحيط بالمرء ويؤثر في اخلاقهِ من مكان واقليم واشخاص وغير ذلك.

(٤) نكتفي.

الشعراء المَوَلّدون

الشعراء المولدون ويّقال لهم ايضا المتأخرون هم شعراء الدولة العباسية وسمة شعرهم إيتكار[1] المعاني والتصرف فيها ودقة الأغراض ورقة الألفاظ واتقان الصنعة. وقد بلغوا في ذلك الغاية القصوى وهذه مزيتهم على سابقيهم. الا انهم اضعف سراً[2] وفحولة ويؤخذ عليهم التصنع والتكليف.

(١) ابتكر المعنى كان السابق اليه. (٢) ضبطاً.

أبودُلامة (٧٧٧ م ١٦١ هـ)

هو ابو دلامة زند بن الجون الكوفي الحبشي. نبغ في ايام بني العباس وانقطع الى العباس والمنصور والمهدي فكانوا يقدمونه ويستطيبون مجالسته لنكته ونوادرهِ وسرعة عارضته(١) مع ما كان عليه من فساد الدين وارتكاب المحارم وادمان(٢) الخمرة ومجاهرته بالزندقة(٣). فمن نوادره انه لما امر المنصور بلبس السواد شعار(٤) العباسيين واتخاذ قلانس(٥) طوال ودراريع(٦) يكتب على ظهورها « فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » دخل عليه ابو دلامة بهذا الزي الغريب وانشده:

وكنا نرجي من امام زيادة ... فجاد بطول زاده بالقلانس
تراها على هام الرجال كأنها ... دنان يهود جللت بالبرانس(٧)

فضحك المنصور واعفاه (*) وحدهُ من ذلك. وكتب يوما رقعة الى المهدي منها:

---

(١) بيانةٍ ولسنهِ. (٢) ملازمة. (٣) الكفر.
(٤) علامة مميزة تتخذها فئة من الناس يتعارفون بها سواء كانت في اللباس ام في الكلام وما اشبه ذلك.
(٥) جمع قلنسوة بفتح الاولين وضم الرابع وهي كل ما لبس على الراس.
(٦) جمع درّاعة بالضم وهي جبة مشقوقة المقدّم.
(٧) هام جمع هامة اي راس ودنان جمع دن بالكسر وهو وعاء يشبه البرميل.

(*) الأغاني جـ ٩ ص ١٢٠ ـ ١٢١.

أَدعوك بالرَحِمِ [1] التي هي جُمعت في القرب بين قريبنا والا بعد

فغضب المهدي وقال «ويحك اي قرابة بيني وبينك» قال «رَحِم آدم وحوّاء. انسيتها يا امير المؤمنين» فضحك المهدي وأجازه(*) . ودخل عليهِ يوماً وعندهُ جماعة من بني هاشم فقال لهُ «لئن لم تهجُ واحداً ممن في البيت لأقطعنّ لسانك» فحار في امرهِ ولم يرَ مخرجاً من هذه الورطة الا بهجاءِ نفسهِ فقال:

الا أبلغ إليك أبا دُلامه فليس من الكرام ولا كرامة
إذا لبس العمامة كان قرداً وخنزيراً إذا نزع العمامة
جمعتَ دَمامةً وجمعتَ لؤماً كذالك اللؤم تتبعه الدمامة [2]
فإن نك قد اصبت نعيم دنيا فلا تفرح فقد دنت القيامة

فضحكوا وأَجازوه(**) وهذه الابيات مرآة صاحبها ومصداق المثل القائل «صاحب البيت أدرى بالذي فيهِ» ولأَبي دلامة نوادر لا تحصى ومعظم أشعار ابي دلامة رقيقة عذبة فيها روح الدعابة والمرح، فقد روي ان المهدي خرج وعلي بن سليمان الى الصيد فسنح لهما قطيع من ظباء فأرسلت الكلاب واجريت الخيل، فرمى المهدي ضبياً بسهم فصرعه، ورمى علي بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله فقال أبو دلامة:

قد رمى المهدي ضبياً شك بالسهم فؤادهْ
وعلي بن سليما ن رمى كلبا فصادهْ
فهنيئاً لهما كل امريء يأكل زادهْ

فضحك المهدي حتى كاد أن يسقط عن سرجه وقال صدق والله أبو دلامه وامر له بجائزة.

---

(١) الدمامة قباحة المنظر واللوم قباحة الطباع. (٢) القرابة وهو لفظ مؤنث.

(*) الأغاني جـ ٩ ص ١٣٢ ووفيات الاعيان لابن خلكان جـ ٥ ص ٣٠.
(**) المصدر نفسه ص ١٣٠.

بَشَّارُ بْنُ بُرْد

(٧٨٤م ١٦٨هـ)

هو ابو معاذ بشار بن برد البصري. وهو فارسي الاصل كان جدهُ يرجوخ من طُخار ستان من سبي المهلّب بن ابي صفرة فقيد الى البصرة وبيع هناك. وُلد بشار مكفوف البصر[١] ثم أُصيب بالجدري فكان مخدد[٢] الوجه ضخماً عظيم الخلق طويلاً جاحظ المقلتين[٣] قد تغشاهما[٤] لحم أَحمر فكان أقبح الناس عمى وأفظعهم منظراً. وشفع[٥] دمامة خَلقهِ بفساد خُلقهِ فكان زنديقاً يظهر الاسلام ويضمر المجوسية[٦] حوشيّاً[٧] ضيق الصدر خبيث الهجاء بذيء الكلام مخشيّ معرة[٨] اللسان يفتدي الناس اعراضهم منهُ بالاعطية الفاحشة وأما شعرهُ فغاية في المتانة مطبوع اللهجة غريب الابداع فتان التفنن. لم ينظم في فن من فنون الشعر الّا جاء بالعجب العجاب عفواً دون استكراه[٩] قريحة ولا اعمال روية حتى كان كأنهُ السيل يتدفق واذا اراد الانشاد صفق بيديهِ وتنحنح وبصق يميناً وشمالاً ثم ينشد بالعجائب ومن محكم شعرهِ قولهُ في

---

(١) اعمى.
(٢) مشقق.
(٣) ناتىء العينين.
(٤) غطاها.
(٥) قرن.
(٦) نحلة المجوس وهم عبدة الكواكب والنار.
(٧) لا يخالط الناس.
(٨) البذيّ الفاسد والمعرة الفضيحة
(٩) اتعاب.

المشورة:

اذا بلغ الـرأي النصيحـة فـاستعن — بعزم نصيحٍ او بتـأييـد حـازمِ [1]
ولا تجعل الشورى عليك غضاضـةً — مكـان الخـوافي نـافـع للقـوادمِ [2]
وخـلّ الهُـوينـا للضعيف ولا تكـن — نؤومـاً فـان الحـزم ليس بنـائمِ [3]
وما خـير كفٍّ امسك الغـلُّ اختهـا — ومـا خـير سيف لم يؤيَّـد بقـائمِ [4]
وحـارب اذا لم تُـعطَ الا ظُـلامـةً — شبا الحرب خير من قبول المظالمِ [5]
وأَدنِ عـلى القُـربى المقـرّب نفسـهُ — ولا تُشهدِ الشورى امرءاً غيركاتمِ [6]
فـانـك لا تـستـطرد الهـمَّ بـالمُنى — ولا تبلغ العليـا بـغـير المكـارمِ [7]
اذا كنت فـرداً هـرّك القـوم مقبـلاً — وان كنت ادنى لم تفـز بـالعـزائمِ [8]
ومـا قـرع الاقـوامِ مثـل مشيَّـعٍ — أريبٍ ولا جّلى العمى مثل عالمِ [9](**)

ومن قولهِ:

اذا كنت في كـلّ الامـور مـعـاتبـاً — صـديقـك لم تلقَ الذي لا تعـاتبُـهْ
فعش واحـداً او صـل اخـاك فـانـهُ — مـقـارف ذنبٍ تـارة ومجـانـبُـهْ [10]

---

(١) النصيح الواعظ والحازم الأمور والتأييد المساعدة..

(٢) ولا تجعل ولا تحسب، والفضاضة الذلة والخوافي ما أخفى من ريش الطائر تحت جناحيه والقوادم ريشات كبار في مقدم الجناحين.

(٣) الهوينا التمهل والنؤوم كثير النوم.

(٤) الغل القيد وقائم السيف مقبضه.

(٥) شبا السيف حده.

(٦) أي من قرب نفسه لمساعدتك فأدنه منك كأنه من ذوي قرابتك.

(٧) المنى جمع منية أي رغبة.

(٨) هرّك عبس بوجهك.

(٩) قرع غلب ومشيّع شجاع وأريب ماهر وجلّى كشف.

(١٠) قارف الذنب فعله.

. . . .

(*) الأغاني ج ٣ ص ٢٢ ووفيات الأعيان جـ ٣ ص ١٩ ـ ٢٠.

(**) المصدر نفسه ص ٢٩ وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٢١.

اذا انت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربُهْ (١)

ولبشار اشعار هتك فيها حرمة الآداب حتى قالوا «ما شيء أدعى لأهل البصرة الى الفساد من اشعار هذا الأعمى الملحد(٢) فان كلماتهِ من أخدع حبائل الشيطان وأغواها» وادى بهِ الفجور الى هجاء الخليفة المهدي هجاءً فاحشاً فوشى بهِ الوزير يعقوب بن داود لمَوْجِدة(٣) كانت لهُ عليهِ ورماهُ بالزندقة. فأمر بهِ المهدي فضُرب بالسياط حتى مات. ومن قولهِ:

بني اميةَ هبوا طال نومكمُ ان الخليفة يعقوبُ بن داودِ
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزِقّ والعودِ(٤)(**)

ولما نعي بشار الى اهل البصرة تباشروا وهنأ بعضهم بعضاً وحمدوا الله وتصدقوا لِما انهم عوفوا من هذه البلية العامة التي ضاقوا بها ذرعاً وبشار بن برد فيلسوف مجرب اكتسب معرفته من تجاربه الطويلة، واختباراته المتنوعة مع أجناس من البشر مختلفين، فخرج بمجموعة كبيرة من الآراء التي بقيت على مر الزمن ولا تزال تتداولها الالسن وتجنح بها على صدق ما تقول كلما عجزت عن الافصاح والابانة وحسبنا ان نشير هنا الى أبياته الحكمية

اذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

الى آخر الأبيات، فهو هنا يعبر عن تجربة صادقة هي ان الانسان مطبوع على الخطأ لضعف في ارادته وهذه سمة عامة في جميع البشر لهذا لا يرى من موجب لأن يحاسب الإنسان أخاه الإنسان أسياء كلما وقع في خطأ لأنه في هذه الحالة لن يجد مخلوقاً يتعاون معه، وهو هنا في خيار بين ان يتسامح مع

---

(١) مراراً أحياناً والقذى ما وقع في الشراب من تبنة وغيرها وظمئت عطشت.

(٢) الكافر. (٣) غضب.

(٣) الزق وعاء للخمر والعود آلة طرب من ذوات الاوتار ويروى بين الناي والعود. والناي آلة طرب من ذوات النفخ تشبه الشبابة.

. . . .

(*) وفيات الاعيان جـ ٣ ص ٤٥.

(**) المصدر نفسه ص ٤٨ وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٣.

الناس أو يعيش منعزلاً عنهم ، وهذا الأمر مستحيل، وهو يـرى أيضاً ان الـدنيا منـطوية عـلى السرور والهم، ولهـذا على الانسـان ان يتقبل الحـزن بنفس الشيء الذي يتقبل به السرور.

مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَة (٧٩٧م ١٨١هـ)

هو ابو السمط مروان بن ابي حفصة من اهل اليمامة. شاعر فحل متقدم حسن الديباجة[١] شديد الاعتناء بأسر القول وإحكام النظم وقد قال عن نفسِه. «اني اذا اردت ان اقول القصيدة رفعتها في حول اقولها في الاربعة اشهر وانتخلها [٢] اربعة اشهر واعرضها في اربعة اشهر» وقد مرّ بك مثل ذلك عن زهير بن ابي سلمى المزني. ولهُ في مدح معن بن زائدة قصيدة هي من غرر شعرهِ. منها في مدح بني شيبان

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم ... أسودٌ لها في بطن خفّانَ أَشبُلُ[٣]

هم يمنعون الجار حتى كأنما ... لجارهم بين السِماكين منزلُ[٤]

لهاميم في الاسلام سادوا ولم يكن ... كأَولهم في الجاهلية أوّلُ[٥]

هم القول ان قالوا أصابوا وان دُعُوا ... أجابوا وان أعطوا أَطابوا وأجزلوا

فلا يستطيع الفاعلون فعالهم ... وان أَحسنوا في النائبات وأَجملوا[*]

---

(١) الدّيباجة في الاصل الوجه والطلعة استعيرت لصنعة القول واسلوبهِ.

(٢) انتقي افضلها. (٣) البطن المكان المنخفض المطمئن.

(٤) منع الجار حماهُ والسماكان كوكبان احدهما السماك الاعزل والاخر السماك الرامح.

(٥) اللهاميم جمع لهموم كثير الخير.

(*) الشعر والشعراء جـ ٢ ص ٧٦٥ والاغاني جـ ٩ ص ٤٥.

ومنها في مدح معن:

تجنّبَ لا في القول حتى كأنهُ ... حرام عليه قول لا حين يُسألُ
تشابه يوماهُ علينا فاشكلا ... فلا نحن ندري ايُّ يوميهِ افضلُ
أيومُ نداهُ الغَمر ام يوم بأسهِ ... وما منهما الا اغرُّ محجَّلُ(1)

ولهُ فيهِ مرثية شهيرة هي من عيون القصائد العربية وآية في الجزالة والرشاقة لا يسعنا ذكرها كلها لطولها منها:

مضى لسبيلهِ معن وأَبقى ... مكارمَ لن تبيد ولن تُنالا
هو الجبل الذي كانت نزارٌ ... تهدّ من العدّو بهِ الجبالا
فان يعلُ البلادَ لهُ خشوعٌ ... فقد كانت تطول بهِ اختيالا(2)
أَصاب الموت يوم أَصاب معناً ... من الاحياء أَكرمهم فعالا
وكان الناس كلهم لمعنٍ ... الى ان زار حفرتهُ عيالا(3)
ولم يك طالب للعُرف يهوي ... الى غير ابن زائدةَ ارتحالا
اقمنا باليمامة اذ يئسنا ... مقاماً لا نريد بهِ زيالا(4)
وقلنا اين نرحل بعد معنٍ ... وقد ذهب النوال فلا نوالا(5)
وما شهد الوقائع منك أَمضى ... وأَكرم مقدماً وأَشد بالا
سيذكرك الخليفة غير قالٍ ... اذا هو في الامور بَلا الرجال(6)
ولا ينسى وقائعك اللواتي ... على اعدائهِ جُعلتْ وبالا(7) (*)

---

(1) الغمر كثرة الماء والفرس الاغر الذي في جبهتهِ بياض والمحجل الذي في قوائمهِ بياض. شبه بالفرس الاغر المحجل كلّا من يومي معن في التفرد عن الاشباه.

(2) الخشوع الذل وتطول تفخر والاختيال الكبر.

(3) اي ان كرمه عمَّ الناس كانهم عياله فعالهمَ حتى مات.

(4) فرقاً.

(5) عطاء.

(6) قال مبغض وبلا الرجال اختبرهم.

(7) الوبال سوء العاقبة.

. . . .

(*) الأغاني جـ ٩ ص ٤٤.

ومـدح الخلفاء ونـال منهم اموالاً طـائلة حتى كانـوا يعدون ابيـات قصائـدهِ ويعطونه على كل بيت ألف درهم. ولكنه كان على غناه وتدفق الهبات عليه حريصاً جامد الكف لا يلبس غير الاطمار[1] ولا يـاكل الا الـرؤوس. فقيل لـهُ في ذلـك فقـال «الـراس أَعـرف سعـرهُ ولا يستـطيـع الغـلام ان يغبنني[2] فيـهِ. وليس بلحم يـطبخهُ فيـاكل منـهُ. فان مسّ عينـاً او اذنـاً او خـداً وقفت عليـه. وآكل منهُ الواناً آكل عينيهِ لوناً واذنيهِ لوناً وغَلصَمتهُ[3] لـوناً واكفى مؤونـة طبخهِ فقد اجتمعت لي فيه مرافق[4] . . .»(*)

---

(١) جمع طمر بالكسر وهو الثوب البالي.
(٢) يخدعني.
(٣) اللحم بين الراس والعنق.
(٤) منافع.

. . . .

(*) المصدر نفسه ص ٣٩.

أبو نُوَاس (١٩٠هـ ٨١٠م)

هـو ابو علي الحسن بن هـانيء المشهور بـأبي نواس وُلـد بالاهـواز وتخـرج بـالبصرةعلى والبة بن الحباب. ثم طاف أحياء العرب بالبادية وحصّل عنهم شيئاً كثيـراً حتى اصبـح نسيـج وحـدهِ في الأدب . ولـهُ شعـر غـزيـر المـادّة في المـدح والهجو والرثاء والطرَد والغزل ولا سيما في الخمـرة. ويغلب على قـولهِ الانسجـام والرقّة ولطف الاستعارة وبُعـد المرمى. ويُعـدّ شعرهُ من الـطبقة العـالية غـير انه كثر فيهِ الساقط وهو مارُوي عنه في حـالة سكـرهِ ونحلوهُ[1] شعراً كثيـرا ليس له فيه يدٌ. ور زق ابو نواس حافظة تفـوق طور المعتـاد فانـه مع سعـة علمهِ ونـادر معـرفته بلغـات العرب واشعـارها واخبـارها لم تكن لـهُ كتب يستعين بهـا. وقـد اشتهر في الشعر بالخمريّـات حتى ضُرب بـهِ المثل ولـه قصائـد عديـدة في وصف مجالس اللهو والشـرب ويذكـر حلقات النـدماء [2] المـلاح وانكبابهم عـلى افراغ الاقـداح لايلهيهم امـرٌ في الـدنيـا عن اتـراعهـا وارتشـافهـا[3] ولا يعكّـر صفـاء انفسهم «تغر يد المنادي[4]» وصياحه منَ على المئـذنة: «حيّ عـلى الصلاة . . .» واذا اغشي[5] جـوّ افراحـهِ سحـابـة همٍّ عنـد ذكـره الليـالي البيض[6] المـاضيـة

---

(١) أضافوا الى شعرهِ شعراً قاله غيره وادعوا عليه.

(٢) جمع نديم وهو المجالس على الشرب.

(٣) ملئها وشربها. (٤) المؤذن. (٥) غطى.

(٦) كنى بالليالي البيض عن ليالي الفرح وهذا ما يسميه أهل البديع التدبيج.

والاصحاب الذين نعب بينهم غراب البين[1] فمزّق شملهم كلَّ ممزَّق بدّدها من فورهِ[2] بجرعة خمرةٍ معتّقة في دنٍّ غطاهُ نسيج العنكبوت فأصبحت كالياقوتة الحمراء تنفي ظلم الدجى[3] وتعين على الليالي الباردة . . . فمن ذلك قولهُ وهو حكاية حالهِ طول ايام حياته.

طربتُ الى قُطربُّلٍ فأَتيتها بالف من البيض الصحاح وعَين[4]

ثمانين ديناراً جياداً أعدها فأَتلفتها حتى شربت بِدَيْن

رهنت قميصاً سابريّا وجُبَّةً وبعت إزاراً معلم الطرفين[5]

وقد كنت في قطربّلٍ اذ اتيتها أَرى أنني من أيسر الثقلَينْ[6]

فروّحت منها معسراً غير موسرٍ أُقرطس في الافلاس من مائتينَ[7]

يقول ليَ الخمّار عند وداعه وقد البستني الراحُ خف حُنينْ[8]

الارْح بزينٍ يوم رحت مودعاً وقد رحِت منهُ يوم رحت بشينِ[9](*)

ومن قوله:

---

(١) الفراق. (٢) حالاً.

(٣) الدجى سواد الليل.

(٤) قطربّل اسم مكان بقرب بغداد شهير بخمرهِ وعين ذهب.

(٥) السابريّ ثوب رقيق نسبة شاذّة الى سابور والازار الملحفة وما يستتر بهِ والمُعْلم ما كان لهُ علم من طراز او غيره

(٦) أيسر أغنى والثقلان الأنس والجنّ.

(٧) رَوّح ذهب في العشيّ والمُعْسر المُفتقر وأقرطس أُصيب الغرض ومن مائتين اي من مائتي ذراع.

(٨) الراح الخمرة وخفّ حنين اشارة الى المثل المشهور يُريد انه عاد فارغ اليدين.

(٩) الزّيْن الزينة والتحسين والشين ضد الزين.

. . . .

(*) الديوان ص ٧٦.

مـازلت أَستـلُّ روح الــدنّ في لـطفٍ وأستقـي دمــهُ من جــوف مجــروحِ
حتى انثنيـت ولي روحــان في جســدٍ والـدنّ منـطرح جسـماً بـلا روح(*)

ومنقولهِ:

اسـقـنـيـهـا بـسـوادِ قـبـل تـغـريـد المـنـادي
مـن عـقّـار بـلغـت في الـ ـدن أقصى مستـزادِ(١)
سـمـتـهـا عـنـد مجـوسـ ـيّ خصيب المسـتـزادِ(٢)
فـاشـتـريـنـاها بمـا يـعـ ـدل مـقـروح الـفـؤاد
فـشـربـنـا شـرب قـومٍ عـطشـوا من عهـد عـادِ(٣)
بـين أفـيـاء عـريشٍ عـمـدوهُ بـعـمـادِ
في دنـانٍ مـسـنـداتٍ مـعـلـمـاتٍ بمـدادِ(٤)(**)

ومما ينسب اليه:

ومستـطيـلٍ عـلى الصهبـاء بـاكـرهـا في فتيـةٍ باصـطبـاح الـراح حـذّاقِ(٥)
فـكـل شـيءٍ رآهُ ظـنّـهُ قـدحـاً وكـل شخصٍ راهُ قـال ذا السّـاقي

وفي هـذه الابيات من هـذا الـطرز كفـايـة وزيـادة ـ الاّ أن أبـا نـواس كـما شوَّه(٦) عمرهُ بادمان الخمـرة شوَّه شعـرهُ بالمجـون والبذاءَة ولا بـد فان السكـر

---

(١) العُقار الخمرة والدنّ كالبرميل تجعل فيه الخمر.

(٢) سام الخمرة والبضاعة طلب بيعها ثمنها وخضيب كثير والمجوسيّ نسبة الى المجوس.

(٣) عاد احدى قبائل العرب البائدة يضرب بها المثل في القدم.

(٤) المعلمات ما جعل لها علما والمداد الحبر.

(٥) الصهبـاء الخمرة والإصطباح الشـرب صباحـاً والراح الخمـر والحـذّاق جمع حـاذق وهـو الماهر.

(٦) قَبّح.

(*) الديوان ص ٩٣.
(**) الديوان ص ٦٤.

مجلبة الدعارة وقد فات في قوله وتهتكُّهِ جميع من سبقهُ في هذه الخطّة الذميمة. وأدّى بهِ إفراطهُ الى المجاهرة بما تتبرأ منهُ البشريَّة وتعافهُ البهائم العجماء نفسها ويتعذر على الاديب العثور[1] على كلامٍ يفي بما يقصدهُ من تقبيح هذه الخطة ووسمها بسمة العار والفضيحة الى ابد الدهر. ولا سيما وان كثيرين من الشعراء المولّدين استدرجوا بكلام ابي النواس الى الاقتداء بهِ في شعرهم فشحنوا اقوالهم بما يندى لهُ الجبين وجعلوا ملكة الشعر التي هي من أسمى مواهب الخالق عزَّ وجلّ وشعاعٌ من حسنهِ السرمديّ مدعاة[2] الى أفظع جريمةٍ أُهينَت بها العزَّة الصمدانية وأسمج رذيلة تمرَّغت بها الطبيعة الانسانيَّة . . .

غير أنهم يزعمون أن أبا النواس عاد الى نفسه في آخر العمر وأخذ يقيم شعائر[3] دينهِ ويكفّر[4] عما قدَّمت يداه من المنكرات ويحمل نفسهُ على الزهد ولهُ في هذا المعنى شعر حسن. ومن قولهِ:

(١) عثر عليه وجدهُ. (٢) سبب.
(٣) ما يقتضيهِ الدين من العبادات الظاهرة.
(٤) يعوّض.

أَرى كل حيٍّ هالكاً وابن هالكٍ وذانسبٍ في الهالكين عريقِ[1]
فقل لقريب الدار انك ظاعنٌ الى منزلٍ نائي المحلّ سحيقِ[2]
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشّفت لهُ عن عدوّ في ثياب صديقِ[3](*)

لكل مرحلة من حياة الانسان دور في سلوكه وعمله، تتصاعد الرغبات بتصاعد الفتوة والحيوية، وتهبط بهبوط العزيمة وخوارها، وهكذا كان الحال بأبي نواس وغيره من الشباب الذين اطلعوا على حضارات الامم الغابرة ومعتقداتها، فاقتبسوا منها الكثير الحسن منها والسيء، وخاصة فيما يتعلق بتلك الآراء التي تدعو الى التحلل من كل قيد ديني أو رابط اجتماعي، كما أنهم استخلصوا من تجاربهم في الحياة خبرة حية، فجاءت اراءهم الفلسفية خلاصة لتلك التجارب ولا من جملة الاراء التي قال بها ابو نواس هذه الابيات الرائعة في الزهد:

أرى كل حيٍّ هالكاً وابن هالك وذا نسب في الهالكين عريقِ

الى آخر الابيات:

فهو يرى أن كل حي في هذه الدنيا هو أن ابن لميت مضى الى رحمة ربه مهما طال عليه العمر ولهذا فهو يقول لأولئك الساهين العابثين ان يتنبهوا الى اليوم الذي سيفارقون به الدنيا ويختم أبياته ببيت أصبح مثلاً لحكمته أن كل صاحب عقل فكر في هذه الدنيا رأى أن أغلب الناس هم أعداء في ثياب أصدقاء ولأبي نواس أيضاً آراء فلسفية كثيرة تظهر من خلال شعره: فقد أثار

---

(١) نسب عريق في الكرم او اللؤم لهُ فيهِ عرق.

(٢) ظاعن راحل ومسافر ونائي بعيد ومثله سحيق.

(٣) مدعى الحذق مستحمق.

. . . .

(*) الديوان ص ٢٣٢ والبيان والتبين جـ ١ ص ٧٨ ـ ٧٩ واخبار أبي نواس لابن منظور. جـ ١ ص ١٣ ـ ١٤.

في شعره مثلاً قضية كلامية هي: هل الصفة هي عين الموصوف أو غيره كما أشار الى قضية الفيض التي قال بها الفكر اليوناني وذلك في قوله متغزلاً:

تأمّل العينُ منها محاسناً ليس تنفذ
فبعضها قد تناهى وبعضها يتولدْ
والحسن في كل عضو منها معاد مرددْ[1]

ففي البيت الأول ترى عبقرية أبي نواس في إظهارعجز العين عن ادراك جميع مفاتن الاشياء، فبعضها يظهر للعين وبعضها يخفى عليها، ومعنى هذا ان الصفة هي غير الموصوف.

وفي البيت الثاني والثالث، تظهر نظرية الفيض الآلهي: فالجمال والفتنة تأتي للعين على موجات متلاحقة بعضها وراء بعض، كالفيض الذي يتدفق مراحل أثر مراحل.

أبو العَتَاهِيَة (٨٢٦م ٢١١هـ)

هو ابو اسحاق اسماعيل بن القاسم العَنَزيّ المعروف بابي العتاهية. كُني بذلك من قول المهديّ لهُ يوماً «انت انسانٌ متحذلق متعتّه(١)» فاستوت لهُ من ذلك كنية غلبت عليهِ دون اسمه وكنيته . وُلد بعينَ التمر ونشأ بالكوفة وسكن بغداد وكان يبيع الجرار فقيل لهُ الجرَّار وكان الاحداث والمتأدّبون يأتون حانوته فينشدهم اشعاره فيأخذون ما تكسَّر من الخزَف فيكتبونها فيه. وشعره لطيف المعاني سهل الالفاظ قليل التكليف قريب المُتناوَل حتى على الذين لا إلمام لهم باللغة والأدب وأكثره في الزهد والامثال ولهُ مدحٌ وهجاءٌ حسن. ونظم على اوزان لا تدخل في العروض فقيل لهُ في ذلك فقال «انا اكبر من العروض» وكان يقول «اكثر الناس يتكلمون بالشعر وهم لا يعلمون ولو أَحسنوا تأليفه كانوا شعراء»(**) ومن غريب امرهِ انهُ مع كثرة صياحه بالزهد واشتهارهِ في شعرهِ بذكر الموت وزوال الدنيا وما أشبه ذلك كان جامد الكف أَحرص من نملة وقد جمع اموالاً كثيرة عزّ عليه ان ينفق منها على نفسهِ وعلى غيرهِ . . . وكان في الدين مذبذب(٢) المذهب يعتقد شيئاً فاذا سمع طاعناً عليه

---

(١) مدّعي الحذق مستحمق. (٢) متردِّد.

(*) الأغاني جـ٣ ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

(**) المصدر نفسه ص ١٣١ ـ ١٣٢.

ترك اعتقادهُ ايّاهُ وأخذ غيره وفي هذا من العتاهية[1] فيه

واراد في آخر العمر ان ينقطع الى الزهد. الاّ أن زهده كان على جانبٍ من الغرابة فانهُ اتخذ قَوْصَرَّتَين[2] ووصلهما ودخل فيهما وظلّ على هذا الحال حتى أقنعه اصحابُه انه لا علاقة بين الزهد وهذا الزيّ المنكرَ وقد احاطت بشخصية أبي العتاهية كثير من الأخبار منها المغرض المذم، ومنها المحب المدافع. فقد اتهم بالزندقة، وبأنه لا يؤمن بالبعث والوعيد، وبأن اغلب شعره يدور حول ذكر الموت، وبأنه يؤمن بالثانوية وهي اراء مجوسية تقول بأن العالم يسيطر عليه إلَهين : إلَه للخير وإلَه للشر، وبأن العالم مخلوق من شيئين متضادين وان الله سيرد العالم الى هذين الجوهرين. وقد فسر ابن عبد ربه تهمة الزندقة الموجهة الى أبي العتاهية بأنها حسد وبغض من معاصريه فقال «وكانت طبقته الأولى تعيبه حسداً له وبغضاً، حتى قالوا إنه لا يؤمن بالبعث وأنه زنديق، وان شعره ومواعظه إنما هي في ذكر الموت، وقد بان في شعره لمن طالعه وعني به كذبهم وافتراءهم، لما فيه من ذكر التوحيد وذكر البعث والإقرار بالجنه والنار والوعود الوعيد»(*) ومن شعره قوله:

أَرَى الدنيا لمن هي في يديه ... عذاباً كلما كثرت لديهِ
تهين المكرمين لها بصغرٍ ... وتكرمَ كل من هانت عليهِ
اذا استغنيت عن شيء فدعهُ ... وخذ ما انت محتاج إليهِ(**)

وقال يرثي صديقاً لهُ اسمهُ عليّ:

الا من لي بأنسك يا أُخيَّا ... ومن لي ان أَبثَّك ما لديَّا
طوتك خطوب دهرك بعد نَشْرٍ ... كذاك خطوبه نشراً وطيَّا

(1) نقصان العقل.
(2) وعاءٌ من قصب يجعل فيه التمر ونحوه.

(*) الأغاني جـ ٣ ص ١٥٤.
(**) مقدمة ديوان أبي العتاهية تحقيق احسان عباس.

فلو نشرت قواك لي المنايا شكوت اليك ما صنعت إليَّا
بكيتك يا عليّ بدمع عيني فما أغنى البكاءُ عليك شيًّا
وكانت في حياتك لي عظاتٌ وانت اليوم أوعظ منك حيًّا

وقال:

عريتُ من الشباب وكنت غصناً كما يعرى من الورق القضيبُ
ونحتُ على الشباب بدمع عيني فما نفع البكاءُ ولا النحيبُ
فياليت الشباب يعود يوماً فأُخبرَه بما فعل المشيبُ

ولا نزيد على هذا القدر فان زهديات ابي العتاهية شهيرةٌ جداً قلّما يخلو منها مجموع ادبيات. ومدح يوماً عمر بن العلاء فأعطاهُ سبعين الفاً

وخلع عليه حتى لا يقدر ان يقوم. فغار الشعراء لذلك فجمعهم ثم قال «يا معشر الشعراء عجباً لكم ما أشد حسدكم بعضكم بعضاً. ان احدكم يأتينا ليمدحنا بقصيدة يشبّب بصديقته بخمسين بيتاً فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحهِ ورونق شعرهِ. وقد أتانا ابو العتاهية تشبب بابيات يسيرهِ ثم مدحنا فما لكم منهُ تغارون . . .

ولما حضرته الوفاة قال «اشتهي أن يجيء مُخارق المغّني ويغنّي عند راسي:

اذا ما آنقضت عني من الدهر مدتي فانّ عزاءَ الباكيات قليلُ
سيُعرض عن دكري وتُنسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليلُ(**)

. . . .

(*) المصدر نفسه ص ١٤٧.

(**) الأغاني جـ ٣ ص ١٨١.

كلثوم بن عمرو العتابي

هو كلثوم بن عمرو بليغ مطبوع متصرف في فنون الشعر مقدم من شعراء الدولة العباسية، كان منقطعاً للبرامكة، ثم اتصل بالرشيد والمأمون من بعده»(*).

وقد أشاد به الجاحظ ، وعدَّه من الخطباء الشعراء الذين كانوا يجمعون الخطابة والشعر الجيد. والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن، وعلى الفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من الشعراء المولدين كنحو منصور النمري ومسلم بن الوليد الأنصاري واشباههما(**)

وقريب من ذلك قول ابن المعتز «كان العتابي مجيداً مقتدراً على الشعر عذب الكلام، كاتباً جيد الرسائل حاذقاً، قلَّما يجتمع هذا لاحد»(***)

وقد عرف العتابي طريقه الى الإجادة والإبداع يوم اتجه بشعره الى بشار تقديراً منه لفنِّه واستاذيته في هذا «البديع» الذي نشأ على لسانه، وكثر في أشعارة حتى عرف به، وصار العتابي يخطو على هذا الطريق خطوة خطوة مقتفياً

(*) الأغاني جـ ١٢ ص ٢ ـ ٣.

(**) البيان والبنين جـ ١ ص ٥.

(***) طبقات الشعراء ص ٢٦١.

مدارس آيات خلت في تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصاتِ
لآل رسول الله بالخيف من منى وبالركن والتعريف والجمراتِ
ديار علي والحين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفناتِ
هم أهل ميراث النبي اذا اعتزوا وهم خير قادات وخير حماةِ
وما الناس الا حاسد ومكذب ومضطغنٍ ذو أحنة وتراثِ
وإن فخروا يوماً أتو بمحمدٍ وجبريل والفرقان ذي السوراتِ(*)

(*) وفيات الاعيان جـ ٥ ص ٢٦٨ ـ ٢٧٠ .

عليّ بنُ الجَهْم (٧٦٣م ٢٤٩هـ)

هو أبو الحسن عليّ بن الجهم القُرشي شاعر فصيح مطبوع حسن التصرّف في المعاني عذب الألفاظ. حظي عند المتوكّل وأنشده المدائح ونادمهُ(١) وتقرّب إليه بهجاء الطالبيين والاغراء(٢) بهم. الاّ أن أثرتهُ(٣) كانت سبب زوال نعمته وسقوطه من عين مولاه فإنه كان ينظر حظوة غيره عند الخليفة بعين الحسد فأكثر من السعاية بهم وذكرهم بالقبيح فكشف المتوكل عن حقيقة الأمر فاتضح له أن كلّ ما قاله عليّ بن الجهم افتراء(٤) ومحض اختلاق(٥) فتغير عليه ونفاه بعد أن حبسه مدة(*).

وسمعه أبو العيناء يوماً يطغى على عليّ بن أبي طالب فقال له أنا أدري لم تطعن على علي أمير المؤمنين فقال له أتعني قصة بيعة أهلي من مصقلة بن هبيرة قال لا أنت أوضع من ذلك، ولكن لأنه قتل الفاعل فعل قوم لوط والمفعول به وأنت أسفلهما.

---

(١) جالسه على الشراب.

(٢) الحضّ عليهم.

(٣) الأثرة اختصاص المرء نفسه بأحسن الشيء دون غيره.

(٤) كذب.

(٥) اختراع.

....

(*) الأغاني جـ ٩ ص ١٠٥.

آثار بشار. حتى شأى في ذلك شأوه وعرف هذا البديع بها وبابن هرمة في أول الأمر، قبل ان يملأ آفاق الشعر.

وللعتابي نظرات في الأخلاق والنفس الإنسانية على شيء من الطرافة، وقد زانها حسن السبك ومتانة الاسلوب.

وكم نعمةٍ اتاكها الله جزلة   مبرأة من كل خلقٍ يذيمها
فسلطت اخلاقاً عليها ذميمةً   تعاورنها حتى تفري أديمها
ولوعاً واشفاقاً ونطقاً من الخنا   بعوراء يجري في الرجال نميمها
وكنت امرأ لو شئت ان تبلغ المدى   بلغت بأدنى نعمةٍ تستديمُها
ولكن فطام النفس أعسر محملاً   من الصخرة الصماء حين ترومها(١)

وعرف الزهد والقناعة منذ تعود حياة التقشف في البادية وانصرافه الى الثقافة، وعدم الإشتغال بدنيا الناس فيما يصبحون فيه ويمسون، من طلب اللذة ومنع الحياة واقتناء المال، حتى ان امرأته لامته على ذلك:

تلوم على ترك الغنى باهلية   طوى الدهر عنها كل طرف وتالدِ
يسرك أني نلت ما نال جعفر   من الملك، أو ما نال يحيى بن خالدِ
ذريني تجئني منيتي مطمئنة   ولم اتقحم هول تلك المواردِ
فإن كريمات المعالي مشوبة   بمستودعات في بطون الاساودِ(٢)

---

(١) كتاب الحيوان للجاحظ جـ ٣ ص ٦٢.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة جـ ١ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ تعاورنها: تداولنها. تفري من فرى يفري فرياً الشيء شقه، قطعة الأدمة وباطن الجلدة التي تلي اللحم. الخنا الفحش في الكلام.

أبو تمّام (٨٤٥م ٢٣١هـ)

هو ابو تمام حبيب بن أوس الطائيّ. وُلد بجاسم قريةٍ من اعمال دمشق وابوهُ نصرانيّ يعرف بتدُوس العقاقيريّ[١]. كان شاعراً فحلاً مطبوعاً لطيف الفطنة دقيق المعاني غوّاصاً على ما يُستصعب منها متين البيت جزل اللفظ ينحو في شعره منحى شعراء الجاهلية وكثر في كلامهِ اللفظ الوحشيّ واعتماد اللغات المهجورةِ حتى يصعب ادراك معانيهِ على غير المتضلع[٢] من اللغة تضلُّعا واسعاً والمتبحر في اسرارها. وفي شعره كثير من الجناس الاّ أنّ تعمّده إياه حيث لا يسوقه عفو الطبع أدى به الى التكلّف

واول ما نبغ في الشعر بمصر فاشتهر امرهُ وترامى صيته في الآفاق ومدح الامراء ونال منهم الصلات الجزيلة وحَظِيَ عند المعتصم فمدحهُ بالقصائد الغرّاء وظفر بالجوائز السنّية. فمن شعرهِ قولهُ يمدحهُ بعد فتحهِ عمّوريّة وكان المنجّمون ادّعوا ان الزمان غير موافق للفتح فلم يبالِ المعتصم بمخارقهم[٣] وغزا المدينة فاوتي نصراً مبيناً:

---

(١) نسبة الى العقاقير وهي التي يُتداوى بها من النباتات.

(٢) من نال حظاً وافراً من العلوم.

(٣) جمع مخرقة وهي الكذب والاختلاق.

السيف أصدق إنباءً من الكُتُبِ في حدّهِ الحدُّ بين الجدّ واللَّعِبِ[1]
بيض الصفائحِ لاسودُ الصحائف في متونهنّ جلاءُ الشكّ والرِيَبِ[2]
أين الروايةُ بل أين النجومُ وَمَا صاغُوه من زُخرف فيها ومن كذبِ
قد صيَّروا الأبرُجَ العُليا مرتَّبةً ما كان منقلباً أو غير مُنقَلبِ[3]
يقضون بالامر عنها وهي غافلة ما دار في فَلَكٍ منها وفي قُطُبِ[4]
يا يوم وقعة عمّوريّة انصرفت عنك المنى حُفَّلاً معسولة الحلَبِ[5]
لقد تركت أمير المؤمنين بِهَا للنار يوماً ذليل الصخر والخَشَبِ[6]
تدبير معتصمٍ بالله منتَقِمٍ لله مرتقبٍ في الله مرتَهِبِ
لم يغز قوماً ولم ينهض الى بَلَدٍ الا تقدّمهُ جيش من الرُّعبِ
تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت جلودهم قبل نَضجِ التين والعنبِ[7]

---

(١) إنباء إخباراً حد السيد مقطعه والحد الثاني الحاجز بين الشيئين والجدّ الهزل والمراد بالكتب كُتب السحر والعرافة.

(٢) الصفائح جمع صفيحة وهي السيف العريض والصحائف جمع صحيفة وهي القرطاس المكتوب ومتن الشيء ما ظهر منه وجلاء كشف الرّيب جمع ريبة وهي الشك والتهمة.

(٣) الأبْرُجِ جمع بُرج وهو قسم من فلك البُروج ومرتبة مُثْبِتة.

(٤) الفلك مدار النجوم والقُطُب كوكب لا يبرح مكانهُ يدور عليهِ الفلك وهو بين الجدي والفرقدين.

(٥) المنى جمع منية وهي الرغبة وحُفَّلا جمع حافل مأخوذ من قولهم ناقة حافل اي مجتمعة اللبن ومعسولة ممزوجة بعسل والحلب اللبن المحلوب: اي ذهبنا الى هذه الحرب ونحن نتمنى الانتصار فعدنا وامانينا قد تمت لنا.

(٦) أي أمير المؤمنين أحرق المدينة وجعلها بما فيها طعماً للنار.

(٧) الشّرى مأسدة يضرب المثل بشدة أسودها يشير إلى كذب المنجمين الذين زعموا أن المدينة لا تؤخذ الا في الصيف بعد نضج التين والعنب.

. . . .

بصرتَ بالراحة الكبرى فلم ترها تُنال الا على جسرٍ من التَّعبِ(*)

ولما زالت نعمة الافشين وظهر كفره أمر المعتصم باحراقهِ فقال ابو تمّام:

ما زال سِرُّ الكفر بين ضلوعهِ حتى اصطلى سرَّ الزناد الواري(١)
ناريساور جسمَهُ من حرّها لهبٌ كما عصفرت شقَّ إزارِ(٢)
طارت لها شُعَلٌ يهدّم لفحُها اركانهُ هدماً بغير غبارِ(٣)
فصلّن منهُ كل مجمع مفصلٍ وفعلن فاقرةً بكل فقارِ(٤)
للهِ من نار رأيت ضياءها ضاق الفضاءُ بها على النظّارِ
مشبوبةٍ رُفعت لأعظم مشركٍ ما كان يرفع ضوءها للساري
صلّى لها حيًّا وكان وَقودَها ميتاً ويدخلها مع الكفّارِ(٥)
ولقد شفى الاحشاءَ من بُرَحائها أَن صار بابَك جارَ مازيّارِ(٦)
وكأنَّما ابتدرا لكيما يطويا عن ناطُسٍ خبراً من الأخبارِ(٧)
سود اللباس كأَنَّما نُسجت لهم ايدي السموم مدارعاً من قارِ(٨)

---

(١) اصطلى استدفأ والزناد جمع زند وهو العود الاعلى الذي يقتدح بهِ والواري المشتعل نعت سرّ واراد بسّر الزناد النار لانها كامنة فيها.

(٢) يساور يواثب وعصفر طلى بالعصفر وهو نبات يؤخذ منهُ صبغ اصفر.

(٣) شُعل جمع شُعلةوهي لهبة النار ولفحها إحراقها.

(٤) فَصّل قطع وجزّأ والفاقرة الداهية والفقار جمع فقارة وهي الخرزة من خرزات الظهر.

(٥) صلّى لها أي ان الافشين عبد النار وهو حيٌ وغدا وقودها وهو ميت ودخل النار بعد موته مع الكفار.

(٦) البرحاء الشدة والاذى والشرّ وكان الافشين أمير أشرو سنة وقائد جيوش المعتصم تظاهر بالاسلام ولم يزل يضمر المجوسية. . وما زّيار هو أمير طبرستان وبابك أمير ارمينيا وهؤلاء الثلاثة كانوا يعملون على قلب دولة المسلمين واعادة دولة الفرس.

(٧) إبتدر أسرع وسبق وناطس اسم البطريق الرومي الذي كان أميراً على عمورية حين فتحها المسلمون.

(٨) السَموم الريح الحارّة والسُموم جمع سُمّ والمدارع جمع مدرعة وهي جبة مشقوقة المقدم والقار الزفت اي مادة سوداء تطلى بها السفن.

. . . .

(*) وفيات الاعيان جـ ٤ ص ١٩ والديوان جـ ١ ص ٤٠ ـ ٧٣.

بكروا وأسرَوْا في متون ضوامرٍ قِيدت لهم من مربط النجّارِ[1]
لا يبرحون ومن رآهم خالهم أبداً على سفرٍ من الأَسفارِ[*]

وقد وصف أبو الفرج هذه القصيدة على لسان أحدهم بقوله: لله دره ما يعتمد معنى الا أصاب، منه كأنه موقوف عليه.

ولهُ في النسج على هذا المنوال شيء كثير في اغراض الشعر جميعاً. وكان ابو تمّام آيةً في سعة المحفوظ يُنشد اربعة آلاف أُرجوزة للعرب غير القصائد والمقطّعات. ولهُ مجموع سمّاهُ «الحماسةِ» وضعهُ عند رجوعهِ من عند عبد الله بن طاهر امير خراسان وبلوغهِ همَذان فسدَّت الثلوج السُبُل في وجهه فأقام هنالك مدةً ونزل على ابي الوفاء بن سلامة وكان يختلف الى خزانة كتبهِ الحافلة النادرة المثال فطالع منها كثيراً واستعان بها على جمع كتابهِ وضمَّنه شيئاً وافراً من شعر العرب في الجاهلية ودل بحسن اختيارهِ على لطف ذوقهِ وغزارة علمه بالشعر حتى قيل «انه في انتقاء شعر العرب أشعر منهُ في شعرهِ»

(١) بكروا ساروا باكراً وأسرَوْا ساروا ليلاً والمتون جمع متن اي ظهر والضوامر جمع ضامر وهو الحصان الدقيق الجسم القليل اللحم يقول ركبوا خيلاً ضامرة جيءَ بها من حانوت النجار يعني ان تلك الخيل هي الصلبان التي عقلوا عليها وقد اصطنعها النجار وسمى حانوت مربطاً لترشيح الاستعارة.

(*) الأغاني جـ ١٥ ص ١٠٢ والديوان جـ ٢ ص ١٩٨ . ٢٠٨ .

دِعْبِل (٨٦٠م ٢٤٦هـ)

هو ابو عليّ دعبل بن عليّ الخزاعيّ. وُلد بالكوفة واقام ببغداد وهو من مجيدي الشعراء ومتقدّميهم الا انهُ كان هجّاءً خبيث اللسان لم يسلم احدٌ من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا اولادهم ولا ذو نباهة احسن اليهِ او لم يحسن ولا أَفلت منه احدٌ كبيرٌ. فلم يزل دهرهُ كلَّهُ شريداً طريداً هارباً خائفاً وطال عمرهُ حتى كان يقول «أنا احمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة لستُ أجد أحداً يصلبني عليها» وزاد على اخلاقهِ الذميمة التلصص[1] فكان يكمن[2] للناس بالليل ورصد يوماً صيرفياً عند رجوعه الى منزلهِ طمعاً بما معه ففتك بهِ ولم يجد في كمّهِ الاّ ثلاث رمّانات في خرقةٍ فاشتدّ الطلب عليهِ فاضطرّ الى الاستتار والهرب من الكوفة(*). وكان شيعيّا شديد التعصّب للعلويين ومن ثم اهاجيُّهُ لبني العبّاس. ومن شعرهِ قولهُ يهجو الرشيد لمّا مات وقبر بالريّ وهنالك أيضاً قبر الرضا من ولد عليّ بن ابي طالب:

---

(١) السرقة.

(٢) يستتر بحيث لا يفطن لهُ.

. . . .

(*) الأغاني جـ ١٨ ص ٢٩، ٣٠، ٣١.

وليس حيٌّ من الاحياء نعلمهُ من ذي يمانٍ ومن بكر ومن مُضَرِ
الاّ وهم شركاءُ في دمائهمِ كما تشاركَ ايسارٌ على جزُرِ[1]
قتلٌ واسرٌ وتحريق ومنهبةٌ فعلُ الغزاة بأَرض الروم والخزَرَ[2]
أرى أَميّة معذورين إن قتلوا ولا أرى لبني العباس من عُذُرِ
قبران في طوس خير الناس كلّهم وقبر شرّهم هذا من العِبَرِ[3]
ما يُنفع الرجس من قرب الزكيّ وما على الزكيّ بقرب الرجس من ضَرَرِ
هيهات كل امرءٍ رهن بما كسبت لهُ يداه فخذ ما شئت او فَذَرِ[4](*)

مع ان الرشيد كان قد غمره بالاعطية السنيّة فأغناه بعد الفقر ورفعه بعد الخمول . . . ومن قولهِ في المأمون:

أيسومني المأمون خطّة جاهلٍ أَو ما رأى بالامس رأس محمَّد[5](**)
اني من القوم الذين سيوفهم قتلت اخاك وشرفتك بمَقْعَدِ
شادوا بذكرك بعد طول خمولهِ واستنقذوك من الحضيض الَأوْهَدِ[6]

ولهُ في المعتصم هجاء آلم وقعاً من السهامِ:

---

(١) الأيسار جمع يَسَر وهم القوم المجتمعون على الميسر اي القمار والجزر جمع جَزُور وهو ما يجزر من النوق والغنم.

(٢) ارض الروم اسيا الصغرى والخَزَر البلاد المجاورة بحر قزبين.

(٣) طوس مدينة بخراسان قبر فيها هارون الرشيد وأراد الشاعر بخير الناس الرضا المتقدم ذكره وبشرهم الرشيد.

(٤) هيهات اي بعد وذر دع.

(٥) يسومني يكلفني ومحمد هو الامين اخو المأمون.

شادوا رفعوه بالثناء عليهِ والحضيض القرار من الارض عند اسفل الجبل والأوهد المنخفض.

. . . .

(*) المصدر نفسه ص ٥٧.   (**) الشعر والشعراء جـ ٢ ص ١٤٩.

وقـام إمام لم يكن ذا هـدايةٍ فليس لهُ دينٌ وليس لهُ لبُّ(١)
ومـا كـانت الأنبـاء تـأتي بمثلهِ يملّك يوماً او تدين لهُ العُرْبُ
ولكن كـما قال الـذين تتابَعُـوا من السلف الماضين اذعظُم الخطبُ
ملوك بني العباس في الكتب سبعةٌ ولم تأتِنَا عن ثـامنٍ لهمُ كتبُ
كذلك اهل الكهف في الكهف سبعةٌ خيارٌ اذا عدُّوا وثامنهم كَلْبُ(٢)
واني لأُعلي كلبهم عنك رفعـةً لأنك ذو ذنبٍ وليس لهُ ذَنْبُ(*)

ولما مات المعتصم وقام الواثق أنشأ دعبل يقول:

الحمـد للهلا صبرٌ ولا جَلَدُ(٣) ولا عزاءٌ اذا أهل البلا رقدوا
خليفةٌ مات لم يحزن لهُ أحـدٌ وآخرٌ قام لم يفرح بهِ أحدُ(**)

فهل من عجب ان امرءًا من مثل هذا مخشيًّ معرّةِ(٤) اللسان حتى عند الخلفاء والأمراء يستفحل أمر شرّه عند عامّة الناس حتى يُرْوَى أن مجنوناً صُرع مرّة فأتاهُ دعبل وصاح في أُذنهِ «دعبل» ثلاث مرَّات فأَفاق . . . وكان يهيّء أهاجيه من قبل حتى يظلَّ على أُهبةٍ(٥) من امرهِ فلا يفوتهُ أحد فاذا وَجد(٦) على رجلٍ ذكر اسمهُ في شعره وبادره(٧) بالهجاء الأليم . . . إتّخذ دعبل الخزاعي في اغلب حياته خطاً موالياً لأل البيت، وهذا ما يلمسه المرء من عدم مبالاته بخلفاء بني العباس ولا بمدحهم، بل على العكس من ذلك فقد شغل نفسه بهجائهم كما رأينا من نصوص سابقة، في حين نرى العاصفة المتأججة تنبعث من مدائحه للهاشميين، ولا ادل على ذلك من «تائيته» التي يقول فيها:

---

(١) اللب العقل.
(٢) والكهف مغارة لجأ اليها سبعة شبـان خوفـاً من ملك اضطهـدهم فسدّ بـاب الكهف ثم بعثوا بعد زمنٍ طويل.
(٣) الصبر.
(٤) مساءة.
(٥) عدة.
(٦) غضب.
(٧) عاجلةُ.

. . . .

(*) الأغاني جـ ١٨ ص ٤٠.
(**) المصدر نفسه ص ٤١.

(*) ولهُ شعر قالهُ في الحبس منه:

قالوا حبستَ فقلتُ ليس بضائري ... حبسي وأيُّ مهنّدٍ لا يُغمدُ(١)
أوَما رأيت الليث يألف غيلهُ ... كبراً واوباش السباع تَصيَّدُ(٢)
والشمس لولا انها محجوبةٌ ... عن ناظريك لما أضاء الفرقَدُ(٣)
والبدر يدركهُ السرار فتنجلي ... أيّامهُ وكأنّهُ متجدّدُ(٤)
والنار في أحجارها مخبوءَةٌ ... لا تصطلي ان لم تثرها الأزنُدُ(٥)
والحبس ما لم تغشهُ لدنيئةٍ ... شنعاءَ نِعم المنزلُ المتودّدُ(٦)
بيتٌ يجدِّدُ للكريم كرامةً ... ويُزارُ فيهِ ولا يزور ويُحمدُ(*)

وردّ ندماءُ المتوكلّ لعليّ بن الجهم كيدَهُ في نحرهِ ـ ولا بدع فان مجالس الملوك معترك المالقات والوشايات والثارات ـ فلم يزالوا يقبّحونهُ ويسعون بهِ حتى أوغروا(٧) صدر الخليفة عليهِ فنفاه الى خراسان وأمر بصلبهِ عرياناً يوماً كاملاً فلما وصل الى الشاذياخ أُخذ وصُلِبَ ثم أُنزل فقال في ذلك:

لم ينصبوا بالشاذياخِ عشية آ ... لاثنين مسبوقاً ولا مجهولاً
نصبوا بحمدِ الله ملءَ قلوبهم ... شرفاً وملء صدورهم تَبْجيلاً

---

(١) ضائر مضرّ والمهند السيف المطبوع من حديد الهند ويُغمد يُجعل في الغمد اي الجفن.

(٢) الليث الأسد وغيلهُ أجمته وعرينه وأوباش السباع وارذالها وتصيّد فعل مضارع تاؤه تخفيفاً والقياس تتصيّد.

(٣) محجوبة مستورة والفرقد نجم قريب من القطب الشمالي يُهتدي بهِ.

(٤) البدر القمر الممتلىء والسرار آخر ليلة من الشهر وتنجلي تتكشف.

(٥) مخبوءة مستورة وتصطلي تشتعل والأزند جمع زند وهو العود الذي يقتدح به.

(٦) غشيهُ اتاهُ ونزله الدنيئة النقيصة والمتودّد المطلوبة محبّته.

(٧) أوقدوه من الغيظ.

. . . .

(*) الأغاني جـ ٩ ص ١٠٦.

مـا ازداد الا رفعـةً بنكـولـهِ وازدادت الاعداء عنهُ نكـولا[1]
هل كان الا الليث فارق غيلهُ فـرأيتـه في محمـلٍ محمـولاً
ما عابهُ ان بُزَّ[2] عنهُ لباسـهُ فالسيف أهول ما يُرى مسلولاَ
ان يبتذل فالبدر لا يُزرى بهِ ان كـان ليلة تمِّهِ مبـذولا[3]
او يحبسـوه فليس يحبس سائـرٌ من شعرهِ يدع العزيز ذليلا (*)

ومن مستحسن شعره قولهُ:

بـلادٌ لـيس بعـد لـهُ بـلاءٌ عـداوة غـير ذي حسب ودينِ
يبيحـك منهُ عـرضـاً لم يصنـهُ ويرتع منك في عرضٍ مصونِ[4]

ولم يكن قولهُ هذا ليمنعهُ من ان يرتع في أعرض غيره ويمزّقها تمزيقاً . . .
وادّعى ان أوّل شعرٍ قالهُ هو ما كتب بهِ الى أُمّه وقد حبسهُ ابوه في الكُتَّاب:

يـا أُمَّتـا أفـديـك مـن أُمٍّ أشكـو اليـك فـظاظـة الجَهْمِ
قـد سُـرِّحَ الـصبيـان كلهـمُ وبقيت محصوراً بـلا جـرمٍ(**)

بيد انهُ لاشتهاره بالكذب والادّعاء لم يصدّقه أحدٌ وقالوا انهُ نظم هذين البيتين وهو شيخ نيّف على الستين

---

(١) النكول بفلان ان يفعل بهِ فعل يحذّر به غيره اذا رآه ونكل عنه نكص وجبن.

(٢) بُزّ جرّد.

(٣) يبتذل يمتهن ويزرى بهِ يحتقرو ليلة تمّ البدر كماله.

(٤) يبيحك يحلل لك.

. . . .

(*) (**) الأغاني جـ ٩ ص ١٠٩ ـ ١١٠.

أبن آلرُّومِيّ (٨٩٦م ٢٨٣هـ)

هو ابو الحسن عليّ بن العباس بن جُريج(*) المعروف بابن الروميّ وُلد ونشأ وتخرّج ببغداد ومنها أشعت أنوار شعره الباهرة وامتدَّت الى الآفاق. وفيها يقول وقد غاب عنها في بعض اسفارهِ.

بلدٌ صَحِبتُ بهِ الشبيبةَ والصبا ولبست ثوبَ العي وهو جديدُ(**)
فـاذا تمثَّـل في الضمـيرِ رأيتُـهُ وعليـه أغصانُ الشبـاب تميدُ(١)

وهو صاحب النظم العَجيب والتوليد الغريب يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكامنها(٢) ويبرزها في احسن صورة ولا يترك المعنى حتى يستوفيهُ الى آخره ولا يُبقي فيه بقيّة. والفاظهُ عذبة رشيقة خليقة(٣) بتلك المعاني الفتّانة وقصائده بديعة البنيان محكمة الرصف(٤) متينة لُحمة الأبيات وهو في اكثر معانيهِ مبتدع(٥) لا متَّبع وشعره كثير الفنون متشعّب الأغراض. ومنهُ في قصيدة تُدعى «حديقة الشعر»(٦) مدح بها اسماعيل بن بلبك وهي طويلة جداً

(١) تميل. (٢) مخابئها. (٣) جديرة بها واهل لها.
(٤) انضمام الى بعض بانتظام. (٥) مخترع.
(٦) لكثرة ما ورد فيها من اسماء الفاكهة وللسبب عينه سماها بعضهم «دار البطيخ» وهي السوق التي كانت تباع فيها الفواكه ببغداد.

(*) الأغاني جـ ٩ ص ١١١. (**) الديوان جـ ٢ ص ٧٦٦

أجنت لك الوجد[1] أغصانٌ وكثبانٌ فيهنّ نوعان تفّاحٌ ورمانُ
وفوق ذلك أعناب مهدّلةٌ[2] سودٌ لهنَّ من الظلماء الوانُ
وتحت هاتيك عنّابٌ تلوحُ بهِ اطرافهنّ قلوب القوم قِنْوَانُ[3]
ونرجسٌ بات ساري الطلّ يضربهُ وأُقْحُوَان منير النَّور ريَّانُ

ومنها مشيراً الى وجوب الاعتدال في المحلّلات:

تلك الغصون اللواتي في أكمّتَها نعمٌ وبؤسٌ وأفراحٌ واحزانُ
يبلو بها الله قوماً كي يُبين لهُ ذو الطاعة البَرُّ ممن فيه عصيانُ[4]
وما ابتلاهم لاعناتٍ ولا عَبَثٍ ولا لجهلٍ بما يطويه إبطانُ[5]
لكن ليثبت في الأعناق حجّتهُ ويحسن العفو والرحمان رحمانُ

ومن خاتمتها:

وللبلاء انفراجٌ بعد أزمتهِ ورعبةُ الدهر إعجاف وإسمانُ[6]
وللاله سجالٌ من فواضلهِ كل امرءٍ ناهلٌ منه وعلّانُ[7]
إن لا يُعنّي على دهري أخوثقةٍ من العباد فإن الله معوانُ
او يُبطلِ الحقَّ عند الناس كلهم فليس للحق عند الله بطلانُ
خذها أبا الصفر بكراً ذات أوشيةٍ كالروض ناحى عراراً فيه حوذانُ[8]
واسلم لراجيك مسعوداً وان تربت[9] ممن يعاديك آنافٌ وأذقانُ

---

(١) الوجد الحزن وكقبان تلال. (٢) مُهَدّلة مدلاّة.
(٣) القنوان جمع قنو وهو العذق من النخل كالعنقود من العنب.
(٤) البر الصالح.
(٥) الاعنات هو ان يحمل المرء ما يشتق عليه تحملُه والعبث اللعب والهزل والاستخفاف والابطان الاخفاء.
(٦) الازمة الشدة والاعجاف الضعف والاسمان ضدُ الاعجاف.
(٧) السجال جمع سَجل وهو الدلو اذا كان فيها ماء استعيرت للنعم وناهل من يشرب أوّلاً والعلان الشارب ثانية.
(٨) البكر العذراء والأوشية جمع وشاء جمع وشي وهو نقش الثوب وناحى صار احدهما نحو الأخر وعرار بهار ناعم اصفر طيب الرائحة والحواذان نبات زهرهُ احمر في أصلهِ صفرة.
(٩) تَرِبَتْ أصلبها تراب.

وهي تنيف على مائتي بيت. ومن قولهِ:

آراؤكم ووجـوهكم وسيـوفكم ... في الحادثات اذا دجون نجومُ
منهـا معـالم للهـدى ومصـابـحٌ ... تجلو الدجى والأُخريات رجومُ(١)

وقال يذمّ الخضاب:

اذا دام للمرء السواد وأخلقت ... شبيبتـه ظُن السواد خضـابـا(٢)
فكيف يظنّ الشيخ أن خضابهُ ... يُظنُّ سواداً او يخال شبابًا (*)

ومن رقيق شعرهِ قولهُ:

وشاقٍ صبيحٍ للصبـوحِ دعوتـهُ ... فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كـأنجمٍ ... فمن بين منقضٍ علينا ومنفضٍ(٣)
وقد نشرت ايدي الجنوب مطارفاً ... على الجوّد كناً والحواشي على الأَرض(٤)
يطرزها قوس السحاب بـأخضرٍ ... على أحمرٍ في أصفرٍ اثر مبيضٍ
كأذيال خودٍ أقبلت في غلائلٍ ... مصبَّغة والبعض أقصر من بعضِ(٥)

وقولهُ في قالي زلابية:

ومحتقـرٍ عـلى كـرسيِّـه تَعِـبٍ ... روحي الفداء لهُ من منصبٍ تعبِ
رأيتـهُ سحـراً يقـلي زلابيـةً ... في رقّة القشر والتجويف كالقصبِ
كـأنمـا زيتـة المقليّ حـين بَـدا ... كالكيمياء التي قالوا ولم تُصِبِ
يلقي العجين لُجَيناً من أنـاملهِ ... فيستحيل شبابيكاً من الذَهبِ(٦)

---

(١) رجوم جمع رجم ما يظهر في السماء كانهُ نجوم تتساقط.
(٢) اخلقت فنيت والخضاب ما يلوّن بهِ.
(٣) العقار الخمر ومنقض ساقط ومنفض متفرّق.
(٤) مطارف جمع مِطرف وهو رداءٌ من خزّ ذو أعلام والـدكن جمع أدكن وهـو ذو اللون المائـل الى السواد.
(٥) الخود جمع خود وهي الصبيَّة والغلائل بطائن تُلبس تحت الفروع مفردها غليلة.
(٦) اللجين الفضة والأنـامل الأصـابع والشبابيـك اعـواد متعـارضـة من حـديـد تنصب في النافذة.

. . . .

(*) الديوان جـ ١ ص ٢٤٣.

ويستحضر ابن الرومي التقوى والخشوع فلا يبار به احد من المتعبدين، ويخيل اليك أنك تستمع الى متعبد عاش عمره في الصوامع حين تستمع اليه يقول: (*)

تتجافى جنوبهم عن وطيء المضاجعِ
كلهم بين خائفٍ مستجير وطامعِ
تركوا لذة الكرى للعيون الهواجعِ
ورعوا أنجم الدجى طالعاً بعد طالعِ
لو تراهم إذا هم خطروا بالأصابعِ
وإذا هم تأوهوا عند مر القوارعِ
وإذا باشروا الثرى بالخدود الضوارعِ
واستهلت عيونهم فائضات المدامعِ

ودقائق معانيهِ كثيرة وكان سبب موتهِ أن أبا الحسين وزير المعتضد دسّ عليهِ من اطعمهُ وهو في مجلسهِ خُشكانجةً [1] مسمومة. وقد أقدم على هذه الفظاعة لشدة خوفهِ من هجائه وفلتاتِ لسانهِ. فلما أكلها ابن الروميّ أحسّ بالسمّ فقام فقال لهُ الوزير «اين تذهب » فقال «الى الموضع الذي بعثتني إليه» فقال «سلّم على والدي» فقال «ما طريقي على النار» وأتى منزلهُ وكان الطبيب يعالجهُ فغلط في بعض العقاقير فمات. ومن قولهِ وهو يجود بنفسه:

غلط الطبيب على غلطة موردٍ عجزت مواردُهُ عن الإصدار [2]
والناس يلحون الطبيب وانما غلطُ الطبيبِ إصابةُ المِقدارِ [3]

---

(١) قرص بسمن وسكر.

(٢) المورد من يأتي بالماشية الى الماء والموارد جمع مورد وهو مكان الشرب والذهاب اليه والاصدار الرجوع عنه.

(٣) يلحون يلومون المقدار الأمر المحتوم لابدّ منهُ.

. . . .

(*) الديوان تحقيق حين نصار جـ ٤ ص ١١٩.

أَلْبُحْتُرِيّ (٨٩٧م ٢٨٤هـ)

هو ابو عبادة الوليد بن عبيد الطائيّ ويقال لهُ البحتري نسبةً الى أَحد أجداده. وُلد بَمنْبِج وَنَشأَ وتخرَّج بها ثمّ خرج الى العراق وقصد بغداد وانقطع الى الخليفة المتوكّل. ولهُ فيهِ وفي وزيره الفتح بن خاقان وسائر كبراء حاشيتهِ قصائد كثيرة. ويحكى ان أَبا تمّام سمع إنشاده وهو فتًى فأُعجب بهِ وقال لهُ «أنت والله يا بنيّ أمير الشعراء بعدي» ولما كان البُحتري قليل ذات اليد[١] كتب ابو تمام في شأنهِ الى أهل معرّة النعمان فأكرموه ووظفوا[٢] لهُ اربعة آلاف درهم[*]. وشعر البحتري كثير جداً ولذ اكثر فيه الغثّ[٣] الساقط الاّ انّ منهُ قسماً على جانب عظيم من الطلاوة ودقّة المعاني وبراعة التصرّف والوصف. ومدحهُ معتدل اللهجة قليل الغلوّ وهذه مزية نادرة تزداد رفعتها إذا قستَ قول البحتري في ممدوحيه بمدائح غيره من الشعراء الذين لم يكتفوا بوصف من يمدحون بكل ممكنٍ من الكمالات البشرية فعلا وعقلاً بل أحصوا ممدوحيهم في عداد الانبياء ثم رقّوهم الى مصافّ الملائكة وما عتّموا أن استحقروا تلك المنزلة فرشّحوا[٤] اصحابهم الى الأُلوهيّة وفي ذلك من الجراءة وقلّة الدين

(١) المال.
(٢) هيّئوا.
(٣) الفاسد.
(٤) اهّلوهم.

(*) الأغاني جـ ١٨ ص ١٦٨ ـ ١٦٩.

والفهاهة ما فيهِ . . . وكيف لا يبتذل شعرٌ جعل سِجلاً[1] لمثل هذه المستنكرات.

وقد ضمَّن البحتري مدائحهُ للمتوكّل ذكر القصور البديعة التي شادها[2] والجنان الغنَّاء التي غرسها والبرك الفسيحة التي أجرى فيها المياه على كل شكلٍ وفن. فوصفها بشعرٍ لطيف رشيق يذوب رقّة وانسجاماً ويضاهي[3] بهاءً ورونقاً تلك المصنوعات العجيبة التي تتمثّل صورها لقارىء قَصائد البحتريّ كأنه يراها بعينهِ. وقد برّز ايضاً بقوَّة تصوّرهِ وعجيب خياليّاته مما يدلّ على نفسٍ حسَّاسة شديدة التأثّر سهلة الشعور والى هذا اشار المتنبّي بقولهِ «أنا وأبو تمام الحكيمان والشاعر البحتري» وقد صدق فانّ المعاني الخليقة بالشعر هي المنزلة من عالَم الخيال والوجدان[4] عثر عليها[5] رائد[6] الفكر الدقيق وكساها النظم من المجاز والبديع حللاً بهيّة فبدت مجسّمة محسوسة مع انها من عالَم النفس وليست بشيء من الهَيُولى[7] والاعراض. ومن شعر البحتريّ قوله يصف البركة التي اصطنعها المتوكّل في حديقتهِ:

تنصبّ فيها وفود الماء معجلةً كالخيل جاريةً من حبل مجريها[8]

---

(١) دفتر تقيد فيهِ الصكوك.

(٢) بناها. (٣) يماثل ويشابه.

(٤) ما يجده الانسان من نفسهِ كالحب والبغض والفرح والحزن وما الى ذلك.

(٥) وجدها.

(٦) الرائد هو الرسول يتقدم القوم في طلب المرعى.

(٧) المادة.

(٨) وفد على الامير قدم عليه رسولاً فهو وافد وهم وفود استعارهُ لمجاري المياه التي تنصب في البركة وشبهها بخيل اطلقها السائس فاندفعت تجري في الميدان.

كأنما الفضة البيضاء سائلةً   من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا أبدت لها حُبُكاً   مثل الجواشنِ مصقولاً حواشيها
فحاجب الشمس احياناً يغازلها   وريّق الغيثِ احياناً يباكيها[1]
اذا النجوم تراءت في جوانبها   ليلاً حسبت سماءً ركّبت فيها
لا يبلغ السمك المحصور غايتها   لبعد ما بين قاصيها ودانيها[2]
يَعُمنَ فيها بأوساطٍ مجنَّحةٍ   كالطير تنفض في جوٍّ خوافيها[3]
لهنَّ صحن رحيبٌ في اسافلها   اذا انحططن وبهوٌ في اعاليها[4]
صورٌ الى صورة الدُّلْفِينِ يؤنسها   منهُ انزواءٌ بعينيهِ يؤازيها[5]

ومن شعره قوله يصف قصراً بناه المعتزّ بالله:

ذُعر الحمام وقد ترنّم فوقهُ   من منظرٍ خطِر المزلَّةِ هائل[6]
رُفعت لمختَرَقِ الرياح سموكهُ   وزهت عجائب حسنه المتخايل[7]
وكأن حيطان الزجاج بجوّهِ   لججٌ يمجنَ على جنوب سواحلِ
لبست من الذهب الصقيل سقوفهُ   نوراً يضيء على الظلام الحافلِ[8]

---

(١) حاجب الشمس شعاعها وريّق الغيث اول المطر وافضلهُ.
(٢) غايتها منتهاها والقاصي البعيد والداني القريب.
(٣) الخوافي ريشات من الجناح اذا ضّم الطائر جناحيهِ خفيت.
(٤) صحن الدار ساحتها ورحيب واسع والبهو بيت متقدم على سائر البيوت يستقبل فيهِ الوفود.
(٥) صور جمع اصور اي مائل والدلفين دابة بحرية كبيرة ويؤنسها يعجبها والانزواء الانقباض والانحراف ويؤازيها يحاذيها ويقابلها.
(٦) ذعر خاف وخطر المزلة موضع السقوط فيهِ ذو خطر.
(٧) مخترق الرياح مهبّها وسموكهُ سقوفهُ وزهت اشرقت والمتخايل المتكّبر.
(٨) الصباريح خفيفة وابدت اظهرت وحبكاً اشياء محبوكة مفردها حبيكة والجواشن جمع جوشن وهو الدرع.

فترى العيون يجلنَ في ذي رونقٍ متلهّب العالي أنيق السافِلِ
أغنتهُ دجلة اذ تلاحق فيضها عن فيض منهمر الرباب الهاطِلِ [1]
وتنفّست فيه الصبا فتعطّفت اشجاره من حُوّلٍ وحواملِ [2]

ولهُ الخياليات الفتّانة التي يضرب بها المثل ومنها:

اذا ما الكرى اهدى اليّ خيالهُ شفى قربهُ التبريح او نقعِ الصدى [3]
اذا انتزعتهُ من يديّ أنتباهةٌ حسبت حبيباً راح مني أن غدَا
ولم أرمثلينا ولا مثل شأننا نعذّب أيقاظاً وننعم هُجّدَا [4]

وبهذه الرقّة امتاز البحتريّ عن ابي تمام سابقهِ ومدرّبهِ مع انّه لم يزل يقرّ لهُ بالتقدّم والأُستاذيّة. وكان مع ملابسته [5] الملوك والأُمراء وأفاضتهم [6] عليهِ الاموال الطائلة قذر اللباس شحيح الكفّ لا تأخذه شفقة على أخٍ لهُ وغلام كانا يقاسيان من عذاب الجوع ألواناً. ويتخذ البحتريّ لنفسه فلسفة يتحدث فيها عن علل الاشياء، وعن الدهر والحياة فيرى ان الاشياء دائما هي في تفوق وليس في تجمع . فالشمس دائمة التحول كحياة الانسان، والدهر غول يفترس الانسان، دون رحمة وغير ذلك، ولهذا فهو ينصح الانسان بوجوب حشد الطاقة ضد النفس لاصلاحها فيقول:

أخي متى خاصمت نفسك فاحتشد لها، ومتى حدثت نفسك فاصدقِ
أرى علل الأشياء شتى، لا أرى التجـ ـمع إلا علة للتفرقِ
أرى العيش ظلاً توشك الشمس نقله ، فكسى في ابتغاء العيش كيسك أومق
أرى الدهر غولاً للنفوس وإنما يقي الله في بعض المواطن من يقي

---

(١) منهمر منسكب والرباب جمع ربب وهو الماء الكثير والهاطل السائل بشدة.

(٢) تعطفت مالت وحوّل جمع حائل يقال امرأة وفرس وشجرة حائل اي لا تحمل.

(٣) الكرى النوم والتبريح الشدة ونقع الصدى بلّ العطش.

(٤) ايقاظاً متنبهين وهجداً نياماً مفردهما يقظ وهاجد.

(٥) مخالطته. (٦) سكبهم.

أبن ٱلْمُعْتَزّ (٢٩٦هـ ٩٠٨م)

هو ابو العباس عبد الله بن الخليفة المعتز بالله. كان شاعراً مطبوعاً نبيه المعاني عذب الالفاظ حسن الابداع وقد قرن في شعرهِ رقة الملوكيّة وغزَل الظرفاء وهلهلة(١) المحدثين بعلوّ طبقة المجيدين من الشعراء وقوة استنباطهم وقد تقدم اهل عصره فضلاً وشرفاً وادباً وشعراً. وشعره غايةٌ في الظرف. وطلاوة الجديد. ولما كان في غنًى بسموّ مقامهِ ونبل محتدهِ(٢) عن تملق الكبراء واستعطاف خواطرهم خلا شعره من المِدَح الكاذبة التافهة وأطلق لقريحته السيّالة عنانها(٣) في وصف الرياض النضرة(٤) ومجالس الأنس الانيقة وكل ما تهشّ(٥) له النفس من المناظر الطبيعيّة الشائقة فأبدع في كل ذلك كما شاء وأوحت لهُ سليقتهُ(٦) وذهب كل مذهب في التفّنن والتقلُّب في عرض ذلك الميدان الفسيح الأرجاء بالمعاني الشعريّة وبرّز في تشبيهاته البديعة المبتكرة واشتهر بها حتى لا يُشق لهُ فيها غبار ولم يتعدّ الكلام السبط(٧) الرقيق المتبادر

(١) من هلهل الثوب اذا رقق نسجهُ.
(٢) أصله
(٣) المسترسل عكس المتجعد.
(٤) الجميلة الخضراء.
(٥) سير اللجام.
(٦) طبيعته.
(٧) ترتاح وتنشط.

الى الفهم فشعره مرآة ظرفهِ ولطفهِ. وزاد على تضلُّعهِ من آداب عصرهِ معرفة حسنة بصناعة الموسيقى ولهُ كتابٌ في الكلام على النغم وعللها(*).

ولعبد الله بن المعتزّ مؤلفات منها «كتاب البديع» وهو اوَّل من الَّف في هذا الفنّ جمع منهُ سبعة عشر شكلاً ثم جاء قُدامة الكتاب فزاد عليها ثلاثة عشر شكلا وهكذا أخذ كل مؤلف يزيد على سالفهِ حتى بلغ البديع كمالهُ. ومن كلامهِ «البلاغة البلوغ الى المعنى ولم يطل سفر الكلام» ولهُ اقوالٌ كثيرة تدلّ كلها على غزارة علم وفضل أدب ومن شعره قوله في النرجس:

كأن عيون النرجس الغضّ حولهَا مـداهن درّ حشوهنّ عَقِيقُ[1]
اذا بَلهنَّ القطر خلت دموعها بكـاء عيـونٍ كحلهنّ خلوقُ[2]

ومن قولهِ:

إصبر على مضضِ الحسو د فـإن صبـرك قـاتلُهْ
فـالنـار تـأكـل نفسهـا إن لم تجـد مـا تـأكـله

وابن المعتز بارع في تصوير كل شيء حتى الخلجات التي تعتمر في قلب الانسان فها هوذا يصور الحالة النفسية التي يكون عليها الحسود من إضطراب وتململ وعدم طاقة على الصبر، ولهذا فهو يرى أن انجع وسيلة لقتل ذلك الانسان الأفة هي الصبر على الآلام فيقول:

اصبـر عـلى مضض الحسـو د فـإن صـبـرك قـاتـله.
الى آخر الابيات:

---

(١) النرّجس نبت من الرياحين له زهر مستدير تشبه الأعين والمداهن جمع مُدْهُن وهو آلة الدّهن او قارورته والعقيق خرز أحمر.

(٢) الخلوق طيب كثيراً ما يؤخذ من الزغعران.

. . . .

(*) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٢٣٤.

وها هوذا يصور مشهداً آخر لانسان آخر على نقيض ذلك الانسان، إنه يصور العابد الزاهد القانع فيقول في اسلوب رائع وخيال مبدع:

مسهد في ظلام الليل أواه عضته للدهر أنياب وأفواه
إن كان يخطيء سمعي ما اقدره فليس يخطيء ما قد قدره الله(*)

ومن قولهِ في البَوح(١) بالقرب من دير عبدون بالمَطيرة وهي قرية من نواحي سامرّاء وكانت من متنزَّهات(٢) بغداد:

سقى المَطيرةِ ذاتَ الظلّ والشَجر ودَير عبدونَ هطّال(٣) من المَطرِ
فطالما نبّهتني للصَّبوح بها في غُرَّة(٤) الفجر والعصفور لم يطرِ
أصواتُ رهبانِ ديرٍ في صلاتهمِ سود المدارعِ نعارين في السحرِ(٥)
مزنَّرين على الاوساط قد جعلوا على الرؤوس اكاليلاً من الشَّعَرِ

ومن غريب شعر ابن المعتزّ الدالّ على قوَّة تصرّفه في المعاني وعجيب تفنّنهِ في الاستنباط قولهُ يذّم القمر وقد اجترأ على هجائه وهو عند الخلق طرًّا عنوان الكمال وآية الجمال:

يا سارق الأنوار من شمس الضحى يا مثكلي طيب الكرى ومنغّصي(٦)
أمّا ضياء الشمس فيك فناقصٌ وارى حرارة نارها لم تنقصِ

(١) شرب الحليب او الخمر صباحا.

(٢) الامكنة النزهة اي المقصودة لجودة هوائها.

(٣) الظلّ الفيء والهطال المنسكب بشدّة.

(٤) غرّة الفجر أوله وطلعتهُ.

(٥) المدارع جمع مِدْرعة وهي جبّة مشقوقة المقدم ونعّارون جمع نعّار وهو الصياح.

(٦) مثكلي مفقدي ومنغص مكدّر.

(*) الأغاني جـ ٩ ص ١٤٠ ـ ١٤١.

(**) لباب الأداب لأسامة بن منقذ جـ ٤ ص ٩٤٨ والديوان جـ ٢ ص ٤٢٢ . ٤٢٥.

لم يظفر التشبيـه منك بـطائلٍ متسلّخٌ بَهَقـاً كلون الأبْرَصِ [١]

ولما بويع للمقتدر كان دست[٢] الخلافة قد ضعف أمره وصار الحلّ والعقد في أيدي الجن والمماليك من أتراك وغيرهم فشغب[٣] جماعة منهم عليه وخلعوه وبايعوا عبد الله بن المعتزّ وتلقّب بالمرتضي الاّ أن أصحاب المقتدر تحزَّبوا[٤] وتراجعوا وحاربوا اعوان ابن المعتز وشتّتوهم وأعادوا المقتدر الى دَستهِ فاختفى ابن المعتزّ في دار تاجر جوهريّ يعرف بابن الجصّاص فاخذه المقتدر وسلّمه الى مؤنس الخادم الخازن فاعتقلهُ في السجن ثم خنقهُ وسلّمهُ الى أهلهِ ملفوفاً في كساء وهكذا استُبيح[٥] دم هذا المسكين الذي لم يقبل البَيْعة[٦] الا على شرط أن لا يُقتل بسببه مسلم وكانت مدة خلافتهِ يوماً واحداً . . .

---

(١) المتسلّخ الذي زال عنه جلدهُ والبهق بياض في الجسد عن مرضٍ غير البرص

(٢) مقام.

(٣) هيّج. (٤) تجمعوا وصاروا أحزاباً.

(٥) استحل. (٦) التولية اعقدها.

إبن الحَّجاج (١٠٠٠م ٣٩١هـ)

هو أبو عبد الله الحسن بن احمد بن الحجّاج. كان متولّياً للحسبة[١] ببغداد شيعيًا مفرط التعصّب في مذهبِهِ حتى أوصى ان يحمل بعد موتِهِ الى مشهد موسى الكاظم[٢] ويدفن عند رجليه وهو شاعرٌ عذب الالفاظ سلس المعاني سريع العارضة الا انّهُ شحن شعره ببذيء الكلام وفاحش المقال حتى يكاد يتعذّر على مطالع شعرِهِ ان يستخلص من تلك القاذورات شيئاً يمكن أن يقرأهُ الأديب دون تأفف فهو ممن تقفوا[٣] آثار أبي نواس في الهجوم على السحت[٤] والوَلوع بالمخزيات ولعلّهُ فاق استاذهُ في هذا النوع الجديد من المفاخر . . .
ومن نادر اديب شعره قولهُ:

قالوا غدا العيد فاستبشر به فَرَحاً   فقلت مالي وما للعيد والفَرحِ
قد كان ذا والنوى لمْ تمسِ نازلةً   بعقوتي وغراب البين لم يَصِحِ[٥]

---

(١) خطة المحتسب وهو الذي وكل اليهِ ضبط الموازين ونحو ذلك.

(٢) احد الائمة الاثني عشر

(٣) اتبعوا

(٤) الحرام والفحش.

(٥) النوى البعد والاغتراب والعقوة ما حول الدار.

فاليومَ بعدكَ قلبي غير متسعٍ | لما يسرُّ وصدري غير منشرحِ
وطائرٍ ناحَ في خضراءَ مؤنقةٍ | على شفا جدولٍ بالعشب متَّشحِ (١)
بكى وناحَ ولولا انهُ سَبَبٌ | لكان قلبي لمغنى فيهِ لم يَنُحِ
بيني وبينك ودٌّ لا يغيّرهُ | بُعدُ المزار وعهدٌ مطَّرحِ
فما ذكرتُك والاقداحُ دائرةٌ | الّا مزجتُ بدمعي باكياً قدحي
ولا استمعت لصوتٍ فيه ذكرنوى | الّا عصيتُ عليهِ كل مقتَرحِ (٢)

ومن شعرهِ أيضاً

يا صاحبيّ استيقظا من رقدةٍ | تزري على عقل اللبيب الأكيس (٣)
هذي المجرّة والنجوم كأنها | نهرٌ تدفّق في حديقة نرجسٍ (٤)

واری الصبا قد غسّلت بنسيمها | فعلام شرب الراح غير مغلّسٍ (٥)
قوما اسقياني قهوةً (٦) روميةً | من عهد قيصر دنها لم يُمسسِ
صِرْفاً تضيف اذا تسلَّط حكمها | موت العقول الى حياة الأنفُسِ

---

(١) خضراء اي شجرة او روضة خضراء ومؤنقة معجبة وشفا الجدول حافتهُ.

(٢) المقترح السائل.

(٣) تزري تعيب واللبيب العاقل و الأكيس الظريف الفطن.

(٤) المجرة منطقة في السماء قوامها نجوم كثيرة ترى كبقعة بيضاء.

(٥) الصبا ريح مهبُّها جهة الشرق والراح الخمر ومغلّس مشروبة في الغلس.

(٦) خمرة.

ألْمُتَنَبّي

(٩٦٥م ٣٥٤هـ)

هو أبو أحمد بن الحسين الكوفي الملقب بالمتنبي لادّعائه النبوة. ولد بالكوفة في محلة يقال لها كندة فقيل له الكندي وقدم الشام في صباه وجال في أقطارها واشتغل بفنون الأدب ولقي كثيرين من أكابر علماء عصره فتخرج عليهم فخرج نادرة الزمان في صناعة الشعر لم يبلغ شأوه[١] في العلم والأدب شاعرٌ من معاصريه. وكأن ما وجد في نفسه من قوة العارضة ورسوخ[٢] ملكة الشعر على حداثة سنّه استفز[٣] رشده وساعده نزق[٤] الشبيبة فادعى النبوة في بادية السماوة. ولما كان المخرقون[٥] لا يعدمون في كل عصر أشياعا واتباعا يأخذون بناصرهم تألّب[٦] حولهُ قوم من رائشي نبله[٧] وفشا امره في تلك الجهات فخرج اليه لؤلؤ أمير حمص وبدّد شمل أنصاره واعتقله[٨] زمانا. فثابت[٩] اليه نفسه في الحبس وفارقه هوسه[١٠] بالنبوة في خلوته فاستعطف الامير وتنصل[١١] مما قُذف به[١٢] فاستتابه وأطلقه. الا ان السجن الذي

---

(١) غايتهُ.
(٢) ثبات.
(٣) استخفّهُ واستدعاه.
(٤) الخفة والجعلة في جهلٍ وحمق.
(٥) المموهون والمختلفون.
(٦) اجتمع.
(٧) راش اي السهام لزّق عليه الريش والمراد بهم هنا القائلون بقوله.
(٨) سجنهُ.
(٩) رجعت.
(١٠) طرف من الجنون.
(١١) تبرأ.
(١٢) أُتهِم.

طَهّره من دعوى النبوة لم يكسر شوكة كبره واعجابه بنفسه اذ لم يزل الى آخر حياته مفرط الزهو شديد الترفع يدور حب الولاية والرئاسة في رأسه. وفي ديوانه صدى دائم لما تحدثه به نفسه عن الخروج على السلطان والاستيلاء على بعض الأطراف(*). ومن قوله في نفسه:

ايّ محلٍ أرتقي ايّ عظيم أتّقي
كل ما قد خلق آ اللهُ وما لم يخلق
محتقرٌ في هِمَّتي كشعرة في مَفرقي[1] (**)

وكان اذا مدح اميراً او ملكاً كثيراً ما يحملهُ صَلَفهُ[2] على مخاطبتِهِ مخاطبة النِدّ لندّه[3]. وكان الملك في عينيهِ مقاماً لا يليق بغيرهِ ولا يُغتفر عندهُ ذنب من حلّ فيه. ومن قولهِ:

لا تحسَبَنّ المجد زقًا وقينةً فما المجد الا السيف والفتكة البِكرُ[4]
وتضريب اعناق الملوك وان تُرى لك الهبَوات السود والعسكر المَجْرُ[5]
وجنّبني قربَ السلاطين مقتُها وما يقتضيني من جماجمها النَسرُ[6]

وفي هذه الأقوال من حنوّ العواصف على الملوك ما يتعذّر على فوضَويي[7] ايّامِنا أن يتخطّوهُ ... وكان أوّل ما اشترط على سيف الدولة عند اتصاله به

(۱) المفرق مكان فرق الشعر من الرس.
(۲) عجبه وكبرياؤُه. (۳) القرن والمساوي.
(٤) الزقّ وعاء الخمر والقينة المغنية والفتكة المرة من الفتك والبكر التي لا سابق لها.
(٥) الهبوات الغبرات والمَجْر الكثير.
(٦) المقت البغض والجماجم جمع جمجمة وهي عظم الرأس.
(۷) نسبة الى الفوضى وهم اعداء كل ذي سلطة.

(*) وفيات الاعيان جـ ۱ ص ۲٥٥ ـ ۲٥٦ ديوان أبي الطيب شرح ناصيف اليازجي جـ ۱ ص ۳٤.
(**) الديوان شرح ناصيف اليازجي جـ ۱ ص ۱۹٤.

أنه لا ينشده إلا وهو جالسٌ ولا يكلَّف تقبيل الأرض بين يديه . . .

واذا نقبت عن محتد هذا الرجل الفاحش الدعوى وجدت انهُ كان ابن سقَّاءٍ يبيع الماء بالكوفة رزقهُ الله توفيقاً عجيباً في الشعر فارتفع قدرهُ حتى نادم الأُمراء والملوك. وكان للمتنبّي مزايا شريفة في مقابلة كبريائهِ الذميمة فانه كان وقوراً رصين المقال لا ينطق بالكذب والهزل بعيد الغور عالي الهمَّة شجاعاً مشيَّع القلب ولم يؤخذ عليهِ سوى حرص شديد مع ما كان يصلهُ من ممدوحيهِ من الاموال الطائلة والجوائز السنيّة. ومدح في اوائل امره أشراف الشام وامراءَها ثم اتّصل بسيف الدولة ملك حلب فحظي عندهُ وأفاض[1] عليهِ المال والعطايا فانقطع اليهِ لا يمدح سواهُ ولهُ فيه القصائد الطنَّانة التي خلّدت ذكر كليهما على مرور الايام وتوالي الأعوام. ولبث في حاشية[2] سيف الدولة تسع سنوات ثم فارقهُ لوحشة جرت بينهما. فقدم مصر ومدح كافوراً الاخشيدي فأجزل عطاياهُ ورغب المتنبّي ولاية عمل من اعمال مصر فوعدهُ كافور بتحقيق أُمنيَّتهِ ولم يوفهِ فحقد عليهِ وفارقهُ وهجاهُ وسار الى بغداد ثم قصد عضد الدولة بشيراز فمدحهُ وحظي عندهُ. وانصرف عنهُ الى بغداد فالكوفة فعرض لهُ فاتك بن ابي جهل الأسدي في الطريق بجماعة من اصحابهِ ومع المتنبّي جماعة من اصحابه أيضاً فقاتلوهم فقُتل المتنبي وابنهُ محسَّد وغلامهُ مُفلح

واما شعرهُ فمهما قال اضدادهُ في تحقيره وتعييبهِ فهو غاية الاتقان وكمال الصناعة على قدر ما يُستطاع الكمال في عملٍ بشريّ. وكفاهُ فخراً اشتغال علماء الكلام بشعرهِ حتى شرح ديوانهُ نحو الخمسين من اكابر اهل العلم وجِلّتهم فألّفوا الكتب في تفسيره وحلّ مشكلهِ[3] وعويصهِ[4] وذكر جيدهِ ورديئهِ. وكثر اللغط[5] بينهم في شأنه وتضاربت[6] آراؤهم فيهِ الى حدّ لم يُرَ

(١) خاصّة.
(٢) جمع جليل وهو العظيم والمتقدم.
(٣) مُبْهَمَة.
(٤) غامضة.
(٥) الجَلَبَة.
(٦) اختلفت وارتبكت.

لهُ نظير في شعر غيرهِ فمنهم من تعصّب لهُ وشمّر عن ساعد الجدّ في مدحهِ والنضح[1] عنهُ ومنهم من تعصّب عليهِ وأفرغ كنانة[2] حججهِ في ذمّهِ والقدح فيهِ. وقال الثعالبيّ في «يتيمة الدهر» انّ ذلك الاختلاف اوّل دليل على وفور فضلهِ وتفرّدهِ على اهل زمانهِ بملك رقاب القوافي ورق[3] المعاني. فالكامل من عُدَّت سقطاتهُ والسعيد من حسبتٍ هفواتهُ وللمتنبي سقطات وهفوات الا انها اذا قيست بحسناتهِ لم تعد شيئاً مذكوراً

ولولا إعجاز شعرهِ لما زادت رواتهُ على كرور الزمان ولهجت بذكره الركبان وعمرت مجالس الأُنس وبحثت فيه حلقات الدرس وجرى على ألسن الخُطباء في المحافل وتمثّلت بهِ الكتّاب في الرسائل. وايّ مجموع أدب يعد كاملاً ان لم ترصّع صفحاتهُ بجواهر شعر المتنبّي وبعدائهِ وتقلّد فصوله بفرائدهِ وروائعه فهو فيلسوف الشعراء غير منازع وربّ جوامع الكلم في النظم غير مدافع.

وللمتنبي من الشعر الأنيق النسج البديع الوشي ما لا يقع تحت حصر ويجعل المنتقي في حيرةٍ من امرهِ لا يدري ايّ قصائدهِ يختار. وهناك شيئاً من شعره في سيف الدولة من قصيدة يمدحهُ بها ويذكر بناءهُ ثغر الحدث.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارمُ[4]
وتعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائِمُ[5]
يكلّف سيفُ الدولة الجيش همّهُ ... وقد عجزت عنهُ الجيوش الخَضارمُ[6]

---

(١) العبودية.
(٢) الدفاع. (٣) جعبة.
(٤) العزائم جمع عزيمة بمعنى عزم والمكارم جمع مكرمة وهي اسم من الكرم يقول ان العزائم والمكارم تكون دائماً على اقدار فاعليها ومقاماتهم.
(٥) اي ان صغير القدر يستعظم صغار العزائم والمكارم واما كبير فبعكس ذلك.
(٦) الخضارم جمع خضرم وهو الكثير من كل شيء.

هل الحدثُ الحمراءُ تعرف لونها وتعلم ايُّ الساقيين الغمائمُ(١)
سقتها الغمامُ الغرُّ قبلَ نزولهِ فلّما دنا منها سقتها الجماجِمُ(٢)
بناها فأعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها مُتلاطِمُ(٣)
وكيف ترّجي الرومُ والروس هدمها وذا الطعنُ آساسٌ لها ودعائمُ(٤)
وقفت وما في الموت شكٌّ لواقفٍ كأنّك في جفن الردى وَهو نائمُ(٥)
تمرُّ بك الأبطال كلمى هزيمةً ووجهك وَضّاحٌ وثغرك باسمُ(٦)
حقرت الرُّدينيّاتِ حتى طرحتها وحتى كأن السيف للرمح شاتم(٧)
ومن طلب الفتح الجليل فإنّما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم(٨)
الا أيُّها السيف الذي ليس مغمداً ولا فيهِ مرتابٌ ولا منه عاصمُ(٩)
هنيئاً لضرب الهام والمجد والعُلَى وراجيك والاسلام أَنك سالِمُ(١٠)(*)

(١) وصف قلعة الحدث بالحمراء لتطلخها بدم الاعداء واراد بالساقيين جماجم الروم وسحائب المطر وكلاهما كانا كالغمائم.

(٢) الغمام جمع غمامة والغر البيض وهذا البيت تفسير لسابقهِ.

(٣) فاعلى اي فاعلاها والقنا جمع قناة وهي الرمح والمنايا جمع منية اي موت.

(٤) آساس جمع أُس.

(٥) الردى الموت اي وقفت حيث لا يشك الواقف انه مقتول ولم تصب مع ذلك بضرر فكان عين الموت نائمة عنك.

(٦) كلمى جرحى وهزيمة مهزومة ووضاح مشرق والثغر مقدم الفم.

(٧) الردينيات الرماح اي ان اعتمادك على السيف شان الشجعان منك.

(٨) السيوف القاطعة.

(٩) اغمد السيف جعلهُ في الغمد ومرتاب بمعنى ارتياب وعصمهُ من كذا حماهُ.

(١٠) الهام الرؤوس والمصدر المسبوك من انك سالم فاعل هنيئاً وهي حال محذوفة العامل والاصل عدت هنيئاً.

. . . .

(*) الديوان شرح ناصيف البازجي جـ ١ ص ٤٠١ . ٤٠٧.

ومن قولهَ يمدحهُ:

الـرأيُ قبل شجـاعة الشجعـان هـو أوّلٌ وهي المحـلُّ الثـاني
فـاذا هما اجتمعـا لنفس حـرّةٍ بلغت من العليـاءِ كـلَّ مكـان
ولَـرُبَّمـا طعن الـفتى أقـرانَــهُ بـالرأي قبـل تطاعن الأقـران(١)
لولا العقول لكان أدنى ضيغمٍ أدنى الى شرفٍ من الانسانِ(٢)
قاد الجيادَ الى الطعان ولم يقد الاّ الى العـادات والأوطان(٣)
ان خُلّيت رُبطت بآداب الوغى فـدعـاؤهـا يُغني عن الأرسـانِ
في جحفل ستر العيون غبارُهُ فـكـأنّمـا يبصـرنَ بـالآذانِ(٤)

ومن أنيق شعره قوله يصف شِعب بوّان(٥):

مغـاني الشعب طيباً في المغـاني بمنزلـة الـربيـع من الـزمـان(٦)
ولـكنَّ الـفتى الـعـربيّ فـيـهـا غريب الوجه واليد واللسـانِ(٧)

---

(١) القرن الكفؤفي الحرب اي ربما غلب الانسان اقرانهُ بـرأيه وحسن تـدبيرهِ قبـل ان ينازلهم في حومة الوغى.

(٢) ادنى ضيغم احقر اسد وادنى الى شرف اقرب اليه.

يشير الى كثرة وقـائعة حتى اعتـادتها خيلهُ فـاذا قادهـا الى القتال تنشـطت لهُ كـانما يقـودها الى ما ألفت.

(٤) الـوغي الحرب واراد بـآداب الـوغي مـا دربت عليـه الخيـل تصلح للقتـال والجحفـل الجيش الكثـير. يصف بهذين البيتـين عنـايـة سيف الـدولـة بتـدريب الخيـل عـلى حسن العمـل في القتـال بحيث صـارت اذا تـركت لم تبـرح مكـانها واذا احتيـج اليهـا اكتفى بندائها فانقادت بالصوت انقيـاد سواهـا بالـرسن واذا اثار الجيش غبـاراً يمنعها من النـظر تسّمعتِ الاصـوات وفعلت ما تقتضيـهِ فأصبحت آذانها بـدلاً من اعينهـا . . . واذا كـان هٰذا اهتمام سيف الدولة بالخيل فيما ظنك بالجند.

(٥) الشعب المنفـرج بين جبلين وشعب بـوان موضـع عند شيـراز ببلاد فـارس كثير الشجـر والمياه يعد من جنان الدنيا.

(٦) المغاني جمع مغنى باي منزل يقـول ان منازل شعب بـوان بالنسبـة الى سائـر المنازل بمنـزلة الربيع بالنسبة الى سائر فصول السنة.

(٧) اراد بغريب اليد انهُ لا ملك لهُ فيها.

مـلاعبُ جنّـةٍ لـو سـار فيهـا سـليمـان لســار بتــرجمــانِ[1]
طَبَتْ فــرسـانَنـا والخيـلَ حتى خشيت وان كُرمْنَ من الحرانِ[2]
غـدونـا تنفض الأغصــان فيهـا عـلى اعـرافهـا مثـل الجُمـانِ[3]
فسـرتِ وقد حجبنَ الحـرّ عنّي وجئن من الضياء بما كفاني[4]
وألقى الشـرق منهـا في ثيـابي دنــانيــراً تفــرّ من البَـنَــانِ[5]
لهـا ثمـر تشـير اليـك منـهُ بـأشـربـةٍ وقفن بـلا أوانِ[6]
وأمــوهٌ تصـلُّ بهـا حصـاهـا صليل الحَلْي في ايدي الغواني[7](*)
يقــول بشعب بـوَّانٍ حصـاني أعن هـذا يُسار الى الطعـانِ

---

(١) الجنة يقول ان الشعب يشبه ملاعب اقام بها انـاس كالجنّ ـطيب مواطنهم وغـرابة لغتهم حتى سليمان نفسه لا يفهمهم لو جاءهم بل احتاج الى ترجمان مع علمهِ باللغات.

(٢) طباهُ دعاهُ والضمـير لمغاني الشعب يقـول ان هذه المنـازل استمالت قلوبنـا وقولـوب خيلنا حتى خشيت ان تحرن بنا الخيل فلا تتحول عن هذا المكـان وان كانت كـريمة لا عـادة لها بالحران.

(٣) الاعـراف جمع عـرف وهو شعـر عنق الفرس والجمـان اللؤلؤ. شبه النـدى المتساقط من الاغصان بحب الجمان.

(٤) الضمير في حجبن وجئن للاغصان.

(٥) البنان اطراف الاصابع واحـدها بنـانة. شبـه ما يتخلل الاغصـان من النور بـدنانـير تقع على الثياب ولا تثبت فيها.

(٦) أوانٍ جمع آنية جمع اناء.

(٧) تصلّ تصوت والغـواني جمع غـانية وهي المـرأة الحسناء والحـلي ما يلبس من المصـوغات للزينة.

. . . .

(*) المرجع نفسه ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠.

أبـوكـمُ آدمٌ سـنَّ المـعـاصـي   وعلّمكم مفـارقـة الجِنَـانِ[1](*)

ولهُ أمثال هذه البدائع القصائد الطنَّانة في المدح والرثاء والهجاء والفخر والوصف.

---

(١) يقـول ان حصاني يعجب من بغي البشـر كيف يـدخلون مكـانـاً طيبـاً كهـذا الشعب ثم يفارقونهُ ليذهبوا الى القتال لكنـه يعلل ذلك اقتـداء الناس بـابيهم آدم. حين عصى ربـهُ فأخرج من الجنة فكان فعلهُ المنكر سنة لبنيهِ من بعدهِ.

. . . .

(*) ديوان أبي الطيب شرح ناصيف اليازجي جـ ١ ص ٥٨٩ ـ ٥٩٢

أبو فِرَاس (٩٦٧م ٣٥٧هـ)

هو ابو فراس الحارث بن ابي العلاء الحمدانيّ. وهو ابن عم سيف الدولة صاحب حلب ورفيقهُ في غزواته العديدة ببلاد الروم وكان يميّزه بالاكرام على سائر قومه. وأُسِرَ أبو فراس مرّتين فالمرّة الأُولى لم يتعدَّ به العدوّ قلعة خرشنّة والمرّة الثانيهُ حمِل الى القسطنطينيّة وأقام في الأَسر أَربع سنين ولهُ في الأسر قصائد كثيرة تُعرف بالروميّات تسيل رقَّةً ولطافة يصف بها حالهُ ويردّد فيها حنينهُ الى اهلهِ واخوانه. فمن ذلك قولهُ وقد بلغهُ أن والدتهُ قصدت سيف الدولة تكلّمهُ في المفاداة[1] (*) وتتضرّع إليه فلم يكن عندهُ ما رجت من حسن الايجاب:

يا حسرةً ما اكاد احملها　　آخرها مزعج وأوّلُها
عليلةٌ بالشآمِ مفردةٌ　　بات بأيدي العدى معلّلُها
تمسك أمعاءها على حَرَقٍ　　تطفئها والهموم تُشعلُها
تسأل عنا الركبان جاهدةً　　بأدمعٍ ما تكاد تمهلُها
يا من رأى لي بحصنَ خرشنَةٍ　　أُسدَ الشرى[2] في القيود أَرجلُها
يا أيُّها الركبان هل لكمُ　　في حمل نجوى[3] يخفُّ محملُها

(١) الاستنقاذ.　(٢) الشرى مأسدة يضرب بأسدها المثل.

(٣) النجوى المحادثة سرّاً.

(*) وفيات الاعيان جـ ٤ ص ١٠٢.

يـا أُمَّـتـا هـذه مـنـازِلُـنـا نـتـركـهـا تـارةً ونـنـزلُهـا
يـا سيّداً لا تعـدُّ مكـرُمـةً الاوفي راحـتـيـهِ أكـمـلُهـا
أنت سمـاء ونـحن أنجمـهـا أنـت بـلادٌ ونحـن أجبـللُهـا
بـأيّ عـذرٍ رددتَ والهـةً عليك دون الـورى معـوَّلُهـا[١]
جـاءتك تمتـاح ردّ واحـدهـا تنتظر النـاس كيف تُقفِلُهـا[٢]
تلك العقـود التي عقـدت بنـا كـيف وقـد أُحكمت تحللها[٣]
أرحـامنا منـك لِمْ تقـطعُهـا ولم تـزل دائبـاً تُـوَصِّلُهـا[٤]

وهي طويلة. ومن قولهِ يذكر والدتهُ ايضاً:

لـولا الـعجـوز بمَنْبـجٍ مـا خفت اسباب المنيَّـة
ولكـان لي عمّا سـألتُ من الفـدى نـفسٌ أبيَّـه
لـكـن أردت مُـرادَهـا ولـو آنجذبت الى الـدنيَّه
أمـسـت بمـنْـبِـجَ حـرّةٌ بالحزن من بعديْ حَريَّه
فيهـا التقى والدين مجمـوعـانِ في نفسٍ زكيَّه
لا زال يـطرق مَـنْبِجاً في كـل غـاديـةٍ تحِيَّه[٥]
يـا أُمَّـتـا لا تحـزني وثقي بفضـل الله فـيَّـه
يـا أُمّتـا لا تـيـأسـي لله ألـطاف خـفـيَّـه
أُوصيـك بـالصبـر الجميـل فـانَّـهُ خـير الـوصيَّه

---

(١) الـوالهة التي تحيَّـرت من شدة الـوجد او حـزنت شديـداً حتى كاد يـذهب عقلها والمعـول المعتمد.

(٢) تمتاح تطلب وتقفلها تردها.

(٣) احكمت عقدت عقداً متقناً.

(٤) قطع رحمهُ اي قرابته واسبابها.

(٥) الغادية السحابة تنشأ غدوة ومطرة الغداة.

وفي هذه الأبيات من عواطف البرّ والرقّة والحنان ولطف الشعور ما يسبى[١] الفؤاد ويسترقّ[٢] اللّبّ وإنّهُ لمصداق لما نبّه إليه علماء الأخلاق من أن قلب البطل الصنديد ومِسعرالحرب[٣]العنيد مظنّة لأرقّ العواطف وأعذبها ممّا يتوهّمهُ الإنسان لأوّل وهلة محتكراً[٤] للفتيات الخِفرات[٥] من ربّات الحِجال[٦]. فبينا ترى أخا الحرب في حومة الوغى يُفلّق الهام[٧] وينقف[٨] الرقاب لا يرتوي من سفك الدماء إذا هو يبكي وينحب وقد بلغه حسرة أُمّهِ على فراقه وتلهّفها الى رؤيته أن لمع البرق من جهة بلادِهِ خفق قلبهُ وتأوّل[٩] لهُ معنى خفياً وردّ على أجنحة الريح حنينه الى الوطن وشوقه الى الأهل والخلّان.

وكان ابو فراس فارساً مقداماً عظيم الخَطَر[١٠] حرّ الخصال وشاعراً مُفلقاً فخم المعنى جزل اللفظ صادق اللهجة بعيداً عن التخلّق[١١] جامعاً بين الحسن والجودة والعذوبة والفخامة والسهولة والمتانة وهو مرآة العواطف الشريفة المختلفة[١٢] في صدرهِ من المروءة والعزّة والاريحيّة العربيّة. وكان المتنبّي يشهد لهُ بالتقدّم والتبريز ويتحامى جانبهُ فلا ينبري[١٣] لمباراته ولا يجتريء على مجاراتهِ وانما لم يمدحهُ من آل حمدان تهيُّباً واجلالاً لا إغفالاً وإهمالاً

ولما مات سيف الدولة رغب ابو فراس في الاستقلال بإمارة حمص. فجرت بينهُ وبين ابن سيف الدولة وقائع هلك في احداها

---

(١) يأسر
(٢) يستعبد.
(٣) موقدها
(٤) محتبساً.
(٥) المستحيات أشد الحياء.
(٦) البيوت المزينة للنساء.
(٧) الرؤوس.
(٨) يكسر.
(٩) فسرّ وقدر.
(١٠) الشأن
(١١) التصنع.
(١٢) المتحركة والمضطربة.
(١٣) يبرز.

كُشَاجِم (٣٥٠هـ ٩٦١م)

وهو ابو الفتح محمود بن الحسين الكاتب المعروف بكُشاجم. وهو لقب ركّب من اوائل كلمات كان يوصف بها. فأُخذت الكاف من كاتب والشين من شاعر والألف من أديب والجيم من جميل والميم من مغّنٍ وهو شاعرٌ صافي الديباجة نبيه المعاني حسن التشبيهات مؤنق التصرف في النظم وكان يعدّ ريحانة الأدب في زمانهِ ويضرب المثل بلطائفهِ. وقد أبدع غاية الابداع في تفنّنهِ بالأوصاف. ومن شعرهِ قولهُ يصف وقوع الثلج:

ألثلج يسقط ام لجين يُسبك ام ذا حصى الكافور ظلّ يفرَّكُ[1]
راحت بهِ أرض الفضاء كأَنَّها في كل ناحيةٍ بثغرٍ يضحكُ
شابت مفارقها فبَين ضحكها طوراً وعهدي بالمشيب يُنسِّكُ[2]
أربى على خضر الغصون فأصبحت كالدّر في قضب الزبرجد يُسلكُ[3]
وتردّتِ الاشجار منهُ مُلاءَةً عمّا قليلٍ بالرياح تهتَّكُ[4]

---

(١) اللجين الفضة والكافور نبت طيب زهره كزهر الاقحوان يؤخذ منه طيب كالصمغ ابيض قاسٍ.

(٢) والمفارق امكنة فرق الشعر من الرّس وينسّك يزهدّ.

(٣) أرب زاد والزبرجد حجر كريم يُشبه الزمرد أشهره الاخضر ويُسلك ينظم .

(٤) الملاءة الملحفة وتهتك تخرق.

كانت كعود الهند طُرّي فانكفا في لون ابيضَ وهو اسود أَحلكُ(1)
والجوّ من داجي الهواء كأنهُ خلعٌ تُعنبَر تارة وتمسَّكُ(2)
وانهب من الأوتار حظك انما يتحركُ الاطراب حين تحرُّكُ(3)
فاليوم يوزن بالملاحم إنَّهُ سيُطلّ فيه دم الدنان ويسفَكُ(4)

ومن قولهِ يرثي سكّيناً سُرقت لهُ:

يا قاتل الله كتّاب الدواوين ما(5) يستحلّون من أخذ السكاكين
لقد دهاني لطيفُ منهمُ ختلٌ(6) في ذات حدٍّ كحدّ السيف مسنونِ
فأقفرت بعد عمرانٍ بموقِفِها منها دواةُ فتىً بالكُتب مفتونِ
تبكي على مدية اودى الزمان بها كانت على جائر الاقلام تُغريني(7)
كانت تقوّم أقلامي وتنحتها نحتاً وتسخطها بِرياً فُترضيني
وأُضحك الطرس والقرطاس عن حللٍ تنوب للعين عن نور البساتينِ(8)
فان قَشرتُ بها سوداء من صُحفي عادت كبعض خدود الخرَّد العِينِ(9)
هيفاءُ مرهفةٌ بيضاءُ مذهَبةٌ قال الالهُ لها سبحانهُ كوني(10)

---

(1) عود الهند خشب يتبخر بهِ وطُرِي جعل طرياً وانكفأ عاد وصار.

(2) داجي مظلم والخلع الأثواب تُعطى منحة وتعتبر تُطيَّب بالعتبر.

(3) الإطراب التفريح.

(4) الملاحم المواقع العظيمة القتل في الحرب ويطل يذهب هدراً ودم الدنان الخمر.

(5) ما مصدرية زمانية اي مدة استحلالهم أخذ السكاكين.

(6) خداع.

(7) مدية مبراة اودى اهلك وأضاع وتغريني تحرضني.

(8) الطرس الصحيفة والقرطاس الصحيفة التي يكتب فيها نور البستان زهر اشجاره.

(9) قشرت محوتُ والخرّد جمع خريدة وهي الجارية المظهرة الحياء والعين جمع عيناء وهي الحسنة العين.

(10) هيفاء مرهفة: دقيقة قاطعة.

لكن مِقطيّ أمسي شامتاً جَذِلاً   وكان في ذلّةٍ منها وفي هُونِ[1]
ولست عنها بسالٍ ما حييتُ ولا   بواجدٍ عوضاً منها يُسلّيني

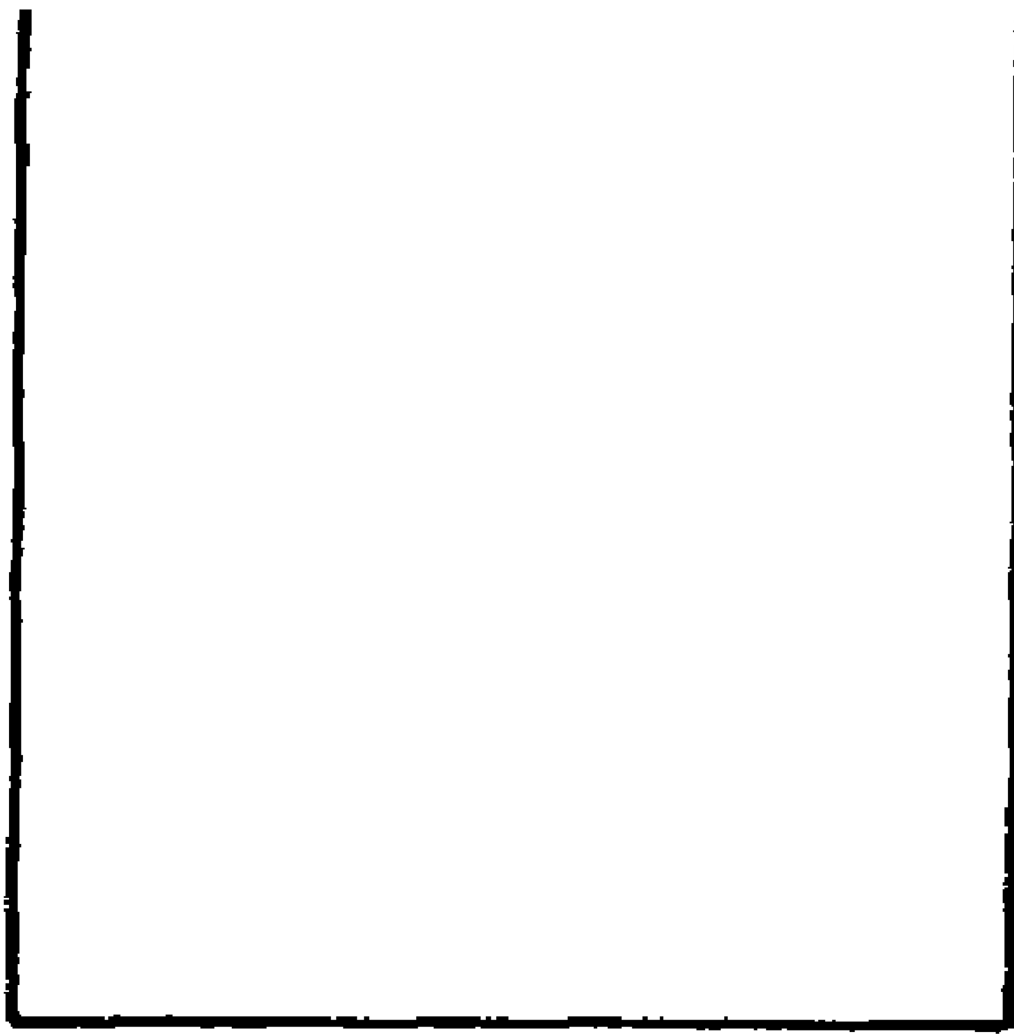
وله في امثال هذه المعاني شيءٌ كثير وخاصة ما يتعلق منها بالزهد كقوله:

ويستزيد في طلاب الغنى   يجمع لحماً ماله طابخُ
ضيع أموالاً بما يرتجي   والنار قد يطفؤها النافخُ(*)

---

(١) المقط ما يقط عليه القلم والهون الخزي

(*) محاضرات الادباء جـ ٢ ص ٥١٩ للراغب الاصفهاني.



أَلصَنَوبَرِيّ

هو ابو بكر احمد بن محمّد الحلبيّ المعروف بالصنوبريّ. كان شاعراً مطبوعاً فياض القريحة عذب الالفاظ رقيق المعاني واكثر شعره في وصف الرياض ولهُ في ذلك كل معّنى رقيق وقصائدهُ تباري النسيم لطفاً والماء انسجاماً والنَّور[1] المتفتّق عن اكمامهِ[2] بهجةً ووشياً[3] فكأن شعرهُ صورة الموصوفات الساحرة التي تصدَّى لتمثيلها بكلامهِ فتكاد العين تراها مجسَّمة لديها منبسطة امامها بأنيق زخرفها ورائع ديباجها حتى ضُرب المثل بروضيَّاته وهو القائل:

لو كنت املك للرياض صيانةً   يوماً لما وطىء اللئام ترابها

ومن شعرهِ يصف ازهار روضةٍ وصفاً يخرج الكائنات الوصوفة من وصفها النباتي الى وصفها الإنساني بقدرة عجيبة على بعث الحياة والحركة في الكائن حتى يصبح أمامناً شخصاً يهجنا بحركاته، ويتلاعب بعواطفنا بين فرح وحزن، وانكماش واسترخاء، كل ذلك بأسلوب قصصي رائع، إنها مبارات في عالم الجمال، عالم الطبيعة، كل زهرة تريد ان تكون ملكة الازهار في جمالها، ولكنها عندما ترى جمال غيرها تخجل من نفسها وتنطوي على ذاتها، أي صورة أروع واجمل من هذه الصورة الخيالية التي أتى بها الصنوبري، الورد والبهار

(١) الزهر.   (٢) جمعكمّ وهو غلاف الزهوة.
(٣) نقش.

وشقائق النعمان والبنفسج والياسمين منها لبت نداء الخيري لتخوض معركة لا هوادة فيها ضد النرجس، ولكن هذه المعركة من نوع آخر إنها معركة التنافس في عالم الجمال والفتنة في عالم الطبيعة الخلابة، ومن أين للنرجس الضعيف أن يصمد أمام هذه القوى المعادية فلا بد اذن من اجراء صلح بينه وبين أخصامه، وأي مجلس هو افضل من مجلس تغني فيه الأوتار والأطيار.

خجل الورد حين لاحظه النر ... جس من حسنهِ وغار البهارُ
فعلت ذاك حمرةٌ وعلت ذا ... صفرةٌ واعترى البهارَ آصفرارُ
وغدا الأقحوان يضحك عُجباً ... عن ثنايا لثامهن نضارُ[1]
ثم نمَّ النمَّام واستمع السو ... سن لمّا أُذيعتِ الأسرارُ[2]
عندها ابرز الشقيق خدوداً ... صار فيها من لطمةٍ آثارُ
سُكبت فوقها دموع من الطـ ... ـلّ كما تُسكب الدموع الغزارُ[3]
فاكتسى البنفسج الغضّ أثوا ... ب حدادٍ دخانها الاصطبارُ
وأَضرّ السقام بالياسمين الغـ ... ـضّ حتى آذى بهِ الاضرارُ
ثم نادى الخِيريّ في سائر الزهـ ... ـرِ فوافاه جحفل جرّارُ[4]
فاستجاشوا على محاربة النر ... جس بالجحفل الذي لا يُبَارُ[5]

---

(١) الأقحوان نبات لهُ زهر أبيض واوراق زهره مفلجة صغيرة يشبهّون بها الاسنان والثنايا مقدم الاسنان واللثام ما على الانف وما حوله من ثوب او نقاب والنضار الذهب.

(٢) النمام نبت لهُ بزر كالريحان عطري قويّ الرائحة والسوسن نبات من الرياحين يعرف بالزنبق.

(٣) الطلّ الندى.

(٤) الخيري المنثور الأصفر والجحفل العسكر والجرار الكثير.

(٥) استجاشوا تجمعوا ويُبار يهلك.

. . . .

(*) انظر ترجمة حياته في فوات الوفيات جـ١ ص ١١١ والوافي الوفيات للصفدي جـ ٧ ص ٣٧٩.

أتــوا في جــواشنَ ســابغــاتٍ تحت سجف من العجاج يُثارُ[1]
ثم لما رأيت ذا النرجس الغضّ ضعيفا ما إن لـديـهِ آنتصـارُ
لم ازل اعـمــل التـلطّف للوَرْ دِحــذاراً ان يـغلبَ الـنــوّارُ[2]
وجمعنــاهــم لــدى مجلسٍ فـيـ ـهِ تـغنّي الأ وتـار والاطـيــارُ

وله في وصف حلب قصيدة رقية الحواشي تسيل عذوبة وظرفاً مطلعها:

إحـبِسَــا الـعِـيسَ آحـبِـســاهــا وســلا الـــدارَ ســلاهــا

وهي طويلة جدًّا لم يدع من محاسن حلب شيئاً الا ذكره وتأنّق في وصفه ما شاءَ فذوقهُ السليم وانجدتهُ[4] قريحته الحافلة

---

(١) جواشن دروع وسابغات واسعات والسجف الستر والعجاج الغبار.

(٢) النوار الزهر.

(٣) العيس النياق وسلا مخفف إسألا .

(٤) ساعدته وامدّته

أَلْبُسْتيّ (١٠٠٩م ٤٠٠هـ)

هو ابو الفتح علي بن محمد البستي. شاعر انيق النظم متفنن في وشي الكلام شريف المعاني حكمي المذهب ولهُ في بعض شعره جناس حسن. فمن ذلك قوله مادحاً:

ان هـزّ اقلامـهُ يومـاً لُيعملهـا   أنساك كلَّ كميٍّ هـزّ عامِلَهُ[١]
وان أَفـرَّ عـلى رَقٍّ انـامِـلَهُ   أقـرَّ بـالـرِق كتابُ الانامِ لَهُ[٢]

ومن قولهِ:

اذا تحـدثت في قـوم لتؤنِسَهم   بما تحدّثُ من ماضٍ ومن آتِ
فـلا تُعِـدْ لحـديث انّ طبعَهُمُ   مـوكَـلٌ بمـعـاداة الُمـعـاداتِ

ومن قولهِ في مخالفة الظاهر للباطن:

وقـد يلبَسُ المرءُ خزَّ الثيـابِ   ومن دونها حـالـة مضـنِيَـهْ[٣]
كـمن يـكـتـسي خـدُّهُ حمـرةً   وعـلّتهـا ورمُ في الـرِيَـهْ[٤]

---

(١) إلكمّي اللابس السلاح والعامل صدر الرمح.

(٢) الـرق بالفتـح جلد رقيق يكتب فيهِ والـرق بالكسـر العبوديـة والأنـامـل الاصابـع والانام الناس.

(٣) الخز الحرير ومضنية متلفة.

(٤) الرية تخفيف الرئة لاهم أعضاء التنفس في الحيوان.

ولهُ قصيدة نونية شهيرة أَودعها الحكم الرائعة بالعبارة الناصعة[1] وهي طويلة منها:

زيادةُ المرءِ في دنياهُ نقصانُ وربحُهُ غيرَ محض[2] الخير خسرانُ
وكلُّ وجدان حظٍ لا ثبات لهُ فان معناه في التدقيق فقدانُ
أَحسنْ الى الناس تستعبدْ قلوبَهُمُ فطالما استعبدَ الانسانَ احسانُ
يا خادم الجسم كم تسعى لخدمتهِ أتطلب الربح فيما فيهِ خسرانُ
أَقبلْ على النفس واستكمل فضائلَها فانت بالنفسِ لا بالجسم إنسانُ

وكلها اقوال سديدة[3] تدلّ على حصافة[4] ناظمها. ولهُ حكم منثورة بديعة منها: «من أصلح فاسدهُ أَرغم حاسدهُ. عادات السادات سادات العادات. المنيّة تضحك من الأُمنيّة. حدّ العفاف الرضى بالكفاف»

(١) البهية. (٢) خالص.
(٣) صائبة. (٤) جودة راي.

أَلّسْعدِيّ (١٠١٤م ٤٠٥هـ)

هو ابو نصر عبد العزيز المعروف بابن نُباتة السعدي من فحول الشعراء دقيق النظم محكم السبك ولهُ الشعر السهل المأخذ البعيد المرام. طاف البلاد ومدح الملوك والوزراء والرؤساء ولهُ في سيف الدولة غُرر القصائد ونخب المدائح. ومن شعره ما كتبهُ الى سيف الدولة وكان قد أهداهُ فرسا ادهم اغر محجّلاً[١]:

يا ايها الملك الذي أَخلاقهُ   من خَلقهِ ورُواؤهُ من رائهِ[٢]
قد جاءَنا الطِرْفُ الذي اهديتهُ   هادية يعقد ارضهُ بسمائهِ[٣]
نختال منهُ على اغرَّ محجَّلٍ   ماءُ الدياجي قطرة من مائهِ[٤]

(١) الادهم من الخيل الاسود والاغر الذي في جبهته بياض والمحجل الذي في قوائمهِ بياض.

(٢) الاخلاق جمع خلق بالضم وهو الطبع والرواء حسن المنظر والراء مقلوب الراي. يصف ممدوحهُ بالكمال فاخلاقهمتممة لخلقهِ الجميل كاهم قسم منهُ كما ان حسن منظرهِ مستمدّ من اصالة رايهِ.

(٣) الطرف الحصان الكريم ويعقد ارضهُ بسمائه كناية عن سرعة جريهِ وهاديهِ قائدهُ.

(٤) نختال نتبختر والدياجي الظلمات.

فكأنما لـطم الصباح جبينُـهُ فاقتصَّ منهُ فخاض في احشائهِ [1]
متمهّـلاً والبـرقُ من اسمـائـهِ متبـرقعـاً والبـدر من اكفـائـه[2]
ما كانت النيران يكمن[3] حرُّها لـو كان للنيـران بعضُ ذكائـهِ
لا تعلق الالحـاظ في أعـطافـهِ الا اذا كفكفتَ من غُلَوائـهِ[4]
لا يكمل الطِرفُ المحاسنَ كلّها حتى يكون الطَرفُ من أُسرائهِ[5]

ومن حِكَمهِ:
هل ينفع الفتيانَ حسنُ وجوههم ان كانت الاخلاق غير حِسانِ
لا تجعل الحسنَ الدليل على الفتى ما كلُّ مصقولِ الحديد يماني[6]

وحكى ابن نباتة عن نفسهِ قال كنت يوماً قائلاً[7] في دهليزي فدُقّ عليّ الباب ودخل رجل من اهل المشرق فقال: انت القائل:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيرهِ تعددت الاسبابُ والموتُ واحدُ

فقلت «نعم» ولما كان آخر النهار جاء رجل من أهـل المغرب وسأل السؤال نفسهُ فعجبت كيف وصل هذا البيت الى المشرق والمغرب

---

(١) قولهُ فكانما الخ اشارة الى غرته واقتص منه عاقبة وفاعل اقتص عائد الى الصباح.

(٢) متبرقعاً متستراً اشارة الى دهمتهِ والأكفاء المماثلون والواحد كفؤ

(٣) يختبيء.

(٤) الاعطاف الجوانب واحدها عطف بالكسر وكفكف كف ومنع والغلواء الحدة.

(٥) جمع اسير.

(٦) اليماني السيف المطبوع من حديد اليمن.

(٧) نائماً القيلولة وهي النوم في منتصف النهار.

أَلتِّهَامِيّ (١٠٢٥م ٤١٦هـ)

هو ابو الحسن علي بن محمد التهامي. كان شاعراً مبرّزاً حسن الاستنباط رقيق المعاني منسجم القول عذب الالفاظ. ومن لطيف شعرهِ قصيدة رثى بها ولداً لهُ مات صغيراً قال: (*)

حكم المنيّة في البريّة جاري ... ما هذه الدنيا بدار قرارِ[١]
بينا يُرى الانسانُ فيها مخبراً ... حتى يُرى خبراً من الاخبارِ
طُبعت على كدرٍ وانت تريدها ... صفواً من الاكدار والاقذارِ[٢]
ومكلِّفُ الايام ضدَّ طباعها ... متطلّبٌ في الماء جُذوة نارِ[٣]
واذا رجوتَ المستحيل فانما ... تبني الرجاءَ على شفير هاري[٤]
فالعيش نومٌ والمنيّة يقظةٌ ... والمرءُ بينهما خيالٌ ساري
يا كوكباً ما كان اقصر عمرهُ ... وكذا تكون كواكب الاسحارِ
أبكيهِ ثم اقول معتذراً لهُ ... وُفّقت حين تركت ألأَم دارِ[٥]

(١) المنية الموت والبرية الخلق.
(٢) الكدر نقيض الصفاء والاقذار الاوساخ. (٣) جمرة نار.
(٤) شفير الوادي حرفهُ وحافته والهاري المتهدم المتساقط.
(٥) الام من تفضيل اللؤم.

(*) انظر الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابن بسام جـ ٤ ص ٥٣٧

جـاورتُ اعـدائي وجـاور ربَّـهُ هيهات بين جِوارهِ وجواري(*)

وزعموا ان خطاياهُ غُفرت لهُ في هذا البيت الاخير كما زعموا انهُ غُفر لابي نواس ـ وما ادراك من ابو نواس ـ لقولهِ:

مـالي اليـك وسيلةٌ الا الـرجـا وجميــلُ عفــوك ثم اني مسلمُ

وللفرزدق بمدحهِ زين العابدين. وقد مرّ بك من اخلاق الفرزدق ما فيهِ الكفاية . . . وهذه وايم الحق مزية غريبة لشعرائنا على سائر خلق الله بل دالّة[1] عجيبة لهم على المراحم الالهية ان ينالوا سماءً تُخطف خطفاً ويدخلوا جنّة حُفّت[2] بالمكاره في بيت من الشعر

وورد التهامي مصر مستخفياً بكتب من حسان بن مفرّح الطائي الى بني قرّة وكانوا قد خرجوا على الفاطميين فظُفر بهِ وانكشف حالهُ فاعتقلوهُ في خزانة البنود[3] وهي سجن بالقاهرة ثم قتلوهُ هناك سراً.

---

(١) جراة الصغير على الكبير كجراة الولد على ابويه.

(٢) احيطت

(٣) اعتقلوهُ سجنوهُ والبنود جمع بند بالفتح وهو الراية والعلم.

. . . .

(*) المصدر نفسه ص ٥٤٤ ـ ٥٤٥.

أَلمَعَرِّي (١٠٥٧م ٤٤٩هـ)

هو ابو العلاء احمد بن عبد الله التَنوخي المعريّ. وُلد بمعرّة النعمان وبها نشأ وتهذب ومنها انبعثت انوار علمهِ الى الآفاق فتقاطر اليه طلّاب العلم والحكمة من كل فجٍّ وصوب[1]. ولم يغادرها[2] سوى مرتين الى بغداد ولم يطمئنّ لهُ مقام فعاد الى مسقط رأسهِ ولزم منزلهُ الى وفاتهِ. ومن قوله:

متى سألت بغدادُ عني واهلها ... فاني عن اهل العواصم سآل[3]
اذا جَنّ ليلي جُنَّ لُبي ِ وزائدٌ ... خفوق فؤادي كلّما خفق الآلُ[4]
وماءُ بلادي كان انجع مشرباً ... ولو أنّ ماءَ الكرخ صهباءُ جريالُ[5]
فيا وطني ان فاتني بك سابقٌ ... من الدهر فلينعمْ لساكنك البالُ
فان استطعْ في الحَشرِ[6] آتك زائراً ... وهيهات لي يوم القيامة أشغالُ

وقال:

فيا برق ليس الكرخ داري وانما ... رماني اليها الدهرُ منذ ليالى
فهل فيك من ماءِ المعرّةِ قطرةٌ ... تُغيثُ بها ظمآن ليس بسال[7]

---

(١) ناحية. (٢) يفارقها.

(٣) العواصم بلاد قصبتها انطاكية ومنها معرة النعمان وسآل كثير السؤال.

(٤) جن الليل اظلم واللب القلب والآل ما يتلالا عند الظهيرة كأنهُ ماء وليس بماء.

(٥) انجع انفع والصهباء الخمرة وجريال احمر اللون الكرخ محلة ببغداد.

(٦) القيامة. (٧) تغيث تعين والظمآن العطشان.

ولا بدع في حنين ابي العلاء الى المعرة فان ذا النفس الحرة عبد لوطنه

ولما بلغ ابو العلاء الرابعة من عمره أُصيب بالجدريّ فذهبت لهُ عيـن ثم غشي اليمنى بياضٌ فكُفّ بصره. وكان يسمي نفسهُ «رهين المحبسين» اشارة الى عماهُ ولزومهِ لمنزلهِ. الا ان ما رُزق من استنارة البصيرة(١) وتوقد الفؤاد وعجيب الذكاءِ ونادر الحافظة مهّد له اقتباس العلوم مع انطفاء نور عينيه. فقرأ النحو واللغة على ابيهِ ثم الزمهُ ابوهُ اقطاب العلم فنبغ(٢) الفتى في انواع المعارف والآداب وخرج منقطع النظير يقرّ بعلوّ منزلتهِ الكبير والصغير ولا ينازع(٣) في رئاستهِ منازع . ونظم الشعر فبرع فيهِ وجمع شعرهُ بنفسهِ في ديوانين يعرف احدهما «بسقط الزَند(٤)» وضع لهُ شرحاً سّماهُ «ضوء السقط» وقد نسج في شعرهِ على منوال المتنبي فأَحسن وأَبدع . والديوان الاخر يعرف «بلزوم ما لا يلزم» اطلق فيهِ العنان لفكره الحادّ ونظره النقاد فخاض عُباب(٥) الفلسفة الدينية واعمل رويتهُ في اختلاف الاديان وتناقص المذاهب فحار لبّهُ في تتّبع تلك الآراء المتشعبة(٦) ثم وجّهُ نظراتهِ الصادقة الى زعماءِ تلك المذاهب فرآهم على غيـر ما يرتأون ويعلّمون فحـمل عليهـم حمـلات قويـة. وكانت اقوالهُ في كل حين صدى ما يضطرب في فؤاده من العواطف المتباينة(٧) ويتوارد على نفسه من الانفعالات المتناقضةِ فبدرت منهُ اقوال ينكرها العقل السليم ولا تثبت على محلّ(٨) الناقد البصير. فاتخذها اعداؤهُ سلاحاً عليهِ

---

(١) العقل والفطنة.

(٢) برع وفاق. (٣) يخاصم.

(٤) ما تقتدح النار من عود او قطعة فولاذ والسقط بالتثليث الشرر.

(٥) معظم الماء. (٦) المتفرقة

(٧) ما يحك بهِ المعدن ليعرف خالصهُ من زائفهِ.

(٨) المختلفة.

ورموهُ بالزندقة والكفر. ولما كان يتردد في بغداد على ابي احمد عبد السلام بن الحسن البصري في جماعة من علماء البحث ومحيّ الفلسفة كفّرهُ[1] جمهور المتعصبين واتهموهُ في صحة اعتقادهِ

ومكث نحو خمس واربعين سنة لا يأكل اللحم لا نكارهِ تعذيب الحيوان بالذبح. وهو في ذلك على رأي جماعة من المتقدمين. وفي ايامنا عصابة[2] غير قليلة على هذا المذهب لا يأكلون غير البقول ويعرفون بالنباتيين. فكأن سيرتهُ غير المألوفة وحرّ مقالهِ في انكار ما يراهُ منافياً للحق مهما كان المخطيء عظيماً مؤمَّراً [3] اثارا عليه خواطر العامة وجمهور المتملقين فتناولوهُ بكلِ لسانٍ ونعوا عليهِ[4] كل سيّئة يمكن ان تستنبط من عديد اقوالهِ. وهاك مثالاً يوقفك على طرف من تلك الآراء. فمن ذلك قولهُ متعجباً من تعدد الأديان(*):

عجبتُ لكسرى واشياعهِ — وغسلِ الوجوهِ ببول البقَرْ
وقولِ النصارى إلهٌ يضامُ — ويُظلَمُ حيًّا ولا ينتصر
وقولِ اليهود إلهٌ يحبّ[5] — رِشاش الدماءِ وريح القُتَرْ[6]
وقومٍ اتوا من اقاصي البلادِ — لرميِ الجمارِ ولثمِ الحَجَرْ[7]
فواعجباً من مقالاتهم — أيعمى عن الحقّ كلُّ البشرْ

إي نعم كلّ البشر عميان ما عدا ابا العلاء... وفي ترددهِ بين صحة الاديان يقول:

---

(١) نسبهُ الى الكفر.
(٢) جماعة.
(٣) ذا امارة.
(٤) اظهروا معايبهُ.
(٥) يؤذي.
(٦) القتر ما يتصاعد من العظم المحروق.
(٧) الجمار الحصى واحدها جمرة بالفتح والحجر هو الحجر الاسود الذي في احد اركان الكعبة.

....

(*) ترجمة حياته في وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٣٥ - ٢٤١.

في القـدس قامت ضجَّة ما بـين أحمـدَ والمسيـحْ
هـذا بنـاقـوسٍ يـدقُّ وذا بمـأذنـةٍ يصيـحْ
كـلٌّ يـؤيِّـدُ ديـنـه ياليتَ شعري ما الصحيحْ

الا ان شكوكهُ لم تكن لتدوم فشمل الكلّ بقولهِ:

أمـورٌ تـستـخـفُّ بهـا حـلـومُ ولا يـدري الفتى لمن الثبورُ[1]
كتـابُ محمّدٍ وكتـاب موسى وانجيـلُ آبن مريمَ والزَبـورُ[2]

وزاد على ذلك قوله:

اذا رجـع الحصيف الى حجاهُ تهـاونَ بـالمـذاهب وازدراهـا[3]
فـخـذ منـهُ بمـا اداهُ لـبٌّ ولا يغمسْكَ جهلٌ في صراها[4]
وهت اديـانهم من كـل وجـهٍ فهـل عقلٌ تُشـدُّ بهِ عُـراها[5]

فكأن صاحب هذا القول عقليٌّ[6] ينكر الوحي غير انهُ في موضع آخر ينكر ان يكون العاقل متديّناً بقولهِ:

هفت[7] الحنيفة والنصارى ما اهتدت والهودُ حارت والمجـوس مضلّلهْ
اثنان اهلُ الارضِ ذو عقلٍ بلا دين وآخـرَ ديِّنٌ لا عقـل لَـهْ

وفي هذا القول من الكذب والافتراء على ارباب العقول والدين ما فيه.
ومن أمثلة اقواله المتناقضة في الحياة الاخروية قولهُ منكراً للبعث:

---

(١) الهلاك.

(٢) الزبور الكتاب مطلقاً ثم خص بكتاب المزامير.

(٣) الحصيف ذو الحصافة اي اصالة الراي والحجى العقل وازدرى احتقر.

(٤) اللب العقل والصرى الماء طال مكثهُ ففسد.

(٥) وهي ضعف والعرى جمع عروة وهي ما يتمسك به من حلقة ونحوها.

(٦) من لا يؤمن الا بما يفهمهُ العقل.

(٧) هفا زلّ.

أأتـرك شربهـا صهباءَ صِـرفـاً[1] لِـا وعـدوهُ من عسـلٍ وخمـرِ
حيـاة ثم مـوت ثـم حشـرٌ حـديث خـرافـة يـا امَّ عمـرِو

وقوله وهو اوضح:

ضحكنا وكان الضحكُ منا سفاهةً وحَقٌّ لسكان البسيطة ان يبكوا
تحـطّمنـا الايـام حتى كـاننـا زجاجٌ ولكن لا يعادُ لنا سَبكُ

والناطق بهذه الاقوال الكفرية هو نفسهُ القائل:

فيـا ليـتني هـامـدٌ لا أَقـومُ اذا نهضـوا ينفضـون اللِمَمْ[2]
ونـادى المنـادى عـلى غـفـلةٍ فـلم يـبـقَ في أُذُنٍ صَـمَـمْ[3]
وجـاءَت صحـائف قـد ضُمّنت كـبـائـرُ آثـامـهـم والـلَمَـمْ[4]

وشتان ما بين القولين . . . وكم لهُ من امثال هذه المناقضات بحيث لم يدع قولاً من اقوالهِ الزائغة[5] الانفضه بضدهِ حتى أَصبح الحكم عليهِ من أَدق الامور وأَشقها فماذا كان ابو العلاء من حيث الدين. هل كان مسلماً ام نصرانيًا ام يهودياً ام مجـوسيّاً. كان كلّ ذلك ولم يكن شيئاً من ذلك. أما النصرانية واليهودية والمجوسية فلا حاجة الى نفيهن عنهُ. وان كان قد مدحهنّ في مواضع فقد نبذهنّ في كثير غيرها. وأمّا الإسلام فلم يكن بأوفر حظاً عندهُ من سائر الأديان. فكم من مرة صوب إليه سهام الإنكار والإستخفاف والهزء لا يرى في مناسكه ومذاهبه الا دواعي تعجب وسخرية وهدفاً[6] للواذع لسانه:

---

(١) الصرف الخالص.
(٢) جمع لمة وهي الشعر شحمة الاذن.
(٣) طرش.
(٤) صغار الذنوب.
(٥) الحائدة عن الصواب.
(٦) الهدف شيء ينصب على مسافة ويرمى بالسهام ونحوها.

اجاز الشافعي فعالَ شيء   وقال ابو حنيفة لا يجوزُ

فكأنهُ لم يرَ في اختلاف مذاهب العبادة سوى اسباب لاحتقار الآخذين بها. وهكذا أرضى الكلّ فمدحهم مرة وهجاهم اخرى ثم شملهم جميعاً وتبرّأ منهم كما انهم هم يتبـرّأون منهُ.

واما حقيقة امرهِ فنظنّ ان الرجل كان أعقل من ان ينكر الله سبحانهُ وتعالى لكنه كان مبلوًّا بداء الشكّ الذي لم يزل آفة[1] ذوي العقول السامية الذين لا يخضعون لاحكام دين يستند الى اسفار منزلة وهي زلةٌ لا يعذر عليها عاقل فكيف من كان معجزة العقل في زمانهِ. وأما ما في شعرهِ من الاقوال المنكرة فإما أن تكون منحولة[2] لهُ وهو راي جماعة من علماء النقد وإما ان تكون بدرت[3] منهُ وهو تحت قبضة الاوهام والاضطرابات العقلية حتى اذا افصمت[4] عنهُ نوبة السويداء عاد الى مذهب سديد وراي فنقضها بما يقابلها مقابلة التضادّ. ولا ريب ان الرجل كان سوداويّ المزاج حوشيًّا متبرماً[5] بالناس. ومن آرائهِ ان ايجاد الولد واخراجه الى العالم جنايةٌ[6] عليهِ لانهُ يتعرض للحوادث والآفات ... وهو راي فائل[7] وفي غاية الغرابة يردده كثيراً في لزومهِ. مع انهُ لم يكن ناقماً على ابويهِ ولهُ في رثائهما شعر يدلّ على فرط حنانهِ وبرّهِ بهما. وكانهُ اشفق[8] ان يُرتاب من رايهِ هذا فأمر ان يكتب على قبرهِ:

---

(١) عاهة وبلية.
(٢) نحلهُ الشعر نسبه اليهِ زوراً.
(٣) سبقت
(٤) انفرجت.
(٥) متضجراً
(٦)
(٧) فاسد.
(٨) خاف.

هــذا جنــاهُ ابي عــليَّ وما جنيتُ عـلى احـد

ولأبي العلاء رسائل ومؤلفات منها «اللامع» في شرح شعر المتنبي واختصر ديوان ابي تمام وسماهُ «ذكرى حبيب» وديوان البحتري وسماهُ «عبَث[1] الوليد» وديوان المتنبي وسماهُ «معجز أحمد» وغير ذلك. ونختم هذا الكلام على فيلسوف زمانهِ بأبيات استهلّ[2] بها مرثية احد الفقهاء وهي آية من الآيات العربية في الحكمة والزهد:

غيرِ مُجدٍ في ملّتي واعتقادي نَوحُ باكٍ ولا ترنُّمُ شادي[3]
وشبيهٌ صوتُ النَعِيِّ اذا قِيـ ـس بصوت البشير في كلّ نادي[4]
أَبكَتْ تلكمُ الحمامةُ ام غنّـ ـت على فرع غصنها الميّاد[5]
صاحِ هذه قبورُنا تملأُ الرحـ ـبِ فأَين القبورُ من عهد عادِ[6]
خففِّ الوَطْءِ ما اظنُّ أَديمَ الأ رضِ الاّ من هذه الاجسادِ[7]
وقبيحٌ بنا وان قَدُمَ العَهْـ ـدُ هَوانُ الآباءِ والاجدادِ
سِرْ إنِ آسطعتَ في الهواء رويداً لا أختيالاً على رُفات العبادِ[8]
رُبَّ لحَدٍ[9] قد صار لحداً مراراً ضاحكاً من تزاحم الأضداد
ودفينٍ على بقايا دفين في طويل الازمانِ والآبادِ[10]
فاسألِ الفرقدينِ عمّن أَحسّا من قبيلٍ وآنسا من بلادِ[11]

---

(١) لعب. (٢) افتتح.
(٣) مجدٍ مفيد والملة المذهب والترنم التطريب والشادي المغنى.
(٤) النعيّ الناعي وهو ضد البشير والنادي المحفل.
(٥) فرع الغصن اعلاهُ والمياد الميال.
(٦) الرحب الواسع وعاد اسم قبيلة من العرب البائدة يضرب بها المثل في القدم.
(٧) اديم الارض وجهها.
(٨) اختيالا كبراً وعجباً والرفات ما بقي من الميت بعد فسادهِ.
(٩) قبر. (١٠) الدهور
(١١) الفرقدان نجمان الى جهة القطب واحس ادرك والقبيل القبيلة وآنس ابصر.

كم اقاما على زوال نهارٍ وانارا لمدلجٍ في سوادِ [1]
تعبٌ كلُّها الحياة فما أعـ جبُ الاّ من راغبٍ في آزديادِ
إنَّ حزناً في ساعة الموت أضعا فُ سرورٍ في ساعة الميلادِ
خُلِقَ الناسُ للبقاء فضلَّت أمّةٌ يحسبونهم للنفادِ [2]
انما يُنقلون من دار اعما لٍ الى دارِ شِقْوةٍ أورشادِ [3]
ضجعة الموتِ رقدةٌ يستريحُ ال جسمُ فيها والعيش مثلُ السُهادِ

وأبو العلاء كلّهُ في هذه الأبيات التي نحسبها مرآة تجلّت [4] فيها نفسه الكبيرة وانعكست عليها عواطفه الحقيقية مجرّدة من سفسطات [5] الفلاسفة ودعاويهم. ولمّا توفّي وقف على قبره نحوٌ من مئة وثمانين شاعراً وقريء عند دفنه سبعون مرثية ومن جملة الراثين فقهاء ومحدّثون وصوفيون.

---

(١) المدلج السائر ليلاً
(٢) للفناء.
(٣) شرود النوم.
(٤) ظهرت.
(٥) مغالطات وهي قياس باطل بهِ تمويه الحقائق.

الشّريف الرّضيّ (١٠١٥م ٤٠٦هـ)

هو ابو الحسن محمَّد بن الحسن المعروف بالموسويّ نسبةً الى جدّةِ ويرتقي نسبه الى عليّ بن أبي طالب. والى شرف محتده يشير بقولِهِ من قصيدة كتبها الى القادر بالله:

عطفاً أمير المؤمنين فاننا   في دوحة[1] العلياء لا نتفرّقُ
ما بيننا يوم الفخار تفاوتٌ   أبدا كلانا في المعالي معرقُ[2]
الاّ الخلافة ميزتك فانني   أنا عاطلٌ منها وأنت مطوَّقُ[3]

وهو من مفلقي الشعراء ولهُ القِدح المعلّى في النظم البديع الأنيق وشعره رائع الأسلوب صافي الديباجة جامع بين السلاسة والمتانة و السهولة والرصانة فهو السهل الممتنع القريب جناهُ البعيد مداهُ. ومن مشهور شعرِهِ وشريف نظمه قصيدة رثى بها أبا إسحاق الصابيء وهي طويلة كلها غُررٌ منها:

---

(١) شجرة عظيمة.
(٢) معرق عريق متأصلٌ.
(٣) العاطل الخالي والمطوّق والمزين بالطوق

أعلمتَ من حملوا على الاعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادي(1)
جبلٌ هوى لو خرَّ في البحر اغتدى من وقعـه متتابـع الازبَـادِ(2)
ما كنت أعلم قبل دفنك في الثرى أن الثرى يعلو على الاطوادِ(3)
بعـداً ليومـك في الزمـان فانَّـهُ أقذى العيون وفتَّ في الاعضادِ(4)
كيف أمحّي ذاك الجناب وعُطلت تلك الفجاجُ وضلّ ذاك الهادي(5)
هـذا أبو اسحـاق يَغلقُ رهنـهُ هل ذائِدٌ أو مانعٌ أو فادي(6)
لو كنت تُفدي لافتدتك فوارسٌ مطروا بعارض كل يوم طرادِ(7)
أعزِزْ عليّ بأن أراك وقد خلت من جـانبيك مجـالس العـوَّادِ(8)
أعـزِزْ عـليّ بـأن أراك بمنـزلٍ متشـابـه الامجـاد والأوغـادِ(9)
قد كنت أهوى ان أشاطرك الرَّدى لـكـن أراد الله غـير مـرادي
ولقد كبا طرف الرقاد بناظري منذ افتقدت فلا لعا لرقادي(10)
ثكلتـك أرضٌ لم تلد لك ثانياً أنّى ومثـلك مُـعْـوز الميـلادِ

---

(1) الاعواد الاخشاب وخبا انطفأ والنادي المحفل.

(2) خرّ سقط ومتتابع متصل والازياد إخراج الزبد اي الرغوة.

(3) الثرى التراب واطواد وهو الجبل العظيم شبه المرثى بهِ لعلومهِ.

(4) أقذى القذى وفت في العضد أضعفه وكسر قوّته.

(5) الجناب الفناء والناحية والفجاج جمع فجٍ وهو الطريق الواسع

(6) غلق رهنهُ صار ملك المرهون عنده والذائد المدافع والفادي المنجّي.

(7) العارض السحاب يعترض في السماء والطراد النزال والقتال. ويقال لو فديت لا فتدتك فوارس لم تحدث وقيعة الا شهدوها.

(8) إعزز على صيغة تعجب اي ما اعزّ عليّ والعوّاد جمع عائد وهو زائر المريض.

(9) الكرام واللئام مفردهما مجيد ووغد.

(10) كبا سقط والطرف الحصان الاصيل ولعاً كلمة تقال للساقط معناها انعشك الله.

من للبلاغة والفصاحة ان همى ... ذاكَ الغمام وعبَّ ذاك الوادي[1]
من للملوك يحزّ في أعناقها ... بظبىً من القول البليغ جداد[2]
من للممالك لا يزال يلمّها ... بسِداد ثغرٍ ضائعٍ وسَدادِ[3]
يا ليت أني ما أقتنيتك صاحبا ... كم قنية جلبت أسى لفؤاد[4]
لا تطلبي يا نفس خلّاً بعدهُ ... فلمثلهُ أعيا على المعتادِ[5]
ان لا تكن من أسرتي وعشيرتي ... فلأنت أعقلهم يداً بودادي[6]
لك في الحشا قبرٌ وان لم تأوهِ ... ومن الدموع روائحٌ وغوادي[7]
ما مات من جعل الزمان لسانهُ ... يتلو مناقب عوّدٍ وبوادي[8]
فاذهب كما ذهب الربيع واثره ... باقٍ بكل مهابطٍ ونجادِ[9]

---

(١) ثكلتك فقدتك وانى اسم استفهام بمعنى كيف وهمى جرى بكثرة والغمام السحاب وعبّ الوادي امتلأ.

(٢) يحزّ يقطع وظبي جمع وهي حدّ السيف وحداد حديد اي قاطع.

(٣) يلمها يجعلها والثغر المحل يخشى هجوم العدو منه وسداد الثغر اصلاحهُ والسداد صواب الراي والاستقامة.

(٤) اقتنيتك اتخذتك والقنية الشيء المقتنى والاسى الحزن.

(٥) الخل بمعنى الخليل واعيا اعجز.

(٦) الاسرة اهل الرجل والعشيرة القبيلة واعلقهم يداً اشدهم استمساكاً.

(٧) اوّى المنزل سكنهُ والروائح مطرات المساء والغوادي مطرات الصباح.

(٨) المناقب المحامد وعوّد جمع عائدة وبوادي مخفف بوادىء جمع بادئة اي ان لسان الزمان يتلو مناقبك عوداً على بدء لا يكاد يفرغ من التحدث بها حتى يعود اليها.

(٩) المهابط جمع مهبط وهو ما انخفض من الارض والنجاد جمع نجد وهو ما ارتفع من الارض.

وشعر الشريف الرض كثيرٌ وكلُّهُ من هذا النسج الدقيق والوشي الأنيق. ويُروى أن بعض المتطرّفين في الدين لاموه لكونهِ وهو شريف قد رثى رجلاً كافراً . . . فقال «انما رثيت فضلهُ» وهذا القول عين الحكمة والسداد كما أن عذله عين الجهل والرقاعة وهو دليل على نفس كبيرة ساميةأعلى من أن تعتبر مذهب الرجل في تقدير مزاياهُ وارفع من ان تلج عليها عواطف تعصُّب ذميم فيها لا علاقة بينهُ وبين الدين.

وكان أبو الشريف الرضيّ يتولّى نقابة[1] الطالبين والنظر في المظالم والحجّ بالناس ففوَّضهُ هذه الاعمال كلّها. ويُنسب الى الشريف الرضيّ جمع كلام عليّ بن أبي طالب في كتاب عنوانهُ «نهج[2] البلاغة» وقد مرَّ الملام عليه في ترجمة عليّ.

(١) مرتبة النقيب اي شاهد القوم وضمينهم وعريقهم.

(٢) الطريق الواضح.

إبن الهبّاريّة (١١١٠م ٥٠٤هـ)

هو الشريف أبو يعلى محمد بن محمد وينتمي نسبهُ الى عبد الله بن العباس وعُرف بابن الهبّارية نسبةً الى هبّار جدّهِ لأمِهِ. كان شاعراً مجيداً سيّال القريحة لكنّهُ خبيث اللسان كثير الهجاء والوقوع في الناس وقد سبك في قالب ابن الحجّاج وسلك أُسلوبهُ وفاقهُ في الخلاعة . . . فانظر لايّ أُستاذ تتملذ وايّ أُسوة اتخذ مع ما هو عليه من شرف العشيرة. فشتّان بين الشريفين الرضيّ والشريف أبي يعلى . . . وما المرءُ إلا ابن عمله شرُف او وضُع والنظيف من شعرهِ سهل المتناول كثير الطُلاوة. فمنهُ قولهُ يردّ على من يقول «انّ السفر به يبلغ الوطر[1]»

قالوا أقمتَ وما رزقت وانّما ... بالسير يكتسب اللبيب ويُرزقُ
فأجبتهم ما كل سيرٍ نافعاً ... الحظُّ ينفع لا الرحيل المُقلقُ
كم سفرة نفعت وأخرى مثلها ... ضرّت ويكتسب الحريص ويُخفِقُ[2]
كالبدر يكتسب الكمال بسيرهِ ... وبهِ اذا حرمَ السعادة يُمحقُ

وكان إبن الهبارية ملازماً لخدمة نظام الملك الوزير وله عليه الانعام التامّ والإدرار المستمرّ[3]. فأطعمه تاج الملك أبو الغنائم بمالٍ جزيل إن هو هجاه

---

(١) المراد

(٢) الحريص الشديد الشره ويُخفق يخيب ويرجع صفر اليدين.

(٣) الادرار المستمرّ الإنعام المتصل مأخوذ من ادرت الناقة اذا كثر لبنها وجرى.

فقال « كيف أهجو شخصاً لا أرى في بيتي شيئاً إلاّ من نعمته » فقال « لا بُدّ من هذا » فعمل هذه الأبيات:

لا غرو ان ملك ابن اسـ ـحاقٍ وساعدهُ القَدَرْ
وصفت لهُ الدنيا وخصَّ أبو الغنائم بالكدَرْ
فالدهر كالدولاب ليـ ـس يدورُ الا بالبَقَرْ

وهذا كما ترى شكرانٌ غريب على ما قلّدهُ[1] ذلك الرجل من النعم وطوّقهُ[2] من المنن [3] فكأن جاحد النعمة أفعى كل ما يتناولهُ يعود في جوفه سمّاً ناقعاً . . . ولم يكن نظام الملك ليحقد عليه بل زاد مكرُمة على مكارمهِ الشهيرة وسعة حِلمهِ بأن أغضى[4] عليه بل بالغ في الافضال عليهِ شأن النفوس الشريفة. ومن شعر ابن الهبّارية في الهزل قولهُ:

يقول أبو سعيدٍ اذ رآني عفيفاً منذ عامٍ ماشربتُ
على يدِ أيّ شيخٍ تُبت قل لي فقلتُ على يدِ الافلاس تبتُ

ولابن الهباريّة من المؤلفات كتاب «نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة» وكتاب «الصادح والباغم[5]» وهو مجموع اراجيز نظمها على أُسلوب كليلة ودمنة.

---

(١) أنالهُ.

(٢) صنع اليه.. وكلاهما مستعاران من الطوق والقلادة استعارة مكنية اذ شبه المعروف بالطوق والقلادة ثم ترك كلاّ منهما واثبت شيئاً من لوازمه.

(٣) المنن جمع منة وهي الاحسان. (٤) سكت

(٥) صدح الطائر صاح وبغمت الظبية صاحت بصوت رخيم تدعو ولدها.

ألطُّغْرَائيّ (١١١٩م ٥١٣هـ)

هو مؤيّد الدين أبو اسماعيل الحسين بن علي الاصبهاني المعروف بالطُّغرائي كان غزير الفضل وافر الادب وقد فاق أهل عصرهِ بصناعتي النظم والنثر. واتّصل بالسلطان مسعود بن محمّد السلجوقيّ بالموصل فوزر لهُ وكان يُنعت بالأُستاذ . ولما جرت بين السلطان مسعود وبين أخيهِ السلطان محمود المصافُّ[1] بالقرب من همذان كانت النصرة لمحمود فأُخذ الطغرائيّ وقيد الى محمد فأغراهُ[2] وزيرهُ نظام الدين السُّمَيْرَمِيّ بقتلهِ حسداً وخوفاً. وكان احد الكتاب المدعوّ الشهاب أسعد في الحضرة وهو اذ ذاك طغرائيٌّ بالنيابة عن النصير الكاتب فقال «هذا الرجل مُلحِد» يَعني الاستاذ ابا اسماعيل. فقال السُّمَيْرَميّ «من يكن مُلحداً يُقتل» فقُتل ظلماً.

وشعر الطغرائي جيد السبك عامر الابيات منسجم العبارة حكميٌّ فائقٌ ولهُ قصيدة شهيرة طنانة كلّها درر تعرف «بلاميّة العَجَم» نظمها ببغداد معُارضاً «لامية العرب للشنفرى التي مرّ ذكرها في حينها . وقد ضمّن هذه القصّيدة الآيات الرائعة والحكمِ الناصعة.

ويتضح جلياً من المقابلة بين كلتا القصيدتين تأثير البيئة[3] في المرء. فإنك

---

(١) مصفّ وهو الموقف في الحرب. (٢) حضهُ.

(٣) ما احاط بالمرء واثر في اخلاقهِ.

بينا تسمع الشنفرى يُنشد لاميّته فتتمثل لك خشونة البداوة في التعبير الضخم واللفظ الوحشي والمعنى الغريب حتى يفتخر بتلبّد شعره وتراكم الأوساخ عليه فصار كأذناب الإبل بعلوه العَبَس[1] إذا بالطغرائي يُشنف الأسماع بمنظومة هي الغاية في عذوبة اللفظ وانسجام البيت ورقّة المعنى وشرفه. فكأنّ لاميّته مرآة صقيلة تتراءى فيها أخلاق رجل فاضل عرف أعالي الأمور وأسافلها وذاق من الدهر حلوه ومره فأصبح ذا حنكة[2] ودرية في سياسة الزمان فيحذر منه ويهتك الستر عن غدره وتلونه وقال:

أصالة الرأي صانتني عن الخَطَلِ ... وحلية الفضل زانتني لدى العَطَلِ [3]
مجدي أخيراً ومجدي أوّلاً شَرِعٌ ... والشمس رأدالضحى كالشمس في الطفل [4]
فيم الاقامة بالزوراء لاسكَني ... فيها ولا ناقتي فيها ولا جَملي [5]
ناءٍ عن الاهل صفر الكفّ منفردٌ ... كالسيف عُرّيَ متناهُ عنِ الخِلَلِ [6]
أُريد بسطة كفٍّ أستعين بِهَا ... على قضاء حقوق للعلى قِبَلي [7]
إنّ العلى حدّثتني وهي صادقةٌ ... فيما تُحدّث أنّ العزّ في النقلِ
أهبت بالحظّ لو ناديتُ مستمعاً ... والحظّ عنّيَ بالجهّال في شغُلِ [8]

(١) ما تعلق بأذناب الابل من ابعارها وابوالها يجف عليها.

(٢) تجربة وحكمة واختيار.

(٣) اصالة الرأي صوابه والخطل فحش الكلام وفساد المنطق والفضل الأدب والعطل مصدر عطلت المرأة اذا خلت من الحلى اراد به طرده من الوزارة

(٤) شرع اي سواء وأراد الضحى وقتهُ والطفل ميل الشمس الى الغروب.

(٥) الزوراء لقب بغداد والسكن ما يأنس به الانسان من زوجه أو ولد وفي البيت تضمين للمثل السائر لاناقة لي في هذا ولا جمل.

(٦) ناء بعيد ومتنا السيف جانباهُ والخلل جمع خلة وهي قراب السيف وما جعل فيه من الزينة.

(٧) العُلى جمع علياء وهي المراتب العالية والخصال الحميدة.

(٨) أهبت به ناديته والحظ النصيب من الخير.

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمَلِ
ما كنت أُوثر أن يمتدّبي زَمَني حتّى أرى دولة الأوغاد والسفَل(١)
تقدّمتني أناسٌ كان شوطهم وراءَ خطويَ اذ أمشي على مَهَلِ(٢)
أعدى عدوّك أدنى من وثقت بهِ فحاذر الناس واصحبهم على دَخَلِ(٣)
وانمّا رجل الدنيا وَوَاحدها من لا يعوّل في الدنيا على رَجُلِ(٤)

وهذا القدر كافٍ في هذا المقام لتعريف مزيّة القصيدة. ويُعرف أبو اسماعيل بالطُّغرائيّ لأنهُ كان مقلَّداً كتابة الطُّغراء وهي هذه الحروف المشبّكة التي تُطبع على السكة(٥) وفي رأس المناشير(٦) السلطانيّة للدلالة على صحتها ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنهُ ـ وزاول الطُّغرائيّ صناعة الكيمياء أيضاً وهي من أضاليل عصره العلميّة وقلّما خلا من القول بها فاضلٌ.

(١) أُوثر أختار وأفضل والوَغد الساقط الهمة.

(٢) الشوط الطلق وأشد حركة الفرس

(٣) الدخل المكر والغش. (٤) يعوّل يتّكلُ.

(٥) حديدة منقوشة تضرب عليها النقود وتطلق على النقود نفسها.

(٦) ما كان مختوم من كتب الملوك.

الخُوارِزْميّ (٣٨٣هـ ٩٩٣م)

هو أبو بكر محمّد بن العبّاس الخوارزميّ. وُلِدَ ونشأ بخوارزم وفارق وطنهُ وهو في حداثة السنّ ولم يزل يتقلّب في البلاد ويدخل كور العراق والشام ويأخذ عن العلماء ويقتبس من الشعراء ويستفيد من الفضلاء حتى خرج فرد الدهر في الأدب والشعر لا يُدانيه مدانٍ في معرفة أخبار العرب وأيّامها ودواوينها. وكان حلو المحاضرة جامعا في كلامه بين الفصاحة والأناقة والبلاغة والرشاقة. واتّصل بعدّة من أمراء زمانه ورؤسائه وحظي عندهم الا أنه مع وفرة علمه وسعة فضله كان لئيم الطبع كنوداً[1] هجّاء يثقل عليه القيام بشكر منّة أولياء نعمته ولم ينج من لسانه واحدٌ من الأشراف الذين قرّبوه في مجالسهم واصطنعوه. وفي هذا من العار والخسة ما فيه... ولمّا كان يغادر كل رئيسٍ هاجياً مغضباً اضطُر الى ركوب متن الاغتراب والضرب في مناكب[2] الأرض شرقاً وغرباً ولقي الشدائد مراراً من سجن وقيد ومصادرة[3] بأهاجيه ولواذعِهِ.

ومن مستملح ما يحكى عنهُ أنهُ قصد حضرة الصاحب بن عبّاد بأرّجان فلمّا وصل الى بابه قال لأحد حجّابه « قل للصاحب على الباب أحد الأدباء

---

(١) كافر النعمة. (٢) نواحي وجهات.

(٣) صادر الامير فلاناً على كذا من المال طالبهُ بهِ وحصلهُ منهُ قسراً.

وهو يستأذن في الدخول » فدخل الحاجب وأعلم مولاهُ فقال الصاحب « قل لهُ قد ألزمت نفسي ان لا يدخل عليّ من الأدباء الّا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب » فلما أعلم الحاجب أبا بكر بذلك قال لهُ « أرجع اليه وقل لهُ هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء » فقال الصاحب عند سماعه ذلك « هذا لا يكون الا أبا بكر الخوارزمي » فأذن لهُ فدخل عليهِ وعرفه وانبسط وأحسن حفاوته[1] وأجزل صلتهُ وكثيراً ما فرّج كربتهُ في ضيقته بالأعطية المتواترة والجرايات[2]. ومع كلّ هذا لم يكن ليعفوه من بوادر لسانه الخبيث ففارقه غير راضٍ عنهُ وقال يهجوهُ:

لا تمْدَحَنّ ابن عبّادٍ وانْ هطلت كفّاهُ بالجودِ سحّاً يخجل الدّيْما[3]
فـإنّها خـطرات من وسـاوسه يُعطي ويمنع لا بخلا ولا كَرَما

وبلغت الأبيات الصاحب وعندما نعى اليهِ أبو بكر أنشد:

سألت بريداً[4] من خراسان جائياً أمَات خوارزميُّكم قال لي نَعَمْ
فقلت أكتبوا بالجصّ[5] من فوق قبرهِ الا لَعَن الرحمان من كفر النِعَمْ

وهجاه ابو سعيد الخوارزميّ بقوله:

أبـو بكـر لـهُ أَدَبٌ وفضْـلٌ . ولكن لا يـدوم عـلى البقـاء
مـودّتـه اذا دامـت لِخِـلٍّ فمن وقت الصباح الى المساء

ولأبي بكرٍ شعرٌ حسنٌ ولهُ رسائل مشهورة متداولة تشهد لهُ بالبراعة في الانشاء وتُحِلُّهُ محلاً رفيعاً في عصابة البلغاء من المترسّلين.

---

(١) المبالغة في اركامهِ.
(٢) ما يجرى من الوظائف اي الارزاق المعينة.
(٣) سحّ الماء سحا صبّهُ والديم جمع ديمة وهي المطرة الدائمة.
(٤) رسولاً.
(٥) ما تطلى به البيوت من الكلس.

الصَّابىء (٣٨٤هـ ٩٩٤م)

هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الحرّاني المعروف بالصابىء. والصابئة قوم يعبدون الأجرام السماويّة والنار. وُلِدَ بحرّان وانكب على درس العلوم والتدرّب في فنون الكتابة ففاق أهل زمانه وبلغ الغاية في براعة الإنشاء ونظم الشعر فأبرع فيه وسار ذكره في الآفاق وضُرب ببلاغته المثل ودوّن لهُ من الكلام البهيّ النقيّ ما تتناثر دررهُ وتتكاثر غررهُ. وتقلّد الأعمال الجليلة وخدم الوزراء والخلفاء برئاسة ديوان الرسائل. وكان عظيم الحظوة عند الوزير المهلبيّ مقدماً على سائر عمّاله يصطنعه [1] لنفسه ويستدعيه في أوقات أنسه ولا يرى الدنيا الا بهِ. ولمّا توفّي المهلبّي اعتقل أبو إسحاق في جملة عمّال الوزير وصُودر ولهُ في اعتقاله شعرٌ حسَنٌ منهُ:

يا أيها الرؤساء دعوَةَ خادمٍ أوفت[2] رسائله على التعديدِ
أيجوز في حكم المروءَة عندكم حبسي وطول تهدُّدي ووعيدي
أنسيتم كُتُباً شحنت فصولها بفصولِ درٍ عندكم مَنْضودِ
ورسائلا نفذت الى أطرافكم عبدُ الحميد بهنّ غير حميدِ
أنا بين أخوان لنا قد أُوثقوا بسلاسل وجوامعٍ [3] وقيودِ

(١) يختارهُ. (٢) زادت.
(٣) جمع جامعة وهي الغل.

ومــوكّلين بنــا نــذلّ لـعــزّهم فكــأننــا لهـمُ عبيــدُ عبيــدِ
واللهِ ما سَمِعَ الأنام ولا رأوا نقـداً[1] تُـوَكّـل قبلهم بـأســود
من كـل حرّ مـاجـدٍ صنـديـد في كل وغدٍ عـاجزٍ رعـديدِ[2]
قصرت خطاهُ خلاخلٌ من قيدهِ فتـراه فيهـا كـالفتـاة الــرودِ[3]
يمشي الهــوينا ذلّــة لا غــرّة مشيِ النزيف الخائف المزؤودِ[4]
فتفضّلوا وتعــطّفــوا وهبــوا لنــا عفواً مديم حفائظ وحقودِ[5]

ثم أعيد الى عمله وكان أمر الخلفاء قد ضعف جداً في ذلك العهد ولم يبق لهم من السلطة الاّ الاسم وكان الحلّ والربط في يد الملوك من الدولة البُويهيّة ولمّا خلّي عن أبي إسحاق وجعل قيّما[6] على ديوان الرسائل ببغداد كان المتصرف بأمر الخليفة عزّ الدين بن بُوَيْهِ وكانت بينه وبين إبن عمّه عضدُ الدولة بن بُوَيْهِ منافسات في الممالك أدّت الى التنازع وأفضت الى التصافّ والمحاربة فقُتل غرّ الدولة في المصافّ وأفتح عضد الدولة بغداد واعتقل أبا إسحاق وعزم على إلقائه تحت أيدي الفِيَلَة. فاستشفع في أمرِهِ أكابر الدولة وتلطّفوا في استيهاب دمهِ وما زالوا يتوسّلون حتى أمر باستحيائه مع القبض عليه وعلى أشيائه واستئصال أمواله واشترط عليه تأليف كتابٍ من أخبار

(١) النقد جنس من الغنم صغير الارجل الواحدة نقدة.

(٢) الماجد ذو المجد والصنديد السيد الشجاع والوغد اللئيم والرعديد الجبان الكثير الارتعاد.

(٣) الخلاخل جمع خلخل وهو سوار يلبس في الرجل والرود الرائدة الطوافة في بيوت ـ جاراتها.

(٤) الهوينا مشية فيها تؤدة ورفق والذلة الصغار والنزيف الذي سال دمهُ بافراط فضعف والمزؤد الخائف.

(٥) ادام القدر سكن غليانها والحفائظ جمع حفيظة وهي الغضب والحمية والحقود جمع حقد وهو البغض المخفي.

(٦) مترئساً.

الدولة الديلميّة فدخل ذلك المسكين تحت هذا الشرط وبقي معتقلاً بضع سنوات الى أن تخلّص في آخر أيّام عضد الدولة وقد رزحت[1] حالهُ وتداعى[2] من الهرم وسوء المعاملة.

وكان سبب هذه الطّامة الكبرى لفظةٌ من كتاب أنشأه أبو إسحاق عن لسان الخليفة أنكرها عضد الدولة وتوسّم[3] فيها التعريض بهِ فأسرها في نفسه الى أن ملك بغداد فنكب صاحبها تلك النكبة الهائلة كأنما عمل على قلب المملكة ظهراً لبطن. ويحكى أن صديقاً للصابيء دخل عليه يوماً فرآه في شغلٍ شاغلٍ من التعليق والتسويد والتبديل والتبيض لوضع كتابه في أخبار الدولة الديلميّة فسأله عمّا يعمله من ذلك فقال أبو إسحاق « أباطيل أُنمّقها وأكاذيب أُلفقها » فنُقل كلامه الى عضد الدولة فحركت ساكنه وهيّجت حقده ولم يزل غضبان عليه مهملاً صلته حتى مات منقطعاً معوزاً.

ومن الخليق بالإعتبار أن أبا إسحاق مع فظاعة[4] نكبته على هفوة طفيفةٍ[5] كان لا يزال يرفع الى ناكبه من الهدايا ما تمكنه منه خصاصته[6] ويشفع كلاّ منها بأبيات ملؤها الاستعطاف و التذلل والتحبّب تنفطر[7] لسمعها الأكباد ويلين لها الجلمود[8]. وكان إذا كتب لصديقه الصاحب بن عبّاد يذكر بلواهُ غير متظلّم[9] من مبتليه ولا معرّض بعنفه وفظاظته[10]. وما قولك في ذلك الشيخ المسكين المنكوب في كلمة زلّ بها قلمه وهو الكاتب لناكبه مع هدية قوامها درهمٌ خسروانيٌ وجزء من كتاب:

---

(١) ساءت.
(٢) تهدم وتساقط.
(٣) تبين.
(٤) شدة شناعتها.
(٥) خفيفة.
(٦) فقره.
(٧) تنشقّ.
(٨) الصخر الاصم.
(٩) تظلم شكا الظلم.
(١٠) فظّ فظاظة غلظ وساء خلقه

ولمّا رأيت الله يهدي وخلقهُ تجاسرت واستفرغت جهد جهيد
فكان احتفالي في الهدية درهماً يطير من الأنفاس يوم رُمودِ[1]
وجزءا لطيفاً ذرعهُ[2] ذرع محبسي وتقييده بالشكل مثل قيودي
ألاطفُ مولانا وكالماء طبعُهُ تسلسل من عذب النطاف برودِ[3]
زلالا على المستضعفين وجلمداً على كلّ عريّضٍ ألَدّ مريدِ[4]

فكأن القوم كانوا في تلك العصور اذا أفرغ ملوكهم عليهم نقمهم لداعٍ لم يجدوهم جاءوا أمراً إدّا[5].. فأين أولئك الأمراء الطغاة[6] من ملوك أيّامنا الذين لا حيلة لهم لصيانة أرواحهم سوى تملّق الشعب واسترضاء العامّة وهيهات أن ينالوا ما يتمنونه من اغتفار الرعيّة لهم سمّو مقامهم وينجوا من مدية فوضويّ[7] توردهم حياض الموت على حين غرّة[8] . . .

وللصابيء ديوان رسائل هي لباب الفصاحة ولهُ الطريقة المُثلى في استنباط المعاني والتصّرف فيها وإفراغها في قالب من الجزالة والمتانة مع رقّة وانسجام ممّا يجعلها خير مثال يتحدّاه مُريدو البلاغة في الإنشاء. وكتابه في أخبار الدولة الديلميّة يعرف « بالتاجيّ » نسبة الى تاج الملّة لقب عضد الدولة.

وكان أبو إسحاق متشدداً في دينه وكثيراً ما أراده الخلفاء والملوك والوزراء على الاسلام وأداروه بكل حيلة وتمنية جليلة فلم يُسلم. وكان يحفظ القرآن يدور على طرف لسانِهِ وسنّ قلمِهِ ويصوم شهر رمضان فيوهم من لا يعرف كنهَ أمرِهِ أنه يعتقد معتقد المسلمين.

---

(١) ركدت الريح ركوداً سكنت. (٢) قياسه وقدره.
(٣) تسلسل جرى والنطاف جمع نطفة وهي الماء الصافي والبرود البارد.
(٤) الزلال الماء الصافي والجلمد الصخر والعريض كثير التعرض للناس بالشر والالد الشديد الخصومة.
(٥) فظيعاً. (٦) الظلام.
(٧) مدية السكين شفرتها والفوضويون اعداء كلّ ذي سلطة.
(٨) غفلة.

الصّاحب (٣٨٥ م ٩٩٥)

هو أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد الطّالقاني المعروف بالصاحب. ولِدَ بالطالقان من أعمال قزوين وكان أبوه وزيراً لركن الدولة ثم لعضد الدولة فصرف عنايته في تهذيب إبنه وتخريجه في الآداب. فدرس على أحمد بن فارس اللُّغويّ وأخذ عن أبي الفضل بن العميد وغيرهما من شيوخ العلم واقتبس[1] منهم شيئاً كثيراً حتى صار لهُ في فنون الأدب وعلوم اللغة المقام الرفيع والشهرة الواسعة. وزادهُ إعزازاً ورفعةً في عيون ا لناس اتّصافه بمكارم الأخلاق وأسمى المناقب[2]. وقد قال عنه الثعالبي في يتيمه الدهر « ليست تحضرني عبارة أرضاها اللافصاح[3] عن علوّ محلّة في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم وتفرّده بغايات المحاسن وجمعه أشتات[4] المفاخر لأن همّة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه وجهْدِ وصفي عن أيسر فواضِلِهِ ومساعيه . . . »

وكان الصاحب وزيراً لمؤيد الدولة استوزره بعد وفاة إبن العميد ولّما مات مؤيد الدولة وخلفه أخوه فخر الدولة أقرهُ على وزارتهِ ولم يقبل استعفاءه وكان مبجلاً عنده ومعظماً نافد الامر مطاع الاشارة. وكانت حضرته محطّ رحال الأدباء والشعراء وكعبة العلماء والفضلاء يتقاطرون اليه من المشارق والمغارب ويلقون من فضله وأريحيته ما لا غاية بعده لأمالهم ويعاينون من نادر

(١) استفاد.
(٢) الخصال الحميدة.
(٣) الاظهار
(٤) متفرقات.

فضائله وفاخر مزاياه ما يفسح المجال لشعرهم ومقالهم وقد اجتمع عندهُ من الشعراء ما لم يجتمع الاّ بباب أعاظم الخلفاء ومشاهير الملوك ولم يكن في زمنه أديب فاضلٌ الاّ ودّ مواصلتهُ ومحاسنته ولمّا أخنى الدهر على أبي إسحاق الصابىء بذل لهُ الصاحب من مالِهِ عن يدٍ سخية وكان يودّ لو يقدم أبو إسحاق اليه ويلزم حضرته فيكفيه ويفيض[1] عليه مواهبه الاّ أن الصابىء كان كبير النفس فآثر معاناة غصص الضيقة على اللحاق به والانخراط في سلك أتباعه بعد أن كان من أكفائه[2].

وكان الصاحب شديد الولع بكتب العلم والأدب وجمع منها كلّ ما وصلت اليه يدهُ الكريمة حتى كان يحتاج في نقلها الى أربعمائة جمل. وكان مجلسه ميدان فرسان الكلام من البلغاء والفقهاء يجرون في حضرته ويرون في سعة علمهِ ولين جانبه وكامل رعايته ما يشدّد عزائمهم على الخوض في أجل المباحث وهو يجاريهم في مناظرتهم ويفصح كلامهُ عن رجل له في العلوم القدم الفارعة سيّال القريحة سريع العارضة حادّ النكتة. وكان في شهر رمضان يأمر فلا يخرج أحدٌ من دارهِ قبل الإفطار فلم تخلُ دارهُ كلّ ليلةٍ من ألف نفسٍ مفطرة فيها.

وللشعراء في الصاحب مدائح كثيرة جداً وكان شديد الإعجاب بالشعر الحسن كثير الإهتزاز سديد الرأي في البحث فيه صادق النظر في انتقاده ولهُ خاصّة ولوعٌ في نقد شعر المتنبي وكان أفرغ وسعهُ في استقدامه اليه ليزداد مقامه مجداً ورفعه بمدائحه فلم يلق منه ارتياحاً الى تلبية دعوته لما علمت من صلف[3] المتنبي وخُيلائه ولعلّ في هذا الرفض ما يكشف سرّ تعقب الصاحب لشعر أبي الطيّب وتتبّع مواقع الخلل فيه وكشف معايبه.

ولقّب أبو القاسم بالصاحب لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد وقيل

(١) يسكب
(٢) أقرانه ومساويه.
(٣) كبر.

بل لأنه صاحب مؤيد الدولة منذ الصبا فسّماه الصاحب فاستمر عليه هذا اللقب واشتهر به. وللصاحب مؤلف في اللغة سمّاه « المحيط » قلل فيه من الشواهد وأكثر الألفاظ فجمع شيئاً كثيراً من اللغة وكتاب « الكافي » في الرسائل وغير ذلك. ولهُ شعرٌ حسنٌ منهُ في رِقّة الخمر:

رَقّ الزجاجُ ورقّت الخمرُ وتشابها فتشاكل الأمرُ
فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ وكأنما قدحٌ ولا خمرُ

عبد العزيز (١٠١٤م ٤٠٥هـ)

هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف من مشاهير كتّاب آل بُوَيْهِ. كان مقلداً ديوان الرسائل لعضد الدولة طول أيّامه وافر الحظوة عنده معدوداً من وزرائه وخواصّ ندمائه وتولّى الوزارة بعد وفاته لاولاده دفعات وكانت لهُ المكانة العالية بين النوابغ من كتّاب عصره ومودّة أكيدة عندهم ويُروى عن الصاحب بن عبّاد أنه كان يقول « كتّاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة الأستاذ بن العميد وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف وأبو إسحاق الصابيء ولو شئت لذكرت الرابع » يعني نفسهُ. ومن هذا التخصيص تعرف قيمة عبد العزيز عند الأدباء ومزيتهُ في عصابة المترسلين. ولمّا عزم عضد الدولة على قتل أبي إسحاق الصابيء كان عبد العزيز في مقدمة من تشفّع فيهِ وسعى في حقن[1] دمهِ فزاد على أدبه وفضلهِ مروءة وهمّةً وكرماً.

ولأبي القاسم مكاتبات نثراً ونظماً الى أدباء زمانه تدلُّ على طول باعهِ وبراعتهِ في فنون الأدب. فمن نظمه قولهِ من رسالةٍ الى الصاحب جمع فيها بين المنثور والمنظوم بعث بها اليه بعد فراقه:

أقــول وقـلبي في ذواك مخيّم وجسمي جنيب للصبا والجنائب[2]

---

(١) حقن دمهُ منع اراقتهُ.

(٢) الـذرا الفناء والنـاحية ومخيم نـازل ومقيم وجنيب بمعنى مجنوب اي مـدفـوع والصبـاريـح مهبها من جهة الشرق والجنائب جمع جنابة وهي الغربة والبعد

يجاذب نحو الصاحب الشوقُ مقودي وقد جاذبتني عنه أيدي الشواذبِ[1]
سقى الله ذاك العهد عهداً من الحيا وتلك السجايا الغرّ غرّ السحائب[2]
تذكرت أيّامي بقربك والمنى تقابلني بالعزّ من كلّ جانبِ
وفي ربعك الدنيا تزفّ محاسناً وتفتر منك من ثنايا مناقبِ[3]
وقد لحظت عيناي من شخصك العلى ومن فرعك الفينان أعلى المناسبِ[4]
ومن لفظك الدرّ المصون ومن حيا محيّاك ما لم تحوه كفّ خاطبِ[5]
وأخلاقك الغرّ التي لو تجسّمت لكانت نجوماً للنجوم الثواقبِ[6]
ففاضت على خدّي سوابق عبرةٍ كما أسلمت عقداً أنامل كاعبِ[7]
سلام على تلك المكارم والعُلى تحية خلّ عن جنابك غائبِ
يكابد ما لو كان بالسيف ما مضى وبالمزن لم تبلل لهاة لشاربِ[8]

---

(١) الشواذب جمع شاذب اي قاطع من شذب الشجر اذا قطع بعض أغصانه.

(٢) العهد المنزل الذي اذا هجرهُ القوم عادوا اليه وعهداً من الحيا دفعة من المطر والسجايا الخصال الحميدة والعز الحسنة المشرقة وغرّ السحائب البيض.

(٣) الربع الدار وتزف تهدي وتفترّ تضحك والثنايا اسنان مقدم الفم والمناقب المفاخر.

(٤) الفرع مجتمع شعر الراس والفينان الطويل الشعر المناسب جمع منسبة بمعنى نسيب وهو التشبيب.

(٥) الحيا مقصور الحياء والمحيا الوجه والخاطب من خطب المرأة اذا دعاها الى التزوج ـ وفي هذين البيتين من نسبة محاسن النساء الى الرجال ما يقضي بالعجب ويدل على ذوق من الغرابة بمكان.

(٦) الاخلاق الطبائع وتجسمت واتخذت جسماً ونجم ثاقب لامع مضيء.

(٧) عبرة دمعة والانامل اطراف الاصابع اطلقها على الاصابع كلها والكاعب الفتاة. شبه دموعه المتساقطة بلآلىء عقد نثرتها يد فتاة.

(٨) يكابد يقاسي ومضى قطع والمزن السحاب ذو المطر واللهاة اللحمة المشرقة على الحلق.

وإني وإن رُوِّعت بالبين شـائمٌ طوالع عتبي من طلاع العواقبِ[1]
وما أنا بالناسي صنـائعك التي كتبن علي الرقّ ضربة لازِبِ[2]

(١) روعت خـوفت والبين الفـرقة وشـام البرق رقبـهُ اين يمطر والـطوالع جمـع طالـع وهو مـا يتفاءل ويتشاءم بهِ من الكواكب الطالعة وطـلاع العواقب الاطـلاع عليها والعـواقب جمع عاقبة وهي ما يؤول اليه الامر.

(٢) الصنائع جمـع صنيعة وهي الاحسـان والرق العبـودية وهـذا الامر ضـربة لازب اي لازم ثابت لا بد منه.

بَدِيعُ الزّمان (٣٩٨ م ١٠٠٧)

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني الملقّب ببديع الزمان. وُلِدَ بهمذان وغادرها[١] صبيًا وقد درس على أبي الحسن بن فارس واستنفد[٢] ما عنده وورد حضرة الصاحب بن عبّاد وجنى من شهي ثمارِهِ مقداراً وافراً ثم قدم جرجان وداخل علماءها واقتبس من أنوارهم وانتقل من هناك الى نيسابور وجرت بينه وبين أبي بكر الخوارزميّ مناظرة شهيرة كانت سبباً لهبوب ريحه[٣] وعلوّ أمرهِ وبعد صيتهِ إذ لم يكن في الحسبان أن أحداً من الأدباء ينبري لمباراة[٤] الخوارزميّ والتحكّك به وهو إذ ذاك متسنّم[٥] ذروة مجده. فلما تصدّى[٦] الهمذاني لمساجلته[٧] وقعت جُرأتهُ موقع الإستغراب عند علماء العصر. فتطالت[٨] الى الخصمين الأبصار واشرأبّت[٩] الأعناق الى تلك المصاولة[١٠] النادرة المثال بين فتى في مقتبل الشباب نازَلَ في ميدان الأدب شيخاً نيّف على الستين ملأت مهابته العيون وذاع اسمهُ في البلاد. فلما انجلت المناضلة[١١] عن ظهور[١٢] أبي الفضل على قرنهِ أكبر القوم ذلك الفوز المبين

(١) تركها
(٢) استفرغ.
(٣) الاشتهار امرهِ.
(٤) مسابقة.
(٥) معتل.
(٦) تعرّض.
(٧) لمفاخرته ومعارضته.
(٨) ارتفعت.
(٩) تطاولت.
(١٠) المواثبة.
(١١) المخاصمة والمدافعة.
(١٢) انتصار وفوز

وأقرّوا له بالرئاسة في مشيخة العلماء وانقطاع النظير في عالم الأدباء. وما عتّم الخوارزمي ان لبّى داعي ربّه وفي قلبه حسرات الفشل والانخذال فخلا الجوّ للهمذاني واستفحل أمرهُ وواصل رؤساء زمانه فحظى عند جميعهم ودرّت [1] عليه الأرزاق ورتع من الرفاهية في رياض غنّاء [2] وارفة [3] الظلال وسحب من الرفعة ثوباً طويل الأذيال.

ورُزِقَ بديع الزمان من ذكاء القريحة وتوقّد الذهن وقوّة النفس وسرعة الخاطر حظاً نادراً ويُروى عنهُ من معجزات الفكر ما لا يكاد يحتمله طبع بشريّ حتّى لقد يتعذّر تصديقه. فمن ذلك أنه كان يُنشد القصيدة التي لم يسمعها قطّ وهي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤدّيها من أوّلها الى آخرها لا يخرم منها حرفاً. وينظر في الأربعة أو الخمسة ورقات من كتاب لم يعرفه نظرة خفيفة ثم يؤديها عن ظهر قلبه بالتمام. وكان يقترح[4] عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى بديع وباب غريب فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عنها فيها. وكان يبتديء الكتاب المقترح عليه بآخر سطرٍ منه ثمّ هلمّ جرّا الى الاّول ويخرجه كأحسن شيء واملحه. ويأخذ النثر فيقرأ شعراً والشعر فيقرأه نثراً. وتعرض عليه الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة فينظمها من فوره أبياتاً عربيّة ويجمع بين الابداع والإسراع. وكلامه كلّه عفو الساعة وفيض اليد ومجاراة الخاطر للناظر ومباراة الطبع للسمع . . . فقد كان حقيقة معجزة أوانه وبديع زمانه.

وبديع الزمان هو مخترع فنّ المقامات الشريف وقد أملى أربعمائة مقامه وهو بنيسابور لم يصلنا منها الا خمسون فقط. ولهُ رسائل رائقة الاسلوب بليغة اللّهجة عالية الطبقة خليقة بكاتبها وناسج بردها. وشعر أبي الفضل عامر الأبيات نفيس الصنعة منه قولُهُ في المدح:

يا سيّد الأمراء افخر فما ملكٌ ... الاّ تمنّاك مولى واشتهاك أبا

(١) غزرت وكثرت
(٢) كثيرة الشجر والعسب.
(٣) ممتدة.
(٤) اقترح عليهِ كذا طلبهُ منهُ.

إذا دعتك المعالي عُرفَ[1] هامتها | لم ترض كسرى ولا من قبله ذَنَبا
ما السيف مختطماً والسيل مرتكماً | والبحر ملتطماً والليل مقترباً
أمضى شباً منك أدهى منك صاعقةً | أجدى يميناً وأدنى منك مطّلباً[2]
قد كاد يحكيك صوب الغيث منسكباً | لو كان طلق المحيّا يُمطر الذهبا[3]
والدهر لو لم يُخنْ والشمس لو نطقت | والليث لو لم يُصد والبحر لو عذبا
يا من يراه ملوك الأرض فوقهم | كما يرون على أبراجها الشُّهُبا[4]
لا تُكذبن فخير القول أصدقه | ولا تهابن في أمثالها العَرَبَا[5]

ولما بلغ بديع الزمان الأربعين من عمره عرض لهُ داء السكتة وعجّل دفنه فأفاق في قبره وسُمعَ صوتُهُ فُنبش عنه فوجد انه مات وقد قبض على لحيته. فقامت نوادب الأدب تنوح عليه وتبكيه. وهبّت الأكارم مع المكارم تؤبنه[6] وترثيه.

---

(١) عرف الجبل اعلاه.

(٢) مختطم مجرّد ومرتكم بمعنى متراكم وشبا جمع شباة وهي من السيف حدهُ واجدى اكثر جدواً اي عطاء وادنى اقرب ومطّلباً مصدر ميمي من اطلب بمعنى طلب.

(٣) يحكيك يشبهك وصوب الغيث انصبابهُ وطلق المحيا بشوش الوجه.

(٤) الشهب الكواكب مفردها شهاب.

(٥) كذبهُ قال لهُ الكذب يقول ان ما اصف من سجاياك لا يشوبهُ كذب وقولهُ: ولا تهابنّ الخ اي مهما ضربت الامثال في المحامد بغيرك فأنت فوق ذلك لا يخشى عليك ان تكونمسبوقاً. ثم يذكر مشاهير العرب فيما يلي من الابيات ويقول انهم لم يبلغوا معشار مآثر الامير الممدوح

(٦) أبن الميت عدد مآثره وأثنى عليهِ.

الحَريريّ (١١٢٢ م ٥١٦)

هو أبو محمّد القاسم بن علي الحريري. وُلِدَ بالبصرة وانكبّ من صغره على الدرس وانقطع الى الإشتغال بالعلوم والغوص على لآلىء الآداب والإطلاع على أسرار اللغة وكشف مكنونات[1] البلاغة ولمّا كان من ذوي اليسار لم تنكب[2] به الشؤون المعاشيّة عن الغاية التي سعى وراء تحقيقها فتضلّع من كل فنّ وعلم حتى أصبح نسيج وحده في الأدب وقبض على أزمة اللغة فتصرف فيها كيف شاء بحيث لم يكن ليند عنهُ قليل ولا كثير من كلام العرب ولغاتهم وأساليب فصحائهم وتفننهم في منطقتهم وضربهم للامثال وتحاجيهم[3] بلطائف الألغاز وتخاطبهم بدقائق الأسرار ولطائف الرموز اللغوية ومقاماته الشهيرة هي الدليل المقنع على وفور فضله وغزارة مادّته وعلّوّ طبقته وقد تجسّم فيها علمُهُ تجسّماً يكاد يكون محسوساً.

ونحا الحريريّ في مقاماته منحى بديع الزمان الهمذاني واضع الفنّ والسابقَ اليه غير أنه فاقه كثيراً ببداعة الإنشاء ونصاعة[4] الألفاظ ونباهة المعاني

---

(١) مستورات. (٢) تعدل به وتنحيه.

(٣) تحاجى القوم تطارحوا الأحاجي وهي العبارات المغلقة يتفاكه بها القوم واحدتها احجيّة

(٤) ظهور وصفاء.

فرصّع كلامه بجواهر البلاغة وحلاّه ما شاء ظرفه وذوقه بضروب الكنايات اللطيفة والإستعارات الرقيقة ووشاه بأشكال البديع البديعة الأنيقة فجاءت مقاماته آية الآيات في الإعجاز والإبداع ألفاظها خلاصة الفصاحة والمتانة ومعانيها لبّ البلاغة الفتّانة. فهي مثال الكمال في هذا الفن عند فحول العلماء ونموذج الإنشاء من الرتبة العليا.

قالوا: وكان سبب وضع الحريري لمقاماته ما حكاه ولدهُ أبو القاسم عبد الله قال: كان أبي جالساً في مسجده ببني حرام فدخل شيخٌ ذو طمْرين[1] عليه أُهبة السفر رثّ الحال فصيح الكلام حسن العبارة فسألته الجماعة « من أين الشيخ » فقال « من سروج » فاستخبروه عن كنيته فقال « أبو زيد » فعمل أبي المقامة المعروفة بالحرامية وهي الثامنة والأربعون وعزاها الى أبي زيدٍ المذكور واشتهرت. ويحكى ان الحريري عمل اوّلاً أربعين مقامة وحملها من البصرة الى بغداد وأدّعاها فلم يصدّقه في ذلك جماعة من أهل بغداد. فاستدعاه شرف الدين وزير المسترشد بالله الى اىديوان وكانت قد بلغته المقامات وأعجبته وسأله عن صناعته فقال « أنا رجلٌ منشيء » فاقترح عليه إنشاء رسالة في واقعة عيّنها. فانفرد في ناحية من الديوان وأخذ الدواة والورقة ومكث زماناً كثيراً فلم يفتح الله سبحانه عليه بشيء من ذلك فقام وهو خجلان. فقال فيه أبو القاسم عليّ بن أفلح وكان من منكري دعواه:

شيخ لنا من ربيعة الفَرَس ينتف عثنونه من الهَوَسِ[2]
أنطقه الله بالمَشان كما رماهُ وسط الديوان بالخَرَسِ[3]

فلما رجع الى بلده عمل عشر مقامات أُخر وسيّرهنّ واعتذر من عيّه[4]

---

(١) مثنى طمر وهو الثوب البالي.

(٢) ربيعة هو ابن نزار ابو القبيلة المشهورة ورث من تركة ابيه الخيل فسمى ربيعة الفرس والعثنون شعر الذقن خاصة والهوس طرف من الجنون.

(٣) المشان قرية على مقربة من البصرة كان اهل الحريري منها.

(٤) عجزه واحتباسه.

وحصره في الديوان بما لحقه من المهابة.

ويحكى أن الحريري كان دميماً قبيح المنظر فجاءهُ شخصٌ غريبٌ يزورهُ ويأخذ عنه شيئاً. فلمّا رآه استزرى[1] شكله وفهم الحريري ذلك منه فلمّا التمس منه أن يملي عليه قال له « أكتب:

ما أنت أوّل سارٍ غـرّهُ قمـرٌ ورائدٍ أعجبتهُ خضـرة الدِّمنِ[2]
فاختر لنفسك غيري إنني رَجُلٌ مثل المُعَيديِّ فاسمع بي ولا تَرَني[3]

فخجل الرجل منه وانصرف:

وقد انبرى [4] عدّة من علماء الأدب لشرح مقامات الحريري. وأوسع الشروح التي علّقت عليها وأوفاها شرح أبي العباس الشريشي فانه لم يدع حسنة مكنونة الاّ أظهرها ولا نكتة دقيقة الاّ استخرجها. وللحريري ما عدا المقامات كتاب « درّة الغوّاص في أوهام الخواصّ » ذكر فيه ما يفرط من خاصّة الأدباء من اللحن في الكلام وكتاب « مُلحة الأعراب » وهي أرجوزة وجيزة في النحو علّق عليها بعض شروح ولهُ نثر وشعر غير ما دُوّن في مقاماته أكثر فيه من استعمال التجنيس[5].

---

(١) احتقرهُ واستهانهُ.

(٢) الرائد الرجل يتقدم القوم في طلب المرعى والدمن جمع دمنة وهي الاوساخ المتراكمة ينبت عليها العشب فتغرّ الرائي.

(٣) مثل المعيدي الخ مثل يضرب للرجل لهُ صيتٌ وذكر في الناس فاذا رأيته ازدريت مرآه.

(٤) تعرّض.

(٥) من الخليق بالاعتبار ان إنشاء الحريري في رسائلهِ وشعره هو غيره في مقاماته وذلك دليل على حصافة الرجل وحسن ذوقهِ اذ للمقامات لغة خاصة تليق بها وحدها فاذا استعلمت فيما سواها استثقلت واستهجنت.

إبْن الأثير (١٢٣٩م ٦٣٧هـ)

هو ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الجَزَري المعروف بإبن الأثير ولد بجزيرة إبن عمر ونشأ بها وانتقل مع والده الى الموصل وبها اشتغل وشمّر عن ساعد الجدّ في تحصيل العلوم وأُولع بحفظ أشعار العرب قديمها وحديثها فوعى منها شيئاً كثيراً أعانه على الإبداع في الإنشاء والتبريز في الأدب وفتق لهُ من المعاني الغريبة والمبتكرة كل نوعٍ أنيق مليح. ولمّا كملت لهُ أدوات الصناعة وآنس من نفسه قوّة على الخوض في مضمار الأدب والخروج منهُ مجليّا(١) قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين فخدمه سنةً ثم اتصل بابنه الملك الأفضل نور الدين ولمّا تُوفي السلطان صلاح الدين واستقل ولدهُ بمملكة دمشق إستقل إبن الأثير بالوزارة ورُدّت أمور الناس إليه وصار الإعتماد في جميع الاحوال عليه فأساء العشرة مع أهلها وتبغّض اليهم بكبريائه وقساوته حتى همّوا بقتلهِ عند تقلُّص ظلّ(٢) مخدومه عن دمشق وانتقاله الى صرخد فأخرجه الحاجب محاسن بن عجم مستخفياً في صندوق مقفلٍ عليه . . . ولحق بمولاه وصحبه الى مصر لمّا أستدعي لنيابة إبن أخيه وكأنّه لم يتعظ بما جرى له في الشام فلم يحسن معاملة المصريين وأحفظهم بسوء تدبيره فحاولوا الفتك به لو لم يستخف ويخرج مستتراً. ولما استقر الملك الأفضل في سميساط عاد

---

(١) تقلص انحب وتقلص الظل كناية عن زوال السلطة.
(٢) اغضبهم.

إبن الأثير الى خدمته مدّة ثم فارقه واتّصل بخدمة أخيه الملك الظاهر صاحب حلب ولم يكن طبعه الممقوت ليسمح له بطول المقام فخرج مغاضباً وعاد الى الموصل فلم يستقم حاله فورد إربل فلم ينتظم أمره فسافر الى سنجار فاستقض(١) مكانه ثم عاد الى الموصل ووفّق الى القرار بها واتخاذها دار إقامة وكتب الإنشاء لناصر الدين ثم بغداد رسولاً من قبل مخدومه فأدركته الوفاة هناك.

ولإبن الأثير من التصانيف كتاب « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » وهو مؤلف نفيس وافر المادة محكم الوضع جمع فيه مؤلفه أصول علم الإنشاء وفروعه ولم يترك مسألة الاّ أوضحها ولا فائدة الاّ دوّنها ولا مذهباً الاّ بحث فيه وكشف محاسنه وهتك معايبه فجاء سفراً جليلاً مستوعباً(٢) لأحكام فنون الكتابة جامعاً لمنثور مسائلها مع حسن ترتيب وتبويب. وهو الشاهد الناطق ببعد غور صاحبه وغزارة علمه ورسوخ قدمه في علوم الأدب. الاّ انهُ يؤخذ عليه فرط دعواه وإطرائه لنفسه وكتاباته وتفوقه ببراعته وحسن صناعته حتى لم يكتب فصلاً بل صفحة من كتابه الا وجّه أنظار القارىء الى عجيب اختراعه واستنباطه وغريب تفننه وابتكاره وقررّ علّو كعبه في البلاغة وتفرده دون من سواه بسداد المقال وصدق النظر والإستدلال بحيث يدّعي أنه انفرد عن مواقف الأشباه ونَتْ خطى فحول الكتبة عن بلوغ مداه . . . فرسم على صفحات تأليفه هذا كبره وصلفه وخُيَلاءهُ وإعجابه بنفسه الى حدّ ازدراء سائر الناس ممّا نغّص عيشه وحرمه لذّة السلام والسكينة وأوقع نفسه في المهالك غير مرّة . . . وله أيضا كتاب « الوشي المرقوم في حلّ المنظوم » وديوان رسائل كلّها غرر ودرر وغير ذلك من التصانيف الثمينة التي لا يتصور كيف أمكنه وضعها مع ما رأيت من كثرة أشغاله وتواتر حلّه وترحاله.

---

(١) وجده خشناً.

(٢) جامعاً.

النحاة واللُّغويُّون[1]

كان العرب يتكلمون كلاماً فصيحاً معرباً بارشاد سلائقهم[2] وتلقين مَلَكاتهم[3] فكانت ألسنتهم مستقيمة النطق غير محتاجين الى الاستعانة بقوانين وضوابط تقيها اللحن والخلل[4]. الاّ أنهم ما كادوا يختلطون بالأعاجم حتى دب الفساد في كلامهم الى حدّ كاد يقضي على اللغة الفُصحى بعد مُضي بضع سنوات من انسياحهم في الأرض وافتتاحهم الممالك. فحدا[5] تفشّي اللحن في العامة وبعض الخاصة عدّة من أئمة القوم الى تدارك[6] أمر اللغة قبل استشراء[7] الفساد فيها وضع قوانين وضوابط استنبطوها من استقراء[8] كلام العرب الموثوق بعربيّتهم. فقام جلّة من العلماء الأعلام بهذه المهمة أحسن قيام ووضعوا أصول علم النحو وبيّنوا أحكامهُ وحدّدوا قواعده فصانوا لغتهم من الهرم والإضمحلال وأصبح النحو مرجعاً لمريدي اللغة العربية من المستعجمين والأعاجم يجرون عليه ويقوّمون عوج السنتهم ويحذون حذو العرب في مخاطباتهم. غير أن الأمر لم يقف عند هذا الحدّ المعتدل ولم يكتف

(١) اثرنا معظم هذا المبحث عن مقالة للشيخ **ابراهيم** اليازجي تحت عنوان. «اللغة العامية واللغة الفصحى».

(٢) طبائعهم

(٣) الملكة صفة راسخة في النفس.

(٤) الفساد.

(٥) ساق

(٦) تدارك الامر حاول اصلاحهُ قبل فوات الفرصة.

(٧) تفاقم

(٨) استقرى الشيء تتبعة

القوم ببلوغ هذه الغاية الحميدة بل هبّ جمهور من ا لمتأدبين المتفلسفين الذين لم يكن لهم عمل سوى المجادلة والمناظرة وأخذوا يقلّبون الألفاظ على كلّ وجه ممكن وغير ممكن وينقّبون عن لغات العرب على تعدد قبائلها واختصاص كلٍ منها بلهجة . . . فجمعوا من ذلك مذاهب شتّى وآراء متفرّقة وأحكاماً متضاربة متناقضة سخّروا بها علم النحو فأصبح مضماراً لفرسان المماحكة[1] والمناضلة وأطلقوا لعقولهم الأعنة في الجدال والمكابرة فجاؤا بالتعليلات المعلّة والتوجيهات البادرة والتمحّلات[2] المستحيلة بحيث أدّوا بالنحو الى حالة لا يعدم معها مرتكب الغلط من مذهب يردّ اليه كلامه وحجّة يؤيّد بها مدّعاه. وجاء في أمثالهم « أبرد من حجّة نحوي ».

واشتهر بالاقبال على النحو واستنباط احكامه أهل مدينتين بالعراق العربي وهما البصرة والكوفة. ولكلّ من الفريقين مذاهب وآراء تناقض مذاهب الفريق الآخر وآراءه حتى لا تكاد ترى باباً من أبواب النحـو يتفق على أحكامه كِلَا الفريقين اتفاقاً تاماً. وتطّرف الكوفيون في الافتراضات والتوجيهات الى حدّ يفوت المعقول وكأنهم توهّموا العصمة في كل بدوي قال بيتاً من الشعر وظَنّوا تخطئته بدعة جديرة بالازدراء[3] والرذل وخرقاً لحرمة اللغة خليقاً بالانكار والعذل[4]. فكانوا إذا سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للاصول المقرّرة جعلوه أصلا جديداً وبوّبوا عليه . بخلاف البصريّين فانهم أعدل خطة وأصحّ استنباطاً .

ولا يخفى أنّ هذه الاستدراكات[5] التافهة والمناقضات الغربية هي أصل

(١) التمادي في المخاصمة.
(٢) تمحّل الشيء طلبهُ بحيلة وتكلف ومشقة.
(٣) بالاحتقار.
(٤) اللوم.
(٥) مصدر استدرك عليه القول خطأه فيه.

الفساد الذي طمى[١] على النحو وأدى الى تشعب[٢] الآراء واختلاف المذاهب الى حدّ يفوق الحافظة وتعجز معه مدارك الطالب عن استيعابها[٣] كلّها مهما بذل من الكدّ والجدّ فربما استنزف[٤] صبره ونفد[٥] عمره ولم يحط بها جميعاً ولم يكن بمأمن من شرود بعضها عن ذاكرته فيطرأ على لسانه اللحن من حيث لا يشعر. هذا إذا كان ممن رُزقوا من الجلد[٦] والولوع باللغة الحظ الاعلى ولم يشغله شأن من شؤون الحياة على تعدُّدها وتلوّنها عن الانقطاع في مقام التنازع شيئا.

الا أن المؤلفين المحدثين قد أدركوا مسيس الحاجة الى تجريد النحو من كل ما يشّوه وجهه ويدخل الالتباس والاختلاط على ذهن الطالب فأخذوا ينبذون من كتبهم الأقوال الساقطة والمذاهب المرجوحة واعتمدوا في تآليفهم أصحّ الاحكام وأفصح اللغات فجعلوا النحو على حبل الذراع وقرّبوا متناوله على الطّلاب ولعلّهم حبّبوا اليهم الاقبال عليه بعض الشيء.

وليست كتب اللغة بأوفر حظاً من كتب النحو. فان الذين عانوا الرحلة الى البادية وطافوا أحياء العرب ليقفوا على لغاتهم ويدوّنوا مفرداتها قد جمعوا كلّ ما وصلت اليه يدهم من كلام العرب عل اختلاف لهجاتها وتعدّد قبائلها. فجاءت المعجمات زاخرة بالمترادفات حتى أن بعض المسميّات يعدّ لها مئات من الأسماء ـ كالسيف والأسد ـ وهو عبء[٧] ثقيل على كاهل[٨] اللغة وغنى أشد وطأة وأعسر احتمالاً من الفقر بعينه وما كان أغنى هذه العروس عن هذه

---

(١) ارتفع وعلا.
(٢) تفرّع.
(٣) استيفاؤها.
(٤) استخرج.
(٥) فرغ وفني.
(٦) الصبر.
(٧) حمل
(٨) اعلى الظهر ما بين الكتفين.

الحلى والحُلل (١) التي تعرقل (٢) مسعاها وتضغط(٣) عليها الى حدّ الاختناق . . . ولا فائدة من هذه الالفاظ المترادفة سوى التفنن في صور التعبير. ثم كان من تنوع لغات القبائل ان هذه الكتب أصبحت حافلة (٤) بالألفاظ التي تطلق على عدة معان متباينة ـ كالعين والخال ـ ومنها ما يطلق حتى على الضدين ـ كقَسَطَ ـ مثلاً فإنها بمعنى جار وعدل وفي كتب اللغة من هذا القبيل شيء كثير وهذه الغاية القصوى في الإختلاف والتناقض. بل آية الآيات في الغرابة تدوين اللغويين لكلمات لم يهتدوا الى معرفة معناها مطلقاً ـ كجحلنجح ـ ومع ذلك فان من القوم من كان لهم وقت يصرفونه في المباحثة عمّا إذا كان جحلنجح إسماً أو فعلاً . . .

وأدّى الحرص بالجامعين لشتات اللغة الى تدوين اللغات المهجورة والألفاظ الوحشيّة التي لا يسوغ(٥) للبليغ استعمالها على ما نصّ عليه علماء البيان وهي نحو ثلث مفردات اللغة. وإذا زدت عليها كل ما يتعلق بالابل والقيام عليها ممّا لا تخلو منه صفحة من كتب اللغة لم يبق لك نصف المدوّن في هذه الاسفار الضخمة. وهذا النصف نفسه مشوّه (٦) بالتقصير في تعريف الالفاظ ولا سيّما أسماء الحيوان والنبات والمعدن. ففي أكثرها يكتفي المؤلف بقوله « معروف » ولعلّه كان معروفاً في زمانه وأما اليوم فقد صار انكر من شيء(٧) هذا ما عدا التخليط والإبهام في التعبير فانّ من المواد ما كلما زدته مطالعة وتبصراً زادك حيرة وتضليلاً. بحيث ان هذه المؤلفات التي وضعت لتكون عوناً للغة أصبحت عوناً عليها وفاتت الفائدة من وضعها. وهكذا تطرّق (٨) الفساد الى اللغة من حيث قصد أربابها صيانتها وتلافي أمرها.

---

(١) الحلى جمع حلية وهي ما يلبس من المصوغات للزينة والحلل جمع حلة وهي الثوب الكامل.
(٢) تصعب. (٣) تضيق وتزحم. (٤) ملآنه
(٥) يجوز (٦) مفسح.
(٧) لا يخفي ان لفظة شيء تطلق على كل موجود حسياً كان او عقلياً ومن ثم ضرب بها المثل في العموم وعدم التعيين.
(٨) اتصل

أَلأَرَّجانيّ | (١١٤٩م ٥٤٤هـ)

هو ناصح الدين ابو بكر أحمد بن محمّد الأرَّجَانيّ . وُلد بأَرّجان من بلاد فارس الا أنهُ عربي الاصل ينتمي نسبهُ الى الأنصار وتخرّج في العلوم بالمدرسة النظاميّة بأصبهان وبرع بالشعر والفقه وكان ينوب في القضاء ببلاد خوزستان تارة بتُستَر وتارة بعَسْكَرَ مُكرمٍ والى ذلك يشير بقوله:

ومــن الــنــوائــب أنَّــني ... في مثل هذا الشغل نائب
ومـن العـجـائـب انّ لي ... صبراً على هذي العجائب

وفي تعاطيهِ الشعر والفقه يقول:

أنا أشعر الفقهـاء غيرَ مـدُافعٍ ... في العصر او أنا أفقهُ الشعراءِ
شعري اذا ما قلت دوّنهُ الورى ... بـالـطبـع لا بتكلّف الالقـاءِ
كالصوت في ظلل الجبال اذا علا ... للسمـع هاج تجـاوب الأصـداء

وكان رفيع المكانة في الناس مُبجّلاً مكرَّماً. وشعرهُ جامعٌ بين العذوبة والصفاء والتفنن اللطيف وسداد[١] المغزى. ومن شعرهِ قولهُ:

شـاور سواك اذا نـابتك نـائبةٌ ... يوماً وان كنت من أهل المشُورات
فالعين تنظر ما منها دنا ونَأَى[٢] ... ولا تـرى نفسهـا الا بمـرآةِ

ومن قولهِ:

(١) استقامة وصواب

(٢) دناقرب ونأى بُعد.

سـأل الفضا عنه وأصغى للصدى كيـما يجيب فقال مثـل مقـالـهِ
نـاداهُ أين تـرى محطّ رحـالـهِ فأجاب أين تـرى محطّ رحالـهِ

وقال في الصديق الأمين ـ والبيت الثاني يُقرأ طرداً وعكساً:

أحب المرءَ ظاهرهُ جميل لصـاحبـه وبـاطنـه سليم
مودّته تدوم لكلّ هـولٍ وهـل كلٌّ مـودتهُ تـدومُ

ومن شعرهِ أيضاً:

مـا جبتُ آفاق البـلاد مـطوّفـاً ألاّ وأنتم في الـورى مـطّلبي
سعيي اليكم في الحقيقة والذي تجدون عنكم فهو سعي الدهر بي
انحوكم ويُردّ وجهي القهقرى[1] عنكم فسيرى مثل سَير الكوكب
فـالقصـد نحو المشرق الأقصى لكم والسير رأي العين نحو المغرب

---

(١) الرجوع الى الوراء.

إبن التَّعاويذي (١١٨٨م ٥٨٤ هـ)

هو أبو الفتح محمّد بن عبيد الله المعروف بسبط بن التعاويذي نسبة الى جدّه لأمه وهو أحد الزهاد المشهورين كان يكتب التعاويذ[١] فاشتهر بها ونُسب اليها. وهو الذي كفل حفيدهُ[٢] صغيراً ونشأ في حجره. وابن التعاويذي من فحول الشعراء وامراء الكلام وقد جمع شعرهُ بين جزالة الألفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقّتها. كان كاتباً بديوان المقاطعات ببغداد وعمي في آخر عمرهِ ولهُ في عماهُ أشعار كثيرة يرثي بها عينيهِ ويندب زمان شبابهِ. وكان باسمهِ راتبٌ في الديوان فلما عمي التمس ان يُنقل باسم أولاده. الاّ أن هؤلاء الاولاد لم يكونوا أهلاً لمثل هذه الثقة من لدن أبيهم فانهم عقُّوهُ[٣] ولم يعرفوا له منَّته وتركوهُ وشأنهُ فعضَّهُ الفقر بنابه حتى اضطرّ الى انفاذ[٤] قصيدة الى الامام الناصر لدين الله يسترحمه بها ويسألهُ ان يجدّد لهُ راتباً لمدّة حياتهِ. منها:

---

(١) جمع تعويذة اي رقية وهي ما يكتب ويعلق على الانسان ليقيهُ في زعمهم من الجنون والعين.

(٢) ابن ابنهِ.

(٣) عصوه وتركوا الشفقة عليهِ والاحسان اليه

(٤) ارسال.

خليفة الله أنت بالدين وال دنيا وأمر الاسلام مضطلع[1]
أنت لما سنّه الأئمة أع لام الهدى مقتفٍ ومتبعُ[2]
قد عدم العُدم في زمانك وال جَور معاً والخلاف والبدَع[3]
أرضي قد أجدبت وليس لمن أجدب يوماً سواك منتجع[4]
ولي عيال لا درّ درهمُ قد أكلوا دهرهم وما شبعوا[5]
اذا رأوني ذا ثروة جلسوا حولي ومالوا اليّ واجتمعوا
وطالما قطّعوا حبالي إع راضاً اذا لم تكن معي قِطَعُ[6]
يمشون حولي شتّى كأنهم عقاربُ كلّما سَعوا لسعوا
فمنهم الطفل والمراهق وال رضيعُ يحبو والكهل واليَفَعُ[7]
لهم حلوق تفضي الى معدٍ تحمل في الأكل فوق ما تَسَعُ[8]
من كل رحب المعاء أجوفه ناري الحشا لا يمسُّهُ الشّبعُ[9]
لا يحسن المضغ فهو يترك فيه بلا كلفةٍ ويبتلعُ[10]
ولي حديثٌ يلهو ويعجب من يوسعُ لي خلقهُ فيستمعُ
نقلتُ وسمي جهلاً الى وُلُدٍ[11] لستُ بهم ما حييت انتفعُ

---

(١) قائم.
(٢) سنّه وضعه والهدى ضد الظلال ومتأثر وتابع
(٣) عدم فقد والعدم الفقر والجور الظلم والبدع جمع بدعة وهي عقيدة أحدثت تخالف الايمان.
(٤) أجدبت امحلت والمنتجع الموضع يقصدهُ الناس في طلب الكلأ
(٥) لادرّ درُّهم لا كثر خيرهم.
(٦) قطعوا حبلي هجروني والاعراض الصدّ والقِطع النقود.
(٧) المراهق الغلام اذا قارب الحلم والرضيع الولد قبل فطامه يحبو يزحف على يديهِ ويطنهِ والكهل من كانت سنو عمره بين الثلاثين والخمسين واليفع واليافع الغلام والمترعرع المقارب البلوغ.
(٨) تُفضي تُوصل.
(٩) رحب واسع ناري الحشا شديد الهضم.
(١٠) المضغ لوك الطعام.
(١١) جمع ولد.

نظرت في نفعهم وما أنا في اج تلابِ نفع الأولاد مبتدعُ [1]
وقلت هذا بعدي يكون لكم فما أطاعوا أمري ولا سمعوا
واختلسوه [2] مني فما تركوا عيني عليه ولا يدي تقعُ
فبئس والله ما صنعت فأض ررت بنفسي وبئس ما صنعوا
فان أردتم أمراً يزول بهِ ال خصام من بيننا ويرتفع
فاستأنفوا لي رسماً أعود على ضنك معاشي بهِ فيتّسعُ [3]
وان زعمتم اني أتيت بها خديعة فالكريم ينخدعُ
حاشا لرسم الكريم يُنْسَخُ من نسخ دواوينكم فينقطعُ [4]
فوقعوا لي بما سألت فقد أطمعت نفسي واستحكم الطمع
ولا تطيلوا معى فلست ولو دفعتموني بالراح [5] أندفعُ
وحلّفوني ان لا تعود يدي ترفع في نقله ولا تَضعُ

فأمر الخليفة باعادة راتبه. ومن هذه الأبيات يستدل ان ناظمها مالك أزمّة الكلام ورقاب المعاني يتصرّف فيها كيف شاء. وجمع ابن التعاويذي ديوانهُ بنفسه قبل عماهُ وكل ما جدّدهُ بعد ذلك سمّاه « الزيادات ».

---

(1) سابق غيري.
(2) سلبوهُ.
(3) استأنفوا جددوا والضنك الضيّق.
(4) ينسخ يمحى.
(5) جمع راحة وهي باطن الكف

إبْن آلنَّبيه (١٢٢٢م ٦١٩هـ)

هو كمال الدين أبو الحسن عليّ بن محمد المعروف بابن النبيه المصريّ من محسني الشعراء واكثر شعرهِ في مدح بني أيُّوب أتّصل بالملك الأشرف موسى وكتب لهُ الانشاء بنصيبين(*). ومن شعرهِ قولهُ يرثي ولد الناصر بالله:

ألناس للموت كخيل الطِراد ... فالسابقُ السابقُ منها الجوادْ[1]
والله لا يدعو الى دارهِ ... الا من استصلح من ذي العبادْ
والموت نقَّادٌ على كفّه ... جواهر يختارُ منها الجيادْ
والمرءُ كالظلّ ولا بُدّ ان ... يزول ذاك الظلّ بعد امتدادْ
لا تصلح الأَرواحُ الا اذا ... سرى[2] الى الاجساد هذا الفساد
أرغمت يا موت أُنوف القنا ... ودست أعناق السيوف الحدادْ[3]
مصيبةٌ أذكت قلوب الورى ... كأنَّما في كلّ قلبٍ زِنادْ[4]
يا نائماً في غمرَات الردى ... كحلت أجفاني بميل السُهادْ[5]

(١) الطراد حمل الفرسان بعضهم على بعض والجواد الكريم.
(٢) دبّ واتصل.
(٣) القنا الرماح والحداد القواطع.
(٤) أذكت أضرمت والزناد جمع زند وهو العود الذي يقتدح به.
(٥) غمرات جمع غمرة وهي شدة الشيء والميل الململول اي المرود الذي يكتحل بهِ والسهاد عدم النوم.

(*) فوات الوفيات جـ ٦ ص ١٤٦.

ويا ضجيعَ الترب أقلقتني كأنَّما فرشي شوك القتادْ[1]
دفنت في الترب ولو أنصفوا ما كنت الا في صميم الفؤَادْ[2]

وشعر ابن النبيه سهلٌ عذب رقيق ولهُ أيضاً نثر لطيف أنيق.

---

(١) القتاد شجر صلب لهُ شوكٌ كالابر.

(٢) انصفوا عدلوا.

أبْنُ الفَارِض (١٢٣٤م ٦٣٢هـ)

هو أبو حَفْص عُمر بن عليّ المعروف بابن الفارض. أصلهُ من حماة ووُلد بالقاهرة وبها قضى معظَم حياتهِ وتوُفي. قدم مكّة وجاور بها زماناً ولهُ ديوان شعرٍ مشهور بين العامّة والخاصّة وأُسلوبهُ رائقٌ ظريف .وشعرهُ كُلُّهُ ما عدا مقطّعات قليلة في المعاني الصوفيّة وقد جرى على مصطلحهم في العبارة والمنهج فنشد القصائد الطويلة في الخمرة والحبّ وهو إنما يريد وصف الذات الالهيّة والتغزّل الروحي على ما يقولون ولهُ في المعاني والأغراض الخاصّة بالمتصوّفين تائيّتان تُعرف احداهما بالصغرى تبلغ مائة وثلاثة ابيات ومقدار الكبرى سبعمائة وستة وأربعون بيتاً وهما تستغرقان نصف الديوان ولا يكاد يُطالعهما الاّ من رُزق نصيباً وافراً من الجلد[1] والرغبة في حلّ رموز الصوفيّة بعكس بقيّة قصائدهِ فهي متناقلة مشهورة يرويها الكبير والصغير لما هي عليه من السهولة والرقة والعذوبة التي ليس بعدها من مزيد وقصيدته البائيّة التي يُفتتح بها ديوانهُ ومطلعها: (*)

(١) الصبر.

(*) أنظر وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٤٦.

سائق الاظعان يطوي البيد طَيْ   منعماً عرَّجْ على كثبان طَيْ[1]

أشهر من نار على علَم وهيِ على طولها تذوب لُطفاً ورونقاً وتفنّناً في ضروب الجناس ولا يؤخذ عليهِ سوى هذه القافية الغريبة التي بناها عليها وقد اضطَّرتهُ[2] أحياناً الى الاغراب والتكلُّف مماليس من طبعهِ في سائر قصائدهِ. غير أنّه قد يمكن ان تكون هذه القافية هي التيِ حبّبت الى كثيرين رواية هذهَ القصيدة وتحفظها ومن مشهور شعرهِ قصيدتهُ الميميّة في الخمرة منها:

شربنا على ذكر الحبيب مُدامةً   سكرنا بها من قبل ان يُخلقِ الكرمُ[3]
لها البدر كأس وهي شمس يُديرها   هلالٌ وكم يبدو اذا مزجت نَجْمُ[4]
ولولا شذاها ما اهتديتُ لحانها   ولولا سناها ما تصوّرها الوهمُ[5]
ولم يُبقِ منها الدهر غير حشاشةٍ   كأنّ خفاها في صدور النُهى كتْمُ[6]

ثم أخذ في تعداد صفاتها العجيبة ومزاياها الغريبة من ابراء الأسقام الى إحياء آلموتى قال:

يقولون لي صفها فأنت بوصفها   خبيرٌ أجل عندي بأوصافها علمُ
صفاءٌ ولا ماءٌ ولطف ولا هوا   ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جسمُ
تقدّم كلّ الكائنات حديثها   قديماً ولا شكلٌ هناك ولا رسمُ[7]

---

(١) الاظعان جمع ظعن جمع ظعينة وهي المرأة بالهودج والبيد الفلوات وطي الأولى مصدر طوى وعرج مال وكثبان جمع كثيب وهو تل الرمل وطي الثانية اسم قبيلة.

(٢) احوجته.

(٣) المدامة الخمرة وقيل اراد بها المعرفة الالهية.

(٤) مراده ان هذه الخمر شمس في كاس كالبدر يقدمها هلال فاذا مزجت بالماء يبدو على وجهها أنجم اي حباب كثيرة.

(٥) الشذا الرائحة الزكية الشديدة والحان حانوت الخمار والسنا النور والوهم الخيال.

(٦) الحشاشة بقية الروح في المريض والخفا الخفاء والنهى جمع نهية وهي العقل والكتم الستر والاخفاء.

(٧) حديثها جديدها والشكل الصورة والرسم الاثر.

وقامت بها الأشياء ثمَّ لحكمةٍ بها احتجبت عن كلّ من لاله فهمُ(١)
وهامت بها روحي بحيث تمازجا آ تحاداً ولا جِرمٌ تخلَّله جِرمُ(٢)
فخمرٌ ولا كرمٌ وآدمُ لي آبٌ وكرم ولا خمرٌ ولي أُمُّها امٌّ
ولا قبلها قبلٌ ولا بعد بعدها وقبليّة الا بعاد فهي لها حتمُ(٣)
وقالوا شربت الاثم كلاّ وانّما شربت التي في تركها عنديَ الاثمُ(٤)
فدونكها في آلحان واستجلها بهِ على تغنِ الألحان فهي بها غُنمُ(٥)
فما سكنت والهمَّ يوماً بموضع كذلك لم يسكن مع النغَمِ الغمُّ
وفي سكرةٍ منها ولو عُمرَ ساعةٍ ترى الدهر عبداً طائعاً ولك الحكمُ
فلا عيش في الدنيا لمن عاش صاحياً ومن لم يُمت سُكراً بها فاتهُ الحزمُ(٦)
على نفسهِ فليبكِ من ضاع عمرهُ وليس لهُ فيها نصيبٌ ولا سهمُ

---

(١) قامت ثبتت وثم هناك واحتجبت استترت.

(٢) هام به او له وتمازجا اختلطا وجرم الشيء مادته وتخلله دخل في خلاله وبين أجزائه.

(٣) الحتم اللزوم والوجوب.

(٤) الاثم الاولى من اسماء الخمرة والاثم الاخيرة الذنب.

(٥) دونكها خذها والحان حانوت الخمار واستجلها اطلب جلاءها والغنم الغنيمة ومراده ان انجلاء الخمرة في الحان على نغم غنيمة.

(٦) الحزم الأخذ بالثقة والرأى السديد.

الشَّواء (١٢٣٠ م ٦٢٨ هـ)

هو ابو المحاسن يوسف بن اسماعيل الحَلَبيّ المعروف بالشَّواء. كان أديبا فاضلا متقنا لعلم العَروض والقوافي شاعراً يقع لهُ في النظم معانٍ بديعة في البيتين والثلاثة وكان كثيراً ما يشير الى أغراض نحوية ولُغويّة في شعره. ومن قوله في المدح:

فتىً فاق الورى كرماً وبأسا عزيز الدار مخضّر الجنابِ
ترى في السلم منهُ غيث جودٍ وفي يوم الكريهة ليث غابِ

ولهُ أيضاً في شخصٍ لا يكتم السرّ:

لي صديقٌ غداً وان كان لا ينـ طق الا بغيبة او مُحالِ[1]
أشبه الناس بالصدى ان تحدّ ثـهُ حديثاً أعادهُ في الحالِ[2]

---

(١) الغيبة ذكر الغائب بالسوء وكشف معايبه والمحال الباطل.

(٢) الصدى ما يرجّعه الجبل او غيره الى المصوت مثل صوته وفي الحال سريعاً.

إبن مطروح (١٢٥١م ٦٤٩هـ)

هو جمال الدين أبو الحسن يحي بن عيسى المعروف بابن مطروح . وُلِدَ بسيوط من صعيد مصر ونشأ هناك واتّصل بعد تنقلٍ كثير بخدمة الملك الصالح نجم الدين الايوبي بن الملك الكامل ونائبه بالديار المصريّة وحظي عندهُ وصحبهُ الى البلاد الشرقيّة اذ قلّدهُ أبوهُ ولايتها على أثر الفتح. ولما عاد الملك الصالح الى مصر عاد ابن مطروح بعدهُ بمدّةٍ فرتّبهُ ناظراً في الخزانة. ثم أعيد سيّدهُ الى إمرة دمشق فعهد اليه بالنيابة عنهُ فيها في صورة وزيرٍ فمضى اليها وحسنت حالهُ وارتفعت منزلتهُ. ثم أوعز اليه[1] بالمسير مع العسكر المتوجّه الى حمص لاستنقاذها من أيدي نوّاب الملك الناصر. الّا انهُ ما عتّم ان بلغ الملك الصالح وهو بدمشق اجتماع الصليبيين بقبرص على عزم قصد الديار المصريّة فأمر جيش حمص بترك مقصدهم والعودة للمحافظة على مصر. وكان الملك الصالح قد تغيّر على ابن مطروح وعزلهُ عن ولايتهُ بدمشق وتنكّر لهُ لأمور نقمها[2] عليهِ غير أن الشاعر لم يكن لينكر أفضال وليّ نعمته فواظبَ[3] على خدمته مع الاعراض عنهُ حتى تُوفّي مولاه فاعتزل الامور ولزم داره وحدث لهُ في آخر العمر ألم في عينيه انتهى بهِ الى

(١) أمره. (٢) أنكرها.
(٣) داوم وثابر يُحاول يطلب والثريا مجتمع نجوم في كبد السماء والسماك اسم نجم.

مقاربة العمى(*). وشعر ابن مطروح لطيف المعاني صافي الديباجة سهل المأخذ. فمنهُ قولهُ في مدح أحد الوزراء من قصيدة.

على مهلٍ يا من يحاول مجدهُ فبين الثُّريّا والسماك منازلهُ(1)
كريمٌ لهُ بيتٌ كريم تقاسمت أواخرهُ ارثِ العلى واوائلهُ(2)
لهُ شيمٌ لو انَّ في الدهر بعضها لما غالت الحرَّ الكريم غوائلُهْ(3)
بليغٌ اذا ما أورد اللفظ خلتهُ عن الوحي يميلنا الذي هو قائلُهْ(4)
تحلّى بهِ الدهر الذي كان عاطلاً فأضحى حريًّا بالنباهة خَاملُهْ(5)
وأثنى عليه ليلهُ ونهارهُ وطابت به اسحاره واصائلهْ(6)
واني وان اتحفتهُ بمدائحٍ هي السحر الاّ ان فكري بابلُهْ(7)
فما تعبت لي فكرة في مديحه لاني راوي الفضل عنهُ وناقلُهْ(8)
فلا حمد لي فيها أقول وانما كتبت الذي أملت عليّ فضائلهْ
عفاف واقدامٌ وحزمٌ ونائلٌ الا في سبيل المجد ما انت فاعلُهْ(9)

---

(1) السماك اسم نجم.

(2) الارث ما يخلفه الميت لورثتهِ والعلى الرفعة والشرف جمع علياء.

(3) الشيم جمع شيمة وهي الخلق وغالهُ اهلكهُ والغوائل جمع غائلة وهي الداهية والشرّ.

(4) إذا ما زائدة وأورد سرد الوحي الألهام

(5) عاطل خال من الحلي وحريّ جدير واهل والنباهة ضد الخمول والخامل الساقط الذكر.

(6) أثنى عليه مدحه والاسحار جمع سحر وهو قبيل الصبح والاصائل جمع أصيل وهو ما بين العصر الى المغرب.

(7) اتحفتهُ اهديته والسحر العرافة استعارهُ للبيان وبابل عاصمة بلاد الكنعانين بناها نمرود - على شاطيء نهر الفرات اشتهر اهلها بالسحر.

(8) راوي قاصّ وناقل مخبر.

(9) العفاف الكف عن المحرمات والاقدام الشجاعة والحزم ضبط الامر واحكامه والاخذ فيهِ بالثقة والنائل العطاء وهذا البيت لابي العلاء.

. . . .

(*) ترجمة حياته في وفيات الاعيان وشذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٤٧.

ومن شعر ابن مطروح في التوبة والتضرع الى الله ما قاله في أثناء مرضه، وهذا اللون من الشعر يذكرنا بشعر أبي نواس في توبته، قال:

يـا أيها الشـامخ في قـربـهِ　　يـا أيها الـظاهـر في حُجبـهِ
بـالبـابِ كلبٌ وجـلٌ خـائفٌ　　من طول ما أسلف من ذَنْبِهِ
جاءك يستغفـر مـا قـد جَنَى　　مُلقى من الـذلِّ عـلى جَنْبِـهِ
وهو مع الخوف شديـد الرجا　　فـأنت يـا مـولاي أولى بِـهِ
مُـنَكِّس من خـجـلٍ رأسَـهُ　　بـاسط خَـدّيـهِ عـلى تُـربـهِ
فهـل لـه غيـرك من راحم　　هـل يرحم الكلب سـوى رَبِّهِ
وهـل لـه فيـك طمـأنينـة　　تَـدْخُـلْ بـالأمن عـلى قلبـهِ

ولهُ وقد مرض في بعض أسفارهِ فنزل بمسجدٍ في طريقهِ:

يا رَبِّ ان عجز الطبيب فداوني　　بلطيف صنعك واشفني يا شافي
انا من ضيوفك قد حُسبتُ وان من　　شيم الكرام البرّ بـالاضيـاف

وكان بين ابن مطروح وبين ابن خلّكان وبهاء الدين زهير مودّة

. . . .

(*) ديوان ابن مطروح مطبعة الجوانب القسطنطينية١٢٩٨ هـ.

بَهاءُ آلدِينِ زُهَيْر (١٢٥٨م ٦٥٦هـ)

هو بهاء الدين أبو الفضل زُهير بن محمد المهلبيّ. ولد بمكة وكان من فضلاء عصره وأحسبهم نظماً ونثراً ومن أكبرهم مروءة. إتصل بالملك الصالح إبن الملك الكامل الأيوبيّ وانتقل معهُ الى دمشق وأقام في خدمته الى أن جرت الواقعة المشهورة بين الملك الصالح وإبن عمّهُ الملك الناصر صاحب الكرك فظُفر بالملك الصالح وأعتُقل بقلعة الكرك فأقام بهاء الدين بنابلس محافظةً لصاحبه ولم يتصل بغيره ولم يزل على ذلك حتى عاد مولاهُ الى ملك الديار المصريّة فقدم إليها في خدمته وكان متمكناً من صاحبه كبيرة القدر عنده لا يطّلع على سرّه غيره. ومع هذا كلّه فإنّه كان لا يتوسط لديه إلاّ بالخير. وهي مزيّة فريدة تدلّ على علوّ همّة وكبر نفسٍ في صاحبها لا يتذرّع[١] بمكانته وحظوته لدي الأمير إلاّ لنفع الخلق على حين كانت الوشايات والسعايات[٢] الصناعة الخاصّة التي أتقنها أخصّاء[٣] الأمراء والمقرّبين إليهم في عصور الإستبداد إذ كانت الحياة والموت بين شفتي الحاكم فما هو إلاّ أن يتلفّظ بما يروقه فيُطاع أمره ولا مُراقب هناك ولا محاسب . . . وقد اجتمع به بالقاهرة إبن خلّكان وشهد له أنه رآه فوق ما سمع عنهُ من مكارم الأخلاق ودماثة

(١) يتوسل بوسيلة

(٢) جمع سعاية وهي النميمة.

(٣) المقرّبون منهم.

السجايا[1] وأنه نفع خلقاً كثيراً بحسن وساطته وجميل سفارته[2].

وشعر البهاء زهير غايةٌ في الرّقة واللطف والوضوح والإنسجام وهو السهل الممتنع المتداول بين الخاصّة والعامّة *. فمن رقيق شعره قوله يرثي صديقاً لهُ:

أراك هجرتني هجراً طويلاً ... وما عوّدتني من قبل ذاكا
فكيف تغيّرت تلك السجايا ... ومن هذا الذي عنّي ثناكا[3]
فلا والله ما حاولت[4] غدراً ... فكل الناس يغدر ما خلاكا
وما فارقتني طوعاً ولكن ... دهاك من المنيّة ما دهاكا[5]
يعزّ عليّ حين أدير عيني ... أُفتش في مكانك لا أراكا
ختمت على ودادك في ضميري ... وليس يزال مختوماً هناكا
لقد عجلت عليك يد المنايا ... وما استوفيت حظّك من صباكا
فوا أسفي لجسمك كيف يبلى ... ويذهب بعد بهجته سناكا[6]
ومالي أدّعي أني وفيّ ... ولست مشاركاً لك في بلاكا
تموت وما أموت عليك حزناً ... وحقّ هواك خنتك في هواكا
ويا خجلي إذا قالوا محبٌّ ... ولم أنفعك في خطبٍ[7] أتاكا

وقال ملغزاً في القفل:

---

(1) الأخلاق.
(2) سفر بين القوم أصلح.
(3) ثناك ردّك وكفّك.
(4) رمت وقصدت.
(5) المنية الموت ودهاك أصابك.
(6) يبلى يفنى والبهجة الجمال والرونق والسنا النور.
(7) الأمر المكروه.

....

(*) ترجمة حياته في وفيات الأعيان جـ ٦ ص ٣٩ ـ ٤١.

وأسود عارٍ إنحلِ البرد جسمهُ | وما زال من أوصافه[1] الحرص والطمعْ
واعجب شيء كونُهُ الدهرَ حارساً | وليس له عين وليس لهُ سَمَعْ(*)

وللبهاء زهير شعر جميل يحن فيه الى بلاد الحجاز، مسقط رأسه، ويذكر صبوته وحبه:

أحنّ الى عهد المحصّب من مُنى | وعيشٍ به كانت ترفّ ظلالُـهُ
ويـا حبـذا أمـواهُـهُ ونسيمُـهُ | ويـا حبـذاً حصبـاؤهُ ورمـالُـهُ
ويا أسفي إذا شَطّ عني مزاره | ويا حزني إذا غاب عنّي غزالُهُ
وكم لي بين المروُتين لبانـةٌ | وبـدرُ عَام قـد حوتـه حِجالُـهُ
مقيمٌ بقلبي حيث كنت حديثه | وبـاد لعيني حيث بُرت خيـالُهُ
وأذكـر أيـام الحجـاز وأنثني | كـأني صـريـعٌ يعتريـه خيـالُـهُ
هناك ترى بيتاً لزينب مشرقاً | إذا جئت لا يخفى عليك جلالُهُ
فقل ناشداً بيتاً ومن ذاق مثله | لدي جيرةٍ لم تَدْر كيف احتيالهُ
وكن هكذا حتى تصادف فرصةً | تـصـيـب بهـا ما رمته وتناله
فَعرض بذكري حيث تسمعُ زينبٌ | وقل ليسَ يخلو ساعة منك بالُهُ
عساها إذا ما مرّ ذكري بسمعها | تقولُ فلانٌ عندكم كيف حالُهُ؟!

وحدث وباءٌ بالقاهرة فأُصيب بهاء الدين وتوفّي به.

---

(١) الشره والبخل.

. . . .

(*) المصدر نفسه ص ـ ٤٨.

أَلْبوصِيريّ (١٢٧٩م ٦٧٨هـ)

هو شرف الدين أبو عبد الله محمّد بن سعيد المصريّ المعروف بالبوصيريّ نسبةً الى بوصير قريةٍ بمصر كان أحد أبويه منها. وهو شاعر محسن مطبوع اللهجة متفنّن النظم عذب الالفاظ منسجم التركيب وقد اشتهر بقصائد طنّانة في مدح نبيّ المسلمين أشهرها القصيدة الميميّة المعروفة «بالبردة» ومطلعها:

أمن تذكّر جيرانٍ بذي سَلَمِ مزجت دمعاً جرى من مقلةٍ بدَمِ (١)

وسُمّيت بالبُردة(٢) لأن البوصيريّ ذكر انه أُصيب بفالج نصفّي فعمل هذه القصيدة وكّرر انشادها ودعا وبكى ونام فرأى محمداً ﷺ في نومهِ فألقى عليهِ بُردةً فانتبه فاذا هو معافىً، ولهُ قصيدة أيضاً على وزن «بانت سعاد» في الموضوع نفسه واوّلها:

الى متى أنت باللذات مشغولُ وأنت عن كل ما قدّمتَ مسؤُولُ

ولهُ أيضاً غير ذلك في هذا المعنى. ومن مليح شعرهِ قولهُ يشكو حالهُ الى بعض الرؤساء:

يا أيُّها المولى الوزير الذي أيّامهُ طائعةٌ أَمرَه
اليك نشكو حالنا اننا حاشاك من قوم ٍ أُولي عُسْرَهْ(٣)

(١) ذو سلم موضع وقولهُ من مقلة لمجرد التوكيد.

(٢) الثوب المخطّط.

(٣) أصحاب فقر وحاجة.

في قلّةٍ نحن ولكن انا		عائلة في غاية الكثره
صاموا مع الناس ولكنَّهم		كانوا لمن أبصرهم عِبره[1]
وأقبل العيد وما عندهم		قمحٌ ولا خبزٌ ولا فِطرَه[2]
فارحمهمُ ان عاينوا كعكةً		في كفّ طفلٍ أو رأوا تمْرَه
تشخص أبصارهمُ نحوها		بشهقةٍ تتبعها زفرَهْ[3]
كم قائلٍ يا أبتا منهم		قطعت عنّا الخير في كرَّه[4]
ما صرت تأتينا بفلس ولا		بدرهمٍ وَرْقٍ ولا نُقْرَه[5]
وأنت فِي خدمة قومٍ فهل		تخدمهم يا أبتا سُخرَه
ويومَ زارت أُمّهم أُختَها		والأُخت في الغيرة كالضَّرَّهْ[6]
وأقبلت تشكو لها حالها		وصبرها مني على العُشْره
قالت لها كيف تكون النسا		كذا مع الأزواج يا عرَّه[7]
قومي اطلبي حقك منهُ بلا		تخلُّفٍ منك ولا فَتْرَه[8]
وان تأبَّ فخذي ذقنَهُ		ونتّفيها شعرةً شَعْرَه
قالت لها ما هكذا عادتي		فانّ زوجي عندَهُ ضَجْرَه
أخافُ ان كلّمته كلمةً		طلّقني قالت لها: بَعْرَهْ !!
وهّونت قدريَ في نفسها		فجاءَت الزوجةُ مجترَّه[9]
فقاتلتني فتهددتها		فاستقبلت راسي بآجُرَّه[10]
فحقٌّ من حالتهُ هذه		أن ينظر المولى لهُ أَمْرَهْ

---

(١) عِظَة	(٢) ما يفطر عليه من الطعام وغيره.
(٣) تشخص ترتفع وأبصارهم أعينهم والشهقة الصيحة والزفرة التنفس مع مدّ النفس.
(٤) الكرة المرة	(٥) الفلس قطعة مضروبة من النحاس يتعامل بها والورق الدراهم المضروبة وهو بيان لدرهم والنُقرة القطمة المذابة من الذهب والفضة.
(٦) ضرة المرأة امرأة زوجها.	(٧) العرة الخلة القبيحة.
(٨) التخلف التأخر وفترة انكسار وضعف.
(٩) هونت حقرت واجترّت الناقة اعادت الا كل من بطنها فاكتله ثانية واراد به تهيّؤ امراته للشر
(١٠) بقرميدة

نظم البصيري قصيدته الرائعة (البردة) وهي شهيرة بلغت من شهرتها أن خُمِّست اثنان وتسعون تخميساً وشرحت واحد وعشرون شرحاً باسهم باسم «الكواكب الدرية في مدح خير البرية». وقد وقع الإجماع على أنها أفضل مدائح الرسول(ص) بعد «بانت سعاد» ونحوها من مدائح الصحابة.

وتتألف (البردة) من ماثه واثنان وستون بيتاً، عشرة منها في النسيب الروحي الرمزي الذي ظاهره الغزل الإنساني العادي، وستة عشر في النفس وهواها وثلاثون في مدح النبي، وتسعة عشر في مولده، وعشرة في دعائه، وعشرون في مدح القرآن الكريم وثلاثة في المعراج، واثنان وعشرون في جهاده، واربعة عشر في الاستغفار، وباقي القصيدة في المناجاة.

وقيل انه فلج فنظمها أثناء مرضه، وتوسل بها الى الله ليشفيه، وقال إنه رأى النبي في منامه فأمرَّ يده وخلع عليه بردته، فأفاق البوصيري وقد شفي من مرضه ولهذا سميت بالبردة، سماها بعضهم بالبرْاة.

والقصيدة في سمو عاطفتها وروعة معانيها، نغم عُلْويين يشدو به المحبون الأتقياء فيصلون على النبي ويبتهلون بها الى الله تعالى، واولها:

أمِنْ تَـذَكّرُ جيـرانٍ بذي سَلَمِ	مَزَجْتَ دمعاً جرى مِن مقلةٍ بدَمِ
أمَ هَّبتِ الريحُ من تلقاء كاظمةٍ	وأوْمضَ البرقُ في الظلماءِ من أضمِ
فما لعينيك إن قلت أكففـاهمنا	وما لقلبك إن قلت استنفق يهمِ
أيحسبُ الصبُّ ان الحبَّ منكتِمٌ	ما بين منسجمٍ منه ومضطرمِ
لولا الهوى لم تُرِقْ دمعاً على طَللٍ	ولا أرقْتَ لِذِكرِ البـان والعلمِ
فكيف تنكِـرُ حباً مـا شهـدتْ	به عليك عدوكَ الدمعِ والسَّقمِ
وأثبتَ الوجدُ خطيٍّ عَبْرةٍ وضنىً	مثل البهار على خديك والعنمِ
نعم سَرَى طْيفُ من أهوى فآرّقني	والحبُّ يعتـرضُ اللذاتِ بـالألمِ

وقد اتّخذ شعراء المدائح النبويّة هذه القصيدة نموذجاً ينسجون على منواله من المدائح النبوية.

إبن نباتة ٦٨٦ هـ

هو جمال الدين محمد بن محمد بن الحسن المعروف بإبن نباتة، من أشهر الشعراء زمن المماليك، ووارث القاضي الفاضل في التعصب للثورية.

ولد بمنزل أسرته بزقاق القناديل بالقاهرة سنة ٦٨٦ هـ ونشأ فيها وتلقى العلم والأدب على يد كبار شيوخها ورؤساء دواوينها، واكب على قراءة شعر القاضي الفاضل ورسائله ورسخت فيه طريقته في الولوع بالتورية والطباق، فكان بعد القاضي الفاضل إماماً لهذه الطريقة نظماً ونثراً، وحاكاه آخرون من أدباء عصره كصلاح الدين الصفدي وكثيراً ما أغار على معانيه للتورية.

ويعد إبن نباتة شاعراً ولا يعد كاتباً، وديوان شعره كبير، واعتبره بعض أدباء عصره أشعر المتأخرين ولا سيما في الغزليات. وله مجموعة في المديح النبوي لا تقل جودة عن مدائح مشهوري المداحين وهي تجري مجراها في الروح والمعاني.

ومن مقطوعات إبن نباتة الرقيقة في الغزل قوله:

رقّت لنا حين همّ السّفر بالسّفر　　وأَقْبلتْ في الدُّجى تسعى على حَذَرِ
راض الهوى قلْبها القاسي فجادلنا　　وكـان ابخل من تموز بـالمطرِ
رآت غداة النّوى نار الكليم وقد　　شبّت فلم تبق من قلبي ولم تذْرِ
رشيقة لو تراها عندما سفرت　　والبـدر ساه إليها سَهْو معتـذرِ

رايت بدرين من وجه ومن قمر | في ظِلٍ صبحين من ليلٍ ومن شعرِ
وشفت درّ الحميا من مقبلها | إذا نبّهتني اليها نسمة السّحرِ
دنتْ نجوم الدّجى نحوي فما نظرت | من يرشف الراح قبلي من فم القمر
راق العتاب وأبدت لي سرائرها | في ليلة الوصل بل في غرّة القمرِ

وقال في الزهد:

أستغفر الله لا مالي ولا ولدي | أسى عليه إذا همّ الثّرى جسدي
عفت الإقامة في الدنيا لو انشرحت | حالي فكيف وما حظي من النكدِ

إبن النقيب (١٠٤٨ - ١٠٨١هـ)

هو عبد الرحمن بن محمد بن كمال الدين محمد الحسيني الملقب بـ (إبن النقيب) نسبة الى أبيه الذي كان نقيب الأشراف ببلاد الشام. ولد سنة ١٠٤٨ هـ ، وكان والده عالماً فقيهاً محققاً جامعاً لأطراف المعارف والفنون.

نشأ إبن النقيب في جو والده العلمي هذا، فاستقى منه ثقافته الدينية واللغوية والأدبية، وقرأ المتون والأصول، وخالط أدباء عصره وأخذ عنهم. وكانت تجري بينه وبين والده مطارحات شعرية في منازه دمشق وغوطتها، كما كان يشهد الأندية الأدبية والمجالس الاجتماعية التي كانت تضمها أوساط دمشق المثقفة وحلقاتها اللاهية فيشترك بما كان يجري فيها من محاورات شعرية ومفاكهات.

قال يصف الرياض ويتفنن بالتشابيه:

ما رياض مطلولة الزّهر قد خلـ ـتْ سُحْبُ الدلّي العزالي
فَيزَها زَهْرها وأَخْصب رَيّا ها وماست بها الغصون اختيالا
فانسياب الأصيل فيها كأيم فاجأته أيدي الخطوب اغتيالا
وكأن الأقاح منها شفاهٌ أوْدَعَتْها مُزْنُ الربيع الزّلالا
وكان الشقيق خدّ لطيم كَوّنَتْ فيه بهجة الحسن خالا
وكان الأطيار حين تَغَنّتْ غادرت بينها الغناء سجالا

وقال يتغزل في رعبوبة حسناء:

لست أنسى رعبوبة بشرتني بازديار قبيل وقت الغروب
ثم أومت أن لست أنسا كَ ولكن أخاف منكِ رقيبي
فتبسمت ثم أوجمت عن ردّ جوابٍ من خفق قلب طروب
فمضت ريثما غَفَتْ أَعْيُنُ الحرا سِ عنّا وحان وعد الحبيبِ
ثم جاءت تعطو بعاطل جيدٍ تتهادى في فضْلِ بُرْدٍ قشيبِ
نزعت حليها وعطلت الجيـ دَ ومالت نحوي كغصن رطيبِ

وهكذا فقد كان إبن النقيب تغريدة جميلة في عصر خبت فيه جذوة الاصالة. إلا أنه استطاع أن يحافظ على وهجها في أوصافه وغزله الذي خفق به قلبه وندت به قريحته الى أن صمت وهو في ربيع العمر.

المنشِئون

كان العرب في أوائل أمرهم يجتزئون(1) في مراسلاتهم على ما يؤدي الغرض من العبارة يسكبونها في أمتن قالبٍ من البلاغة. بل كان فصحاؤهم ولا سيّما الخلفاء والأمراء يتحرّون(2) الايجاز في المنطق والكتابة. وقد أُثر عنهم من جوامع الكلم ونوابغ الحكم ما يُعدّ من أسمى آيات البلاغة العربيّة ويشهد لأربابها بقوّة العارضة في تضمين الكثير من المعاني في القليل من الألفاظ وهي الغاية التي يرمي إليها فحول الرجال ولا يحوز قصب السبق فيها الا راسخو القدم في العلم المجلّون(3) في حلبة البلغاء. ولا بدع فان اعجاز الايجاز هو نهاية الكمال التي لا يتسنّم ذروتها(4) سوى أبطال الحكمة والمقال وقليلٌ ما هم.

بيد أنهُ لما استبحر(5) العرب في الحضارة ولابســوا(6) ارباب الممالك العريقة في التمدّن دفعتهم الغَيرة الى تحدّيهم ومباراتهم(7) في كافّةَ خُطَطهم وأساليبهم فكان من جملة ما اقتضتهُ طبيعة العمران والتوسُّع في أطراف التمدُّن

(1) يكتفون.
(2) يطلبون الأنسب.
(3) السابقون.
(4) يرقون اعلاها.
(5) تبسط وتوسّع.
(6) خالطوا.
(7) متابعتهم ومسابقتهم.

تفرُّع مصالح الدولة وتشعّب مناصبها فرتّبوا للقيام بأعبائها الدواوين المتعدّدة المتنوّعة وانبرى[1] للتصدُّر فيها قوم أصبحت الكتابة صناعتهم الخاصّة ومورد معيشتهم فتفرّغوا لاتقانها والتبريز[2] فيها. فاقتبسوا عن كتّاب الأعاجم أُسلوبهم في مخاطبة ملوكهم ومكاتبتهم من رصف الالقاب الضخمة الرنّانة واطالة الديباجة بالحمدلة[3] والأدعية الضافية[4] الأذيال والإطناب في شرح المقصود من الكتاب بأفخم العبارات وادلّها على تعظيم الأمر وتجليلهِ.

وقد رأيت ممّا سبق ان عبد الحميد بن يحيى الكاتب هو أولّ من اختطّ هذه الطريقة وأوضح معالمها[5] فجاء بعدهُ كتبة الدولة العباسية واقتفوا[6] آثاره ففصّلوا الكلام فِقَراً[7] ورتّبوهُ اسجاعاً قرعوا بها الاسماع وتلاعبوا بالمعاني وقلّبوها أنواعاً وأَغرقوا[8] في الاغراب والابداع وقدحوا زناد[9] الفكرة وتفنّنوا في الاستنباط والاختراع. وتنافسوا في الصناعة وتغالَوا في إتقان آلة البيان وتطالَّ[10] كلٌّ منهم الى تفرُّع سنام الكمال والتبريز على الأقران والمجيء بمبتكر[11] الآيات واستلفات نظرات الاستحسان من ارباب هذا الشان فأطلقوا لأقلامهم الأعنّة[12] وأجروها في ميدان الكتابة واستحثّوا مطايا[13] القرائح في

---

(١) اعترض.
(٢) السبق.
(٣) حمد الله
(٤) الطويلة السابغة.
(٥) آثارها.
(٦) تبعوا.
(٧) جملاً.
(٨) بالغوا
(٩) جمع زند وهو العود الذي يقتدح به.
(١٠) مدّ عنقه ينظر الى الشيء البعيد.
(١١) مبتدع.
(١٢) جمع عنان وهو سير اللجام.
(١٣) ركائب.

بلوغ أقصى الغايات فوشّوا ووشّعوا[١] وسجعوا ورصّعوا وتهافتوا[٢] على غرائب المعاني ودقائق الاغراض فحلّوا كلامهم بروائع الاستعارات وبدائع التشبيهات ولطائف الكنايات وطرائف[٣] الاشارات وخلعوا عليه زخارف البديع الباهرة وأشكاله الزاهية. فكان من هذا السباق في حلبة الجمال والكمال أن نشأ جلّةٌ[٤] من الكتّاب الأعلام وعصابةٌ من أئمة الملام لا يُشقّ لهم غبار ولا تُلحق لهم آثار فهم القوم الذين أُنزلت الفصاحة على أقلامهم وأوحيت اليهم أسرار البلاغة فدوّنوها في كلامهم فخرجت من بين أيديهم طروسٌ طرّزوها بفرائد[٥] الكلم دونها اللؤلؤ المنضود[٦] ورصّعوها بدرر الحكم دونها الجوهر المعقود ودبّجت[٧] يراعاتهم من الصحائف ما يزري[٨] بالحلل السندسيّة[٩] ونمّقوا[١٠] من الرسائل ما تكسد[١١] معهُ المطارف الموشيّة[١٢]. فكان للغة العربية من مؤلفاتهم آياتٌ معجزاتٌ خليقةٌ أن تكتب بذَوْب التبر[١٣] على جبين الدهر وفرائد كريمات قلّدت جيدها[١٤] بالعزّ والفخر وشهدت لمفصّليها بعلوّ الكعب في العلم والفضل ما أضاء النيّران وتعاقب الملوان[١٥].

وممّا تقدّم يُعلَم اننا عنينا بالمنشئين اولئك الذين لهم القدم الفارعة[١٦] في صناعة الانشاء او النثر وان كان لهم شعرٌ حسن كما عنينا بالشعراء الذين اشتهروا بالشعر خاصّة وان أُثر[١٧] لهم نثرٌ أنيق.

---

(١) وشع الثوب رقمهُ وجعل فيه طرائق.
(٢) أقبلوا بشدة.
(٣) نوادر وغرائب.
(٤) جمع جليل وهو العظيم.
(٥) لآلىء.
(٦) المنظم
(٧) زينب.
(٨) يعيب.
(٩) الحريرية.
(١٠) حسنوا.
(١١) لا تنفق.
(١٢) المنقوشة.
(١٣) الذهب.
(١٤) عنقها.
(١٥) الليل والنهار.
(١٦) العالية.
(١٧) روي

أَبْنُ ٱلْمُقفَّع (٧٧٤م ١٥٨هـ)

هو أبو محمّد عبد الله بن دَاذَوَيْهْ الفارسيّ الأصل من مشاهير كتّاب عصرهِ وبُلَغَاء مترسّليهِ[1] ويُضرب بهِ المثل في براعة الإنشاء وعلوّ الطبقةِ في الحكمة والفصاحة والتقدّم في التحبير[2] والتعبير. وقد حذا في صناعة الكتابة حذْوَ[3] عبد الحميد وقفا أثرهُ وكانت بينهما مودَّةٌ وصداقة موثّقة [4] العرى. ولما طُلب عبد الحميد بعد هزيمة مولاهُ كان هو وإبن المقفع في بيت واحد ففاجأهما الجند وسألوا «أيّكما عبد الحميد» فقال كلٌّ منهما «أنا» خوفاً من أن ينال صاحبه مكروه. فقال عبد الحميد «ترفّقوا بنا فانّ كلاً منّا لهُ علامات فوكّلوا بنا بعضكم وليمضِ البعض الآخر ويذكر تلك العلامات لمن وجّهكم» ففعلوا وأُخذ عبد الحميد. وهذا الغاية القصوى في المروءة والاريحيّة وذلك أُنموذج الكمال في الايثار[5] على النفس بين الأخوان...

واشتهر ابن المقفع بالأدب والفضل ونبل النفس. وقيل لهُ مرَّة «من أدّبك» فقال «نفسي. اذا رأيت من غيري حسناً أَتيتهُ وان رأيت قبيحاً أبيتهُ» واجتمع يوماً بالخليل بن أحمد فلما افترقا قيل للخليل «كيف رأيت ابن المقفع» فقال «علمه اكثر من عقلهِ» وقيل لابن المقفّع «كيف رأيت الخليل» قال «عقلهُ

---

(١) كتاب الرسائل
(٢) التحسين.
(٣) سار سيرة وامتثل به
(٤) مُحكمة قوية.
(٥) التفضيل.

اكثر من علمهِ» وكان ابن المقفّع مجوسيًّا يقيم بالبصرة ويكتب لعيسى بن عليّ عمّ المنصور الخليفة العباسيّ. فجاء يوماً الى عيسى وقال لهُ «قد دخل الاسلام في قلبي وأريد ان أُسلم على يدك» فأجّلهُ[1] عيسى الى الغد ليكون إسلامه بمحضرٍ من القوّاد ووجوهِ الناس. ثم حضر طعام عيسى عشيّة ذلك اليوم فجلس ابن المقفع. يأكل ويزمزم[2] على عادة المجوس فقال لهُ عيسى «أَتزمزم وأنت على عزم الاسلام»فقال «أكره أن أبيت على غير دين» فلمّا اصبح أسلم على يدهِ الّا انهُ لم يزل متّهما بالزندقة عند عامّة الناس.

وكان ابن المقفّع حادّ اللسان في محادثة سفيان بن معاوية أمير البصرة كثير العبث[3] بهِ والاستهزاء على ملاءٍ[4] من الناس في خَلقهِ وخُلقهِ وكان سفيان كبير الأنف فكان عبد الله اذا دخل عليهِ قال «السلام عليكما» يعني سفيان وأنفهُ . . . بل زاد في الاستخفاف بهِ وتخطّى حدود الأدب فحقد عليهِ سفيان وحلف ليقطّعنّهُ إرْباً إرْباً[5]. وحدث أن ابن المقفّع كتب بأمرٍ من عيسى بن عليّ أماناً من المنصور لعبد الله بن عليّ أخيه وبالغ في فصوله وشروطه حتى أوغر[6] صدر الخليفة بغلوّهِ وتطرّفه فأمر متولي البصرة بقتلهِ. فانتهز سفيان الفرصة للاثّثار[7] منهُ وشفاء حزازات[8] قلبهِ من سُخريّاتهِ. فأمر بتنور فسُجر[9] ثم أمر بابن المقفّع فقطّعت أطرافه عضواً عضواً وهو يُلقيها في التنور حتى أتى على جميع جسدهِ ثم أطبق عليهِ التنّور وقال «ليس عليّ في هذه المُثلة[10] بك حرج[11] لأنّك زنديق وقد أفسدت الناس» وهكذا هلك ذلك المسكين ضحيّة الاستبداد والحقد والهمجيّة[12] في

---

(١) أخرهُ.
(٢) يدندن.
(٣) اللعب والهزل.
(٤) جماعة.
(٥) عضواً عضواً
(٦) اوقدهُ من الغيظ.
(٧) للأخذ بالثأر.
(٨) جمع حزازة وهي وجع في القلب من غيظ او غيره.
(٩) مُلِيء حطباً وحمّي.
(١٠) العقوبة والتنكيل.
(١١) إثم.
(١٢) التوحش.

بوادر[١] فرطت من لسانهِ فقتل قتلة تقشعرّ من ذكرها الأبدان وترتعد لهولها الفرائص ولم يشفع فيهِ علمٌ ولا ادب ولا فضل . . .

ولابن المقفَّع رسائل بديعة ولهُ كتاب «الدرّة اليتيمة» وهو على صغر حجمهِ كنز حكمةٍ وبحر ادبٍ يغترف من معينهِ[٢] المتدفّق العالم والجاهل والمالك والمملوك وعرّب عدّة مؤلّفات عن البَهْلويّة[٣] أشهرها كتاب «كليلة ودمنة» وهو مجموع حكايات على السنة الحيوانات تبطّنت[٤] تحت ثوب الفكاهة واللهو ادقّ المغازي الحكميّة وأسمى الآراء الفلسفيّة وأشرف الاغراض الادبيّة والسياسيّة. وأصل وضع الكتاب بالهنديّة القديمة المعروفة بالسنسكريتيّة وضعهُ بيدبا الفيلسوف الهنديّ لدبشليم الملك ونقلهُ الطبيب بَرْزَوَيْهِ الفارسيّ الى الفارسيّة وعنها نقلهُ ابن المقفَّع الى العربيّة وتفنّن في اختيار الأساليب الرائعة والعبارات الأنيقة والألفاظ العذبة الشريفة فخرج من بين يديهِ آية في الفصاحة والبلاغة ومتانة السبك ومثالاً بديعاً حريًّاأن يتحدَّاهُ مترسّلو عصرنا ويطبعوا على غرارهِ[٥] في مبانيهِ ومعانيهِ. وعن نسخة ابن المقفَّع نقلهُ جميع الأُمم المتمدنة الى لغاتها واهتم علماؤهم بنظمهِ ومعارضتهِ وتحويلهِ وتطبيقهِ على آدابهم واذواقهم. وحسبهُ ذلك فخراً ليس بعدهُ زيادة لمستزيد

ولقّب أبو عبد الله بالمقفَّع لأن الحجّاج عَذَّبَهُ في مالٍ اختلسه وكان قد ولاهُ خَراج فارس فتقفّعت[٦] اصابعهُ من شدّة التعذيب. وحسبنا أن نلقي

---

(١) ما يبدو من الانسان عند حدتهِ مفردها بادرة.
(٢) الماء الظاهر الذي تراه العين يسيل على وجه الارض.
(٣) الفارسية القديمة.
(٤) وعت في باطنها.
(٥) تيبست وتقبضت. (٦) مثاله.

نظرة على انتاج ابن المقفع الفكري لنرى اهم الآراء التي نادى بها.

فالادبان الكبير والصغير وضعا من أجل التهذيب الخلقي وتعليم الأخلاق الرفيعة. فهما يبحثان ويعرضان للأخلاق في جوهرها ففيهما فصول في الحضّ على الاخلاق الكريمة، واسباب التعاون بين الناس. وكيف يجب ان ينمو هذا التعاون ويقوى. (*)

ففي الأدب الكبير، يقول إبن المقفع، عود نفسك السخاء واعلم انهما سخاءان سخاوة الرجل بما في يديه وسخاوته عما في أيدي الناس وسخاوة نفس الرجل بما في يديه أكثرهما وأقربهما من أن تدخل فيه المفاخرة.

وفي الأدب الصغير يقول: من أراد أن يكون من ذوي الألباب فليأخذ له عتاده وليعد له طول أيامه، وليؤثر فقد رام أمراً جسيماً لا يصلح على الغفلة، ولا يدرك بالمعجزة ولا يصير على الأثرة(**)

(*) الادب الكبير ص ٣٠٣.

(**) الادب الصغير ص ٣٢٠.

أَلْجَاحظ (٢٥٥هـ ٨٧٨م)

هو أبو عثمان عمرو بن بحر الكنانيّ البصريّ الملّقب بالجاحظ لجحوظ [١] عينيهِ فكان لهُ من ذلك منظر قبيحٌ للغاية ويُقال لهُ الحدَقيّ للسبب نفسهِ. وُلد بالبصرة ونشأ بها وأكبّ على تحصيل علوم الأدب فبرع في كلّ علمٍ وفنٍّ حتى أصبح نادرة زمانهِ وزعيم علماء عصرهِ غير معارَض. وذكرهُ قوم بكمال الفضل في حضرة المتوكّل فاستقدمهُ لتأديب بعض وُلدهِ فلمّا رآهُ استبشع منظرهُ فأمر لهُ بعشرة الاف درهم وصرفه . . . وعمّر الجاحظ طويلاً وأُصيب في أواخر عُمرهِ بالفالج فكان يَطلي نصفهُ الأيمن بالصندل[٢] والكافور لشدَّةِ حرارتهِ والنصف الأيسر لوقُرض بالمقاريض لما أحسّ به من خدَرهِ[٣] وشدّة بردهِ. وكان يوقول في مرضهِ «اصطلحت على جسدي الأضداد ان أكلت بارداً أخذ برجلي وان أكلت حارًا أخذ برأسي. وأشّد ما عليَّ ستٌّ وتسعون سنة» وكان يُنشد:

أترجو أن تكون وأنت شيخٌ كما قد كنت أيّام الشبابِ
لقد كَذَبَتْكَ نفسك ليس ثوب دريسٌ كالجديد من الثيابِ

وللجاحظ تصانيف عديدة في كلّ علمٍ وفن تدلّ على سعة معرفته وغزارة مادّتهِ. منها كتاب «البيان والتبيين» ضمّنه شيئاً كثيراً من النكات البيانيّة

---

(١) عظم مقلتيه ونتوءهما.
(٢) مستخرج شجر هندي طيب الرائحة.
(٣) تشنج يصيب العضو فلا يستطيع الحركة

والنوادر الادبيّة وغرر الاقوال وعيون الخُطب ومستلمح الفصول. ولهُ كتاب «الحيوان» لم يهتمّ فيه بالتبويب والتفصيل بل أورد ما قيل في الحيوان من كلام الأدباء. وكتاب «البخلاء» مثّل فيه أخلاق أهل البصرة في زمانهِ وغير ذلك ممّا يطول وصفهُ. وكان الجاحظ معتزليًا وهو منشىء فرقة خاصّة تُعرف باسمهِ «الجاحظيّة» ويحكي انهُ جرى ذكر الجاحظ في مجلس الأُستاذ أبي الفضل بن العميد فغضّ[1] منهُ بعض الحاضرين وأزرى[2] بهِ وسكت الوزير عنهُ فلمّا خرج الرجل قال بعض الجلوس لابن العميد «سكت أيها الأستاذ عن هذا الرجل في قولهِ مع عادتك في الردّ على أمثالهِ» فقال «لم أجد في مقابلتهِ أبلغ من تركهِ على جهلهِ ولو واقفتهُ وبينت لهُ لنظر في كتبهِ وصار بذلك انسناً. فكتب الجاحظ تعلّم العقل اوّلاً والأدب ثانياً ولم استصلحه لذلك» وكفى بكلام ابن العميد شهيداً على فضل الجاحظ وعلمهِ ونفاسة كتبهِ.

(١) وضع في قدره.

(٢) أحتقره وعابه.

إبن العَميدْ (٩٧٦ م ٣٦٦)

هو أبو الفضل محمّد بن الحُسين المعروف بابن العميد. والعميد لقب والده لقّبه بِهِ أَهل خراسان تعظيماً لهُ وكان ذا فضلٍ وأدب. وأمَّا ولده أبو الفضل فانهُ كان أوحد عصرِهِ في الكتابة ويُضرب به المثل في البلاغة ويُنتهى اليه في البراعة في حسن الترسّل وجزالة الألفاظ وسلاستها الى سموّ المعاني ونفاستها. وكان يقال « بُدئت الكتابة بعبد الحميد وخُتمت بابن العميد » وسافر الصاحب بن عبّاد الى بغداد فقال لهُ إبن العميد « كيف وجدت بغداد » فقال « بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد» وللصاحب فيهِ مِدَح كثيرة غرّاء وكان ابن العميد متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم جليل القدر في الناس. واستوزرهُ ركن الدولة بن بُويهِ الديلمي فأحسن تدبير الملك وقام بحقوقه أتمّ القيام وترامى صيتهُ في الآفاق وقصده جماعةٌ من مشاهير الشُّعراء من البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح ومنهم أبو الطّيب المتنبّي ورد عليه وهو بأرَّجان ومدحهُ بقصائد منها قصيدة مطلعها:

بادٍ هواك صبرت أم لم تصبرا   وبكاك أن لم يجر دمعك أو جرى[1]

ومن مدحه فيها:

(١) باد ظاهر ولم تصبرا أصلها لم تصبرن قلبت نون التوكيد الخفيفة ألفاً للوقف أي أن هواك صبرت أم لا وبكاؤك ظاهر جرى دمعك أم لا وخطاب الشاعر في هذا البيت موجه الى نفسه على سبيل التجريد.

من مُبلغْ الأعراب (١) اني بعدها جالستُ رسْطاليس والاسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه متملكاً متبدّياً متحضّرا[٢]
ولقيت كل الفاضلين كأنما ردّ الاله نفوسهم والأعصرا

وكان المتنبي يهاب جانب إبن العميد ويخشى انتقاده لما يعلم من سعة خبرته وصدق نظرهِ في الشعر وكان قد عاب عليه من قصيدته الرائية بعض مواضع فرّط[٣] فيها فقال يعتذر:

انا من شدّة الحياء عليلٌ مكرمات المُعلّهِ عوّادهُ[٤]
ما كفاني تقصير ما قلت فيهِ عن عُلاهُ حتى ثناهُ انتقادُهُ[٥]
ما تعوّدت أن أرى كأبي الفضـ ـلِ وهذا الذي أتاهُ اعتيادُهُ[٦]

وما أدراك من هو ذلك الرجل الوحيد الذي كان المتنبي يتحرّز منهُ هذا التحرّز ويخشى انتقادهُ ويتواضعُ لهُ مثل هذا التواضع مع ما علمت من فرط كبرياء المتنبّي وشدة إعجابه بنفسهِ وفاحش دعواه . . . وهذه الغاية القصوى في إعظام أدب إبن العميد والتنْويه[٧] بفضلِهِ وتفرُّدِهِ.

---

(١) الاعراب جمع عرب ورسطاليس هو أرسطوطاليس الفيلسوف اليوناني الشهير والاسكندر هو الملك العظيم المعروف بذي القرنين.
(٢) بطليموس هو الفلكي اليوناني الشهير ومتبدياً مقيماً في البادية ومتحضراً مقيماً في الحضر أي المدن.
(٣) قصّر.
(٤) العواد جمع عائد وهو زائر المريض وقوله المعلّة بمعنى الذي أعلّهُ يقول أنا عليل من حيائي وعوّادي المكرمات التي يتفضل بها علي الذي أعلّني.
(٥) يقول ما كفاني حياء أني قصّرت في مدحه حتى زاد على ذلك انتقاده لشعري وكشفه مواطن الخلل فيه.
(٦) يقول ان هذا الذي أعجب منهُ لأني لم أَرَهُ قط هو من عوائد أبي الفضل يصدر عنهُ كل حين.
(٧) الاظهار.

وكان أبو الفضل قليل الحظّ من العافية يقاسي مضض الأوصاب [1] ويتجرّع غصص الأوجاع لما يعتاده من القولنج[2] تارة والنقرس[3] أخرى لا يكاد ينفرج من تمزيق أحشائه حتى يعتريه تشنجّ[4] الأعضاء. ويحكى انهُ رأى يوماً أكّاراً[5] يأكل خبزاً ولبَن وقد أمعنَ[6] منهُ فقال « وددت لو كنت كهذا الأكار آكل ما أشتهي » وكم في هذه الدنيا من غنيٍ محسود على نعمته يردّد لسان حالهِ كلام ابن العميد وفي قلبه حسرات لم يذقْ لوعتها البائسون بل هي لحكمة إلهية محتكرة[7] لأرباب الثروة والترف . . .

ويقال ان الصاحب بن عبّاد عبر على باب دارِهِ بعد وفاته فلم يرَ هناك أحداً بعد أن كان الدهليز يغصّ من زحام الناس فانشد:

أيها الربعُ لِمْ علاكَ اكتئاب　　أين ذاك الحجابُ والحجّابُ
أين من كان يفزع الدهر منهُ　　فهو اليوم في التراب ترابُ
قل بلا رِقبةٍ[8] وغير احتشام　　مات مولاي فاعتراني اكتئابُ

---

(١) الأمراض.

(٢) مرض معديّ مؤلم جداً.

(٣) هو ورم يحدث في مفاصل القدم وفي إبهامها أكثر.

(٤) تقبّض.

(٥) فلاحاً.

(٦) بالغ.

(٧) مجموعة ومحتبسة.

(٨) فزع واحتراس وتحفّظ

ولما كان عصرنا عصر علم وصناعة أدّى البحث والتنقيب الى انقلاب مسائل العلوم وأعمال الصنائع التي كانت معروفة عند العرب وتغيّر مصطلحاتها واستنبط غيرها مما لم يمرّ له طيف[1] في خيال واضعي اللغة فكثرت الأوضاع المستحدثة لأداء الأغراض العلميةّ الحديثة والدلالة على أنواع المخترعات والمكتشفات العصرية وما يجد يوماً فيوماً في كل فن من الفنون مما لا يقع تحت حصر ولا يقف عند حدّ. ولسبب ما احتكرت هذه العلوم والصنائع للبلاد الغربيّة كما لا يخفى على أحد وهذه المواضعات الجديدة محدثة في لغاتهم ولا أثر لها في لغتنا. ومن ثم صارت المعاجم العربية بمنزلة معجمات اللغات الميتة من حيث العلوم والصناعات العصريّة لا يُعثر[2] فيها إلاّ على ما كان متداولاً عند الأمم الداثرة[3] في العصور الغابرة . . . ولا عبرة في بعض المفردات المستحدثة التي وفق الى وضعها بعض كتاب العصر الذين يُعانون من نقل شيءمن علوم الغرب لأبناء جنسهم أمراً معجزاً دونه خرط القتاد[4]. فان هي إلاّ برض من فيض[5] ونقطة من بحر لا تروي غليلاً ولا تسد خللاً. أصلح الله أحوالنا وسدّد[6] أقوالنا وحقق آمالنا.

هذا ولا حاجة الى التنبيه أن ما تقدم من الكلام لا يحط من مقام اللغة من حيث هي هي ولا ينقض ما أشتهر عنها من الإتساع. فإن من نظر في أوضاع اللغة العربية بعين النقاد البصير ووقف على أسرارها وكيفية تصرّف

---

(١) خيال.

(٢) يطلع.

(٣) الهالكة.

(٤) أي لا ينال الا بمشقة عظيمة والقتاد شجر صلب له شوك الابر وخرطه وإنتزاع شوكه باليد.

(٥) صوب

(٦) قليل من كثير.

أربابها في اشتقاق ما كان يحدث من مواضعات الحضارة حين انتقل العرب من مسارح البادية الى ساحات المدن ومن أكناف المضارب[١] الى شرفات[٢] القصور ظهر لهُ جليّا ان هذه اللغة من ألين اللغات تطريقاً وأسهلها تطبيقاً على ما تقتضيه المطالب العصريّة وتستلزمه مرافق[٣] المدنية الحاضرة. وهيهات أن توسم[٤] بطابع العجز عن تمثيل ما يخطر في الفكر من دقائق المعاني وتُرمي بالضيق عن القيام بقضاء حاجاتنا الحاليّة. فان اللغة كنزٌ لا تتدفق منه الخيرات إلّا إذا صرف أصحابه هممهم الى العمل به بجد وبصيرة. وقد تفردت اللغة العربية عن سائر اللغات بما فيها من وجوه التعبير المتعددة وفنون المجاز وضروب الاستعارات الى ما هنالك من المزايا التي لا تزال أبد الدهر عنواناً على إعجاز واضعيها وفضل أئمتها ما لثم النسيم عذبات[٥] الأغصان وناح القمرى[٦] على الأفنان[٧].

وسنذكر ههنا من علماء النحو واللغة أشهرهم صيتاً في أندية الأدب والله الموفق الى سواء السبيل وبلوغ الأرب.

---

(١) جنبات الخيام

(٢) جمع شرفة وهي ما أشرف من البناء.

(٣) منافع.

(٤) توسم اي يجعل لها علامة والطابع كل ما يطبع ويختم به.

(٥) أطراف.

(٦) نوع من الحمام

(٧) الأغصان.

علماء البصرة

أَبُو ٱلأَسْوَد (٦٨٨م ٦٩هـ)

هو ابو الاسود ظالم بن عمرو الدؤليّ. وُلد بالبصرة ونشأ بها وكان من وجوه اهلها واكابر أُدبائها ولما ظهر الاسلام دخل فيهِ وصحب عليّ بن ابي طالب وتشيّع[1] لهُ معهُ وقائع صفين الشهيرة وعمل[2] لهُ مدَّة على البصرة وكان من أكمل الرجال رأياً وأسدّهم عقلاً غير أَنَّهُ يؤخذ عليهِ حرصٌ شديد الى حدّ الافراط ومن قولهِ «لو أطعنا المساكين في اموالنا لكنّا أسوأ حالاً منهم».
وهو أول من وضع النحو وضَعهُ على الاصل الذي أرشدهُ اليه عليّ بن ابي طالب بقولهِ: «الكلام كلُّهُ ثلاثة أضرب اسم وفعل وحرف» ثمّ قال لهُ: «انحُ هذا النحو» فسمّي هذا العلم نحواً[3]. ويحكى انهُ دخل على زياد بن ابيهِ يوماً وهو والي العراقين وقال لهُ: «أصلح الله الامير اني أرى العرب قد خالطت هذه الاعاجم وتغيَّرت السنتهم أفتأذن لي ان أضع لهم ما يقيمون كلامهم» قال «لا» ثمّ اتفق ان جاء رجل فقال لزياد مستغيثاً «أصلحَ الله الامير تُوُفّي أبانا وترك بنون . . .» فقال زياد «أدعوا لي أبا الأسود فلّما حضر قال «ضع للناس ما نهيتك عنهُ»(*) وقيل انهُ دخل بيتهُ يوماً فقالت لهُ بعض بناتهِ «يا أبتِ ما أَحسنُ السماءِ» فقال «يا بُنيَّة نجومها» فقالت «اني لم أُرد أيُّ شيءٍ

(١) إدعى دعوته. (٢) كان عاملاً من قبله.
(٣) كذا يقولون في سبب تسمية هذا العلم

(*) الاغاني جـ ١١ ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

منها احسن انّما تعجبت من حسنها» فقال إذن فقولي: ما أحسنَ السماء وافتحي فاكِ» ويقال ان أول بابٍ وضعهُ هو باب التعجّب. وكان كلّما سمعَ لحناً[١] فاشياً في القوم وضع الباب الذي يقابلهُ.

وابو الأسود هو أولّ من وضع الحركات. قيل انهُ اتّخذ كاتباً وقال لهُ «اذا رأيتَني قد فتحتُ فمي بالحرف فانقط نقطةً فوقهُ وان ضممت فمي فانقط بين يدي الحرف وان كسرت فاجعل النقط من تحت وان سمعتَ غُنَّة فانقط نقطتين» وما زالوا يدلّون على الحركات بنقطةٍ تخالف لون الخطّ حتى أُحدث الاعجام فجعلوا النقط لتمييز الحروف المتشابهة الصور بعضها عن بعض وخالفوا في وضعها ثم جعلوا الحركات على الصورة المتعارَفة في أيامنا فاستُغني عن استعمال مدادين[٢] في الخطّ[٣]

---

(١) خطأ في الاعراب. (٢) حبرين.

(٣) كان العرب يكتبون في اول الامر بلا حركات ولا اعجام لمكانهم من معرفة لغتهم واستغنائهم عما يقوّم السنتهم الا ان اختلاطهم بـ الاعاجم ادى الى فشوّ اللحن لدقة احكام الاعراب وخفاء مواقعها على العامة ثم استعجمت الالسن وكثر التصحيف والتحريف في الفاظ اللغة نفسها ولا سيما في اعلام الاشخاص والاماكن حيث لا قرينة تدلّ على حقيقة اللفظ فأحدث الاعجام تلافياً لهذا الخلل.

مستملح ما يذكر في هذا المعنى ما يروى عن الفرزدق ان عجوزاً اتتهُ وقالت لهُ «اني استجرت بقبر ابيك» فقال لها «وما شأنك» قالت «ان تميم بن زيد خرج بابن لي ولا قرة لعيني ولا كاسب على سواهُ» فقال لها. «وما اسم ابنك» قالت «خنيس» فكتب الى تميم:

تميم بن زيد لا تكونَنّ حاجتي — بظهرٍ فلا يعيا عليّ جوابها
وهب لي خنيساً واحتسب فيهِ منّة — لعبرة ام لا يسوغ شرابها

فشك تميم في اسم الرجل (خنيس) واستقرى اسماء رجالهِ فوجد اسماؤهم بين خنيس وحنيش وحبيش الخ فوجّههم اليه . . .

ولأبي الأسود شعرٌ حسنٌ غير أنهُ لم يشتهر بالشعر اشتهارهُ بالنحو ومن شعرهِ قولهُ:

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن ألقِ دلوك في الدلاءِ
تجيء بملئها طوراً وطوراً تجيء بحمأةٍ[1] وقليل ماءِ

وله في الزهد والقناعة نغمات نراه بنشدها بقوله:

وإذا طلبتَ من الحوائج حاجةً فادعُ الآله وأحسن الأعمالا
فليعطينك ما اراد بقدرةٍ فهو اللطيفُ لما أراد فعالا
وادع العباد ولا تكن بطلابهم لهجاً تضعضعُ للعبادِ سؤالا
أن العباد وشأنهم وأمورهم بيد الآله يقلبُ الاحوالا(*)

وغير ذلك من متين الشعر وسديد القول. وأُصيب في آخر عمرهِ بفالج عطل نصف جسمهِ وتوفي ابو الأسود الدؤلي بالطاعون الجارف بالبصرة سنة ٦٨٩ مسيحية. ولم يبلغ دولة بني العبَّاس لكنّنا آثرنا تأخير ترجمته الى الآن لنذكره في صدر باب النحاة فانّ لهُ عليهم جميعاً فضل التقدُّم.

---

(١) الطين الاسود.

(*) الأغاني جـ ١ ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

أَلخَلِيل (٧٨٦م ١٧٠هـ)

هو أبو عبد الرحمان الخليل بن احمد الفراهيديّ. كان رجلاً عاقلاً حليماً وقوراً وافر الذكاء واسع العلم ولهُ المقام الرفيع في النحو واللغة ولم يزل طول ايّام حياتهِ منصبًّا على درس العلوم وتدريسها وأخذ عنهُ مشاهير علماء زمانهِ ومنهم سيبويهِ إمام النحاة واقوالهُ حجّة العلماء في اللغة وعلوم العرب ومن كلامهِ الدالّ على فضلهِ وهمتهِ قولهُ «اني اذا خرجت من منزلي لقيت احد ثلاثة اما رجلاً أعلم مني فذلك يوم فائدة او مثلي فذلك يوم مذاكرة أودوني فذلك يوم ثواب».

وكانت للخليل معرفة في النغم وقد وضع مصنَّفاً في هذا الغرض ولعل علمهُ بالالحان هو الذي أعانهُ على استنباط علم العروض لما بين الايقاع في الأنغام الموسيقيّة والتقطيع في الأجزاء العَروضيَّة من شدَّة الشبه والموسيقى والشعر علمان أخوان عند جميع الأُمم. غير أنهم يرون سبباً آخر لاستنباطهِ العَروض وهو أنه كان يوماً ماراً بسوق الصَّفارين[1] بالبصرة فسمع لدق مطارقهم على الطسوت نظاماً وايقاعاً أرشده الى تقطيع ابيات الشعر. ويحكي انهُ كان لهُ ابن جلف[2] فدخل عليهِ يوماً فسمعهُ يقطع بيتاً من الشعر بأَوزان

---

(١) صنّاع الصفر اي النحاس الاصفر.

(٢) غليظ جافٍ

العَروض فاستغرب كلامهُ فخرج الى الناس وقال «جُنَّ أبي جُنَّ أبي» فقال الخليل مخاطباً

لو كنت تعلم ما أقولُ عذرتني   او كنت تعلم ما تقول عذلتُكا(٣)
لكن جهلت مقــالتي فعــذلتني   وعلمت انك جاهلٌ فعذرتُكا(*)

والخليل أوّل من الف في اللغة. فعاني لذلك الرحلة الى البادية وخالط أهلها ووقف على كلامهم ودوَّن ما جمع من الفاظ اللغة في مصنَّفٍ شهير يعرف بكتاب «العين» سَّماهُ باسم الحرف الذي بدأه به فانه لم ينسّق الكلم على ترتيب حروف الهجاء المتعارف ولا على ترتيبها في حساب الجمَّل بل وضع للحروف ترتيباً من عندهِ واتّخذ المقاطع اساساً لنسقهِ وهو نظام معقول صحيح يشهد بأصالة رأيهِ وحسن ذوقهِ فقدم الحروف الحلقيّة مبتدئاً بأقصاها مقصعاً «ع ح ه خ غ ق» ثمّ الشجريّة «ك ج ش ض »ثم أحرف الصفير «ص س ز » ثم الأحرف اللسانية «ط د ت ظ ذ ث ر ل ن» ثم الشفهيَّة «ف ب م» ثم المعتلّة «و ا ي» وتسمية الكتاب بأول لفظٍ من الفاظهِ عادة جرت عند كثيرٍ من الأُمم. ويقال ان الخليل شرع في تأليف كتاب العين بخراسان ووافته المنيّة ولم يفرغ منهُ فاكملهُ تلامذتهُ ولم يكونوا من طبقة استاذهم فيقفوا آثارهُ في التأليف فجاء مختلاً غير اهل لأن يُعزى (٢) للامام الذي بدأ بهِ. ولما نُقل من خزانة الدولة الطاهريَّة الى بغداد تداولتهُ أيدي كثيرين فزادوا وحذفوا وقدَّموا وأخرَّوا كلٌّ على مقدار علمهِ وذوقهِ فكثر في الكتاب التخليط والاضطراب والفساد حتى مسخوهُ(٣) مسخاً.

---

(١) عذره رفع عنه اللوم وعذله لامه
(٢) ينسب.   (٣) حولوا صورته الى اقبح منها.

. . . .

(*) انظر ترجمة حياته في وفيات الاعيان جـ ٥ ص ١٩٦ ـ ٢٠٦.

وللخليل بن احمد أشعار هي خلاصة لتجاربه في الحياة ومن هذه الاشعار قوله في الزهد:

كن كيف شئت فقصرك الموتُ   لا مُرَحلٌ عنه ولا فوتُ
بينا غنىَ بيتٍ وبهجتُهُ   زال الغنى وتقوض البيتُ(*)

وقوله أيضاً:

وقبلك داوى الطبيب المريض   فعاش المريض ومات الطبيبُ
فكن مستعداً لدار الفناء   فإن الذي هوآت قريبُ

وله أيضاً:

ما هي الاليلة ثم يومها   وحول الى حول وشهر الى شهر
مطايا يقربن الجديد الى البلى   ويدنين أشلاء الكرام الى القبرِ
ويتركن أزواج الغيور لغيره   ويقسمن ما يحوي الشحيح من الوفر(**)

(*) عيون الاخبار لابن قتيبة جـ ٢ ص ٣٠٤

(**) وفيات الاعيان جـ ٥ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠

سِيبَويْهِ (٧٩٦م ٢٨٠هـ)

هو أبو بشر عمرو بن عثمان الملقب سيبويهِ وهو لقب فارسيّ معناهُ رائحة التفاح والفرس يقولون سيبويهَ. وُلد ببلاد فارس وقدم البصرة وأخذ النحو عن الخليل واللغة عن الأخفش الأكبر وبرع في النحو حتى فاق المتقدّمين والمتأخّرين وصار كلامهُ في هذا العلم الحجّة التي لا تُردّ والقول الفصل الذي ليس بعده مِريةٌ[١] ولا مراء ويحكى أن سبب قراءته النحو إنهُ جاء الى حمّاد بن سلمة لكتابة الحديث فاستملى منهُ «ليس من اصحابي احدٌ الّالَو شئت لأخذت عليهِ ليس أبا الدرداء» فقال سيبويهِ «ليس ابو الدرداء» فصاح بهِ حمَّاد «الحنت[٢] يا سيبويهِ انَّما هذا استثناء» فقال «لَأطلبنَّ علماً لا يُلَحِّنُني معهُ أَحَد» ثمّ مضى من فورهِ وشرع في قراءَة النحو واستطلاع اسرارهِ حتى أصبح فيهِ نسيج وحدهِ[٣] وامام النحاة غير معارَض وألّف كتابهُ المشهور ولشدّة اعجاب القوم بهِ واتّفاقهم على مزيَّتهِ[٤] أطلقوا عليهِ اسم «الكتاب» تنويهاً[٥] بشهرته واجلالاً لقدر صاحبه. وكان اذا قيل بالبصرة «قرأ فلان الكتاب» عُلم انهُ كتاب سِيبَويْهِ. وكان المبرّد اذا اراد مريدٌ ان يقرأ عليهِ كتاب سيبويه يقول له «هل

---

(١) شك وجدال.

(٢) أخطأت في الاعراب

(٣) منفرد لا نظير لهُ.

(٤) فضيلتهِ.

(٥) إظهاراً وتعظيماً له.

ركبت البحر» تعظيماً لكتاب سيبويه واستصعاباً لما فيه. ومن كلام أبي عثمان المازنيّ «من اراد ان يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد سيبويه فليستح»

وقدم سيبويه من البصرة الى بغداد والكسائي يومئذً يعلّم الأمين بن هارون الرشيد فجمع بينهما وتناظَرا وكان الكسائي كوفياً. وفي هذا المجلس قام الجدال بينهما على مسألة شهيرة تُعرف «بمسألة الزُّنبور» وخلاصتها ان الكسائي زعم أن العرب تقول «كنت اظنّ الزنبور اشدَّ لسعاً من النحلة فاذا هو إياها فقال سيبويه «ليس المثل كذا بل » فاذا هو هي» وتشاجَرا كثيراً ولما طال الجدال اتَّفقا على مراجعة عربي خالص لا يشوب[1] كلامهُ شيءٌ من كلام اهل الحضَر[2]. وكان الامين شديد العناية بالكسائيّ لكونه معلمهُ فاستدعى عربياً فقال كما قال سيبويه. فقال لهُ «نريد ان تقول كما قال الكسائي» فقال العربيّ «ان لساني لا يطاوعني على ذلك فانهُ ما يسبقُ الاّ إلى الصواب» فقَرَّوُا معهُ ان شخصاً يقول «قال سيبويه كذا وقال الكسائي كذا فالصواب مع من منهما» فيقول العربي «مع الكسائيّ» فقال «هذا يمكن» ثم عُقد لهما المجلس واجتمع أئمّة هذا الشان وحضر العربي وقيل لهُ ذلك فقال الصواب مع الكسائي وهو كلام العرب» فعلم سيبويهِ انهم تحاملوا عليه وتعصَّبُوا للكسائي فخرج من بغداد وقد حمل في نفسهِ لما جرى عليهِ وقصد بلاد فارس وتوفي بقريهِ من قرى شيراز يقال لها البيضاء.

---

(١) يخلط. (٢) سكان المدن

أبو عُبَيْدَة (٨٢٤م ٢٠٩هـ)

هو أبو عبيدة مَعْمَر بن المثَّنى. كان أبوه يهوديًا من أهل بَاجَرْوَان ببلاد فارس ولم يزل ابنهُ مبغضاً للعرب أَشدَّ البغض وألَّف الكتب في مثالبهم[1] وهو مدخولٌ في دينه خارجيّ المذهب خبيث اللسان لا يسلم من لسانهِ أحد لا شريف ولا وضيع. وكان ألثغ[2] واذا تحدَّث او قرأ لحن عمداً واذا أنشد بيتاً لا يقيم وزنُ وَمِنْ قوله «النحو شؤم كلّه» وكان رثّ[3] الهيئة قذر اللباس سيّء المنظر والمخبر واما من حيث العلم والأدب فَلأَبي عبيدة مقام سام في عصابة العلماء فقد كان غزير المادَّة واسع الرواية عالماً باللغة والشعر خبيراً بأنساب العرب وأخبارهم وايامهم قديمها وحديثها ولهُ في هذا المعنى الأخير تصانيف اوضح بها معالم[4] هذه الطريق فقفا أثرهُ جماعة منهم ابو الفرج الاصبهانيّ صاحب الأغاني وان كانوا قد فاقوهُ فلهُ عليهم فضل السابق المتقدّم. وكانت بين ابي عبيدة والاصمعيّ مساماة[5] ومنافرة كما هو الشأن لذوي الصناعة الواحدة وكثيراً ما فضَّلهُ قومٌ على قرنهِ وقيل انهُ كان كثير الفوائد جمّ العلوم مع سوء عبارة والاصمعيّ قليل الفائدة مع حسن انشاد

---

(١) عيوبهم.

(٢) في لسانه لثغة اي ثقل.

(٣) بالي.

(٤) جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق.

(٥) مفاخرة.

وزخرفة والى ذلك اشار تلميذه ابو نؤاس بقولهِ «الاصمعيّ بلبلٌ بقفص وأبو عبيدة أَديمٌ[1] طوي على علم».

وأبو عبيدة أوّل من ألّف في علم البيان ويعرف تأليفهُ «بمجاز القرآن» وكان سبب وضعهِ لهُ لما استقدمهُ الوزير الفضل بن الربيع من البصرة الى بغداد حضرَ وأنشدهُ فَطَربَ وأنس بهِ وقرَّبهُ. ثمّ دخل ابراهيم بن اسماعيل من كتَّاب الفضل ووزرائه فأجلسهُ بجانبهِ وسألهُ «أتعرف هذا» فقال «لا» فقال «هذا ابو عبيدة علاَّمة اهل البصرة أقدمناهُ لنستفيد من علمهِ» فالتفت الرجل الى أبي عبيدة وقال «كنت اليك مشتاقاً وقد سُئلت عن مسألةً أفتأذن لي ان اعرفك» فقال «هات» فقال « قال الله تعالى (طلْعُها[2] كأنهُ رؤوس الشياطين) وانما يقع الوعد والايعاد[3] بما قد عُرف مثلهُ وهذا لم يُعرَف» فقال أبو عبيدة «انما كلَّم الله العرب على قدر كلامهم. اما سمعت قول امرىء القيس:

أيقتلني والمشــرفيُّ[4] مُضــاجعي ومسنونةٌ[5] زرقٌ كأنياب اغوالِ

وهم لم يروا الغول قطّ ولما كان أمر الغول يهو لهم أوعدوا به» فاستحسن ذلك الفضل وإبراهيـم. ولم يزل ابو عبيدة يُؤلف حتى مات ويقال ان تصانيفه تقارب المائتين

ولما كان ابو عبيدة شعوبيًا شديد التعصُّب حاد اللهجة لا يفتأ يطعن في العرب ويمزّق أعراضهم أوغر[6] صدورهم وملأ قلوبهم حقداً وشحناء[7] فدسّ بعض اعدائهِ لهُ سًما بموزٍ وأطعمهُ فمات منهُ.

---

(١) الجلد المدبوغ.
(٢) الطلع من النخل ما يخرج كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود
(٣) وعده خيراً وأوعده شرّاً
(٤) المشرفي السيف المنسوب الى مشارف اليمن
(٥) صفة للسهام المحذوفة.
(٦) اوقدها من الغيظ (٧) بغضاً.

الأصمَعِيّ (٨٣٢م ٢١٧هـ)

هو ابو سعيد عبد الملك بن قُريب الباهليّ المعروف بالأصمعي نسبةً الى أصمع أحد أجدادهِ وُلد بالبصرة وأقبل على العلوم فأَتقنها جميعاً حتى أصبح حجّة أدباء زمانهِ في كل فنّ من فنون الأدب. وترامى صيتهُ في الآفاق وعظم قدرهُ في الناس فاستقدمهُ هارون الرشيد وأجرى عليهِ رزقاً واستخلصهُ لمجلسهِ وحظي عندهُ كثيراً بظرفهِ وسعة علمهِ وصدق روايته وحسن تديُّنه. بل ربّما تخطّى حدود الاعتدال في تعبُّدهِ حتى كان مفرط الاحتراز في تفسير القرآن والسُّنّة فاذا سئل عن شيء منهما يقول «العرب تقول معنى هذا كذا ولا أعلم المراد منهُ في الكتاب والسنَّة أيُّ شيء هو» وكان الامام احمد بن حنبل يقول «ان الاصمعيّ ثقةٌ في السنَّة» وقال الشافعيّ «ما رأيت بذلك المُعسكر أصدق من الاصمعيّ»

وللاصمعيّ تصانيف كثيرة جدا تشهد بغزارة مادَّتهِ منها «كتاب الخيل» وقد روى هو نفسهُ قصةً في شأن هذا الكتاب قال: حضرت انا وابو عبيدة عند الفضل بن الربيع فقال لي «كم كتابك في الخيل» فقلت «مجلَّدٌ واحد» فسأل ابا عبيدة عن كتابهِ فقال «خمسون مجلَّداً» فقال لهُ «قم الى هذا الفرس وامسك عضواً عضواً منهُ وسمِّهِ» فقال «لست بيطاراً وانَّما هذا شيءٌ أخذته عن العرب» فقال لي «قم يا اصمعيّ وافعل انت ذلك» فقمت وأَمسكت ناصيتَهُ وشرعت أذكر عضواً عضواً وأَضع يدي عليه وأُنشد ما قالت العرب

فيه الى أن فرغتُ منهُ. فقال «خذهُ» فاخذته وكنت اذا اردت أن أغيظ ابا عبيدة ركبتهُ اليهِ. ونوادرهُ وملحهُ وغرائبهُ لا تُحصى. وكان معجزة زمانهِ بقوة ذاكرتهِ حتى قيل انه يحفظ ستة عشر الف ارجوزة. ولما طعن في السنّ عاد الى البصرة وحرص المأمون أن يصير اليه فلم يفعل واحتجّ بضعفهِ وكبَرِه فكان المأمون يجمع المشكل من المسائل ويسيّرها اليهِ ليجيب عنها. ولمّا تُوُفّي رثاهُ ابو العتاهية بقولهِ:

أَسفتُ لفقد الاصمعيّ لقد مضى حميداً لهُ في كل صالحةٍ سَهْمُ
تقضّت بشاشاتُ المجالس بعدَهُ وودَّعَنا اذ وُدّعَ الأُنسُ والعلمُ
وقد كان نجمَ العلمِ فينا حياتَهُ فلما انقضت ايَّامهُ أفل النَجْمُ

أِبن دُرَيْد (٩٣٣م ٣٢١هـ)

هو أبو بكر محمّد بن الحسن بن دُرَيد. وُلد بالبصرة ونشأ بها تعلّم على مشاهير علمائها واقتبس منهم شيئاً كثيراً وأصبح راسخ القدم في اللغة وأنساب العرب واشعارهم وبرع في الشعر ولهُ نظمٌ جزلٌ رقيق يدلّ على ملكة قوية وقريحة سخيَّة. وانتقل عن البصرة الى عمَّان ثم عاد اليها بعد سنين ومنها شخص الى بلاد فارس وصحب ابَني ميكال عبد الله بن محمّد وابنهُ ولهُ في ابيهما المعروف بالشاه ابن ميكال وفيهما قصيدة شهيرة من جيد الشعر تعرف بالمقصورة مطلعها:

يــاظبيــةً اشبــه شيءٍ بــالمهَى ترعى الخزامى بين اشجارِ النقا[1]

وهي طويلة جداً جمع فيها اكثر المقصور فأَجزل ابن ميكال صلتهُ وقلّدهُ ديوان فارس وكانت تصدر كتب فارس عن رأيهِ ولا ينفذ أمر الا بتوقيعهِ فأفاد اموراً كثيرة وكان مفيداً مبيداً لا يمسك درهماً سخاءً وكرماً. والف برسم ابني ميكال كتاب «جمهرة لسان العرب» وهو كتاب نفيس في اللغة وله مؤلّفات أُخَر غيرَهُ. ولمّا عُزل ابنا ميكال عن عمالة فارس وانتقلا الى خراسان قدم ابن دُريد بغداد فأنزلهُ الوزير عليّ بن العزات في جوارهِ وأفضل عليهِ وعلم الامام المقتدر خبرهُ ومكانهُ من العلم فأجرى عليه خمسين ديناراً في كل شهر كفتهُ

(١) الظبية الغـزالة والمهى بقـر الوحش جمـع مهاة والخـزامى نبت زهره طيب الـرائحة والنقـا القطعة من الرمل المحدودبة.

مؤونة السعي فانقطع الى الاهتمام بالأدب. وكان مولعاً بآلات الطرب مدمناً[1] للخمرة ولما كان لا يعرف للمنع معنى بذَّر أموالهُ بمجالس اللهو والهبات وذُكر أنّ سائلاً سألهُ شيئاً فلم يكن عندهُ غير دنّ[2] نبيذ فوهبهُ لهُ فأنكر عليه أحد غلمانهِ وقال «تتصدق بالنبيذ» فقال «لم يكن عندي شيءٌ سواهُ واستشهد بالآية «لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبُّون» ثم أُهدي لهُ بعد ذلك عشرة دنان فقال لغلامهِ «أخرجنا دنًّا فجاءنا عشرة» وأصيب بالفالج في آخر عمرهِ وعاش بهذه العلة سنتين.

---

(١) ملازماً لشربها

(٢) وعاء كالبرميل للخمر.

أَلمبَرَّد (٢٨٦هـ ٨٩٩م)

هو أبو العباس محمّد بن يزيد الملقب بالمبرد. وُلد بالبصرة وأخذ النحو عن مشاهير علمائها كأبي عثمان المازنيّ وغيرهِ ولهُ في النحو واللغة القدح المعلّى[١]وكان من أئمة العلم المشار اليهم بالفضل واشتهر بالأدب فأقبل الطّلاب عليه يقتبسون منهُ. وكان حسن المحاضرة مليح الاخبار كثير النوادر خفيف الروح. وجرت بينهُ وبين ثعلب النحويّ مناظرات كثيرة كان يعلو فيها بذرابة[٢] لسانهِ وحلو اشارتهِ على خصمهِ ويحجُّهُ[٣]. وذكرهُ يوماً ثعلب لكلام قبيح فبلغ ذلك المبرّد فأنشده:

ربَّ من يعنيهِ حالي ... وهو لا يجري ببالي
قلبهُ ملآن مني ... وفؤادي منهُ خالي

ونقلت الابيات الى ثعلب فلم يعد يتعرّض لذكره. وثعلب هذا من مشاهير أدباء زمانه ولهُ مع المبرَّد مقام رفيع عند ارباب العلم. ومن قول معاصريهما فيهما «قد خُتم بالمبرَّد وثعلب تاريخ الأُدباء» وللمبرَّد من التصانيف «كتاب الكامل» في اللغة والأدب و«كتاب الروضة» وغيرهما.

---

(١) سابع سهام الميسر وهو اكبسها
(٢) حدّة
(٣) يغلبه بالحّجة.

وذكر أبو العبّاس سبب تلقيبهِ بالمبرَّد قال «كان صاحب الشرطة[1] يطلبني للمنادمة والمذاكرة فكرهت الذهاب اليه ودخلت الى ابي حاتم السجستاني فجاء رسول الوالي يطلبني فقال لي ابو حاتم «ادخل في هذا» يعني غلاف مزمَّلة[2] فارغاً فدخلت فيه وغطَّى رأسهُ فلم يعثر[3] عليّ الرسول وخرج فجعل ابو حاتم يصفّق وينادي على المزمَّلة «ألمبرد ألمبرَّد» تسامع ذلك الناس ولهجوا بهِ.

---

(١) طائفة من خيار أعيان الولاة.

(٢) جرّة او خابية لتبريد الماء.

(٣) عثر عليه وحده.

علماءُ الكوفة

مُعاذُ الهَرّاء (١٩٠هـ ٨٠٥م)

هو أبو مسلم معاذ بن مسلم الملقّب بالهراء لأنه كان يبيع الثياب الهَرَوية نسبةً الى هراة بلدة بخراسان. هو أقدم نحاة الكوفة وأستاذ الكسائي وأول من وضع الصرف أي أنه أفرد القواعد المتعلّقة بأبنية الكلمات عند أفرادها وهي الصرف التي تبحث في التغيير الطارىء على أواخر الكلم عند تركيبها وهي النحو. والصرف مقدّم طبعاً على النحو كما أن المفرد مقدّم على المركب. غير أنهم لا يزالون يريدون بالنحو عند الاطلاق الصرف والنحو معاً أي مجموع قواعد اللغة العربية. ولم يظهر لمعاذ مصنّف وأوّل من ظهر له كتاب في النحو من الكوفيين هو أبو جعفر الرؤاسي إبن أخي مُعاذ وسمّى كتابهُ « الفيصل »[1].

وعمّر مُعاذ طويلاً حتى ضرب به المثل في الكبر والى ذلك أشار سهل الشاعر بقوله:

انّ مُعاذ بنَ مسلم رجلٌ ليس لميقات عمرِهِ أَمَدُ
قدْ شابَ رأس الزمان واكتهل الدهر وأثواب عمرِهِ جُدُدُ[2]

---

(١) السيف القاطع

(٢) اكتهل صار كهلاً اي كان عمره يتراوح بين الثلاثين والخمسين وجدد جمع جديد.

قـل لمعـاذ إذا مـررتَ بِـهِ قد ضَجّ من طُول عمرِكَ الأبَدُ
يا بكر حوّاءَ كم تعيش وكم تسحب ذيـل الحياة يـا لُبَدُ[1]
قـد أصبحت دار آدم خَـرَبـاً وأنت فيهـا كـأنـك الـوتـدُ

(١) لبد نسر زعم العرب انه كان للقمان بن عـاد عاش مـائتي سنة فضرب به المثل في طول البقاء.

الكِسائيّ (٨٠٤م ١٨٩هـ)

هو أبو الحسن علي بن حمزة الملقّب بالكِسائي. أخذ النحو عن محمد الرؤاسي وقدم الى الكوفة ودرس على الخليل بن أحمد ثم طاف أحياء البادية وسمع عن العرب حتى صار من أئمة عصره وأركان علوم اللغة وذاع صيته في البلدان وانتقل الى بغداد واتخذه المهديّ معلماً لابنه الرشيد ثم أقامه الرشيد مؤدباً لابنه الأمين وكان يقربه ويعظمه كثيراً لأدبه وعلمه وكان للكسائي شهرة في قراءة القر آن وهو أحد القرّاء السبعة المعوّل عليهم. وصنّف كُتُباً بأمر الرشيد وصل الينا منها « رسالة في لحن العامّة » وجرت بينه وبين نحويّي عصره مناظرات مرّ ذكر إحداها في ترجمة سيبويه ولم يكن له في الشعر يدٌ حتى قيل « ليس في علماء العربيّة أجهل من الكِسائي بالشعر ».

وتعلم الكسائي النحو على كِبَر وكان سبب تعلمه أنه جاء يوماً وقد مشى حتى أعيا فجلس الى قومٍ فيهم فَضْلٌ وكان يجالسهم كثيراً فقال « قد عييتُ » فقالوا لهُ « تجالسنا وأنتَ تَلْحن » فقال كيف لحنت » فقالوا لهُ « أن كنت أردت من التعب فقل أعييت وإن كنت أردت من إنقطاع الحيلة والتحيّر في الأمر فقل عييتُ مخَفّفة » فأنف[1] من هذه الكلمة وقام من فوره[2] وشمّر عن

(١) ترفع وتنزه عنه

(٢) حالا.

ساعد الجدّ في طلب الأدب وصار الى ما صار من العلم والشهرة بهمته وثباته.

وخرج الرشيد الى الريّ فصحبه الكسائي ومحمّد بن الحسن الفقيه وماتا كلاهما برنبويه قرية على مقربة من الريّ في يوم واحد فأسف الرشيد عليهما وكان يقول: «دفنت الفقه والعربيّة في الريّ»

الفرّاء

(٨٢٢م ٢٠٧هـ)

هو أبو زكرياء يحي بن زياد المعروف بالفرّاء. كان فارسي الاصل من جبال الديلم وولد بالكوفة وأخذ النحو عن الكسائي وتضلع من اللغة وفنون الأدب وعُدّ من أئمة عصره. وورد بغداد وبقي يتردّد مدّة على باب المأمون ولا يصل اليه حتى التقى به يوماً أحد أخصاء الخليفة فتوسّم فيه الفضل ففاتشه عن اللغة فوجده بحراً وعن النحو فشاهده نسيج وحده وعن الفقه فوجده فقيهاً عارفاً باختلاف القوم وبالنجوم ماهراً وبالطبّ خبيراً وبأيّام العرب وأشعارها حاذقاً فقال له: « من تكون وما أظنك الا الفرّاء » فقال « أنا هو » ثم دخل فذكره عند المأمون فأمر بإحضاره وحظي عندهُ جداً.

وأَمَره المأمون ان يضع مؤلفاً يجمع فيه أصول النحو وما سمع من العربية وأوعز أن يُفرد بحجرة من حجر الدار وأمر الخدم بالقيام بحوائجه وصَيّر اليه الورّاقين وألزمه الامناء فكان يملي والورّاقون يكتبون حتى صنفّ « كتاب الحدود » في سنتيـن وله تصانيف أخر في علوم الأدب وقد أملى كتبه كلها حفظاً لم يأخذ بيده نسخة الا في كتابين. وقال إبن الأنباري « لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية الا الكسائي والفرّاء لكان لهم الافتخار على جميع الناس إذ انتهت العلوم إليهما »

ولما كان الفرّاء فريد عصره في العلم والأدب جعله المأبون مؤدباً لأبنيه. ومن لطيف ما يروى عنه معهما انه بعد إلقاء الدرس عليهما يوماً نهض ليخرج

الى حوائجه فابتدر الأميران الى نعليه يقدمانها لهُ فتنازعا أيّهما يقدمهما ثم اصطلحا أخيراً على ان يقدم كلّ واحد منهما فردة فقدّماها. وكان للمأمون على كل شيء صاحب خبر فرفع ذلك الخبر اليه فوجّه الى الفرّاء فاستدعاه فلما دخل عليه قال له « من أعز الناس » فقال « ما أعرف أعز من أمير المؤمنين » قال « بلَى من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليّا عهد المسلمين حتى رضي كل واحد منهما ان تقدم له فرداً » فقال « يا أمير المؤمنين لقد أردت منعهما عن ذلك ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا اليهما أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصاً عليها » فقال له المأمون « لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوماً وعتباً وألزمتك ذنباً وما وضع ما فعلاه من شرفهما بل رفع من قدرهما وبيّن عن جوهرهما. ليس يكبر الرجل وإن كان كبيراً عن ثلاث عن تواضعه لسلطانه ووالديه ومعلّمه » وهذه لعمـر الحقّ غاية الغايات في إحترام العلم ورفع شأنه وإجلال أربابه.

ثَعْلَبْ

(٩٠٣م ٢٩١هـ)

هو أبو العباس أحمد بن يحي المعروف بثعلب. أخذ النحو عن إبن الاعرابي وغيره من علماء عصره وهو إمام الكوفيّين في النحو واللغة وكان ثقة حجّة صالحاً مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربيّة ورواية الشعر القديم مقدماً عند الشيوخ مذ هو حَدِث فقد كان استنفد مسائل « كتاب الحدود » للفرّاء في الخامسة والعشرين من عمره ولم يزل علمه في ازدياد. وكان إبن الأعرابي أستاذه إذا شكّ في شيء قال لهُ « ما تقول يا أبا العبّاس في هذه » ثقة منه بغزارة حفظه. وكان قليل الدعوى[1] لا يرى الاقرار بجهله مسألة عُرضت عليه عاراً ولا غضاضة ويحكى أنّ سائلاً سأله عن شيء فقال: « لا أدري » فقال لهُ « أتقول لا أدري وإليك تضرب أكباد الأبل[2] وإليك الرحلة من كل بلد » فقال لهُ « لو كان لك بعدد مالا أدري بعر لاستغنيت » ومن قول المبرّد فيه « أعلم الكوفيّين ثَعْلب » وهذه خير شهادة في علّو كعبه لصدورها عن خصم جرت له معه مناظرات ومجاذبات. ولمّا تُوفيَّ المبرّد قرن[3] ثعلب نظم إبن العلاّف فيهما شعراً يقول فيه:

---

(١) الاسم من الادعاء وادّعى الشيء زعم انه لهُ حقاً او باطلا

(٢) الابل الجمال وضرب اكبادها كناية من ركوب الناس لها وسوقها بعنف من بلادٍ بعيدة

(٣) كفؤ ونظير

ذهب المبـرّد وانقضت أيّـامـهُ ولـيـذهبـن إثـر المبـرّد ثعْلبُ
بيتٌ من الآداب أضحى نصفُهُ خرباً وباقي النصف منهُ سيخربُ
فابكوا لما سلب الزمان ووطّنوا للدهر أنفسكم على ما يسلبُ
وتزوّدوا من ثَعْلَبٍ فبكأس ما شرب المبرّد عن قليـل يشربُ
وأرى لكم أن تكتبـوا أنفاسـهُ أن كـانت الأنفاس مما يكتبُ

وقدم ثعلب بغداد وأخذ عنه جمهور من المتأدبين منهم عبد الله بن المعتزّ. وله تصانيف عديدة أشهرها « كتاب الفصيح » وهو صغير الحجم كثير الفائدة. ولحقَهُ في آخر حياته صَمَمٌ فما كان يسمع الا بعد تعبٍ وحدث انه خرج يوماً من الجامع وفي يده كتاب ينظر فيه في الطريق فصدمته فرس فألقته في هوة فأخرج منها وهو كالمختلط يتأوّه من رأسه ومات ثاني يوم من هذا الطاريء.

علماءُ بغداد

بنى المنصور بغداد وجعلها مقرّ الخِلافة لأسباب أوجبتها الحكمة السياسية فجعلها بين بلدين يقطنهما قومٌ يخاف على نفسه ودولته منهم. فكان على يمينه العرب ومن اليهم وهم منشئوا المملكة الاسلامية وموثّقو دعائمها[1] وقد اعتزّوا في أيّام بني أمية فحطّ المنصور من شأنهم ونكس شموخهم[2] بتقديمه الفرس أصحاب الدعوة العباسيّة عليهم: فلم يأمن على نفسه منهم واضطر الى التحفظ من بطشهم لعلمه بعصَبيتهم[3] وجرأتهم. غير أن جوار الفرس على شماله لم يكن ليطمئن قلبه اليه لاستفحال أمر الفرس على إثر فوزهم على العرب ونقلهم الخلافة من أيدي الأمويين ممثلي السيادة العربيّة الى بني العباس. فعظمت دالّتهم[4] وقويت شوكتهم الى حد أوجس[5] منه المنصور خيفة على نفسه فبطش بأبي مسلم الخراساني عظيمهم وزعيمهم دفعاً لشرّ منافسته وتأديباً للذين على مذهبه فأكبر الناس الأمر وتوقّعوا شرّا من مجازاة العبّاسيين للقائم بدعوتهم والآخذ بناصرهم بالغرد والفتك وحنق الفرس خاصّة عليهم

(١) جمع دعامة وهي عماد البيت اي ما يقوم عليه
(٢) كبرهم واعتزازهم
(٣) العصبية ما يجعل قوماً على التناصر لرابطة بينهم كالدين والوطن الخ
(٤) جراتهم (٥) أحسّ

ونغلت[١] قلوبهم ولا سيّما وأنهم شيعيون عن بكرة أبيهم ولم يشدّوا أزر[٢] بني العباس الا لتوهّمهم أنهم يسلمون الخلافة للعلويّين فخابت آمالهم جميعاً.

الاّ ان المنصور كان أدهى من أن يمكّنهم من الانتقام لأنفسهم وشيعتهم فقطع ألسنتهم وقيّد أيديهم باستخدامهم في الخُطط العالية والمناصب السامية فأخلدوا الى السكينة حيناً من الدهر وهم يخافون الخلفاء ويحذرون بطشهم والخلفاء يخافونهم لعلمهم بحزازات صدورهم وميلهم الى العلويّين. وخلف المنصور عدّة خلفاء لا يقلّون عنه أثرة[٣] ودهاء وحُنكة اتّبعوا خطته السياسية فأدى الأمر الى هدنة[٤] ساعدت القوم على الانصراف الى العلوم وانتقلوا من المزاحمة المادّية الى مزاحمة معنوية كان للآداب منها أوفر نصيب.

وأصبحت بغداد عند بلوغ الدّولة العباسيّة ذروة[٥] المجد أمّ المدائن وكعبة [٦] الأدب ومحط رحال [٧] العلماء فكانوا يقبلون اليها من كل فجٍ وصوب ويعيشون في ظلّ الخلفاء يقرّبونهم ويُلينون لهم الجانب ويُجرون عليهم الأرزاق الوافرة ويهبون لهم الصلات العديدة. وقد رأيت ممّا مرّ أن عدّة من علماء الكوفة والبصرة كانوا يقدمون بغداد ويستوطنها جماعة كثيرة منهم لتوفّر أسباب المعاش لهم فيها وحظوة أصحاب العلم عند الخاصّة والعامّة. وما قلناه عن

---

(١) فسدت وضغنت
(٢) الأزر الظهر وشدّ ازرهم أعانهم على نيل مبتغاهم.
(٣) اختصاص المرء نفسه بأحسن الشيء دون غيره.
(٤) المصالحة والدعة والسكون.
(٥) اعلى
(٦) اي ان بغداد اشتهرت باقبال الادباء اشتهار الكعبة باقبال الحجاج.
(٧) جمع رحل وهو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج اي مقصدهم

إقبال النحاة الى مدينة السلام[1] يطلق على سائر العلماء من فقهاء وأطبّاء ومنجّمين وغيرهم ولم يزل ظِلّ بغداد في اتّساع الى غاية النصف الأول من القرن الثالث للهجرة فراجت فيها سوق العلوم أيّما رواج وطبّق صيت علمائها الخافقين[2] وأمّهم[3] مريدو العلوم من كل الآفاق يستنيرون بمشكاتهم ويقتبسون منها.

ثم أخذ ظلّ بغداد يتقلص شيئاً فشيئاً مذ ضعف دست الخلافة وغُلب الخلفاء على أمرهم وصار الحل والعقد في أيدي الجند والحاشية من أتراك ومماليك وخدم. ونشأت الدول المتعدّدة في حضن المملكة العبّاسية فاستبد أصحابها بالخلفاء وجعلوهم آلة في أيديهم ينفّذون بهم غاياتهم فكثر الخلع والتنصيب واستفحل الهَرَج والمَرَج[4] في كرسيّ الخلافة واختل الأمن العام وتلك حال منافية لطبيعة العلم كما لا يخفى منفرة للمجتهدين فيه. فأخذ العلماء يغادرون رويدا من جهة ومن الجهة الأخرى قلت رغبة علماء الأقاليم في الرحلة اليها على حسب إضطراب أحوالها وانصراف الهمم عن طلب العلوم الى الثورات والمشاغب[5].

غير أنه قيض للعلم والعلماء في منتصف القرن الخامس أبّان سيادة الدولة السلجوقية أن تربّع في دست الوزارة أبو علي الحسن بن إسحاق الملقب بنظام الملك وكان رجلاً عالي الهمّة شريف النفس كريم العنصر محباً للعلم مقدراً أربابه والمنقطعين اليه حقّ قدرهم فرأى بثاقب بصيرته وبعيد نظره سوء المصير من تضعضع أمر العلماء وتفريق شملهم في أطراف المملكة الشاسعة الأرجاء بعد أن كانوا في بغداد مجتمعين كأنجم الثريا يرفعون للعلم والدولة مناراً علياً تتألق أنواره وتشع أضواؤه الى أقاصي المسكونة. فأوعز ببناء دار واسعة الرحبات فسيحة الجنبات تكون معهداً للعلوم والآداب وندوة[6] ينتظم

---

(١) لقب بغداد
(٢) الشرق والغرب (٣) قصدهم.
(٤) الهرج القتال والفتنة والمرج الاضطراب والفساد
(٥) الفتن والقلاقل (٦) مجلس

فيها عقد العلماء في كل فنّ وصناعة يتعاونون على الدرس والتدريس فبنيت حينئذ « المدرسة النظاميّة » التي جابت[1] شهرتها الآفاق وأصبحت منبثق[2] أنوار العلوم في المملكة العربيّة جمعاء وبلغ ما أنفق في بنائها وشراء الأوقاف التي حبست عليها نحو ستين ألف دينار. ورغّب نظام الملك أرباب العلم في الإقامة بها لتلقين العلوم فلبّوا دعوته وتصّدر للتدريس فيها نخبة من عليّة العلماء وتخرج عليهم جمهور عظيم ممن نالوا الشهرة الواسعة والصيت الذائع. وقلّت من ثم مهاجرة حملة العلم واتجهت الى المدرسة النظامية أنظار العلماء المتفرّقين في البلاد فكانوا يقدمون الى بغداد ويستوطنونها على قدر ما تفسح لهم حوادث الأيّام. وسنذكر ههنا أوسعهم علماً وأشهرهم ذكراً في محافل الأدباء.

---

(١) قطعت

(٢) من انبثق الفجر اذا اشرق نورهُ.

إبن السّكيت (٨٥٨م ٢٤٤هـ)

هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بإبن السّكيت. ولُقّب أبوه بالسّكيت لكثرة سكوته وطول صمته. وُلِدَ بدَوْرَقْ بليدة من أعمال خوزستان وتخّرج على أبيه وكان أبوه رجلاً صالحاً حسن المعرفة بالعربيّة يؤدب مع إبنه صبيان العامّة ببغداد. وصحب إبن السكيّت جماعة من أئمة عصره وأخذ عنهم فأصبح من مشاهير علماء زمانه وأوسعهم رواية. وقال أبو العباس ثعلب « أجمع أصحابنا أنه لم يكن بعد إبن الاعرابي أعلم باللغة من إبن السكّيت » ويُروى أنه كان يحضر وهو حَدَث مجلس أبي الحسن عليّ اللحيانّي يوماً فسمعه يملي نوادره قائلاً « تقول العرب: مُثْقَلُ استعان بذقنه . . . » فقام إبن السكّيت وقال « يا أبا الحسن إنما هو: مُثقلٌ أستعان بدفّيْهِ ـ يريدون الجمل إذا نهض بحمله استعان بجنبيْه » فقطع اللحياني الاملاء. فلما كان المجلس الثاني أملى فقال « تقول العرب: هو جاري مُكاشري . . . » فقال لهُ إبن السكّيت « أعزّكَ الله وما معنى مكاشري. إنّما هو ـ مكاسري ـ كِسر بيتي الى كِسر بيته » فما أملى اللحياني بعدها شيئاً. هذا كان مقدار علم إبن السكّيت على صغر سنّه حتى ذاع صيته في الناس وتُحدّث به في المجالس فرغبت في مواصلته الخاصّة ولم يزل شأنه في ارتفاع الى أن قُدِّم للخليفة المتوكّل فأعجب به واتّخذ مؤدباً لإبنه المعتزّ.

ويُحكى أنه دخل على تلميذه لأول مرّة وأراد أن يشرع في التدريس قال له

« بأي شيء يحبُّ الأمير أنْ نبدأ » يُريد من العلوم فقال المعتزّ « بالانصراف » فقال يعقوب « فأقوم؟ » قال المعتزّ « فأنا أخفّ نهوضاً منك » فقام واستعجل فعثر بسراويله فسقط والتفت الى يعقوب خجلا وقد احْمَرّ وجههُ فأنشد يعقوب:

يصاب الفتى من عثرة[1] بلسانِهِ وليس يصاب المرء من عثرة الرجلِ
فعثرتهُ في القول تُذهب رأسهُ وعثرتهُ بالرجل تبرأ على مهلِ

وبلغ البيتان المتوكّل فأمر لهُ بخمسين ألف درهم. ومن شعر إبن السكيت قولهُ:

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ وضاق لما به الصدر الرحيبُ
وأوطنت المكاره واستقرّت وأرست في أماكنها الخطوبُ[2]
ولم تَرَ لانكشاف الضرّ وجهاً ولا أغنى بحيلته الأريبُ
أتاك على قنوط منك غوث يمنُّ بهِ اللطيفُ المستجيبُ[3]
وكل الحادثات إذا تناهت فموصول بها فرجٌ قريبُ

ولم تطل مدّة حظوة إبن السكيت عند المتوكل فانه كان شيعياً متعصباً بمذهبه والمتوكل شديد التحامل على الشيعة يتقرّب اليه المتملّقون بشتم عليّ وتمثيله في معرض الهزؤ والسخرية. فأدى الأمر الى تغيّر قلب الخليفة عليه وما عتّم أن أمر بقتله. وكان سبب ذلك فيما ذُكر أنه بينما كان يعقوب يوماً في منادمة الخليفة جاء المعتزّ والمؤيد فقال المتوكل « يا يعقوب أيّما أحبّ إليك إبناي هذان أم الحسن والحسين » فقال « والله أن قنبراً خادم عليّ خيرٌ منك

---

(١) سقطة.

(٢) أوطنت أقامت والمكاره جمع مكرهة وهي ما يبغضه الانسان ويشق عليه وارست ثبتت والخطوب جمع خطب وهو الامر العظيم المكروه.

(٣) القنوط اليأس وغوث عون ومساعدة ويمنّ ينعم واللطيف المستجيب الله عز وجل.

ومن إبنيك » فأمر الأتراك فسلّوا[1] لسانه وداسوا بطنه فحمل الى داره ومات ضحيّة بَدوات[2] ملك مستبدّ غريب الأطوار ولم يدر في خلده[3] أنه سيكون هو نفسهُ مصداق قال لتلميذه منبّهاً من عواقب عثرة اللسان. ولمّا بلغ عبد الله بن العزيز مقتل إبن السّكيت وكان قد نهاه عن اتّصاله بالمتوكّل أنشد:

نهيتك يا يعقوب عن قرب شادنٍ إذا ما سطا أربى على كل ضَيْغمِ[4]
فذق وأحس ما استحسيتهُ لا أقول إذ عثرت لعاً بل لليدين وللفَم[5]

وفي هذا القول من منكر الشماتة ما فيه . . . وبلغ من غرابة المتوكّل وعبثه[6] بنفوس العباد أنّه سيّر لولده يوسف عشرة آلاف درهم وقال « هذه دية والدك رحمهُ الله تعالى ».

ولإبن السكيت عدّة مصنّفات في أغراض متنوعة أشهرها «كتاب اصلاح المنطق » و « كتاب الألفاظ » هذّبه التبريزي وسمّاه « تهذيب الألفاظ » وهما مؤلفان نفيسان جليلا القدر عند الأدباء لما فيهما من الفوائد اللغويّة.

---

(١) انتزعوا

(٢) اهواء متقلبة. (٣) فكرة.

(٤) الشادن ولد الظبية اراد به الملك وسطا بطش واربى زاد والضيغم الأسد

(٥) حسا المرق شربهُ شيئاً بعد شيء وعثر سقط ولعاً كلمة تقال للعاثر فاذا أريد الدعاء لهُ قيل لعاً لك او عليه قيل لالعاً لك

(٦) واستخفافه

القاليّ (٩٦٦م ٣٥٦هـ)

هو أبو علي إسماعيل بن القاسم القاليّ. وُلد بمنازجرد من ديار بكر وإنما قيل له القالّي لأنه سافر الى بغداد مع أهل قاليقلا بلدة بأرمينية. أخذ العلوم عن أئمة الأدب بمدينة السلام وأصبح أحفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو البصرّيين وأقام ببغداد ثلاثاً وعشرين سنة قضاها ما بين درس وتدريس ثم خرج من بغداد وطاف البلاد وجاء بلاد المغرب وانتقل الى الأندلس وألقى عصا الترحال في قُرطبة فأكرم الناصر وفادته وتحفى[1] به كثيراً وقصده جمهور من المتأدّبين يقرأون عليه ويقتبسون من علمه. ووضع أكثر مصنفاته بقرطبة وأشهرها « كتاب الأمالي » وهو مجموع ما كان يمليه على تلامذته ضمّنه نُبذاً متنوّعة في أغراض شتّى كالأحاديث والأمثال ولغات العرب وأشعارها وأخبار الملوك والخلفاء وغير ذلك من المُلح والنوادر. ويُحكى أنه كان في يده نسخة من الجمهرة بخطّ مؤلفها فأُعطي بها ثلاثمائة مثقال فضنّ[2] بها أن يبيعها ثم اشتدّت عليه الحاجة يوماً فاضطر الى بيعها بأربعين مثقالاً وكتب عليها هذه الأبيات:

أنست بها عشرين عاماً وبعتها وقد طال وجداني بها وحنيني[3]

---

(١) بالغ في إكرامه. (٢) شح وبخل.

(٣) الوجدان الفرح والحنين الاشتياق

وما كان ظني أنني سأبيعها ولو خلدتني[1] في السجون ديوني
ولكن لعجزٍ وافتقارٍ وصبيةٍ صغارٍ عليهم تستهل شؤوني[2]
فقلت ولم أملك سوابق عبرةٍ مقالة مكوّي الفؤاد حزينِ
وقد تخرج الحاجات يا أُمَّ مالك كرائمَ من رَبٍّ بهنَّ ضَنينِ[3]

فردّها الذي اشتراها وأرسل معها أربعين ديناراً.

---

(١) خلده ادامه.

(٢) تستهل تنهل أي تأتي بالمطر والشؤون جمع شأن وهو مجرى الدمع من العين

(٣) ضنين بخيل

الأَزْهَرِيّ

(۹۸۰م ۳۷۰هـ)

هو أبو منصور محمد بن أحمد المعروف بالأزهريّ نسبةً الى جدّهِ الأزهر. وُلِدَ بهراة ونشأ بها ولمّا بلغ التاسعة والعشرين من عمرهِ قصد مكّة للحجّ وبينما كان الحجّاج في بعض الطريق انقضّ عليهم شرذمة من الخوارج المعروفين بالقرامطة فقتلوا منهم جماعة واسترقوا(١) الآخرين واستولوا على جميع أموالهم وأسر الأزهريّ فيمن أُسر من الحاجّ(٢) ووقع في سهم عربٍ نشأوا في البادية يتتبّعون مساقط الغيث أيّام النجع(٣) ويرجعون الى إعداد المياه في محاضرهم زمان القيظ ويرعون النّعمَ(٤) ويعيشون بألبانها ويتكلّمون بطباعهم البَدويّة ولا يكاد يجري على ألسنتهم لحن فاستفاد من محاوراتهم ومخاطبة بعضهم بعضاً ألفاظاً جمّة ونوادر كثيرة. وبقي في أسرهم دهراً طويلاً تضلّع فيه أراد أو أبى من لغات العرب الفصحاء واطّلع على كنه أسرارها للقيام بما تقتضيه مهنته عند من ابتلوه بالأسر فكانت محنته سبباً لشهرته ـ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو

(١) اتعبدوا.

(٢) اسم جمع بمعنى حجاج

(٣) جمع نجعة وهي طلب الكلاء في مواضعهِ

(٤) الابل وقد يراد بها الغنم والبقر.

خير لكم.

ومَنّ الله تعالى عليه بفكاك أسره والعود الى وطنه فشرع في تدوين ما تلقاه عن عرب البادية ووضع كتابه الشهير « تهذيب اللغة » وهو من المؤلفات النفيسة الموثوق بها لمكان صاحبه من صدق الرواية. وقد رتّب الألفاظ على حروف المعجم باعتبار مخارجها كما فعل الخليل في كتاب العين. وكان للازهري مداخله مع أكثر أدباء بغداد إبن دريد ونفطويه وغيرهما.

السّيرافيّ (٩٧٨م ٣٦٨هـ)

هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي المعروف بالقاضي لتولّيه القضاء ببغداد نيابة عن أبي أحمد بن معروف. وُلِدَ بسيراف من بلاد فارس ونشأ بها وخرج من قبل العشرين ومضى الى عمّان وتفقّه بها ثمّ قصد عسكر مُكرم من نواحي خوزستان ودرس الكلام على أبي محمد بن عمر المتكلّم وكان شيخه يقدّمه ويفضّله على جميع أصحابه ودخل بغداد وقضى فيها للجانب الشرقي ثم للجانبين. وكان زاهداً يعيش من تعب يديه فكان ينسخ الكتب ويبيعها ويتقوّت بثمنها. واشتهر بالنزاهة وحسن الأخلاق ولين الجانب وانتحل في الفقه مذهب أهل العراق وهو المذهب الحنفيّ الا أنه كان يرى رأى المعتزلة ولا يظهر شيئاً من ذلك واشتغل عليه خلق كثير بعدّة فنون كعلوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض والحساب والكلام والشعر والعروض. وكان من أعلم الناس بنحو البصريين وشرح كتاب سيبويه فأجاد فيه وله مصنّفات في أكثر العلوم التي كان يدرّسها لمريديه. وكان بينه وبين أبي الفرج الأصبهاني ما جرت العادة بمثله بين الفضلاء من التنافس فعمل فيه أبو الفرج.

لست صدراً ولا قرأت على صد ... رٍ ولا علمُك البكيُّ[1] بشافِ
لَعَنَ اللهُ كلّ نحوٍ وشعرٍ ... وعروضٍ يجيءُ من سيرافِ

(١) صدر القوم رئيسهم ومقدمُهم والبكي اصلها البكيء اي القليل.

إبن فَارِس (٣٧٧هـ ٩٨٧م)

هو أبو الحسين أحمد بن فارس الرازيّ. كان من أكابر أئمة اللغة وأفراد العلم في زمانه. أقام مدّة بهمذان واشتغل عليه ناسٌ كثيرون منهم بديع الزمان الهمذانيّ والصاحب بن عبّاد. ومن قول الصاحب فيه « رزق إبن فارس التصنيف وأمن التحريف » واستقدمه فخر الدولة الى الريّ وألزمه إبنه أبا طالب يُقرئه ويؤدبهُ. وكان إبن فارس فقيهاً شافعياً حاذقاً فلما قدم الى الريّ إنتحل مذهب مالك فقيل لهُ في ذلك فقال « دخلتني الحميّة لهذا الامام المقبول على جميع الألسنة أن يخلو عن مذهبه مثل هذا البلد وهو أجمع البلاد للمقالات والإختلافات في المذاهب على تضادّها وكثرتها فعمّرت مشهد الإنتساب اليه حتى يكمل لهذا البلد على فخره » فكأن فوضى الآراء كانت حينئذ قائمة في تلك البلاد على قدم وساق فضنّ إبن فارس أن ينقض بابل زمانه شيء من الكمال الفلسفي فأدخل مذهباً لم يكن له من أتباع قبله هنالك زيادة لأسباب الجدال والهداية .. كما هي الحال في أُمّهات المدن في عصرنا.

وكان أبو الحسن كريماً جواداً وهب السائل ثيابه وفُرُش بيته غير مبالٍ بعتاب أصحابه وعذلهم[١] إيّاه على هذا الإسراف[٢]. وتفرّد بين مواطنيه بالتعصّب للعرب على الشعوبية والنضح[٣] عنهم والرّد على معدّدي مثالبهم[٤]

(١) لومهم
(٢) التبذير
(٣) نضح عنه دافع.
(٤) معايبهم.

وهو أمر غريب من رجل فارسي الأصل كأبي الحسن الرازي ممّا يدل على نفس كبيرة وهمّة عالية لا تتسرّب[1] اليها الأحقاد الدنيئة. ولإبن فارس شعر حسن منهُ قولُهُ:

وقالوا كيف أنت فقلت خيرٌ ... تقضي حاجة وتفوت حاجُ[2]
إذا ازدحمت هموم الصدر قلنا ... عسى يوماً يكون لها انفراجُ
نديمي هرّتي وسرور قلبي ... دفاترُ لي ومعشوقي السراجُ

ولهُ أيضاً في خطاب المتواني:

إذا كان يؤذيك حرُّ المصيفِ ... وكَرْبِ الخريف وبردُ الشتا
ويلهيك حسن زمان الربيع ... فأخذُك للعلم قل لي متى

ومن قوله في صديق:

عتبت عليه حين ساء صنيعهُ ... وآليت[3] لا أمسيت طوعِ يَدَيهِ
فلمّا خبرت الناس خبر مجرّبٍ ... ولم أَرَ خيراً منهُ عدتُ اليهِ

وهو كما ترى رقيق المعنى دقيق المغزى، وله مؤلفات عديدة في الفنون التي أتقنها أشهرها المجّمل » في اللغة ذكر فيه الصحيح الفصيح من كلام العرب ونبذ الوحشيّ المستنكر ولم يثبت الا ريبة في صحة روايته. ورتّبهُ على حروف المعجم باعتبار أول حرف من أصل الكلم.

---

(١) تسرب الماء سال

(٢) جمع حاجة

(٣) أقسمت.

الجَوْهَرِيّ

(١٠٠٣م ٣٩٤هـ)

هو أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري. وُلد بفاراب من بلاد الترك وأخذ الأدب أولاً عن خاله أبي يعقوب الفارابي ثم قصد بغداد وتفقه على أبي عليّ الفارسيّ وأبي سعيد السيرافي ولم يقضِ نهمته من العلم فهبّ يضرب في مناكب الأرض ويجوب الأقطار لقضاء وطره فرحل الى البادية وخالط الأعراب وتلقى عنهم لغاتهم ودخل الشام وداخل علماءها وقدم العراق واقتبس ممن صاحب من أرباب العلم والأدب ثم عاد الى خراسان وسكن دامغان ثم انتقل الى نيسابور ولم يزل مقيماً بها على التدريس والتأليف وتعليم الخطّ وكان من الخطّاطين المتأنقين الى أن وافته المنيّة.

وللجوهريّ مصنّف في اللغة سمّاه «الصحاح» ضمّنه من سعة محفوظة نادر علمه بلغة العرب وصدق روايته ما جعله محل ثقة الأدباء ومرجعاً للمحققين منهم. وهو سهل العبارة قريب المأخذ كثير الفائدة صحيح المادة معزّزاً بالأمثلة الوافية المحكمة وقد رتّب المؤلّف الفاظه باعتبار الأصل الأخير من المادة باباً والأصل فصلاً وهو مصطلح قديم جرى عليه عدّة من مشاهير أرباب اللغة في معجماتهم. فإذا أريد الكشف عن لفظ «درس» مثلاً أُخذ باب السين وفصل الدال وهكذا وانتهى الجواهري في تأليف الصحاح الى باب الضاد ولم يُفسح له في الأجل لإتمامه فاستلم مسودّات الأستاذ تلميذه أبو إسحاق الورّاق فبيّضها وأتمّ الكتاب. الاّ أنه لما لم يكن من التضلّع من اللغة

بطبقة معلّمه كثر فيها كتب التصحيف والخلط.

وكان سبب موت الجوهريّ أنه فسد عقلهُ واعترته وسوسة فشد الى ظهره دفتين وزعم انه يطير فقذف نفسه من عل فتحطم جسمه ولم يطر الا روحه الى ربّه عزّ وجلّ.

الثعالبيّ (١٠٣٧م ٤٢٩هـ)

هو أبو منصور عبد الملك بن محمد الملقب بالثعالبي نسبة الى خياطة جلود الثعالب وعملها قيل له ذلك لأنه كان فرّاء. وُلِدَ بنيسابور وأخذ الأدب عن أئمة عصره وانكبّ على العلوم العربية والفنون الأدبية فأتقنها جميعاً وبرّز في كلّ نوعٍ منها فأصبح زعيم شيوخ العلم في زمانه لا يعارض في إمامته معارضٌ ولا يناقض في إجماع أعيان الأدب على رئاسته مناقض. كيف لا وهو راعي تلعات(١) العلم وجامع أشتات النثر والنظم رأس المؤلفين في زمانه وإمام المصنّفين بحكم أقرانه سار ذكره في الآفاق سير المثل وضربت الى فنائه آباط الأبل لهجت بذكره الركبان وتحدّث بفضله القاصي والدّان(٢) أشرقت من تآليفه أنوار العلوم البهيّة فاستضاء بها البعيد الغريب وأينعت(٣) ثمار محاضراته الشهيّة فجناها الأليف القريب فعمّ فضله العرب والعجم في غابر الدهور وامتدّ ظلّه الى مستقبل العصور.

وهذه تآليفه الغرّاء يضيق عن تعدادها المقام وكل منها يشهد له أنه أوحد الزمان وأعجوبة الأيّام ولا يسعنا الاذكر القسم الايسر الأشهر وان كانت جميعها فريدة في بابها منقطعة المثال في إيجازها وإسهابها. فمنها كتاب « يتيمة

(١) جمع تلعة وهي ما ارتفع من الارض

(٢) البعيد والقريب

(٣) نضجت.

الدهر» جمع فيه أقوال مشاهير عصره من الشعراء والكتبة وضمنه الغُرَر الرائعة من الشعر البديع الرقيق والدرر النادرة من النثر الأنيق الدقيق وهو أنفس كتبه وأكبرها وأجمعها وأشهرها وقد قيل فيها:

أبيات أشعار اليتيمة أبكار أفكار قديمة
ماتوا وعاشت بعدهم فلذاك سُميت اليتيمة

وذيل اليتيمة أبو الحسن علي بن الحسن الباخَرزي في كتابه «دُمية[1] القصر وعصرة أهل العصر» وذيّل دمية القصر عماد الدين محمد إبن الكاتب الأصبهاني في مؤلّفهِ «خريدة[2] القصر وجريدة أهل العصر» وذيّل الدمية أيضاً أبو المعالي سعد بن عليّ الورّاق الحظيري في مصنّفة «زينة الدهر» وذيّلها أيضاً أبو الحسن على بن زيد البيقهي في تأليفه «وشاح[3] الدمية» وللثعالبي «كتاب فقه اللغة» في دقائق الألفاظ المترادفة و«كتاب سرّ العربيّة» و«كتاب سحر البلاغة» و «كتاب من غاب عنه المُطرب» و «كتاب الظرائف واللطائف» و «كتاب أحسن ما سمعت» و «كتاب مؤنس الوحيد» وكثير غيرها يطول استيعابها. وله شعر حسن منه مدح الأمير أبي الفضل الميكاليّ:

لك في المفاخر معجزات جمّة أبداً لغيرك في الورى لم تُجمعِ[4]
بحران بحرٌ في البلاغة شابه شعرُ الوليد وحسنُ لفظ الأصمعي[5]

---

(١) الصورة من عاج منقشة مزينة تضرب مثلاً في الحسن وعصرة بمعنى عصارة وهي ما سال من الشيء المعصور استعارها لنخبة القوم.

(٢) الخريدة الفتاة الحييّة والجريدة السجلّ.

(٣) الوشاح شبه قلادة عريضة مرصعة بالجوهر تشدها المرأة بين عاتقيها وكشحيها.

(٤) جمة كثيرة والورى الخلق.

(٥) شاب يشوب خلط والوليد هو ابو عبادة البحتري.

وتـرسُّـل الصـابي يـزين علوّه خطّ ابن مقلةَ ذو المحلّ الأرفعِ (١)
كالنور أو كالسحر أو كالبدر أو . كالوشي في بُرد عليهِ موسَّعِ (٢)
وإذا تفتق نَـورُ شعرك نـاضراً فالحسن بين مرصّع ومشـرَّعِ(٣)
أرجلت فرسان الكلام ورضت أفـ ـراس البديع وأنت أمجد مُبدعِ (٤)
ونقشت في فَصّ الزمان بدائعاً تُـزرى بآثـار الربيـع المُمرعِ(٥)

ومن قوله في الشكوى:

ثـلاثٌ قد رُميت بهنّ أضحت لنـار القلب مني كـالأثـافي(٦)
ديـونٌ أنقضت ظهـري وجـورٌ من الأيام شاب بهـا غدافي(٧)
وفقـدان الكفـاف وأيّ عيشٍ لمن يُمني بفقـدان الـكفـافِ(٨)

(١) الترسل إنشاء الرسائل والتأنق في صناعة الإنشاء وذو نعت خط.

(٢) النور الزهر وقولهُ كالسحر اشارة الى المثل: ان من البيان لسحراً والوشي النقش والبرد الثوب المخطط.

(٣) تفتق والترصيع اتفاق الفاظ الفقر بين المسجوعتين بالوزن والقافية كقول الحريري: «وهو يقرع الاسماع بزواجر وعظهِ ويطبع الاسجاع بجواهر لفظِه» والتصريع اتفاق مصراعي البيت في الوزن والتقفية كما ترى في مطلع معظم القصائد.

(٤) ارجلت الفرسان جعلتهم راجلين وراض الفرس ذلّلهُ وجعلهُ مطيعاً والمبدع من يجيء بالبدائع

(٥) الفص ما يركب في الخاتم من الحجارة الكريمة وازرى به وضع منهُ وحقرهُ والممرع المخصب.

(٦) الاثافيّ جمع اثفيّة وهي احد الحجارة التي ترفع عليها القدر.

(٧) انقض الحمل ظهرهُ اثقلهُ حتى سمع نقيضهُ اي صوت عظامه والجور الظلم والغداف غراب كبير استعير للشعر الكثير المسترسل.

(٨) مني بكذا أُصيب.

عَبْدُ القَاهِرِ الجُرْجَانِيّ (٩٧٦م ٣٦٦ هـ)

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني. أخذ النحو عن مشاهير زمانه وبرع فيه وعُدّ من أئمة عصره في علوم اللغة والكلام والفقه واشتهر بالتديّن والزهد في حطام الدنيا والتمسّك في إقامة شعائر الدين حتى أنه كان يوماً في الصلاة فدخل عليه لِصّ وأخذ ما وجد عندهُ من المتاع ولم يقطع صلاتهُ.

وعبد القاهر هو واضع علم البيان وإن يكن قد ألّف فيه قبله جماعةٌ من الأدباء كأبي عبيدة في « مجاز القرآن » والجاحظ وابن دريد وغيرهم من البلغاء فانهم لم يتخطوا فيما ألّفوه الاّ بعض مسائل منثورة وفوائد شتّى علّقوها في مواضع متفرّقة من مصنّفاتهم ولم يبلغوا مبلغه من ترقية البيان الى درجة علمٍ واضح الهيئة ظاهر الحدود محرّر القواعد مسلسل الأحكام واسع الفائدة شريف المزيّة. والذي حداه[1] الى وضع هذا العلم وجمع شتاته هو ماكان قد تفشى في كتبة العصر من التهامل في الوقوف على أسرار الكلام والإحجام[2] عن مشقّة السعي وراء أساليب الكتابة وطرائقها الصحيحة. فكان السواد الأعظم منهم يكتفون بشيء من علم النحو وحصّة من الألفاظ المترادفة دون مراعاة جانب المعاني مع انها هي جوهر الكلام والغاية منهُ.

---

(١) ساقه   (٢) التقاعس والكفّ.

ولعبد القاهر في هذا المعنى مؤلفان نفيسان وسمّى الأول « دلائل الإعجاز » في المعاني وسمّى الآخر « أسرار البلاغة » في البيان وقد أحاط فيهما بجميع أغراض هذا العلم فقرّر أصوله وأوضح معالمَهُ[1] التي كادت تضمحل على عهده. ولما كانت دولة الألفاظ قد استفحل أمرها وداء زخرف الكلام الفارغ والإسجاع التافهة استحكم في عقول المتطفّلين[2] على موائد الأدب حمل عبد القاهر على هذه الطريقة الذميمة حملةً قاضية هتكت الستار عن معايبها وقوضت أركانها وأيّد دولة المعاني وعزّز شأنها وأعادها الى نصابها[3] وجعل الألفاظ بمنزلة خدم لها وتحت تصرُّفها كما يقتضيه العقل القويم والذوق السليم.

ولولا تفاقم داء الألفاظ في زمانه وتمكُّنهِ من الأذهان لأُخذ عليه الإسهاب في بسط موضوعه والتطويل في سرد[4] الحجج وإقامة الأدلة على صحة دعواه حتى يؤدي الى سأم[5] المطالع. فإنّه بعد أن أثبت في فصول من أوائل « دلائل الإعجاز » أن الفصاحة والبلاغة إنّما تكونان للمعاني وإن شرف الكلام بالمعاني دون الألفاظ فحجّ خصومه وأفحمهم[6] عاد في أواخر الكتاب وأعاد الكرّة لإثبات قضيته فيما يزيد على عشرة فصول أودعها من الحجج والبراهين والأمثلة ما ينفذ صبر المطالع ولا يَنفد[7] هو. هذا فضلاً عمّا في فاتحة « أسرار البلاغة » من الكلام في الموضوع نفسه.

ولعبد القاهر مؤلّفات أُخر منها « كتاب العوامل المائة » في النحو و « كتاب العمدة » في التصريف وغيرهما.

---

(١) أوضح أبان والمعالم جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق.

(٢) من تطفّل إذا دخل وليمة ولم يدع اليها.

(٣) أصلها.

(٤) ايراد.

(٥) ضجر.

(٦) غلبهم بالبرهان واسكتهم.

(٧) نفذ الشيء فرغ وانفدهُ الرجل افرغهُ.

الميدانيّ (١١٢٤م ٥١٨هـ)

هو أبو الفضل أحمد بن محمّد المَيْدانيّ النيسابوري. وُلدَ بنيسابور في محلّة تعرف بميدان زياد وأقبل على العلم فأتقن فنونه وبرّز في معرفة أخبار العرب وأمثالها ولهُ في الأمثال مصنّف نفيس مستوعب[١] لأَمثال العرب جامع لشتيتها وشهرته تغنى عن الإسهاب في تعريف مزيَّته وهو متدَاول[٢] في أيدي الأدباء ولم يعلم مثله في بابه. ومن شعره:

تنفّس صَبحُ الشيب في ليل عارضي   فقلت عساهُ يكتفي بِعِذاري[٣]
فلما فشا عاتبته فأجابني   أيا هل ترى صبحاً بغير نهارِ

---

(١) مستوفٍ.

(٢) من تداول الناس الشيء اذا اخذوهُ وتناقلوه.

(٣) تنفّس تبلّج او ظهر قليلا والعارض صفحة الخد والعذار جانب اللحية.

الزَّمَخْشَرِيّ (١١٤٣م ٥٣٨هـ)

هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المعروفَ بجار الله لمجاورته بمكة زماناً. وُلد بزمخشر إحدى قرى خوارزم وأولع من صباه بالعلم فانكبّ على تحصيله وانقطع الى الدرس والمطالعة فاستبطن أسرار اللغة وأصبح إمام عصره غير مدافع في التفسير والحديث والنحو واللغة والأدب تشد اليه الرحال من كل جانب. وكان عزيز النفس قليل الدعوى شديد الحرص على حسن السمعة وطيب الأحدوثة وإذ كانت إحدى رجليه ساقطة بسبب برد أصابه في بعض أسفاره كان بيده محضر[1] فيه شهادة خلق كثير ممّن اطّلعوا على حقيقة ذلك خوفاً من أن يظنّ من لم يعلم صورة الحال إنّها قُطعت لريبة.

وكان الزمخشري معتزليّ الإعتقاد متظهراً به حتى نُقل عنهُ أنّه كان إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ لهُ الأذن « قل لهُ: أبو القاسم المعتزليّ بالباب » وأول ما صنّف كتاب الكشّاف كتب استفتاح الخطبة « الحمد لله الذي خلق القرآن . . . » وأبدلوا فيها بعد خلق بأنزل مراعاة للمعتقد العام. ولهُ تصانيف جليلة شهيرة منها ما عدا « الكشّاف » في تفسير القرآن « كتاب أطواق الذهب » في المواعظ والخطب و « كتاب المفصل » في النحو وكان يزعم أنه ليس في كتاب سيبويه مسألة الا وقد تضمّنها هذا

(١) كتابة.

الكتاب إمّا نصّا وأما ضمنا و « كتاب أساس البلاغة » في اللغة رتّب فيه الألفاظ باعتبار الحرف الأول من أصول المادّة وأكثر فيه من ذكر الشواهد والأمثال غير أنه ربما اقتضى أسلوبه إعمال الرويّة لإدخاله الكلمة التي يفسّرها في عدة جُمل يستفاد منها معناها تحصيلاً دون أن يصرّح بالمعنى تصريحاً اعتماداً على فهم المطالع واستنباطه المراد من اللفظة بالقرائن وهو عيبٌ في كتاب لغة إذ الغرض منه خاصّة إرشاد المطالع الى معنى الكلمة أو معانيها على حسب الحقيقة أو المجاز ومن ثم فأحر بأساس البلاغة أن يعدّ كتاب أدب يعين الكاتب على اكتساب ملكة الإنشاء ويُرهفُ(١) ذهنه للوقوف على رقيق المغازي وأسرار الرموز في صناعة الكتابة ولعل المؤلف لم يقصد إلا هذا الغرض الشريف وقد أشار إليه بترجمة كتابه « بأساس البلاغة » والله أعلم. وله من المصنّفات غير ما ذكر شيء كثير وكلها تشهد بوفور فضله وسعة علمِهِ.

---

(١) يشحذهُ.

الجَوَالِيقِيّ

(١١٤٤م ٥٣٩هـ)

هو أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي نسبةً الى عمل الجواليق وبيعها. قرأ الأدب على الخطيب التبريزي ولازمه حتى برع في فنونه وكان متديناً ثقةً غزير الفضل وافر العقل مليح الخطّ كثير الضبط يتنافس في الرقاع التي تنمقها[1] براعتُهُ. ويغالون فيها وهو من كبار أهل اللغة وكان فيها أمثل منهُ في النحو. واتخذهُ المقتفي بالله إماماً يصلّي بهِ الصلوات الخمس وتخرّج عليه أُدباء كثيرون وأَخذوا عنه علماً جماً. ويُروى عنهُ بينا كان يقرأ الناس عليه في حلقته بجامع القصر بعد صلاة الجمعة إذ وقف عليه شابٌ وسألهُ معنى هذين البيتين:

وصْلُ الحبيب جنان الخلد أسكنها وهجْرهُ النار يصليني بهِ النارا[2]
فالشمس بالقوس أمست وهي نازلةٌ إن لم يزرني وبالجوزاء إن زارا[3]

فقال لهُ « يا بني هذا شيء من معرفة علم النجوم وسيرها لا من صنعة أهل الأدب » فانصرف الشاب من غير محصول فائدة واستحيا الجواليقي أن

(١) تحسنها وتزينها.

(٢) الوصل ضدّ الهجر وجنان جمع جنة والهجر المقاطعة ويصلني يُدخلني النار.

(٣) القوس من البروج الخريفية والجوزاء من البروج الربيعية شبه ايام هجران الحبيب بالخريف وايام زيرتهِ بالربيع.

يُسأل عن شيء ليس عندهُ منه علم وقام وآلى[1] على نفسه الاّ يجلس في حلقته حتى ينظر في علم النجوم ويعرف سير الشمس والقمر وكما قال فعل وللجواليقي مصنّفات أشهرها « كتاب المعرّب » وهو فهرس الكلمات الأجنبية التي استعارتها العرب من لغات الأعاجم وأدخلتها في لغتها. وما أحوجنا اليوم الى جواليقيّ آخر ينظر في هذه الألفاظ الأعجمية التي هجمت علينا وهجمنا عليها فيغربلها وينفي ما لا حاجة اليه ويصقل البقيّة التي لا بدّ لنا منها فتتزيّا بزيّ أخواتها العربيات وتحلّ بينهن كواحدة منهنّ . . . ولهُ أيضاً « كتاب التكملة » وهو تتمة درّة الغواص للحريريّ و « كتاب شرح أدب الكاتب » وغير ذلك.

(١) حلف.

إبنُ الأنْبَارِيّ

(١٢٠٠م ٥٩٧هـ)

هو كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري. وُلد بالأنبار وسكن بغداد من صباه وتفقه على المذهب الشافعي بالمدرسة النظاميّة وتصدّر لاقراء النحو فيها وكان من الأئمة المشار اليهم واسع التبحُّر في اللغة وفنون الأدب وتتلمذ له جماعة من أهل الفضل وانتفعوا كثيراً بعلمه وأدبه وانقطع في آخر عمره في بيته مشتغلاً بالعلم والعبادة وتصنيف الكتب المفيدة ولم يزل زاهداً في الدنيا ومجالسة أهلها. ولهُ من التصانيف « كتاب طبقات الأدباء » جمع فيه تراجم أهل العلم والأدب من زمان الأقدمين الى أيّامه. و« كتاب الميزان » وضعه إجابة لمقترح القارئين عليه النحو من طلاّب المدرسة النظّامية قابل فيه بين مذاهب البصريين والكوفيين و « كتاب أسرار العربيّة » في النحو وغير ذلك.

إبن الصّائغ

(١٢٤٥م ٦٤٣هـ)

هو موفّق الدين أبو البقاء يعيش بن علي المعروف بابن الصائغ. وُلِدَ ونشأ بحلب ورحل منها في صدر عمره قاصداً بغداد يتفقه على أبي البركات إبن الأنباري ولما بلغ الموصل ورن منعى إبن الأنباري فلبث هنالك مدة قصيرة وسمع الحديث ثم قفل راجعاً الى حلب وتفرّغ للدرس حتى إذا آنس من نفسه التضلع من العلم والإضطلاع بأعباء[1] التدريس قدم الى دمشق وداخل أُدبائها وباحثهم فشهدوا لهُ بعلو الكعب ورسوخ القدم في فنون الأدب. وكتب لهُ الشيخ تاج الدين الكندي خطّا يمدحه فيه ويثني على فضله ويصف تقدمه في أنواع العلوم. فعاد الى حلب ثَلِج[2] الصدر بما أصاب من الفوز المبين وتصدّر للاقراء الى وفاته. وبحلب اجتمع به إبن خلّكان وأخذ عنه وخلّد ذكرهُ وإعجابهُ بهِ في كتابه «وفيات الأعيان» قال «ولما وصلت الى حلب لأجل الإشتغال بالعلم الشريف وهي إذ ذاك أُم البلاد مشحونة بالعلماء والمشتغلين. وكان الشيخ موفق الدين المذكور شيخ الجماعة في الأدب لم يكن فيهم مثله شرعت في القراءة عليه . . . وكان خفيف الروح ظريف الشمائل كثير المجون مع سكينة ووقار . . .» ومن أمثلة لطائفه أن فقيهاً سأله يوماً معنى بيت لذي الرمّة:

(١) التضلع التملؤ والاضطلاع النهوض والقيام والاعباء جمع عبء بالكسر اي حمل

(٢) فرح.

أَيا ظبيةَ الوعساءِ بين جلاجلٍ   وبين النقا آأنتِ أم أُمُّ سالمِ[1]

فشرح لهُ الشيخ جهدهُ معنى البيت وما جرت العادة للشعراء أن يشبهوا النساء الصباح الوجوه بالغزلان وأطال في التفسير وبسطهُ بأحسن عبارة بحيث يفهمهُ البليد البعيد الذهن وذلك الفقيه منصت مقبل عليه بكليّته حتى يتوهم من يراه على تلك الصورة أنه قد تعقل جميع ما قاله الشيخ من شرحه. فلما فرغ قال له الفقيه « إيش في هذه المرأة الحسناء يشبه الظبية » فقال لهُ الشيخ قول منبسط « تُشبهها بذنبها وقرونها . . . » فانقلب المجلس الى الضحك. ونوادره كثيرة. ومن مؤلفاته شرح كتاب المفصّل للزمخشري.

(١) الوعساء الرملة وجلاجل والنقا علما موضعين وام سالم كنية امرأة.

إبن الحاجِبْ (١٢٤٨م ٦٤٦هـ)

هو جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب. كان أبوه كرديّا حاجباً للأمير عز الدين موسك الصلاحي. وُلِدَ بأسنا بليدة بصعيد مصر وقدم القاهرة صغيراً واشتغل بالقرآن والفقه على المذهب المالكي والقراءات والعربية وبرز في العلوم التي تعاطاها ثم انتقل الى دمشق ودرّس بجامعها وأقبل للإشتغال عليه خلق كثير وكان الأغلب عليه علم العربيّة. وله تصانيف حسنة منها« الكافية » في النحو و « الشافية » في الصرف وله على الكافية شرح ونظمها في أرجوزة سماها « الوافية » وعلق جمهور من الأدباء شروحاً عديدة على الكافية بين وجيز ومتوسط ومطوّل أشهرها شرح الشيخ رضي الدين بن الحسن الاستراباذي أشبعه جمعاً وتحقيقاً فتداوله الناس واعتمدوه. ولهُ كتاب « الأمالي » في أغراض شتى وغير ذلك.

إبن مَالِكْ (١٢٧٣م ٦٧٢هـ)

هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الجيّاني نسبةً الى جيّان من أعمال الأندلس ومنها أصله. وُلِدَ ونشأ وتأدّب بدمشق ثم انتقل الى حلب وأخذ عن علمائها وصرف همته الى إتقان لسان العرب فبلغ منهُ الغاية وأربى على المتقدمين حتى كان اليه المنتهى في النحو والقرآن والحديث وأشعار العرب. وتصدر للاقراء فانثال عليه جمهور المتأدبين يأخذون عنه ويستفيدون منه. وكان مشهوراً بالتدين والعبادة وكمال العقل فضلاً عن سعة علمه وغزارة مادته في كافة فنون الأدب أصولها وفروعها. وبلغ من علو مكانته في عيون القوم وإعظامهم لفضله أن قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان كان إذا جاء إبن مالك العادلية وصلّى شيّعه الى بيته إكراماً لهُ.

ولإبن مالك مصنفات جليلة عديدة لا محل لذكرها ههنا . منها كتاب «الكافية الشافية» وهي منظومة في النحو ذات ثلاثة آلاف بيت لخصها في أرجوزة أخرى ذات ألف بيت فعُرفت بالألفية وهي كثيرة التداول بين طلّاب النحو حتى في أيامنا. ولما كان إقبال أهل الأدب على الألفية كثيراً علّق عليها الشروح المتنوعة عدة من علماء النحو لا يتسع هذا الموضع لذكرهم. أشهرهم قاضي القضاة أبو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابن عقيل وشرحه متوسط مشهور كثير الاستعمال. ومنهم علي بن محمد الأشموني سَمّى شرحه «منهج السالك الى ألفية إبن مالك» وهو أغزر مادة من شرح إبنٍ

عقيل وأصعب إدراكاً . . . ومن النحاة من علق على هذه الشروح شروحا أخرى سموها « حواشي » فممن شرحَ شرح إبن عقيل محمد الخضري الدمياطي. وممن شرح شرحْ الأشموني محمد الصبان المصري. ولعلهُ لم يصنف كتاب النحو تداولته أقلام الكتبة كألفية إبن مالك فشرحوها وعلقوا عليها وحشّوها وأعربوها حتى عرف إسم إبن مالك المبتدي والمنتهي.

ومن مصنفات إبن مالك كتاب « الأعلام بمثلث الكلام » و « لامية الأفعال »و « عُدة اللافظ وعمدة الحافظ » وغيرها ولما توفي رثاهُ الشيخ شرف الدين الحصني بأبيات نذكرها لغرابتها وقد أكثر فيها من استخدام المصطلحات النحوية وذلك ما يسميه البديعيون توجيهاً:

يـا شتـات الأسـماء والأفعـال	بعد موت إبن مالك المفضالِ
وانحراف الحروف من بعد ضبطٍ	منهُ في الانفصـال والإتصـالِ
مصـدراً كـان للعلوم بـاذن ا	لله من غـير شبهـةٍ ومحـالِ
عُـدم النعت والتعـطف والتـو	كيـد مستبـدلاً مـن الأبـدالِ
ألَمَّ إعـتـراهُ أسـكـن مـنـهُ	حـركـات كـانت بغير اعتلالِ
يـا لهـا سكنـةً لهمز قضـاء	أورثت طـول مـدة الانفصـالِ
رفعـوهُ في نعشِـهِ فـانتصبنـا	نصب تمييـز كيف جرُّ الجبالِ
صـرفـوه يـا عـظم مـا فعلوه	وهـو عـدل معـرّف بـالجَمـالِ
أدغموه بالتـرب من غير مثلٍ	سـالمـاً من تغـيّر الإنـتقـالِ
وقفـوا عند قبـره ساعـة الدفـ	ـنِ وقـوفـاً ضـرورة الأمثـالِ
ومـددنـا الأكفّ نـطلب قصـراً	مسكناً للنزيل من ذي الجلالِ

الفقهاءُ والمحدِّثون

ومن إليهم

جمع الإسلام شتات العرب ووحّد كلمتهم فانشأوا مملكة مستقلة كان قد امتدّ ظلّها عند وفاة[١] صاحب الشريعة الإسلامية على شبه جزيرة العرب. وما كاد يستتب لهم الأمر في بلادهم حتى بثّوا سراياهم[٢] في الآفاق يعرضون على الناس الإسلام او الجزية وان أبوا فالسيف يحكم بين القومين. ففتحوا البلاد ودوّخوا الممالك ودانت لهم الرقاب في مشارق الأرض ومغاربها وكان لهم من فتوحاتهم مُلكٌ فسيح الأرجاء متنوّع الأقاليم تضطرب فيه الأمم المختلفة وجميعهم يرجعون في تدبير شؤونهم الإجتماعية الى أُمرائهم الفاتحين. فاضطُرّ العرب الى مُعاناة القضاء في أمور رعاياهم على تلون مِلَلهم[٣] ونِحَلهم[٤] واقتضى ذلك وضع قانون يرجع اليه أرباب الأمر والنهي في حلّ المُشكلات التي تُعرض عليهم ويجرون على سننه في أحكامهم إذا فصلوا للمترافعين دعاويهم كما هو الشأن في الممالك العظمى المنظّمة.

ولما اندفعت جيوش العرب في ممالك المعمور، ووجدوا أنفسهم مضطرين الى معاناة القضاء بين الأمم التي خضعت لهم، لجأوا في قضاء شؤونهم الى ما

(١) سنة ٦٣٢ مسيحية.

(٢) جمع سرية وهي القطعة من الجيش.

(٣) جمع ملّة اي دين كالنصرانية والاسلام مثلاً.

(٤) جمع نحلة اي مذهب كالحلول مثلاً والاعتزال

خلّف لهم مشترعهم من قول أو فعل يقيسون عليه الوقائع المتحدّدة لديهم، وإن لم يكن له، عمدوا الى قول أو فعل للصحابة[1] مما هم فيه وجعلوا إجماعهم على طريقة بعينها منهاجاً يسيرون عليه، وإن لم يكن هناك إجماع على أمر ما ذهبوا الى التنظير[2] بين الوقائع حاضرها وسالفها وتحرّوا أصحّ الأقيسة، وحكموا على حسب المشابهة والمخالفة ومن ثم كان القرآن، والحديث، والإجماع، والقياس المراجع الاربعة التي اختلف[3] اليها أئمة القوم في استنباط الأحكام الشرعية. وقد أطلقوا على المعارف المستنبطة من هذه الأصول أسم « الفقه ».

---

(١) اصحاب محمد

(٢) التمثيل.

(٣) تردّد.

القُرآن

القرآن لغة مصدر قرأ ثم أطلق على كتاب الوحي عند المسلمين وهو مقسوم قطعاً مستقلة أو فصولاً تعرف بالسور. فيه مئة وأربع عشرة سورة رتبها جامعو الكتاب باعتبار الطول والقصر ما عدا سورة الفاتحة فهي مع قصرها في صدر الكتاب. وعليه فالسور الطولى في أوله والصغرى في آخره. وهناك فروق أخر بينها منها قصر الآي وتواطؤها على الفاصلة الواحدة في السور الصغرى، وهو غير مطّرد في السور الطولى، ولرسم القرآن نمط خاصّ مخالف للمصطلح العام اما بزيادة حرف في بعض الألفاظ، واختزال حرف في غيرها واما برسم هاء التأنيث في كثير من الأسماء بصورة تاء الأفعال الى غير ذلك مما خولف في رسمه القياس المتعارف عند الكتاب.

والقرآن مكتوب بلغة قريش أفصح وأنصع[1] لغات العرب وعلى منهاج[2] بلاغتها وإن كان له أسلوب خاص ولهجة تميّزه عما سواه. وكان العرب يفهمونه، ويدركون معانيه في مفرداته وتراكيبه غير أنهم لما اختلطوا بالأمم الأجنبية فسدت لغتهم ولم تعد لغة قريش دائرة في مخاطباتهم ففاتهم شيء من معانيه فنشأ عن ذلك «علم التفسير».

---

(١) أبهى.　　(٢) الطريق الواضح.

الحَديث

الحديث أو السنة عند المسلمين ما وردعن نبيِّهم من قول أو فعلٍ غير مدون في القرآن، حفظه الصحابة وأخذه عنهم تابعوهم، وظلّ يتناقله القوم خلفاً عن سلف. ولم يُدوّن في الكتب الاّ في أواخرالقرن الثاني للهجرة.

وكان الداعي الى جمع الأحاديث اضطرار المسلمين أن يجروا على سنن مشترعهم في فهم القرآن وتأويل ما لديهم من الآيات التي لا يتأتى فهمها الا للواقف على الظروف التي دعت إليها.

ورأى زعماء القوم أنه كُلّما تمادى الزمن صعب عليهم الحصول على هذه الضالّة المنشودة[1] بسبب موت جماعة من الصحابة وهلاك معظمهم في الحروب وتفرّق سائرهم في بلاد العرب والعراق والشام ومصر وغيرها. فعزموا على تلافي الأمر وهموا بجمع الأحاديث ممن اؤتمنوا عليها فعانوا[2] في سبيل ذلك الأسفار الشاقّة ودوّنوا خلاصة مباحثهم في المؤلفات العديدة.

وزاد قضاء هذه المهمة عَنَتاً[3] ومشقةً ما شاع في الإسلام من الأحاديث التي كان يضعها أصحاب الأغراض من عند أنفسهم تنفيذاً لغاياتهم ونصرة

---

(١) نشد الضالة: سأل عنها وطلبها.
(٢) عانى: قاسى. (٣) التعب.

لمذاهبهم. فألجأ ذلك المؤلفين في الحديث الى اعتماد الإسناد المتسلسل ليتسنّى[1] لهم إفراز[2] الأحاديث وتمييز صحيحها من فاسدها.

وأوّل من ألف في الحديث مالك بن أنس الأصبحي. وضع كتابه « الموطّأ[3] » ورتّب فيه الأحاديث على أبواب الفقه. ثم جاء بعده إمام المحدّثين محمد البخاري وألف كتابه « المُسند الصحيح » نحا فيه منحى مالك في الترتيب الآّ انه أغزر مادّة وأكثر استيعاباً[4]. فمحصّ[5] الأحاديث التي وقف عليها وكرّرها في كل بابٍ يتطلبها المعنى فكثرت في كتابة الأحاديث المكرّرة.

وتلا البخاري مسلمُ بن الحجاج القُشيري. فوضع مصنّفاً في الحديث سمّاه أيضاً « المسند الصحيح » حذا فيه حذو البخاري في تدوين المُجمع عليه وحذف المتكرّر. ويُعرف كتابا البخاري ومسلم « بالصحيحين ».

ثم كتب في الحديث بعد هؤلاء الأئمة الثلاثة أبو داود السجستاني وأبو عيسى الترمذيّ وأبو عبد الرحمن النسائيّ وتوسّعوا في جمع الأحاديث فزادوا على الصحيح منها، ما هو دونه رتبةً من الحسن وغيره.

ومؤلفات هؤلاء الأئمة الستة هي أمّهات الكتب في الحديث وتُعرف «بالستة الصِّحاح » واليها النهاية في هذا العلم وكلّ ما أُلّف بعدها فهو شرحٌ أو تلخيصٌ[6] أو تعليق[7] عليها.

---

(١) ليتسهّل. (٢) تفريق
(٣) من وطأ الأمر اذا سهلهُ.
(٤) استوعب الوعاء الشيء وسعه. (٥) نقّى.
(٦) اختصار. (٧) شرح.

الفقه

الفقه في اللغة العلم ثم خُص بعلم الدين لشرفه. ويحدّ عندهم بأنه معرفة الأحكام الشرعية في أفعال المكلّفين[1] بالوجوب والحذر والندْب[2] والكراهة والإباحة[3]. وبعبارة أُخرى هو تطبيق أحكام الشريعة على أعمال البشر للفصل بين حلالها وحرامها. وهذه الأحكام يستخرجها بالإجتهاد أئمة القوم المعنيّين بأمر الدين كالصحابة ومن اليهم من التابعين وغيرهم ممن اشتهروا بحفظ القرآن ومعرفة ناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومُحكمهُ[4]. وكان لذلك العهد يُسمّون « قراءً » أي الذين يقرأون القرآن. لأن العرب كانوا أمّة أُمّية يُعظمون أمر القراءة والكتابة كما هي الحال في أيّامنا عند القبائل البعيدة عن المدنيّة ومرافقها[5]. فإنّ لمعرفة الأسود في الأبيض - وهي كناية القراءة عندهم - شأناً كبيراً ولأصحابها المقام الرفيع والكلمة النافذة فيما بينهم. فاختصّ العرب بهذا اللقب أئمتهم لغرابته يومئذ. ولمّا تحضّروا وشاعت الكتابة في عامّتهم تعاطوا العلوم وحذقوا في التعليل والإستنباط وتوفّرت لديهم عدّة[6]

---

(١) العقلاء البالغون.

(٢) التحريض.

(٣) ترديد الامر بين شيئين يجوز الجمع بينهما.

(٤) هو المفصل الواضح غير المتشابه.

(٥) منافعها.

(٦) ما أعد للقيام بالعمل.

العلم فكمل فقههم وأصبح صناعة كسائر المعارف فزالت خطورة القراءة من قلوبهم وسمّوا علماء دينهم « الفقهاء ».

ومذاهب الإسلام في الفقه أربعة: الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي.

المذهب الحنفي ينتمي[1] الى أبي حنيفة النعمان ومرجعه في استنباط الأحكام الشرعيّة الى القياس والدليل العقليّ غير معتبرٍ غالباً الأحاديث النبوية لقلّة رواة الحديث في العراق حيث نشأ هذا المذهب. وهو أوسع مذاهب الإسلام مبادىء وأقلّها ضغطاً وتشديداً وأقربها الى التساهل والتسامح لما فيه من روح الفلسفة. وأهل العراق والشام والهند على مذهب أبي حنيفة.

والمذهب المالكي أنشأه مالك بن أنس وركنه الحديث. وقد رأيت أن صاحبه هو أول من جمع شيئاً من الاحاديث فبنى مذهبه عليها واعتمد في استنباط الأحكام عن الأصول العامّة أصلاً آخر وهو ما اتفق على عمله أهل المدينة لما رأى من حرصهم على تقليد من قبلهم. فاتخذ اتفاقهم حجة في أحكامه وأحله محل الادلّة الأربعة[2].

وهذا المذهب خلو من الأقيسة المنطقية لبعد الأخلاق البدوية عن تعاطيها. واختصّ به أهل المدينة وعنهم أخذه أهل المغرب.

والمذهب الشافعي أنشأه محمد بن ادريس الشافعي مزيجاً من المذهب الحنفي والمذهب المالكي آخذاً بطريقتي أهل الحديث والقياس بيد أنه وإن خالف مالكاً في كثير من الفروع فهو أقرب الى المذهب المالكي منه الى الحنفي لشدّة تمسّكه بالحديث. والآخذون بهذا المذهب هم أهل مصر خاصّة.

وأما المذهب الحنبلي فينتمي الى أحمد بن حنبل وكان من علّية[3] المحدّثين. وقرأ تلاميذه على أصحاب الشافعي مع وفور بضاعتهم من الحديث

---

(١) ينتسب.
(٢) اي القرآن والحديث والاجماع والقياس.
(٣) من اهل الرفعة.

واختصوا بمذهب آخر هو النهاية في التشبث[١] بالحديث ونبذ كل قياس ودليل عقلي. فهو والمذهب الحنفي على طرفيّ نقيض. وأتباع هذا المذهب قليلو العدد منذ نشأته الى أيامنا.

وهناك مذهب آخر غير معدود من المذاهب المقررة في الاسلام ويُعرف منتحلوه بالظاهرية أو أصحاب الظاهر لأن محور مباحثهم إنما هو ظاهر الكلام خاصة بمعزل عن كل تأويل فينبذون ظهرياً كل قياس عقلي في استنباط الأحكام، وزعيم هذا المذهب داود بن علي الأصبهاني وتبعه ابنه أبو بكر محمد وبعض أصحاب لم تتسع شهرتهم ولا كثر عددهم.

ووقف التقليد في الأمصار[٢] عند الأئمة الأربعة المارّ ذكرهم وأوصد[٣] عند أهل السنة باب الإجتهاد بعدهم لمن سواهم. ولا محصول للفقه من بعدهم الا نقل مذاهبهم وعمل كل مقلّد بالمذهب الذي اختاره بعد النظر في الأصول واتصال سندها بالرواية. فمذهب كل إمام علم مخصوص عند أتباعه كفاهم منشئه مؤونة الإجتهاد فلا سبيل اليه لاحد من بعده أبد الدهر.

وللفقهاء منزلة رفيعة في الإسلام وكان الخلفاء يُجلّون قدرهم ويرفعون مقامهم إما عن ورعٍ[٤] أو عن سياسة لعلمهم أنهم محتاجون مع سامي مقامهم الى رضى عامّة المسلمين عنهم ولا سبيل الى استرضائهم سوى إعظام أمر الفقهاء وإكرامهم ولا يخفى أن الشعب منقادٌ لهم ما لم يفسد عليه المضلّلون أمره. غير أن كثيراً ما انقلب إعزازاً العامّة للفقهاء وبالاً عليهم إذ تربّع في دست[٥] الخلافة من لا همّ لهم في أمور الدين. فقاسى معظم

---

(١) التمسك.
(٢) جمع مصر بالكسر اي البلد.
(٣) أغلق.
(٤) التقوى
(٥) الدست صدر المجلس.

الفقهاء محن الإهمال والضيق في دولة بني أمية لأن خلفاءها اغتصبوا الخلافة اغتصاباً فأنكر عليهم الفقهاء فعلتهم وجاهروا ببطلان حقّهم.

ولمّا آلت الخلافة الى بني العبّاس توسّم (١) الفقهاء خيراً لما أظهروا من العزم على ردّ الخلافة الى أهل البيت. غير أنهم ما عتّموا(٢) أن لاقوا منهم الأهوال. فان العباّسيين ما كادوا يتخلصون من أحزاب بني أُمية ويستتب لهم الأمر حتى احتكروا(٣) الخلافة لأنفسهم وكانوا قد أوهموا في أوائل دعوتهم أنّهم إنّما يدعون لأهل البيت من وُلد عليّ وبايعوا واحداً منهم. فلمّا نكثوا(٤) بيعتهم أفتى الفقهاء المتشدّدون بخلعهم وفي مقدمتهم مالك بن أنس. فقابلهم الخلفاء بالعنف والمحنة والإهمال. وبلغ بلاؤهم نهايته حينما قبض على أزمة الأحكام الآخذون بمذهب الإعتزال من بني العباس كالأمين والمأمون فعظم الأمر على الفقهاء وتوقّعوا شرّا وكما أوجسوا(٥) كان فانهم أجبروا على القول بخلق القرآن(٦) ومن أبى منهم لقي الأهوال والشدائد ألواناً.

الاّ أنّ الفرج جاءهم في ابّان(٧) الضيق وعند استشراء(٨) داء الإعتزال واستفحال بلواهم. وذلك ان المتوكل ما كاد يقبض على صولجان الخلافة حتى عدل بغتةً عن الإعتزال والتشيّع لحكمة سياسية وعاد الى عقائد السّنة وعضد أهلها بالقوة والسطوة وحمل على من لا يرون رأيه حملات منكرة. وشدّد في تتبّع

---

(١) تخيّل.
(٢) أبطأوا.
(٣) استبدوا واستأثروا
(٤) نكث العهد نقضه.
(٥) احسّوا وأضمروا.
(٦) أي انهُ غير منزل.
(٧) وقت
(٨) تفاقم.

الشيعة ومن اليهم وتخطّى حدود الإعتدال في نصرته للسُّنة حتى خيّل اليه خُلقه الشكس[1] إنحرافاً عن صراط[2] الحقّ في أركان الفقه أنفسهم بحيث أضطرّ محمّد البخاريّ ـ وما أدراك من البخاريّ ـ أن يتنصلّ[3] من تهمة الميل والإرتداد عن مذهب السنّة . . . وقس على ذلك ما أشبهه من الوقائع العديدة التي أدّى اليها ضرورة ناموس ردّ الفعل ـ سُنّة الله في خلقه ولن تجد لسنّة الله تبديلاً .

---

(١) الشرس

(٢) طريق.

(٣) يتبرأ.

علم الكلام

تلك هي البدع الرئيسية التي ما كادت تنبثق[١] سيولها حتى زحزحت الأودية وطمت[٢] لججها على الأمة بأسرها فأوجس أرباب القوم خيفة من تفاقم الشرّ وتعاظم البلاء وأشفقوا ان هم وهنوا عن صدّها وردّها ناكصة[٣] على الأعقاب طغت وبغت وغرّقت ودمّرت وإنقاد الشعب كبيرهُ وصغيرهُ الى تيارها[٤] الجارف. فهّب كل من له شأن في حسم الداء للمناهضة[٥] والمناوأة[٦].

أما الخوارج والشيعة فلما كان لهم غايات سياسية ترمي الى قلب الدولة القابضة على صولجان الملك تصدّى[٧] لهم أصحابها وبذلوا الرجال والمال في تشتيت شملهم وسدّ أفواههم. فكفى أرباب الخلافة رجال الدين مؤونة المجاولة والمصاولة[٨] مع هاتين الفرقتين.

ولما لم يكن في نظر الفقهاء من المرجئة كبير خطر على السنّة لم يعبأوا بهم كثيراً.

---

(١) تنفجر.
(٢) علت.
(٣) راجعة.
(٤) الموج القوي.
(٥) المقاومة
(٦) المعاداة
(٧) تعرّض
(٨) المطاردة والمقاتلة.

ولم يكن المعتزلة ممن يستهان بأمرهم فان مذهبهم كان مذهب العقل والفلسفة وانضمّ الى لوائهم جمّ غفير من جلّة العلماء والرؤساء فزادوهم رفعة وهيبة في عيون العامة والخاصّة واستفحل أمرهم في الملّة وبلغوا ذروة(١) المجد والعظمة في أيام الأمين والمأمون والمعتصم والواثق وأصبح علماء السنة في أحرج المواقف لديهم لا يحيرون(٢) جواباً الا أفحمهم(٣) المعتزلة بفلسفتهم.

وزاد موقف السنة حرجاً توهّم علمائها أن في تعاطي الفلسفة مروقاً(٤) من الدين لما رأوا من أن بلاياهم ومحنهم تسبّب لهم بها قوم انتحلوا مذاهب الفلسفة. وفاتهم أن خير سلاح يعين على نكاية العدوّ هو السلاح الذي يعتزّ به هو نفسه.

ولم يزل المعتزلة أصحاب الحول والطول(٥) حتى قام المتوكّل فقضى على نفوذهم المادّي بارتداده الى السنّة لغايات سياسية وبذل بطشه وصولة(٦) في عضد الفقهاء. ثم جاءتهم الضربة القاضية على هيبتهم الأدبية في عقول الناس من عند أنفسهم بعدول أبي الحسن الأشعري عن مذهب الاعتزال الى السنّة واستعانته بفلسفتهم نفسها لدحض أرائهم ونقض مزاعمهم وانتشرت الطريقة الأشعرية في الإسلام وعرف الفقهاء لصاحبها الفضل وأقرّوا له بالرئاسة وأعظموا شأنه وراعوا أقواله في مذاهبهم.

والأشعري هو واضع علم الكلام ويُحدّ عندهم انه علم يتضمن الحجاج على العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والردّ على المبتدعة المنحرفين عن مذاهب السلف. ورأس المسائل التي يبحث فيها به هو التوحيد خاصّة على ما يراه أهل السنّة وألحق بالتوحيد الكلام على الجنّة والنار والثواب والعقاب وما الى

---

(١) قمّة.
(٢) يردّون.
(٣) اسكتهم.
(٤) خروجاً.
(٥) القوة والقدرة.
(٦) سطوته

ذلك. والفرق بين علم الكلام وعلم الفقه هو أن الكلام موضوعه القسم الأول من الدين أي المعرفة. والفقه موضوع القسم الثاني أي الطاعة. فعلم الكلام يبحث في الأصول كالتوحيد والصفات والسمع[1] والوعد والوعيد وما أشبه ذلك من العقائد الإيمانية التي تعود معرفتها الى العقل ويتوصّل اليها بالنظر والإستدلال فمن تعاطى هذا القسم دُعي أصوليا أو متكلماً. وأما الفقه فيبحث في الفروع كالصلاة والصوم والزكاة وما الى ذلك من الاعمال البدنية التي تعود معرفتها الى الظن ويتوصّل اليها بالقياس والإجتهاد. ومتعاطي هذا القسم يدعى فروعيّا أو فقيهاً.

(١) المراد بالسمع اصطلاحاً الوحي.

أبو حنيفة (٧٦٧م ١٥٠هـ)

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي الفارسي الأصل. كان في أول أمره خزازاً[١] ثم أقبل على علوم الدين وقرأها على أئمة عصره وتعاطاها زماناً طويلاً ورزق فيها حظاً وافراً فنبغ[٢] وفاق أهل زمانه بتضلعه[٣] من الفقه خاصة حتى صار فيه الامام الأعظم الذي لا ينازع في إمامته منازع ولا يطمع في مجاراته طامع. وكان مع وفرة علمه وسعة تَبحّره[٤] في الأصول والفروع كثير الخشوع طويل الصمت قليل الدعوى فاذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادي وسمع له دويّ وجهارة[٥] في الكلام. واشتهر بالزهد والورع والتقوى اشتهاره بالعلم. وازدحم الناس ببابه يأخذون عنه ويستفيدون منه وكان لطيف المجالسة حسن المنطق حلو النغمة شديد التفكير سريع المؤاساة[٦] لاخوانه ولم يثئر[٧] من أعدائه الا بالحلم[٨] والصمت حتى لم يسمع قطّ يغتاب[٩] عدواً له. وهذه مأثرة[١٠] تحلّه محلاً سامياً في عيون البشر أجمعين لم يكن ليرقى اليه بعلمه مهما زاد وأعجز العباد.

---

(١) يبيع الخز وهو ما نسج من الصوف والحرير. (٢) عظم.
(٣) تقوّي. (٤) تعمقه.
(٥) ارتفاع. (٦) الاسعاف
(٧) اثأر اخذ ثأره (٨) الصفح
(٩) اغتابه ذمّه غائباً. (١٠) مكرمة.

وأمر به أبو جعفر المنصور فنقل الى بغداد وأراده على ولاية القضاء فأبى فأصرّ الخليفة على رأيه وطال الحجاج بينهما فقال أبو حنيفة للمنصور « إتّق الله ولا ترع في أمانتك الا من يخاف الله، والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب. ولو اتّجه الحكم عليك ثم تهددتني أن تغرقني في الفرات أو تلي الحكم لاخترت أن أغرق » ولم يكن المنصور ممن ينزل عن رأيه فأنكر حريّة الفكر على أبي حنيفة واستقلال الرأي شأن الملوك المستبدّين وزجّه في السجن ولم يظفر منه بطائل وكان قد عانى الشدائد أيضاً من قبل في تمنّعه عن ولاية القضاء بالكوفة فضربه إبن هبيرة عامل مروان بن محمد[1] مائة سوط وعشرة أسواط ولما رأى أن الرجل أعلى من أن تذله محنة ارعوى[2] عن ظلمه وخلّى سبيله. وقيل أنّ المنصور حبسه لتشيّعه وتحامله على العباسيّين وأن تمنّعه عن ولاية القضاء حكاية موضوعة والله أعلم.

ومناقب الإمام أبي حنيفة وفضائله كثيرة ولم تكن البلايا التي ألحقها به عظماء الدهر الا لتزيده رفعة وشهرة وتحشد[3] له أتباعاً وأنصاراً. ولم يكن يؤخذ عليه سوى قلة معرفة بالعربية فانه كان كثير اللحن[4] ويرتضخ لُكْنَةً[5] أعجمية تنمّ عن أصله.

وتتلمذ له كثيرون من علماء عصره كأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفيّ صاحب كتاب الخراج وأبي عبد الله محمد الحسن الشيباني الواسطي وهو الذي مات بالري والكسائي معاً وقال عنهما الرشيد « دفنت الفقه والعربيّة

---

(١) هو آخر ملوك بني أمية. (٢) رجع.

(٣) تجمع.

(٤) الخطأ في الاعراب.

(٥) اللكنة هي عسر في اداء الالفاظ والتركيب العربيّة وارتضح لكنة أعجمية اي مال بكلامهِ الى لفظ الاعاجم.

بالريّ » وغيرهما ممن يطول سرد أسمائهم.

وينسب الى أبي حنيفة « كتاب الفقه الأكبر » في الكلام[1] و « القصيدة النعمانية » في مدح النبيّ وله « وصيه » في عقائد الإسلام.

---

(١) كان الفقه لم يزل عاماً يشتمل القسمين.

مَالِك

(٧٩٥م ١٧٩هـ)

هو أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي. وُلِدَ بالمدينة وأخذ الحديث عن الزهريّ وغيره من علماء عصره وبرع في علوم الدين وكان أمام أهل المدينة والآخذين بمذهبهم من التمسك بالسنّة النبويّة وتقليد السلف يصدرون عن رأيه ويعوّلون عليه في الفتوى. وكان علويّ النزعة وأفتى بصحة دعوة محمد بن عبد الله من آل عليّ وخلع بيعة أبي جعفر المنصور واستفحل أمر محمد هذا ولم يظهر عليه الا بعد عناء وتعب شديد. واتصل خبر فتوى مالك بجعفر بن سليمان عم الخليفة وكان أميراً على المدينة فغضب وأمر بالامام فجُرّد وضرب بالسياط ومُدّت يدهُ حتى انخلعت كتفه. وازداد بعد ذلك الضرب علوّا ورفعة وإعزازاً في قلوب الناس. غير أنه عاد فحظى عند العبّاسيين وكان الرشيد إذا قدم المدينة يحضر مجلسه إجلالاً لهُ.

- وكان للحديث عند مالك حرمة ومزية عالية فإذا أراد أن يحدّث توضّأ وجلس على صدر فراشه وسرّح لحيته وتمكن في جلوسه بهيبة ووقار. وهو أول من وضع مصنّفاً في الحديث وضع كتاباً «الموطّأ» بإيعازٍ من أبي جعفر المنصور نفسه ويحكى انه لما اقترحه عليه قال لهُ «لم يبق على وجه الأرض أعلم مني ومنك واني قد شغلتني الخلافة فضع للناس كتاباً ينتفعون به وتجنّب فيه رخص

إبن عباس[1] وشدة إبن عمرو[2] ووطئه للناس توطئة[3]»فصنّف كتابه وسمّاه « الموطّأ » على حسب إشارة الخليفة وكان يقول « والله لقد علمني التصنيف ».

(١) ابن عمّ محمد.
(٢) احد الصحابة.
(٣) سهّلهُ ومهّده.

وَاصل بْنُ عَطَاء

(٧٩٧م ١٨١هـ)

هو أبو حُذيفة واصل بن عطاء زعيم المعتزلة ومقدمهم. كان متكلماً وعالماً بعيد الغور[١] راسخ القدم[٢] في العقليات وتتلمذ للحسن البصريّ في جملة من الأصحاب ويظن ان مقالات الإعتزال تنتمي[٣] الى الحسن غير أن الأستاذ لم يلقّنها لمريديه نضيجة جليّة كما قال بها المعتزلة فيما بعد ولعلّ الحسن البصري لم يفطن لما عسى أن يكون لمقدّماته ومبادئه الحرّة من التوالي[٤] والنواميس[٥] المجحفة[٦] بالإسلام وعقائده. ويروى أن رجلاً دخل على الحسن. وهو في حلقته وقال له « يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفّرون أصحاب الكبائر وجماعة يرجئونهم فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً » فتفكّر الحسن وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء « أنا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر » ثم قام واعتزل الى إسطوانة[٧] من إسطوانات المسجد يقرّر[٨] ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن. فقال الحسن « إعتزل عنا واصل » فسُمي هو وأصحابه « معتزلة ».

---

(١) واسع المعرفة متعمقها.
(٢) ثابت القدم.
(٣) تنسب
(٤) النتائج.
(٥) الشرائع.
(٦) المضرّة
(٧) عمود.
(٨) يثبت.

وكان واصل يلثغ بالراء فيجعلها غيناً ويتجنبها في كلامه مع إشتهاره باطالة الخُطب ولبعضهم فيه من شعر:

ويجعل البُرّ قمحاً في تصرفه   وخالف الواء حتى احتال للشعرِ
ولم يطلق مطراً والقول يعجله   فعاد بالغيث إشفاقاً من المطرِ

وضُرب به المثل في اللثغة وذكرهُ الشعراء في شعرهم فمن ذلك قول بعضهم:

نَعَمْ تَجَنّبَ لا يوم العطاء كما   تجنّب ابن عطاءٍ لفظة الراءِ

وقال آخر:

أَجَعَلْتَ وصلي الراء لم تنطق بِهِ   وقَطعتني حتى كأنّكَ واصلُ

الشّافعِيّ (٨٢٠م ٢٠٤هـ)

هو أبو عبد الله محمّد بن إدريس القُرشي المعروف بالشافعي نسبةً الى جدّ جدّهِ. وُلِدَ بغزّة(١) وحُمل الى مكة وهو إبن سنتين فنشأ بها وقرأ القرآن وحفظ الموطّأ وقصد مالك بن أنس وتلاه عليه حفظاً فدهش الامام من وفرة(٢) ذكائه وسعة مداركه(٣) وقال « أن يك أحدٌ يفلح فهذا الغلام » ولم يزل يزداد علماً وحنكة(٤) في الفقه حتى أصبح نادرة الزمان ومعجزة الامام وقد أُهل للفتوى وهو إبن خمس عشرة سنة. وكان الشافعي كثير المناقب(٥) جمّ المفاخر(٦) منقطع القرين في علوم القرآن والسنّة وإختلاف أقاويل العلماء وبرع أيضا في العلوم اللسانية وكان من اللغة والشعر وكلام العرب بمكان عظيم حتى أن الأصمعي مع جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه أشعار الهُذليين وكان الشافعي نشأ وترعرع بينهم.

---

(١) مدينة من اعمال فلسطين على البحر من ناحية مصر توفي فيها هاشم بن عبد مناف جدّ محمّد نبي المسلمين فقيل لها غزة هاشم.

(٢) كثرة.

(٣) قواهُ العقلية التي يدرك بها.

(٤) مهارة ودُربة.

(٥) الخصال واحدها منقبة.

(٦) جمع مفخرة وهي ما يفتخر بهِ.

وقدم بغداد فأجلّ القوم وفادته وأقبل أرباب العلم عليه يقرأون عليه ويستنيرون بمشكاته(١) وحدّث هنالك مدة وألّف « الرسالة في الأصول » وهي أوّل مصنّف وضعه ثم جاء مكة حاجاً وقصد الامام مالكاً وأخذ عنه توجه الى مصر فألقى عصا الترحال بالفسطاط(٢) وانقطع الى العبادة والاقراء والتأليف. وله تصانيف عديدة جداً لم يصل الينا منها الا القليل وقد قال تلميذه أحمد بن حنبل « ما أحدٌ ممن بيدِهِ محبرة أو ورق الا وللشافعي في رقبته منّه(٣) » ومزايا الشافعي عديدة باهرة والعلماء قاطبةً من محدّثين وفقهاء ومتكلّمين ولغويين ونحاة وشعراء مجمعون على ثقته وأمانته وعدالته وزهده ونزاهة عرضه وعلّو قدره وسخائه. وله شعرٌ حسن رائق الديباجة(٤) الا انه كان يأنف من قرضه لما رأى من تبذّل(٥) الشعراء وتزلّفهم(٦) الى عظماء الدهر بالتملق الشائن والمدح الكاذب وهو القائل:

ولولا الشعر بالعلماء يُزري   لكنت اليوم أشعر من لبيدِ

ومن شعره الدالّ على اعتقاده بالقدر المحتوم والقضاء المبرم قوله:

الجدّ(٧) يُدني كل أمر شاسعٍ   والجدُّ يفتح كلّ بابٍ مغلقِ
وإذا سمعت بأن مجدوداً(٨) حوى   عوداً فأثمر في يديه فصدّق
وإذا سمعت بأن محروماً أتى   ماءً ليشربه فغاض فحقّقِ

---

(١) المشكاة موضع السراج من الحائط
(٢) مصر العتيقة.
(٣) فضل.
(٤) حسن المقال
(٥) ترك التصاون.
(٦) تقربهم.
(٧) الحظ
(٨) محظوظاً.

ومن اللّيل على القضاء وكونه بؤس[1] اللبيبُ عيش الأحمقِ

والشافعي يرى أن كلّ إنسان رهن بما اكتسبت يداه وذلك بقوله:

إذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا ولج عتواً في قبيح اكتسابهِ
فكله الى صرف الليالي فإنها ستبدي له ما لم يكن في حسابهِ
فكم قد رأينا ظالماً متمرداً يرى النجم تيها تحت ظلّ ركابهِ
فعما قليل وهو في غفلاته أناخت صروف الحادثات ببابهِ
فأصبح لا مال ولا جاه يرتجى ولا حسنات تلتقي في كتابهِ
وجوزي بالأمر الذي كان فاعلاً وصبّ عليه الله سوط عذابهِ

---

(١) فقر.

إبن حنبل (٨٥٥م ٢٤١هـ)

هو أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانيّ. وُلد ببغداد وأقبل من صباه على العلم ونال فيه شهرة وبرع في الحديث وكان يحفظ ألف ألف حديث ولهُ في هذا المعنى مؤلف سمّاه « المسند » جمع فيه ما لم يتفق لغيره[١]. وهو من أصحاب الشافعيّ وأخص تلامذته ولم يزل مصاحبه حتى ارتحل الى مصر وقال في حقّه « خرجت من بغداد وما خلّفت بها أتقى ولا أفقه من إبن حنبل » ولحق إبن حنبل اضطهاد وبلاء شديد لمّا دُعي الى القول بخلق القرآن فلم يجب وكان ذلك على عهد المعتصم فعومل بأشد القسوة وأصرم العقوبة فضرب وحبس وهو مصر على الإمتناع. ولم يذق للراحة والطمأنينة طعماً الى ولاية المتوكل على الله نصير السنّة الشهير.

وتتلمذ لإبن حنبل جماعة من الاماثل منهم محمد بن إسماعيل البخاريّ ومسلم بن الحجاج النيسابوري المحدثين الشهرين. وكان للامام أحمد سمعة[٢] منتشرة في الناس بالعلم والورع ولمّا تُوفي مشى في جنازته ثمانيمائة ألف رجل وستون ألف أمرأة وهو إكرامٌ غريب نادر.

---

(١) يقال انه جمع فيه خمسين الف حديث.

(٢) صيت.

البُخاري

(٨٧٠م ٢٥٦هـ)

هو أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري[١] الأصل وكان جدّهُ يَزْدِزْ به مجوسياً[٢] ومات على دينه. أولع البخاري منذ صباه بالأحاديث النبويّة فطاف ينشد[٣] ضالّته حيثما توهم لها مظنّة[٤] فرحل الى خراسان والجبال[٥] والعراق والحجاز والشام ومصر وداخل من لقي من المحدّثين وأخذ عنهم. ولمّا آنس من نفسه التضلّع[٦] والإحاطة وضع كتابة الجامع « الصحيح » الذي أحلّه محل لإمام المتّبع بين علماء هذا الفن وشهد له أماثل عصره بتفرده في علم الرواية امتحنه قوم ببغداد بأن تواطأ[٧] عشرة منهم فأخذ كلّ منهم عشرة أحاديث وقلبوا متونها[٨] وأسانيدها[٩] وخالفوا فيما بينها بحيث لا يهتدي الى حقيقة صورتها وعرضها عليه في مجلس حافلٍ بوجوه الناس وأفراد[١٠] المحدّثين.

---

(١) نسبة الى بخاري وهي مدينة كبيرة مما وراء النهر ويعني العرب بما وراء النهر بلاد تركستان والنهر هذا هو جيحون.

(٢) المجوس قوم يعبدون النار والكواكب.

(٣) يطلب.

(٤) محلٌّ يُظنّ فيه وجود الشيء.

(٥) العراق العجمي.

(٦) القوة.

(٧) توافقوا.

(٨) نصوصها.

(٩) الاسناد سلسلة الرواة الذين يُسند اليهم الحديث.

(١٠) اعيان

فزكن (١) البخاريّ أنها مؤامرة (٢) وأنهم إنما قصدوا تخطئته وتعجيزه (٣) فكان كلّما أُلقي عليه واحد من تلك الأحاديث المقلوبة يقول « لا أدري » حتى إذا فرغوا كلّهم أقبل على أولهم وقال له « أمّا حديثك الأول فهو كذا وحديثك الثاني فهو كذا » وهلم جرّا الى العاشر ورد كلّ متنٍ الى أسناده وكل إسناد الى متنه. وما فعله بالأول فعله بالتسعة الآخرين. فأعجب من في المجلس جميعاً وأفحم(٤) كلّ مكابر(٥) ومارٍ(٦) فضله وتقدمه وأقرّ له الناس بالحفظ وصدق الروايات.

ورُوِيَ عنه أنه قال « صنّفت الصحيح لسّت عشرة سنة وخرّجته من ستمائة ألف حديث » ويتضمن كتابه تسعة آلاف ومائتي حديث منها ثلاثة آلاف مكرّرة. ولم يزل كتابه نموذجاً كاملاً لكلّ مؤلف في هذا المعنى وقد بذل في تمحيص الأحاديث ونقدها ما فوق المستطاع ولا سيّما وأن علم الإنتقاد لم يكن ليمرّ لهُ طيف(٧) في خيال بني ذلك الزمان.

---

(١) فطن.
(٢) مشاورة
(٣) خطأهُ وعجّزهُ نسبهُ الى الخطأ والعجز.
(٤) أسكت.
(٥) معاند.
(٦) مجادل.
(٧) ما يمثل للنائم في نومه.

مسْلِمْ

(٨٧٥م ٢٦١هـ)

هو أبو الحسن مسلم بن الحجّاج القُشيري[١] أحد الأئمة الحفّاظ وأعلام المحدّثين. رحل في طلب الحديث الى الحجاز والعراق والشام ومصر ووضع مسندهُ الصحيح ويُروى عنهُ أنه قال « صنّفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديثٍ مسموعة[٢] » ولما إستوطن البخاريّ نيسابور أكثر مسلم من الإختلاف[٣] اليه وتوثّقت[٤] عرى الأخاء بينهما وكان في نيسابور رجل من أعيان الحفّاظ يدعى محمد بن يحي الذهلي واسع العلم منتشر الشهرة تتوافد الناس الى مجلسه يقرأون عليه ويأخذون عنه ومن جملتهم البخاريّ. وجرى كلام في مسألة خلق اللفظ في القرآن[٥] بين محمد بن يحيي والبخاري أدّى الى خلافٍ وأسفر[٦] عن وحشة وقعت بين الرجلين. واتّسع الخرق بين الأستاذين حتى نهى محمد بن يحي مريديه عن مجالسة البخاري ولم يكن مسلم ليعير أذناً مصغية الى تحريم كهذا فأُنهي الى محمد أن مسلماً لا يزال على ولاء خصمه

---

(١) نسبة الى قشير وهي قبيلة كبيرة
(٢) دوّن منها في نحو ثلاثة آلاف.
(٣) التردّد. (٤) تقوّت.
(٥) اي انهما تباحثا فيما اذا كان لفظ القرآن نفسهُ منزل ام لا
(٦) كشف.

ومذهبه قديماً وحديثاً لا يرجع لمعاتبة. فأحفظ[1] الأمر محمّداً ولمّا كان يوم المجلس شعّث[2] من البخاريّ وختم كلامه بقوله « الا من قال باللفظ فلا يحلّ ان يحضر مجلسنا » فهبّ مسلمٌ وأخذ الرداء فوق عمامته وقام على رؤوس الناس وخرج من مجلسه وجمع كلّ ما كتب منه وبعث به اليه وقاطعه. وفي هذه الجرأة الشريفة من الأريحية[3] والشَمم[4] والوفاء ما فيها.

(١) أغاظ.
(٢) غضّ.
(٣) كرم الاخلاق.
(٤) عزة النفس.

أبو بكر الظّاهريّ

(٩١٠م ٢٩٨هـ)

هو أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني المعروف بالظّاهري. كان أبوه داود عالماً زاهداً في الدنيا متقللاً منها راغباً عن صلات موسريها[١] وهو صاحب المذهب الظاهريّ وعنه أخذ إبنه مذهبه وعلى غراره[٢] طبع في العلم والفضل ورقي درجة عالية في الفقه والأدب وله شعر ظريف رائق. ولمّا تُوفي أبوه تصدّر[٣] في حلقته للتفقيه[٤] على مذهبه فاستصغره القوم واستجهلوه وأحبّوا امتحانه والعبث به[٥] فدسّوا اليه رجلاً وقالوا لهُ « سلهُ عن حدّ السكر » فأتاه الرجل وسأله عن السكر ما هو ومتى يكون الإنسان سكران. فقال: « إذا عزبت[٦] عنه الهموم وباح[٧] بسرّهِ المكتومِ » فاستحسن ذلك وعلم موضعه من العلم. وصنف في عنفوان شبابه كتاباً سماه « الزهرة » وهو مجموع أدب أتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر مستملح. وممّا يُنسب اليه قوله:

لكلّ أمرىء ضيفٌ يُسرُّ بقربه ومالي سوى الاحزان والهمّ من ضيفِ
يقول خليلي كيف صبرك بعدنا فقلت وهل صبرٌ فأُسأل عن كيفِ

(١) ايسر الرجل اغتنى فهو موسر.
(٢) المثال الذي تُضرب عليه النصال.
(٣) جلس في صدر المجلس.
(٤) للتعليم.
(٥) الاستخفاف.
(٦) بعدت.
(٧) باح بسره أفشاه.

وكانت بينه وبين أبي العباس سُريج الشافعيّ مباراة[1] ومناظرة ولما توفي أبو بكر وبلغت وفاته إبن سريج ألقى من يده كرّاسة كان يكتب فيها وقال « مات من كنت أحث نفسي وأجهدها على الاشتغال لمناظرته ومقاومته » وهذه شهادةٌ من خصم تعرف مقدارها إذا علمت أنّ ابن سريج كان في زمانه الإمام المتّبع ذا الكلمة العالية في أندية[2] الفقهاء يقرّون لهُ بالفضل والرئاسة ويقال أنّ فهرست كتبه كان يشتمل على أربعمائة مصنّف.

(١) مسابقة.
(٢) جمع نادٍ وهو المكان يجتمع فيه القوم.

الأشْعَرِيّ (٩٤١م ٣٣٠هـ)

هو أبو الحسن عليّ بن الأشعري واضع علم الكلام ومحي معالم[١] السنّة في الاسلام. وُلِدَ بالبصرة ونشأ متوقد الذهن ذكيّ الفؤاد وانتحل[٢] مذهب المعتزلة منذ صباه وتلقى الأصول على شيخ الإعتزال وزعيم أئمته أبي عليّ الجُبائيّ ولم يزل على معتقدهم والأخذ بمقالاتهم الى الأربعين من عمره ثم عاد الى مذهب السنّة وتفانى في تأييد مبادئه وإفحام[٣] القادحين[٤] فيه والمعترضين عليه من أنصار الإعتزال إخوانه بالأمس حتى يقال أنهُ وضع في هذا الغرض نحو المائة تصنيفاً يجاهد[٥] فيها ويناضل[٦] وقد قيل في حقّه « كان المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله الأشعري فحجزهم[٧] في أقماع السمسم ».

وكان السبب في ارتداد الأشعري عن الإعتزال مناظرة جرت بينه وبين أستاذه أبي علي الجبّائي خلاصتها فيما يروون أن الأشعري سأل أستاذه بقوله « أخبرني عن حال ثلاثة أخوة أحدهم كان مؤمناً برًّا تقياً والثاني كان كافراً فاسقاً شقياً والثالث كان صغيراً فماتوا جميعاً فكيف حالهم » ـ فقال الجبائي

---

(١) جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق

(٢) اتخذه نحلة ومذهباً.

(٣) إسكات.

(٤) الطاعنين.

(٥) الجهاد المحاربة في سبيل الدين.

(٦) يقاتل.

(٧) دفعهم وحشرهم.

« أمّا الزاهد ففي الدرجات[١] وأمّا الكافر ففي الدركات[٢] وأمّا الصغير فمن أهل السلامة » ـ فقال الأشعرى « أن أراد الصغير أن يذهب الىَ درجات الزاهد فهل يؤذن لهُ » ـ فقال الجُبائّي « لا. لأنه يقال لهُ أن أخاك إنما وصل الى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات » ـ فقال الأشعري « فإنّ قال لك ذلك الصغير: التقصير ليس منّي فإنّك ما أبقيتني ولا أَقدرتني على الطاعة » ـ فقال الجُبائي « يقول الباري جلّ وعلا: كنت أعلم إنك لو بقيت لعصيتَ وصرتَ مستحقاً للعذاب الأليم فراعيت مصلحتك » ـ فقال الأشعري « فلو قال الأخ الكافر: يا إله العالمين كما علمت حالهُ فقد علمتَ حالي فَلِمَ راعيت مصلحته دوني » ـ فقال الجُبّائيّ للأشعريّ « إنك مجنون » ـ فقال الأشعري « لا، بل وقف حمار الشيخ في العقبة[٣] » وانقطع الجُبّائي. وتصارم[٤] الرجلان من ذلك الحين وتدابرا[٥] وعظمت الوحشة[٦] بينهما.

قلنا أمّا كون الإنسان حرّاً يُقبل على الخير أو الشر باختيار إرادته غيرَ مقهورٍ بتّةً فمن الحقائق التي قامت عليها البراهين القاطعة ويؤيدها الوجدان[٧] ولا يتمارى[٨] فيها الاّ من يُغالط[٩] نفسهُ فيها تناصر العقل والحسّ معاً على تقريره والاقرار بهِ. وأيّ معنى للمسؤولية لولا الحريّة التامّة. وكذلك القول عن *سابق علم الله فانه أمر لا مساغ[١٠] فيه للريب عند العاقل كائناً من كان إذ لا* يمكن أن يتصور العقل وجود الله سبحانه وتعالى دون سابق علمه بالحوادث قبل وقوعها. هاتان حقيقتان راهنتان[١١] لا تقلّ أحداهما بياناً عن الأخرى.

---

(١) الدرجة ما اعتبر فيه الصعود ومن ثم قيل الجنة درجات.
(٢) ضدّ الدرجة فالنار دركات.
(٣) ما صُعب ارتقاؤه من الجبل.
(٤) تقاطع.
(٥) تعاديا
(٦) تنافر
(٧) الشعور.
(٨) يتجادل
(٩) يموّه ويخادع
(١٠) مجاز.
(١١) ثابتتان.

وأمّا التوفيق بينهما فممّا يفوق مداركنا ويعجزُ عنهُ عقلنا البشريّ القاصر. غير أنه لا ينتج من عجزنا عن التوفيق بين قضيتين كلتاهما حقّ أنهُ ينبغي إحلال أحداهما محلّ الريب أو اعتبارها باطلة.

وقد قال العلاّمة بوسويه (١) في هذا المعنى ما محصّلهُ « إذا أخذنا في النظر والإستدلال فأوّل ما ينبغي تقريره وجعلهُ فوق كلّ ريب هو أننا قادرون على معرفة أشياء كثيرة معرفة أكيدة دون أن نستطيع مع ذلك الإحاطة بعلاقاتها ونتائجها على التمام. ومن ثم كان رأس الأقيسة المنطقيّة عندنا أنه لا ينبغي أبداً ترك الحقائق بعد الوصول الى معرفتها مهما صعُب علينا التوفيق فيما بينها. بل أحر (٢) بنا أن نفعل عكس ذلك أي أن نشدّ أيدينا متمسّكين بطرفيّ هذه السلسلة ولو جهلنا الكفيّة وفاتنا إدراك ما هنالك من الحلقات الوسطى المتماسكة الجامعة بين كلا الطرفين ».

---

(١) هو جاك بنين بوسويه أسقف مدينة مو من اعمال فرنسا كان امام عصره في العلوم الالهيّة وامير الخطابة الدينيّة بقوة برهانه وذكاء جنانه وذلاقة لسانه توفي سنة ١٧٠٤ مسيحية.

(٢) ما أحرانا اي الاوفق.

القَاضي البَاقِلانيّ (١٠١٣م ٤٠٤هـ)

هو أبو بكر محمد بن الطيّب البصريّ المعروف بالباقلانيّ[١]. كان فريد زمانه في علم الكلام أشعريّ العقيدة وانتهت إليه الرئاسة في مذهبه وله التصانيف الكثيرة الجليلة في تأييد الطريقة الأشعرية ونصرتها وهو الذي هذّبها وضبطها وأوضح أحكامها وبيّن قواعدها وقرّب متناولها للمريدين. واشتهر بجودة الإستنباط وسرعة الجواب إلاّ أنّه كان يؤخذ عليه كثرة التطويل في المناظرة وجرت بينهُ وبين أبي سعيد الهاروني مناظرة أكثر فيها من الكلام ووسّع العبارة وزاد في الإسهاب ثم التفت الى الحاضرين وقال « إشهدوا على أنه إن أعاد ما قلت لا غير لم أُطالبه بالجواب » فقال الهاروني « إشهدوا على أنه إن أعاد كلام نفسه سلّمت لهُ ما قال ».

(١) الباقلاني نسبة شاذّة الى الباقلاء وهو الفول

المَاوَرْدِيّ

(١٠٥٨م ٤٥٠هـ)

هو أبو الحسن عليّ بن محمّد البصريّ المعروف بالماورديّ(١). كان من وجوه(٢) فقهاء زمانه وأفراد(٣) علماء عصرِهِ واسع التبحّر في العلوم على تنوُّعها متضلّعاً من الآداب ولهُ التصانيف الغرّاء الشاهدة ببُعد غورهِ(٤) وتبسّطه في الأصول والفروع واستبطانِهِ(٥) دخائل كلّ فنّ خاض عبابهُ(٦). منها « الحاوي الكبير » في الفقه على مذهب الشافعيّ وهو مؤلّف يقع في عشرة مجلّدات منها « الأحكام السلطانيّة » أطلق فيه العنان لروح الفلسفة فبحث ونظر وعلّل ووجّه وقاس واستنتج وعيّن بمقالات شهدت لهُ بغزارة المادّة والإيغال(٧) في عالم العقليّات الى الغاية القصوى انموذج الكمال الذي تمثل له للهيئة الإجتماعية من الخليفة الى الوزير الى العمال الى الشعب عامّة. غير أن الأسف كلّ الأسف هو أنّ ما فتق لأبي الحسن ثاقب فكرِهِ وصادق حدسِهِ

---

(١) نسبة الى الماورد أو ماء الورد.
(٢) أكابر.
(٣) افاضل.
(٤) كناية عن تعمقه في العلم
(٥) استبطن الامر وقف على باطنه الخفي
(٦) معظم الماء.
(٧) اوغل في البلاد أمعن وبالغ في دخولها.

أقرب الى النظريات والخياليّات منه الى العمليّات والواقعيّات[1]. وله في هذا المعنى أو ما يقاربه « قانون الوزارة » و « سياسة الملك » ومن تآليفه المتداولة « أدب الدنيا والدين » جمع فيه ما شاء علمُهُ وسعة خبرته من الآراء السديدة والحِكَم الرائعة والبلاغات المأثورة[2] الراجعة الى آداب المرء في دينه ودنياه ممّا جعلهُ مورداً سائغاً[3] للمتأدب المجتهد يصدر عنهُ ريّان القلب والعقل معاً.

وكان الماورديّ موضع ثقة عند أهل زمانه وفُوِّضَ اليه القضاء ببلدان كثيرة ثم ببغداد واستوطنها الى وفاته. ومن مزاياه مع نادر علمه حسن النية وقلة الدعوى شأن أرباب المعرفة وجهابذة العلم ولم يُظهر في حياته تصنيفاً واحداً من تصانيفه النفيسة على كثرتها وجلالتها بل أمر بها فأُودعت وأُجّل[4] ظهورها الى ما بعد وفاتهِ.

---

(١) النظري ما لازم الفكر فاذا أجري فعلا فهو عمليّ والواقعي من الامور هو الحادث حقيقةً ويقابلهُ الخياليّ.

(٢) المنقولة عن السلف

(٣) عذباً. (٤) أخرّ.

الغَزاليّ (١١١١م ٥٠٥هـ)

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالّي الملقّب حجّة الإسلام. أُولع بالعلم من صغره واشتغل في مبدأ أمره بطوس ثم قدم نيسابور واختلف الى دروس إمام الحرمين وشمّر عن ساعد الجدّ فتخرّج مدّة قريبة وصارَ من الأعيان المشار إليهم وكان أستاذه يتبجح به[١] ويُعجب بكمال عقلهِ. ولّما تُوفي الإمام قدم الغزاليّ على نظام الملك فأكرمه وعظّمه وبالغ في الإقبال عليه وجرت مناظرة بينه وبين جماعة من أفاضل العلماء كان فيها الظهور[٢] للغزالي فاشتهر اسمه وسارت بذكره الركبان وفوِّض اليه التدريس بالنظاميّة البغدادية فانثال عليه[٣] طلّاب العلم وارتفعت منزلته عند أهل العراق لما رأوا من تفرّده ورجاحة عقله وزهده وسائر مناقبهِ. ثم غادر[٤] بغداد وتنقل في البلاد فقدم الشام وبيت المقدس والإسكندرية وقصد منها الركوب في البحر الى المغرب على عزم الإجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين صاحب مراكش فبينا هو كذلك بلغهُ نعي الأمير فصرف عزمه عن تلك الناحية ثم عاد الى وطنه بطُوس واشتغل بنفسه واجتهد في العبادة وكان يتصوّف وصنف كتباً كثيرة في عدّة فنون لا يسع المقام

(١) افتخر. (٢) الغلبة.
(٣) انصب. (٤) ترك.

الى ذكر أشهرها فمنها « البسيط » و« الوسيط » و « الوجيز » في الفقه الشافعي ومنها « أيُّها الولد » وهو مقالةٌ في آداب المتعلّم وجّه فيها الخطاب الى غلام وأرشده الى سواء السبيل بغرر[1] الأقوال ودرر الحِكَم والأمثال ومن تآليفه « إحياء علوم الدين » في المواعظ وهو مرتب على أربعة أقسام العبادات والمهلكات والمنجيات وقسم كلّاً منها الى عشرة كتب وهو كتاب نفيس عند القوم وقد قيل فيه « لو ذهبت كتب الإسلام وبقي « الاحياء » لأغنى عمّا ذهب » ولهُ « تهافت الفلاسفة » حمل فيه على فلاسفة اليونان وإتباعهم حملة شديدة وهو كتاب مبسوط العبارة مشبع الفصول رتّبه على أربع مقدّمات صدّر بها التأليف وأردفها[2] بعشرين مسألة حاول فيها نقض المقالات الفلسفيّة المغايرة لعقائد الإسلام. وله أيضاً في هذا المعنى « مقاصد الفلاسفة » وغير ذلك ممّا يطول ذكرهُ.

ثم اضطُرّ أن يعود الى نيسابور للتدريس بالمدرسة النظاميّة فأجاب بعد تكرار المعاودات وما عتّم[3] أن عاد الى بيته في وطنه واتخذ خانقاة[4] للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جوارِهِ وانقطع الى العبادة والإفادة الى وفاتِهِ.

---

(١) محاسن
(٢) اتبعها.
(٣) تأخر.
(٤) منزل الصوفي.

الشَّهْرَسْتَانِيّ

(١١٥٣م ٥٤٨هـ)

هو أبو الفتح بن عبد الكريم الشهرستاني. كان إماماً مبرّزاً[١] ومحدّثاً واعياً[٢] وفقيهاً متكلّماً على مذهب الأشعريّ. وكان كثير المحفوظ حسن المحاورة يعظ الناس ويقبلون عليه كثيراً ولهُ مؤلّفات في الفنون التي أتقنها أشهرها « المِلَل والنِحَل » وهو خير كتابٍ أُلّف في هذا الغرض وأكثرها استيعاباً[٣] مع حسن تبويبٍ ولم يتعرّض للذبّ[٤] عن مذهب أو القدح فيه بل ذكر مقالات كلّ فرقة كما يقول بها أصحابها وهو روح تساهلٍ نادرٍ في عصرهِ. ولهُ أيضاً « نهاية الاقدام في علم الكلام ». وغير ذلك.

---

(١) برز الرجل في العلم فاق اصحابهُ.

(٢) واسع الذاكرة

(٣) استوعب الشيء أحاط به.

(٤) للدفاع.

إبْنُ الأثير (١٠٢٩م ٦٠٦هـ)

هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمّد الشيباني المعروف بإبن الأثير الجَزَريّ وهو أخو ضياء الدين بن الأثير المارّ ذكرهُ. وُلِدَ بجزيرة إبن عمر ونشأ بها وتخرّج على علماء زمانه فتبسّط[١] في الفنون التي اشتغل فيها وتضلّع منها. وانتقل الى الموصل واتّصل بخدمة الأمير مجاهد الدين قايماز نائب المملكة فكتب لهُ[٢] ثم خدم الأمير عزّ الدين مسعود وإبنهُ نور الدين من بعده فحظي عندهما وتوفّرت حرمتهُ لديهما وكتب لهما ثم عرض لهُ مرض كفّ يديه ورجليه فمنعهُ من الكتابة مطلقاً وألزمهُ داره وناهزتهُ الفُرص[٣] في مدّة عطلته الإجبارية من تصنيف الكتب فتفرّغ لها وكان عنده جماعة يعينونه عليها في الإختيار والكتابة وأكثر الأكابر والعلماء من الإختلاف[٤] الى داره والتفكّه بمطارحته ومساجلتهِ[٥] في العلوم والآداب ومن تآليفه «جامع الأصول في أحاديث الرسول» وهو كتابٌ نفيس في بابه أحسن في ترتيبه وتبويبه وتفصيله وقرّب متناوله بالفهارس الهجائيّة[٦] بحيث سهّل الخوض في عبابة للمتخرج

(١) توسع.
(٢) اي كان كاتب سّره
(٣) مكنته.
(٤) التردّد
(٥) طارحهُ الكلام ساءلهُ وجاوبهُ فيه وساجلهُ جاراهُ في القول.
(٦) اي مرتّب على حروف الهجاء.

دون عناء واستنفاد وقت مع استيعاب المؤلّف وتعدّد أبوابه وتفرّع أغراضه وهذه مزيّة نادرة في مصنّفات تلك الأيّام ولو حرص على التزامها عدّة من مؤلفي أيّامنا وناشري [1] مصنّفات الأقدمين لخدموا لغتهم خدمة جليلة وأدنوا قطوف تلك الحدائق اليانعة الأثمار لعامّة المتأدبين. وما أشبه كتب الأقدمين عندنا بكنوزٍ مرصودة[2] لا سبيل الى حلّ طلاسمها[3] بغير الفهارس الهجائيّة المتنوعة وهيهات أن يكون في عصرنا قومٌ أَعقُّ بأجدادهم المؤلّفين منّا معشر العرب الغيورين على التقاليد التي ائتمننا عليها أجدادنا الكرام . . .

وكان إبن الأثير عالي الهمّة أبيّ النفس وحكى عنه أخوهُ عز الدين المؤرّخ الآتي ذكره أنه لمّا أُقعد تقدّم اليهم رجلٌ مغربيّ أن يعالجهُ ولا يأخذ أجراً إلاّ بعد برئِهِ[4] فقبلوا وشرع الرجل في العمل وأخذه بالمسوحات[5] من دهن كان يركّبه فلانت رجلا السقيم وصار يتمكّن من مدّهما وأشرف على كمال البرء وأنه لكذلك إذا دعا أخاه وقال لهُ « أعطِ هذا المغربيّ شيئاً يرضيه واصرفهُ » فعجب من انقطاعه الفجائي عن علاج ظهر نجحه فقال لهُ « أراني في راحةٍ من صحبة هؤلاء القوم والإلتزام بأخطارهم وقد سكنت روحي الى الإنقطاع والدعة. وقد كنت بالأمس وأنا معلق أُذلّ نفسي في السعي اليهم وها أنا اليوم

---

(1) نشر الكتاب اظهرهُ.

(2) الكنوز المرصودة هي في زعمهم التي جعل عليها اصحابها علامة خفية افمن اهتدى الى العلامة حاز الكنز.

(3) الطلاسم جمع طلسم هو خطوط يستعملها الساحر ليدفع بها الأذى.

(4) شفائه.

هي ما يمسح به الجسم من الادوية.

قاعد في منزلي فإذا طرأت[1] لهم أمور ضرورية جاءوني بأنفسهم لأخذ رأيي وبين هذا وذاك كثير ولم يكن سبب هذا إلّا هذا المرض فما أرى زواله ومعالجته ولم يبق من العمر إلّا القليل فدعني أعيش باقيه حرّاً سليماً من الذلّ وقد أخذت منه أوفر حظّ » فكأن كبر النفس الذي استفزّ أخاهُ ضياء الدين الى الخُيلاء[2] والغطرسة والعُجب المقيت[3] استحال في مجد الدين أريحيّة[4] واستقلالاً[5] وأنَفاً[6] حميداً.

ولإبن الأثير مصنّفات أُخر منها « النهاية » في غريب الحديث و « المصطفى والمختار في الأدعية والأذّكار » وغير ذلك.

(١) عرضت.
(٢) الكبرياء.
(٣) المبغض.
(٤) شرف النفس.
(٥) الحرية.
(٦) رفعة.

البَيْضَاوِيّ (١٢٩٢م ٦٩٢هـ)

هو ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاويّ. وُلِدَ بالبيضاء وهي قرية على مقربة من شيراز في بلاد فارس وكان أبوه قاضياً رفيع الشأن جليل القدر فتفقه عليه وأكبّ على قراءة العلوم العقلية والنقلية فبلغ منها مبلغاً بعيداً ولم يزل مقبلاً على التضلّع من كل علم وفنّ حتى أصبح نادرة زمانه وإمام عصره في الأصول والفقه والتفسير وسائر الفنون الدينية واللسانية. فترامت سمعته في البلاد وعظمت مهابته في عيون العباد وولي القضاء بشيراز فحسنت آثاره وتُحدّث بنبله وفضله ونزاهته وازداد رفعة وسؤدداً بمآثره الغراء ومحامد أخلاقه وما عُرف بهِ من الزهد والورع وحبّ الخير والتفرغ لقضاء شؤون الخلق والنظر في دعاويهم.

وللبيضاوي مؤلّفات عديدة في الأغراض الدينية أشهرها « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » في تفسير القرآن ويعرف بتفسير القاضي وهو مؤلف كبير استعان به واضعه بكشاف الزمخشري وزاد عليه أشياء كثيرة من عنده بحيث كان كتابه هذا من أمتع الكتب وأكثرها تداولاً عند أرباب هذا الشأن. ولهُ « طوالع الأنوار » في التوحيد وغير ذلك.

فهرس كتاب الآداب العربية

طبع على مطابع
مؤسسة عز الدين
للطباعة والنشر
هاتف: ٢٧٣٦٣٦-٢٧٥٥٣٢-٢٧٥٥٦٢-٢٧٥٨٦٧-ص.ب: ١٥/٥١٣٤ بيروت - لبنان

